تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي

1551 - 1911

نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية

تأليف

الدكتور علي مسعود البلوشي

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY

Association Mondiale de L'Appel Islamique

تاريخ معمار المسجد في ليبيا
في العهد العثماني والقرمانلي
1551 - 1911
نشـأة ونمو وتطور أنماط المسـاجد الليبيـة

تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهد العثماني والقرمانلي 1551 - 1911

نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية

تأليف

الدكتور علي مسعود البلوشي

ISLAMIC CALL SOCIETY

Mondiale de L'Appel Islamique

تــأليف: الدكتور علي مسعود البلوشي
تاريخ معمار المسجد في ليبيا
في العهد العثماني والقرمانلي 1551 ـ 1911

منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
طريق السواني ـ طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
هاتف: 65 ـ 4808461 ـ بريد مصور: 4800293 ـ ص.ب: 2682 طرابلس
E-mail: Society@the-wics.org

WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY
Association Mondiale de L'Appel Islamique

سنة الطبع: 1375 من وفاة الرسول ﷺ ـ (2007) مسيحي
الرقم المحلي: 7360 / 2006 دار الكتب الوطنية ـ بنغازي
الرقم الدولي: ردمـــك: ISBN: 9959 - 28 - 049 - 7

جميع حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تصدير

جاءت هذه الدراسة حول تطور معمار المسجد الليبي في العهد العثماني والقرمانلي، في الفترة ما بين سنة 1551 إلى سنة 1911ف، نتيجة لجهود علمية استغرقت سنوات طويلة من التقصي والبحث العلمي المنظم، في كل من ليبيا ومصر وتونس والولايات المتحدة الأمريكية.

إن الأغلبية العظمى من المساجد الليبية والتونسية التي شملتها هذه الدراسة، تمت معاينتها على الطبيعة، وقمت برفع مخططاتها ومساقطها الأفقية، والتقاط أكثر من ألفين من الشرائح والصور الملونة التوضيحية لها.

وكان في مخيلتي عند القيام بهذه الدراسة، تحقيق عدة أهداف كان أولها هو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن أكثر عدد من المساجد والجوامع القائمة حالياً، قبل أنْ تصل إليها معاول الهدم، كما حدث بالنسبة إلى عدد كبير من المساجد والمباني الدينية الأخرى، التي أزيلت وأصبحت أثراً بعد عين في كثير من المدن والقرى الليبية، وخاصة في مدن طرابلس وبنغازي وغريان، وآخر القائمة من المساجد الأثرية التي أزيلت أخيراً في طرابلس، هو جامع سيدي البشت والكتاني وسيدي أبو سعيد (الغرياني) (في نهاية 1984ف) وجامع سيالة (بداية 1985) ذات الأهمية في تاريخ وتطور المعمار الإسلامي في ليبيا.

وترجع إزالة الكثير من هذه المساجد والأبنية إلى التقدم والتخطيط

العمراني الحديث، الذي تشهده المدن الليبية في كل المجالات، وخاصة في مجال إعادة تخطيط المدن والقرى الليبية.

وكان الهدف الثاني من الدراسة هو تتبع نمو وتطور أنماط المساجد الليبية التي ميزت معمار المسجد الليبي بصفة عامة، وأما الهدف الثالث من الدراسة فهو تتبع أصل ومصدر وتطور أسلوب تخطيط هذه المساجد، وطرق بنائها، وتسقيفها، وأساليبها الزخرفية.

وعلاوة على هذه الأهداف المهمة في دراسة معمار المسجد الليبي إلا أن هناك هدفاً رابعاً أكثر أهمية، وهو تفنيد ما يمكن أن نطلق عليه نظرية غاسبري ميسانا فيما يتعلق بالمسجد الليبي ذي القبيبات، فهذا الباحث الإيطالي كان أول من ألف كتاباً عن المعمار الإسلامي في ليبيا، والذي ضمنه معلومات عامة عن العمارة الإسلامية في ليبيا، بحيث خرج مؤلفه ككتاب معلومات عامة أكثر منه دراسة تحليلية بالمعنى المتعارف عليه علمياً.

وفي هذا الكتاب خصص غاسبري ميسانا فصلاً عن معمار المسجد الليبي ذي القبيبات، طرح فيه وجهة نظره عن أصله وتطوره، والتي تعتبر الفرضية الوحيدة والمعروفة إلى ما قبل إعدادي لهذه الدراسة وتأليفي لهذا الكتاب، والذي قمت فيه بتفنيد هذه النظرية بالتحليل العلمي، وتقديم البديل الحقيقي والمقنع على ضوء المعلومات المتوفرة والدراسات المستفيضة التحليلية، والمقارنات المعمارية والفنية والتاريخية، ولتضع هذه الدراسة معمار المسجد الليبي في مكانه المناسب من تاريخ وتطور معمار المسجد بصفة عامة.

شكر وتقدير

ما كان لهذه الدراسة أن تخرج إلى النور، وأنال عليها درجة الدكتوراه في تاريخ الفنون، لو لم أكن محظوظاً منذ بداية دراستي العليا بالولايات المتحدة الأمريكية، ولو لم تأخذ الأستاذة الدكتورة بريسيلا سوشيك على عاتقها الإشراف على دراستي العليا وعلى هذه الأطروحة، فكانت طيلة المدة تقدم لي يد العون والنصح والإرشاد والتوجيه، فإليها أقدم خالص شكري وامتناني، كما أود أن أقدم شكري إلى الأساتذة: الدكتور أندرو إيرونكريتس، والدكتور ناثان ويتمان، والدكتور وارد بيسيل، وهم بقية أعضاء اللجنة المشرفة على مناقشة هذه الدراسة، ولما أبدوه من نصح وتوجيه ومراجعاتهم للأطروحة.

كما أقدم شكري لكل من الأستاذ الدكتور سفات سوشيك الذي أبدى كثيراً من النصح والإرشاد، ومراجعته للفصل الأول الخاص بالخلفية السياسية والإدارية لليبيا في الفترة العثمانية.

ولا يفوتني هنا أيضاً إلا أن أقدم شكري لكل من الأخوين حامد مبروك العجابي، ورشيد علي غريب، من المعهد القومي للفنون والآثار بتونس، ولمسؤولي هذا المعهد، لما قدموه من مساعدة كبيرة كانت لي خير عون على استكمال هذه الدراسة أثناء زياراتي الميدانية المتكررة إلى تونس سنة 1972 و1977ف.

وأخيراً أقدم خالص شكري وامتناني لكل الأخوة المسؤولين بمصلحة الآثار بطرابلس، وخاصة الأخوة العاملين بإدارة البحوث، لما قدموه من تسهيلات، كما أوجه شكري للدكتورة دالو جونز على مساعدتها وإرسالها لنسخة من محاضرة كانت قد ألقتها عن الفن الإسلامي في ليبيا، في مهرجان العالم الإسلامي للفنون الإسلامية، الذي عقد في لندن في صيف سنة 1976، وأشكر الدكتور أندرو هس من جامعة تمبل الأميركية الذي وجه انتباهي إلى بحث باللغة التركية عن جامع درغوت باشا وملحقاته بطرابلس.

وأخيراً أقدم خالص شكري وامتناني وتقديري إلى كل أفراد أسرتي الذين تحملوا الكثير من الصبر والمشاق والمعاناة في سبيل مواصلة تعليمي ودراستي في جميع مراحلها المختلفة.

ملاحظة:

الصور والمساقط الأفقية الأصلية للمساجد من عمل الباحث باستثناء مساقط المساجد رقم 11، 20، 29، 31، 38 إلى 43، 53 من أرشيف مصلحة الآثار بطرابلس، أما المساقط 19، 34، 44، 45، 47، 58 59، 69، 72، 73 فهي من كتاب غاسيري ميسانا المساقط الأفقية 35، 36، 60 إلى 63 فهي من كتابي إميليو سكارين.

المؤلف
الولايات المتحدة الأمريكية
ولاية متشجان
مدينة ان اربور 1979
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى 1986/7/3

المقدمة

نتج عن استيلاء الأتراك على ليبيا، في بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر، دخول ليبيا تحت تأثيرات سياسية وإدارية وثقافية وعسكرية ومعمارية وفنية أدخلتها في إطار تاريخي جديد استمر منذ مجيئ قوات الأتراك إليها حتى سقوط الإدارة والنفوذ والتأثير العثماني في بداية القرن العشرين.

ويمكن تقسيم الفترة العثمانية في ليبيا التي استمرت 360 سنة إلى ثلاث فترات رئيسية وهي:

1 ـ الفترة العثمانية الأولى: 1551 ـ 1711ف.

2 ـ الفترة القرمانلية: 1711 ـ 1835ف.

3 ـ الفترة العثمانية الثانية: 1835 ـ 1911ف.

كانت ليبيا في الفترة العثمانية الأولى والثانية تخضع لنظام الحكم التركي العثماني والإدارة العثمانية خضوعاً مباشراً، فكان الوالي التركي يرسل إلى طرابلس من استنبول، في حين استقلت ليبيا في الفترة القرمانلية استقلالاً شبه تام عن الدولة العثمانية، إلا أن كل باشا قرمانلي كان عليه أن يحصل، عند تقلده لمنصبه على موافقة ورضى الدولة العثمانية، وذلك بحصوله على الفرمان السلطاني، وعلى الرغم من تصرفات الحكام القرمانليين الاستقلالية المطلقة،

إلا أنهم كانوا حريصين على مد جسور العلاقات الطيبة مع السلاطين العثمانيين.

وقد كان للنظام الإداري التركي العثماني تأثيرات بعيدة المدى على الحياة السياسية في ليبيا، وان كثيراً منها كانت ذات نتائج سلبية.

فالنظام الإداري في الامبراطورية العثمانية يرأسه السلطان في استنبول، والباشا الذي كان يرسل إلى الولاية العثمانية، كممثل للسلطان في كافة الأمور القانونية والتنفيذية، يمثل رأس الإدارة في الولاية، وكان استقرار الولاية العثمانية السياسي والإداري والاقتصادي يعتمد على شخصية ومهارة وإمكانيات كل من الباشا (رأس الإدارة)، والبي (قائد قوات الانكشارية)، والداي (رئيس ديوان الكبار).

والحق يقال أن بعض الباشوات كانوا قادرين على حفظ السلام والنظام والأمن، وفرض الطاعة والأوامر على قوات الانكشارية وكذلك الرعية.

ومن هؤلاء الحكام القادرين والمرموقين، درغوت، ومحمد وعثمان الساقزلي، ومحمد الإمام شائب العين، من الفترة العثمانية الأولى، ومن الفترة القرمانلية، أحمد، وعلي، ويوسف، أما من الفترة العثمانية الثانية يمكننا ذكر علي عشكر، محمد أمين، أحمد عزت، علي رضا، أحمد راسم، طاهر باشا، ورشيد باشا، غير أن أكثرية بقية الولاة كانوا مشغولين بإثراء أنفسهم، وكان من نتيجة ذلك زيادة فقر البلاد، وسوء أحوالها الاقتصادية، وظهور التذمر بين المواطنين، وقيام العصيان بين أفراد الانكشارية، وثورات القبائل المحلية.

ومن الملاحظ أن الحكم والإدارة في الفترة العثمانية كان لا يتعدى حدود المدن الساحلية، الواقعة على الشريط الساحلي وبعض الدواخل، في حين أن بقية المقاطعات الليبية كان يحكمها رؤساء العشائر والقبائل المحلية.

وما يهمنا في هذه الدراسة هو التأثيرات المختلفة التي تعرضت لها البلاد في هذه الفترات، وبالذات التأثيرات الفنية والمعمارية، والإنتاج الفني والمعماري.

من المعروف أن التغييرات السياسية وحدها لا تكون سبباً في التغييرات والظواهر الفنية والمعمارية، ولكنها بالإضافة تعتمد عادة على عدة عوامل أخرى، ومنها التراث الفني والمعماري لأي شعب من الشعوب، ولأي منطقة من المناطق الجغرافية، ووجود أو انعدام التقاليد الفنية والمعمارية، ذات الأصالة المحلية، ودرجة الرقي الحضاري لأي جماعة من الجماعات البشرية في أي قطر من الأقطار.

وبالنسبة إلى ليبيا، ولأسباب جغرافية ومناخية واجتماعية، فإنها تعتبر مكاناً ذا تربة غير خصبة كثيراً لإحداث التجديدات الفنية والمعمارية، وان شعبها من الشعوب المحافظة فنياً، وعليه فإن تراثها الفني والمعماري غامض وغير واضح المعالم إلى درجة كبيرة.

وكما سنوضح فيما بعد، فإن تقاليدها المعمارية والفنية، قبل مجيئ الأتراك، كانت انعكاسات محلية لطرز فنية أغلبية وفاطمية ومرابطية وموحدية وحفصية.

وتبين لي من هذه الدراسة، إن تونس كانت غالباً تمثل مصدر التأثير الفني والمعماري على ليبيا، ولكي نعطي صورة أكثر وضوحاً عن هذه الفترة، فإن ليبيا في الأربعة قرون الأخيرة شهدت خليطاً من التقاليد والتأثيرات الفنية القادمة من المغرب الإسلامي وتركيا، وان أي دراسة لهذه المواضيع من الضروري تمحيصها والتدقيق فيها من واقع الحوادث والحقائق.

إن التباين في التقاليد الفنية والمعمارية، قبل وبعد مجيئ الأتراك إلى ليبيا، غير محدد المعالم، فالاختلافات الواضحة تكمن في طريقة التسقيف،

وتخطيط المساجد، ففي الفترات السابقة لدخول الأتراك امتازت بعض المساجد بأسقف مسطحة خشبية، والبعض الآخر منها سقفت بأسقف نصف برميلية، أو نصف برميلية متقاطعة، في حين إن أغلب المساجد التي شيدت في الفترة العثمانية والقرمانلية (المؤرخة والقابلة للتأريخ) قد سقفت بقبيبات، وان هذه الطريقة المستخدمة في التسقيف أصبحت هي الملمح المميز للمساجد الليبية في كل أرجاء المناطق الساحلية، وبالذات في منطقة طرابلس والمناطق القريبة منها.

وكما كان النظام الإداري العثماني في ليبيا انعكاساً للنظام الإداري في استنبول، فإن المنتج المعماري والفني بدوره كان انعكاساً لتقليد تركي عثماني، وبتعبير آخر فإن عادة السلاطين العثمانيين، وأفراد عائلاتهم وكبار مسؤوليهم كانوا يشيدون جوامع ومساجد ومنشآت معمارية دينية مختلفة، وكلما كان المبنى ضخماً وعظيماً، وعلى درجة عالية من الزخرفة، كلما حدد مركز المشيد ومقدار ثرائه، وهو الذي سنحت له الفرصة للثراء وجمع المال.

ومن الواضح فإن ممثلي السلطان وكبار رجال حاشيتهم، في النظام الإداري في الولايات العثمانية النائية، قد ساروا على نفس النهج الإداري والاجتماعي والمنتج المعماري والفني.

ومن دراساتنا لمعمار المسجد الليبي في هذه الفترة، اتضح لنا أن الجوامع والمنشآت المعمارية الكبيرة قد شيدت من قبل ولاة، ودايات، وكابودانات، وخازندارات، وبايات، وآغات وخوجات، وأعضاء آخرين من الديوان، وعلاوة على ذلك فإن أغلب هذه المباني الدينية والمدنية قد شيدت في مدينة طرابلس وضوحيها، وهي مركز الثقل الإداري والمالي والسياسي، ومقر كل من الباشا العثماني ومعاونيه.

وفي هذه الدراسة واجهت الباحث مشكلة مهمة، وهي وجود مجموعة

من المساجد والجوامع والأبنية الدينية الأخرى غير المؤرخة، وإن عدم معرفة نسبتها إلى فترة تاريخية محدد يعيقنا عن تكوين مصنف شامل، ومن ثم يعيقنا عن فهم لتطور معمار المسجد الليبي في الفترة العثمانية، علاوة على ذلك فإن نقصاً في المادة الموثقة التي يمكن الاعتماد عليها فيما يخص العمارة الإسلامية في ليبيا، يقودنا أيضاً إلى مشكلة أساسية، وبالإضافة إلى ذلك وحتى إلى فترة قصيرة ماضية، فإن الفن والعمارة الإسلامية في ليبيا لم تتم دراسته وتحليله تحليلاً كاملاً، وان المدروس منه حالياً قليل جداً، ذلك أن أغلب المساجد والأبنية الدينية لم تدرس دراسة شاملة من قبل عناصر ليبية متخصصة أو أجنبية، إلا أن بعض المقالات قد نشرت عن أشهر الجوامع، ومنها جامع مراد آغا ودرغوت باشا وأحمد القرمانلي وجامع مصطفى قرجي.

والمهندس غاسبري ميسانا بدوره لم يشمل في كتابه عن المعمار الإسلامي في ليبيا كثيراً من الجوامع والمساجد والأبنية الدينية الأخرى المؤرخة وغير المؤرخة، وعليه فإن عدم تضمين كثير من هذه المباني المختلفة في كتابه، وتحليله لحصيلة معلومات محدودة، عن معمار المسجد الليبي، يجعل دراسته غير موثّقة إلى حد كبير، وان نتائج تحليلاتها كذلك غير موثوق بها ذلك الوثوق الأكاديمي وان إغفال أو إهمال لحلقات من تطور المسجد الليبي دون تناولها يوصل بكل تأكيد صاحبه إلى نتائج دراسية غير دقيقة، وإلى نتائج غير سليمة.

ولكوني مواطناً ليبياً، ومن سكان مدينة طرابلس، وكوني عربياً وثقافتي عربية إسلامية، كل ذلك كان عوناً لي في دراستي هذه، وتمكني من فهم كثير من الأمور عن معمار المسجد الليبي أثناء زياراتي لكثير من الأبنية الدينية في كل من الجبل الغربي وطرابلس والشريط الساحلي بصف عامة.

أما مشكلة تأريخ كثير من المساجد غير المؤرخة فقد استطعت التغلب عليها من خلال استعانتي بدراسة المصادر الأدبية والتاريخية، ودراسة

الشخصيات الدينية المرتبطة أسماؤهم بكثير من المباني الدينية، كالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة.

ومن خلال دراسة هذه المصادر المختلفة استطعت تكوين خلفية تاريخية عن سير هذه الشخصيات من الذين شيدوا هذه الأبنية وارتبطت أسماؤهم بها، كل ذلك من أجل وضع أسس سليمة للانطلاق منها نحو دراسة شاملة لمعمار المسجد الليبي بصفة خاصة، ولمعمار المبنى الديني المحلى بصفة عامة، وكانت دراسة كثير من الشخصيات الدينية المحلية، وخاصة أولئك المقبورين في أضرحة ملاصقة لبعض المساجد، خير عون لي للوصول إلى تحديد الفترات التاريخية التي تنتمي اليها هذه الأبنية.

ولقد استعنت في هذا المجال بكثير من الكتب التي تناولت الشخصيات الدينية، وكتبت عن كثير من الشخصيات من العلماء ورجال الدين والفقهاء، ومن هذه المصادر والمراجع، كتاب أعلام ليبيا، ومعجم البلدان الليبية، وتاريخ ليبيا، وولاة ليبيا للشيخ الطاهر أحمد الزاوي، وكتاب التذكار لابن غلبون، وكتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، وكتاب نفحات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من الأعيان للنائب أحمد الأنصاري، وكتاب الإشارات لما كان في طرابلس من المزارات للشيخ عبد السلام بن عثمان وكتاب رحلة التجاني، هذه المؤلفات وغيرها كانت ذات فائدة كبيرة في معرفة بعض التواريخ، وتحديد بعض التواريخ الأخرى لكثير من الأبنية الدينية، وخاصة المساجد، كما زودتني بتواريخ تقريبية لكثير من المباني التي لم تكن معروفة التاريخ.

خصص ميسانا، في كتابه عن المعمار الإسلامي في ليبيا، فصلاً عن معمار المسجد الليبي، كما قدم وطرح نظرية عن معمار المسجد الليبي في الفصل الخاص بالمساجد، وتتلخص فكرة ميسانا، عن تطور ونشأة المسجد الليبي ذي القبيبات، في انه يعتقد إن تطور الوحدة الفراغية (التي تكون

محصورة بين أعمدة أو دعائم أو أعمدة مع دعائم أو أعمدة وجدار مغطاة بقبة صغيرة) هي العنصر المعماري الأساسي في معمار المسجد الليبي.

وتنطلق فكرته هذه من نظرية برونو زيفي المتعلقة بمعالجة العمارة كفراغ، كما يعتقد غاسبري إن القبة التي تغطي الضريح كانت مصدر الإلهام للمسجد الليبي ذي القبيبات، ويرى ميسانا أن فكرة الضريح الصغير المسقوف بقبة صغيرة يمكن أن يكررها المعماري في كل اتجاه، وان يستخدم أي عدد من القباب الصغيرة لتسقيف أي من المساجد الكبيرة، ويضيف غاسبري ميسانا أن المسجد الليبي ذا القبيبات هو المرحلة الأخيرة النهائية في التقليد المعماري الليبي، هذا التقليد الذي لا يتعدى بناء ضريح صغير بقبة، ويرى ميسانا أن ذلك يعكس انفرادية المجتمع الليبي، الذي وجد في هذا المشروع المعماري ما يناسب روحه ونفسيته.

ولقد أشار أيضاً إلى أن أصل وتطور المسجد الليبي ذا القبيبات حدث في آن واحد وبمجهود البنائين المحليين في كل البلاد، ويرى أيضاً أن ذلك لا صلة له بأي مدرسة من مدارس المعمار الإسلامي شرقية كانت أم غربية، وهكذا نرى إن ميسانا ينفي وجود مصدر للتأثير من مدرسة الفن والعمارة التونسية أو المصرية أو الأناضولية (راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب).

وفي هذا المؤلف عن تطور معمار المسجد الليبي في الفترات العثمانية الأولى والثانية والقرمانلية قدمت الكثير من التحليل والإثبات لتوضيح إن كل الملامح الزخرفية، واستخدام القبيبات الشائع في ليبيا لتسقيف المساجد إنما هي نتائج لتأثيرات قادمة من كلا المدرستين التونسية والأناضولية في الفن والعمارة. ساهمت أناضولياً بتراثها المعماري الخاص باستخدام القباب الصغيرة لتسقيف المساجد والمدارس والأسواق العامة، والذي شجعه رعاة الفن والعمارة من الولاة والموظفين الكبار، أما تونس فقد أثرت في الأسلوب الزخرفي والأشكال المعمارية، كما بينت في هذا الكتاب أيضاً إن إمكانيات

البناء الليبي المعمارية المحدودة، في هذه الفترة، وليس الحماس والرغبة الخاصة من قبل الليبيين بتكرار واستخدام القبة كما زعم غاسبري ميسانا، هي التي جعلت من معماريي المسجد يستخدمون أعداداً كبيرة من القباب الصغيرة في تسقيف المساجد الكبيرة.

ولقد أوضحت في هذه الدراسة أيضاً إن إقدام المعماري الليبي على بناء مساجد مسوقفة بقبة واحدة، تتراوح أقطارها من 8 إلى 12 متر، وغيرها من الأبنية ذات التخطيط المركزي، في الفترة بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، يبين بوضوح اهتمام مشيدي المساجد الليبية في أن يقدموا نماذج لمساجد مسقوفة بقباب كبيرة منها، المساجد ذات التخطيط المركزي وذات الوحدة الفراغية الواحدة، والتي أوجدت حلاً لمشكلة وحدة الفراغ الداخلي، إنما يعطينا يقيناً دليلاً على أن هؤلاء المهندسين المعماريين قد أظهروا وأكدوا براعتهم التقنية المعقدة في هذا المجال.

وعلى الرغم من الحقيقة الواضحة، حول وجود كثير من التفاصيل المعمارية الإنشائية التي تم استعارتها من أسلوب بنائي محلي، للفترة السابقة للفترة العثمانية، إلا أن تشييد كثير من المساجد الليبية، ذات التخطيط المركزي، وذات القباب الكبيرة إنما يبين وبوضوح التأثيرات الفنية والملامح والأساليب التقنية التركية العثمانية على الأسلوب البنائي المعماري والفني الليبي.

1

النظام السياسي والإداري في ليبيا

في العهد العثماني

تاريخ معمار المسجد في ليبيا
في العهد العثماني والقرمانلي
1551 - 1911
نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية

لقد اصطبغت منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، قبل استيلاء الأتراك العثمانيين على شمال أفريقيا، بعدة حوادث شكلت نقاط تحول في تاريخ المنطقة، فمن هذه الحوادث سقوط القسطنطينية في سنة 1453ف، وإغلاق البحر الأسود أمام الملاحة البحرية للدول المسيحية، فكان هذان الحادثان صفعتين قويتين إلى أوروبا المسيحية ومصالحها الاقتصادية في شرق حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق[1].

غير إن ما أصاب العالم الإسلامي والمسلمين لم يكن بأقل خطورة من الحوادث التي أصابت أوروبا المسيحية، فقد أصابت الإسلام والمسلمين نكسة في الأندلس، وتم القضاء على النفوذ العربي الإسلامي باحتلال مدينة غرناطة سنة 1492ف آخر معاقل العرب والمسلمين.

ولا شك في أن هذه الحوادث كانت ضربات قوية وجهت إلى العالم الإسلامي[2]، كما أن هذه الحوادث كانت من الأسباب التي ساهمت في إطالة

---

(1) Godfrey Fisher, Barbary Legend; War, Trade, Piracy in North Africa. 1410. 1830 (Oxford. 1957), p.20.

(2) Jamil M. Abun - Nasr, A history of the Maghrib, 2nd ed. (Cambridge University Press, Cambridge, London, New York, 1975), p.157.

المواجهة والصراع بين الإسلام والمسيحية في كل حوض البحر الأبيض المتوسط، وكانت تقود هذا الصراع على الجانب الإسلامي الإمبراطورية العثمانية، وعلى الجانب المسيحي تقوده الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وخاصة أن الصراع في شمال أفريقيا كان جزءاً غير منفصل من هذه المواجهة التي استمرت خلال الجزء الأكبر من القرن السادس عشر.

إن سقوط الأندلس في أيدي المسيحيين الإسبان تبعه إعداد خطط لغزو شمال أفريقيا[1]، وفي أقل من عقدين سقطت عدة مدن على ساحل شمال أفريقيا في أيدي الإسبان، منها بجاية ووهران في سنة 1509ف، كما سقطت طرابلس في سنة 1510ف[2].

إن تقدم النفوذ المسيحي في حوض البحر الأبيض المتوسط عامة، ووصول النفوذ البرتغالي إلى مناطق البحر الأحمر خاصة، كان ناقوس الخطر المحدق بالأماكن المقدسة الإسلامية، ولكي لا يستشري هذا الخطر، فقد واجهت الإمبراطورية العثمانية بنجاح في كلا الاتجاهين وفي فترتين مختلفتين، ففي الشرق استطاعت الإمبراطورية العثمانية الاستيلاء على سوريا سنة 1516، ومصر سنة 1517، وكل ذلك مقدمة لإقصاء النفوذ البرتغالي من البحر الأحمر، وطرد فرسان القديس يوحنا من جزيرة رودس في سنة 1522، كل ذلك رسّخ السيادة العثمانية في شرق البحر الأبيض المتوسط، هذه السيادة تم إحكامها باحتلال الأتراك لجزيرة قبرص في سنة 1571[3].

أما في وسط وغرب حوض البحر الأبيض فقد امتدت الفتوحات

---

(1) Fisher, p.32.

(2) Abun - Naser, pp. 165, 192, 193 - R. Mantran, «North Africa in the sixteenth and seventeenth centuries», The Cambridge History of Islam 11, ed by P.M. Holt, Ann. K.s. Lambton, and Bernard Lewis (Cambridge at the University press, 1970), p.249.

(3) علي عمر إسماعيل: انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا، (طرابلس مكتبة الفرجاني 1966)، ص21. Fisher. p.19.

العثمانية، التي استغرقت وقتاً طويلاً، وكانت نتاج عدة عوامل مجتمعة، بدأ النفوذ العثماني في غرب البحر الأبيض، بقيام خير الدين بارباروسا ومعاونيه كبحار مستقل، باحتلال أجزاء من الجزائر في العقد الثاني من القرن السادس عشر[1]. وفي سنة 1518 أعلن خير الدين باربارو سا انضواءه وتحالفه مع السلطان العثماني الذي عينه حاكماً لمقاطعة الجزائر[2]، ثم قام خير الدين باحتلال تونس في سنة 1543، ثم تخلى عنها في فترة لاحقة، وبعد ذلك تم احتلالها بقوات تركية وأساطيل سلطانية نظامية كبيرة[3]، أما طرابلس الغرب التي سلمها الإمبراطور تشارلز الخامس إلى فرسان القديس يوحنا في سنة 1530، استولى عليها الأتراك سنة 1551 بنفس الطريقة التي تم فيها الاستيلاء على تونس.

وهكذا أصبحت مدن كل من الجزائر وتونس وطرابلس مراكز إدارية للولايات العثمانية في شمال أفريقيا، وبقيت خاضعة للنفوذ التركي العثماني حتى سنة 1830 بالنسبة للجزائر، و1881 بالنسبة لتونس، وسنة 1911 بالنسبة لليبيا.

وكما امتاز القرن السادس عشر بهذه الحوادث السياسية والعسكرية المهمة، فقد امتاز كذلك بظهور قادة عسكريين وسياسيين كبار، مثل السلطان سليم الأول، وسليمان القانوني، والملك فرديناند الكاثوليكي الإسباني، والإمبراطور تشارلز الخامس، والملك فيليب الثاني[4]، والملوك البرتغاليين، مثل الملك سبيستيان، والملك عمانويل، والملك جوان[5]، أما القادة العسكريون العظام الذين برزوا على مسرح الأحداث العسكرية والسياسية في

(1) Svat Soucek, «the Rise of the Barbarossa in North Africa», **Archivumottomanicum**, 1971, #, p. 238.

(2) Mantran, p.250.

(3) المرجع السابق، ص251، 254. Soucek, pp.238, 239.

(4) نيقولا زيادة، ليبيا من أفريكانوس إلى التمغروتي «**ليبيا في التاريخ**»، ليبيا 1968، ص250 - 275.

(5) Abun - Nasr, p.157.

القرن السادس عشر، فكان منهم القادة البحريون الكبار إخوان برباروسا، وسنان، ودرغوث، وبيدرو نافارو، وأندريا كوريا وغيرهم[1].

ومن نتائج ظهور العثمانيين كقوة سياسية وعسكرية مؤثرة في أحداث القرن السادس عشر، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، الإضرار بالمصالح الاقتصادية للجمهوريات الإيطالية، مثل بيزا وجنوة والبندقية، ومن جهة أخرى استفادت اقتصادياً من هذه الأحداث المدن والمواني الساحلية لبلدان شمال أفريقيا، مثل وهران والجزائر وتونس وطرابلس وبنغازي.

ومن الحوادث التي برزت في القرن السادس عشر، وكانت لها نتائج بعيدة المدى على الحياة الثقافية والفنية والمعمارية والصناعية هي تدفق موجات المهاجرين والمطرودين الأندلسيين، واستقرارهم في مدن شمال أفريقيا، وخاصة تلك الموجات من المهاجرين والمطرودين بعد سقوط غرناطة سنة 1492، عندما تم القضاء نهائياً على الحكم العربي الإسلامي في الأندلس، وهجرات 1502 عندما تعرض المسلمون للاضطهاد الإسباني بعد ثورة المسلمين في غرناطة، وموجات الهجرة التي حدثت في سنة 1609[2]، عندما طردت بقايا المسلمين طرداً نهائياً من الأندلس فهذه الهجرات والموجات المتتالية من الأندلسيين أثرت على الحياة الثقافية والفنية والمعمارية لبلدان شمال أفريقيا[3].

ومن الطبيعي أن أية دراسة لتطور الفن والعمارة في ليبيا عليها أن تبرز من خلال الخلفيات السياسية والعسكرية والروحية والاقتصادية المذكورة أعلاه، والتي جعلت من ليبيا في هذه الفترة، جزءاً لا يتجزأ من منطقة البحر الأبيض المتوسط ككل.

---

(1) Ziadah, نفس المرجع.

(2) Abun - Nasr, نفس المرجع.

(3) المرجع السابق، ص157، 158.

تركيب نظام الإدارة العثمانية في الجزائر وتونس وليبيا

مرت الولايات العثمانية في شمال أفريقيا بمراحل سياسية وإدارية متشابهة أثناء السيادة التركية العثمانية، وكان النظام الإداري في الإمبراطورية العثمانية مرتكزاً في يد أعلى سلطة وهو السلطان[1]، والوالي (البيلربي - Beylerbey والذي يمنح في الغالب لقب باشا (هذان اللقبان أصبحا فيما بعد مترادفين)، الذي يرأس الإدارة في الولاية العثمانية، يعين من قبل السلطان، وكان يساعده أعضاء الديوان أو مجلس الأعيان، والذين كان يتم اختيارهم من أعيان الولاية، ويمثل الباشا في الولاية العثمانية السلطة التنفيذية للسلطان[2]، بينما يمثل المفتي وقاضي القضاة السلطة القضائية والتشريعية، واللذان بدورهما يعينان من قبل السلطان، وكان فصل السلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية عن بعضهما البعض ضروري لإيجاد إدارة عادلة في الولاية[3].

وهناك موظف آخر مهم وهو البي (Bey) الذي يرأس الديوان، والذي تغير لقبه من بي إلى داي (Dey) عندما أصبح التنافس بينه وبين موظف آخر لقبه (Dey)، الذي كانت وظيفته قيادة قوات الانكشارية.

وبالنسبة إلى التشكيلات العسكرية، فإن القوات التركية، في بلدان شمال أفريقيا، كانت تتكون من ثلاث فرق رئيسية وهي:

1 - فرق قوات الخيالة (أو السيباهي Sipahis).

---

(1) Stanford Jay Shaw, History of The Ottoman and Modern Turkey, I, London, 1976, p.184.

عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، تعريب عبد السلام أدهم (بيروت: دار لبنان 1969) ص292.

Seton Deaden, Anest of Corsairs: the Fighting Karamnlis of the Barbary Coast. (London, John Murry, 1976) p.5.

(2) Halil Inalcik, **The Ottoman Empire: The Classical Age, 1300 - 1600,** Trans. Norman I. and Colin Imber (New York, Praeger Pub., 1973), p.104.

(3) المرجع السابق.

2 ـ القوات البحرية (قوات الطائفة) ويرأسها كابودان (Kapudan).

3 ـ جنود المشاة أو المليشيات (قوات الانكشارية).

وكانت قوات الانكشارية أهم وأقوى وأخطر الفرق العسكرية التركية في شمال أفريقيا.

وكان يرأس قوات الانكشارية ضابط يسمى آغا (Agha) أو البي (Bey)[1]، كانت فرق المشاة تنقسم إلى وحدات (Ortas) أو بولوك (Buluk) والتي تتكون من (100) جندي، ويرأس هذه المجموعة بولوك باشي (Buluk Bashi)، وهناك وحدات أصغر تسمى أوداس (Odas) وتتكون من (25) جندي، يرأسها أودا باشي (Oda Bashis).

ورؤساء هذه الفرق (وهم البولوك باشيه Buluk Bashis)، وكذلك الأودا باشية (Oda Bashis) تكوّن ديوان الانكشارية.

وكان يساعد قائد قوات الانكشارية (وهو الآغا Agha أو ألبي Bey) نائب له يسمى كيتخذا (Ketkhuda)، وثمانية مساعدين (شواش Shawashes)، واثنان من الكتبة (Khojas) ومترجم، هذه التركيبة من ديوان الانكشارية، هي التي تسير الأمور الخاصة بفرق الانكشارية، وبالتدريج أصبحت امتيازات ديوان الانكشارية تتوسع لتشمل كل الشؤون العليا في الولاية (الايالة)، وكان على ديوان الباشا أن يتعاون مع ديوان الانكشارية[2].

وكانت كل ولاية تنقسم إلى عدد من المتصرفيات (Sanjaks)، يرأسها سنجق بي (Sancek - Beyis)، أما فيما يتعلق بالشؤون القضائية والتشريعية، فقد كان يمثلها كبير القضاة، الذي يعينه السلطان، وهذا القاضي بدوره يعين قضاة

---

(1) سامح، ص258.

(2) المرجع السابق، ص258، 259 ـ علي عمر إسماعيل، ص163 ـ 175

Domingo Badia y Leblick, **The Travel of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria and Turkey,** Between The Years 1803 and 1807, (Philadelphia, M. Carey, 1816) pp.264 - 266.

في كل متصرفية، يمارس فيها الشؤون القضائية والتشريعية والدينية[1].

وتظهر أهمية قوات الانكشارية، في اية ولاية عثمانية في شمال أفريقيا، من أن قائدها (البي Bey، والذي هو عضو في ديوان الباشا، لا يتنافس مع رئيس الديوان (Dey) فحسب، بل يتنافس مع الباشا أيضاً، وهكذا يتضح أن شخصية ومهارة والكفاءة الإدارية لكل من الباشا أو الداي أو البي هي التي تحدد مصير هذا التنافس فيما بينهم، غير أن شخصية ودور قائد قوات الانكشارية كان هو المسيطر البارز في الايالة[2].

وكان حكام الجزائر يمارسون في بداية السيطرة العثمانية على شمال أفريقيا، باسم السلطان، نوعاً من السلطة على إيالتي تونس وطرابلس الغرب، والتي استمرت إلى وفاة كلج (أو علج) علي (Uljali أو Ochiale) كما تذكر في المصادر الأوروبية في سنة 1587[3]، وفي كثير من المرّات تولى حكم شمال أفريقيا ولاة قادرون، وكانت سيطرتهم قويّة على كل عناصر الإدارة العثمانية، ومختلف العناصر العسكريّة، والديوان وديوان الانكشارية، وفرق الخيالة، والقوات البحرية.

وكانت قوات الانكشارية ذات أهمية كبرى، ذلك أن الباشا يستطيع بها السيطرة على القبائل، ويجمع الضرائب ويحفظ السلام والأمن في ربوع البلاد.

غير انه أحياناً يأتي على رأس السلطة والإدارة العثمانية، في هذه الولايات العثمانية، باشا ضعيف الشخصية، فاقد للمؤهلات الإدارية ويصبح كل همه جمع المال والثراء في أقصر وقت ممكن[4].

---

(1) المرجع السابق.

(2) Abun - Nasr, pp. 194, 195.

(3) المرجع السابق، ص166، 174.

(4) المرجع السابق، 195.

وكان هذا هو السبب الرئيسي في إحداث التدهور الاقتصادي، وحدوث اضطرابات في صفوف الانكشارية، وقيام ثورات داخلية من قبل الأهالي، مما خلق فوضى عامة في البلاد.

تونس والجزائر

عندما استولى إخوان بارباروسا على الجزائر في سنة 1518، انضمت الجزائر بترتيب خاص إلى الإمبراطورية العثمانية، وأصبحت تمثل أول أوجاك (Ojak) مقاطعة في الايالات العثمانية الغربية[1]. وتبع ذلك دخول تونس تحت السيادة العثمانية سنة 1543، وبعد عام خرجت من هذه السيادة حتى عام 1574 أصبحت فيه تونس الايالة العثمانية الثالثة الغربية، ودخلت طرابلس الغرب (ليبيا) تحت السيادة العثمانية سنة 1551[2].

وكلمة أوجاك (Ojak) التي تعني حرفياً موقداً أو مكاناً للنار، كما تعني أيضاً بيتاً، أطلقت على الولايات العثمانية في شمال أفريقيا، ويرمز إلى حالة خاصة للإدارة العثمانية في شمال أفريقيا، حيث تعاظم استقلالية إدارة هذه الايالات بالنسبة إلى بقية الايالات العثمانية يوضح طبيعة التعبير الذي كانت تطلقه الدول الأوروبية المسيحية وهو (Regenices) على هذه الايالات، والذي يعني مركز نائب السلطان بشمال أفريقيا[3]، وكما كان الحال في كل من طرابلس وتونس، فقد كانت قوات الانكشارية في إيالة الجزائر هي القوة العسكرية الأساسية التي تؤمن الوجود التركي بهذه المقاطعة.

---

(1) Mantran, p. 250.

(2) المرجع السابق، ص251، 254.

(3) المرجع السابق، ص250.

هذه القوات والتي كانت تجلب من آسيا الصغرى، كانت تكون كياناً منفصلاً عن السكان المحليين، وكان لها دستورها الخاص في الحكم من خلال الديوان، ولها محاكمها الخاصة، وفي نفس الوقت كان لها رغبة شديدة في المشاركة في الحكم في كل شؤون الإيالة، وكان الولاة في هذه الأقاليم الثلاثة يعينون من قبل السلطان.

وفي الحقيقة فإن الباشا كان مجرد الممثل المعين من قبل السلطان، وكان عليه أن يترك كل السلطة للانكشارية، ولم يدخل المواطنون العرب ولا القبائل في حلبة هذا الصراع عن السلطة، وكانت القوة الوحيدة التي تتنافس مع الانكشارية هي القوات البحرية(1).

وقد حدث تطور آخر في تركيبة الإدارة العثمانية في الجزائر، ذلك إن داي الانكشارية، علي شاوش طرد الباشا المعين من قبل الحكومة العثمانية، وأجبر السلطان على الاعتراف به باشا على ولاية الجزائر.

وهكذا جمع بين وظيفة الداي رئيس الانكشارية، وبين لقب الباشا مدشناً لمرحلة نهائية من مراحل تطور الإدارة لهذه المقاطعة، والتي استمرت حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر (1711 ـ 1830)(2).

ومما يجب التركيز عليه هو انه حتى في فترة تركز وتجمع وظيفة رئيس الانكشارية ووظيفة الباشا في شخص واحد في الجزائر، إلا أن الباشا كان دائماً ممثلاً وموالياً للإمبراطورية العثمانية.

وكما كان الحال في الجزائر فإننا نشاهد نفس الخصائص الإدارية في تونس، مثل ما كان الحال في بقية ايالات شمال أفريقيا، وإذا كان قد رأينا إن القوة التركية والحضور التركي هما المسيطران على الوضع الإداري لولايات شمال أفريقيا، فان سلطة السلطان لم تكن كذلك، وكان الصراع على السلطة

---

(1) المرجع السابق، ص254.

(2) نفس المرجع، ص256 ـ عزيز سامح، ص292. Abun - Nasr p.175.

المؤثرة الفعالة قد انتقل من الباشاوات إلى الانكشارية والقوات البحرية (الطائفة)، وفي حالة تونس فإن قوة الخيالة والقوات البرية المستحدثة قد دخلت في هذا الصراع على السلطة.

ويبدو انه ابتداءً من سنة 1594 فإن الداي رئيس ديوان الانكشارية، وفي ولاية تونس قد أصبح حاكم البلاد الحقيقي، في حين أن الباشا كان له دور تمثيلي فقط، وكانت أهميته تكمن في حفظ جسور الترابط بين تونس واستنبول[1].

وكان عثمان أول داي في تونس (1594 ـ 1610)، قد أعاد الأمن في داخل البلاد، وأحدث إدارتين جديدتين هما: إدارة الداي (وهو قائد الانكشارية) الذي عهد إليه بجمع الضريبة النصف سنوية، عن طريق جولات دورية تخصص لهذا الغرض، والإدارة الأخرى وهي إدارة رئيس البحرية (الكابودان)[2].

وقد ساس خليفته يوسف داي (1610 ـ 1637) البلاد بنفس الطريقة، ولكن في نهاية حكمه خرج الباي حمودة كأقوى شخصية، وتبوأ لقب ومكتب الباي، وجعل الحكم وراثياً وأسس حكم بايات الأسرة المرادية (1631 ـ 1675)[3]، هذا الحكم الوراثي عمق في العائلة الخلاف عن اعتلاء السلطة، كما كان سبباً في قيام الحروب الأهلية، وأخيراً استطاع إبراهيم الشريف في سنة 1702، وهو آغا قوات الخيالة (السباهي)، أن يسيطر على البلاد بعد أن اغتال كل أفراد العائلة المرادية[4]، وأعطى لنفسه لقب بي (Bey)، واعترفت به استنبول والياً على هذه الولاية[5]، وفي سنة 1705 هزم الجزائريون إبراهيم

---

(1) نفس المرجع، ص287 هامش 2، Abun - Nasr, p.178, Mantran, p.258.

(2) Mantran, p.258.

(3) نفس المرجع.

(4) نفس المرجع، ص259.

(5) نفس المرجع.

الشريف وأخذ أسيراً، ولكن خليفته حسين بن علي آغا قوات الخيالة، نجح في إثبات سلطته، وأسس نظام حكم الأسرة الحسينية الذي دام حتى 1957[1].

وتقلد حسين بن علي لقب بي (Bey)، وألغى وظيفة الداي، وفي نفس الوقت تحصل على لقب باشا من السلطان، رمزاً للعلاقات المستمرة بين تونس والإمبراطورية العثمانية[2].

---

(1) Abun - Nasr, pp.180, 181.

(2) عزيز سامح، ص292، 293، Abun - nasr p.183 - 401.

ليبيا (طرابلس الغرب ـ وبرقة ـ وفزان)

في شهر رجب سنة 957هـ، هانيبال (أغسطس)، 1551، استطاع الأسطول العثماني بمساعدة القبائل العربية الوطنية، الاستيلاء على مدينة طرابلس من فرسان القديس يوحنا، وأصبحت المقاطعة ولاية عثمانية (ايالة)، واستمرت ليبيا تحت النفوذ العثماني إلى سنة 1330هـ ـ 1911ف، ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث فترات رئيسية هي:

- الفترة العثمانية الأولى (1551 ـ 1711).
- الفترة القرمانلية (1711 ـ 1835).
- الفترة العثمانية الثانية (1835 ـ 1911).

وكانت ليبيا في الفترة العثمانية الأولى والثانية تحت الحكم والسيطرة العثمانية المباشرة، في حين أنها استقلت في العهد القرمانلي استقلالاً شبه تام عن الإمبراطورية العثمانية، على أنه كلما تقلد الباشا القرمانلي السلطة، كان يعمل على الحصول على الاعتراف به وبحكمه من السلطان، في صيغة فرمان سلطاني، الوثيقة التي تعترف بتولية الحكم[1]، وامتاز كل عهد من هذه العهود

(1) Dearden, pp.41, 45.

بعدة حوادث أثرت على التركيبة الإدارية لهذه الولاية العثمانية، كما أثرت على التطور الفني والمعماري في هذا البلد.

الفترة العثمانية الأولى 1551 ـ 1711:

ولاية مراد آغا (1551 ـ 1553) ودرغوت باشا (1553 ـ 1565):

بعد الاستيلاء على مدينة طرابلس عهد سنان باشا، قائد الأسطول العثماني، إلى مراد آغا إدارة طرابلس الغرب[1]، والذي كان يتخذ مدينة تاجوراء (17ك.م. شرق طرابلس) مركزاً لنشاطاته الحربية منذ سنة 1539، والتي كان ينطلق منها بالتعاون مع القبائل المحلية، لمهاجمة فرسان القديس يوحنا لمحاولة الاستيلاء على مدينة طرابلس[2].

وعلى الرغم من قصر فترة حكمه على مدينة طرابلس إلا أن مراد آغا استطاع أن يسيطر على الموقف فيها وعلى المقاطعات القريبة منها. وقام بترميم الأسوار، وبناء أبراج جديدة، وتحصينات متعددة، وزاد في تقوية وتحصينات القلعة، مركز ومقر إدارته خشية أن تتعرض المدينة لهجمات من فرسان القديس يوحنا، وفعلاً فإن ما كان يخشاه مراد قد وقع، ففي سنة 1552 هاجم فرسان القديس يوحنا مدينة زوارة (نحو 120ك.م. غرب طرابلس) ولكنهم ردّوا على أعقابهم[3]، ومن جهة أخرى شجع مراد آغا الأهالي، الذين فروا من المدينة أثناء حكم الاسبان وفرسان القديس يوحنا (1510 ـ 1551)، بالعودة للعيش فيها، وشيد مراد الكثير من البيوت الجديدة، ورمّم ما كان متهدماً من الأبنية، لإيواء العائدين إليها، كما شجع هذا الوالي الزراعة والنشاطات التجارية وأنعش البلاد[4].

---

(1) عزيز سامح، ص53، Feraud, Annales, p.123.

(2) ابن غلبون: التذكار: ص127 ـ النائب: المنهل: ص188 و189 ـ عزيز سامح، ص53، Ziadah. p.266.

(3) الباروني، ص138 و141.

(4) المرجع السابق، 143، Ziadah, p.274.

المؤرخ مارمول (Marmol) الذي زار ليبيا في نحو سنة 1567، أعطى بعض المعلومات عن الانتعاش الاقتصادي والعمراني الذي شهدته مدينة طرابلس وضواحيها، كما أعطى معلومات عن المسجد الذي شيده مراد آغا في تاجوراء[1]، كما أعطى معلومات عن النشاط التجاري بين طرابلس ومالطا صقلية وجنوة والبندقية، وقد أبدى إعجابه وتأثره بالانتعاش السريع لمدينة طرابلس بصفة عامة وازدهار صناعة النسيج بصفة خاصة[2].

وقدر مارمول مصانع النسيج بالمدينة بنحو 150 نولاً للحرير وأنواع أخرى من النسيج[3].

ولاية درغوت:

وفي سنة 1553 تولى درغوت باشا حكم البلاد بعد مراد آغا، والذي سار على سياسة سلفه في تشجيعه للانتعاش الاقتصادي والثقافي والمعماري لمدينة طرابلس والمقاطعات الأخرى، وأجبر درغوت القبائل العربية بالدواخل على الاعتراف بالسلطة التركية[4]، وكان لشخصية وشجاعة ومهارة ومميزات درغوت الإدارية أكبر الأثر في السيطرة على الانكشارية، كما أصبح اسمه مقترناً بالنشاطات البحرية التركية في وسط حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث كان الشخصية البحرية البارزة في هذه المنطقة لمدة أكثر من عقد[5].

---

(1) المرجع السابق، ص266 ـ الباروني، ص142 و143.

(2) Feraud, Annales, p.78.

(3) نفس المرجع ـ الباروني، ص20 (يشير الباروني إلى أن مارمول زار ليبيا في بداية القرن السادس عشر، وان صناعة النسيج المزدهرة أثناء حكم الشيخ عبد الله آخر حاكم لطرابلس قبل الاحتلال الإسباني).

وعلى العموم فإن هذه الزيارة التي قام بها مارمول كانت في نحو سنة 1567 لأن مارمول، حسب ما جاء في بحث نيقولا زيادة يعطينا معلومات عن الأحداث التي وقعت في سنة 1567 في منطقة تاورغاء التي تقع على بعد نحو 300ك. م. شرق مدينة طرابلس، أنظر Ziadah, p.267.

(4) Feraud, **Annales,** p.128 - Abun - Nasr, p.194.

(5) Mantran, p.261.

وخوفاً من هجمات البحرية المسيحية، قام درغوت بتدعيم وتقوية تحصينات مدينة طرابلس، والمعلومات التي أعطاها نيكولو ماريو كراكيولا (Niccolo Mario Caracciola)، قس مدينة كاتانيا (1537 ـ 1567)[1]، الذي أسره درغوت في شهر ناصر (يوليو) 1551 بالقرب من جزر ليباري (Lipari)، تعطينا صورة لما كانت عليه تلك التحصينات التي قام بها درغوت حول مدينة طرابلس[2]، كما شيد درغوت دار البارود[3]، وكان من جراء تراكم الأموال التي كان يتحصل عليها من النشاطات البحرية، والفدية التي يتحصل عليها من الأسرى المسيحيين[4]، أن مكنت هذا الوالي من تشييد الكثير من المساكن، لتمكين العائلات الفارة من نير الاضطهاد الإسباني وفرسان القديس يوحنا، من العودة والاستقرار ثانية في طرابلس، كما شيد قصراً لنفسه[5]، وفي نحو 1561 بنى درغوت جامعاً وضريحاً ملاصقاً للجامع[6].

ولكي يوسع ويزيد من نشاطات البلاد التجارية والصناعية والحياة الثقافية، فقد رحّل درغوت، بعد أن ضم جنوب تونس إلى ايالة طرابلس الغرب[7]، نحو خمسين عائلة من مدينة صفاقس[8]، للاستقرار في مدينة طرابلس، ومن هذه الأسر عائلة المكني، والتي عين درغوت شيخها عضواً في

---

(1) Constanzio Bergna, **Tripoli Dal 1510 Al 1850,** Trans, Khalifa M. Tillisi (Tripoli, Fergiani), 1969, p.78.

(2) المرجع السابق، ص80 و81 ـ النائب: **المنهل**: ص209.

(3) بيرنيا، ص79 و80.

(4) عزيز سامح، ص54 و55، Abun - Nasr, p.194.

(5) ابن غلبون: **التذكار**، ص142 ـ Feraud: **Annales,** pp.128
البارونى: انظر الصورة على صفحتي 88 و98 التي توضح خريطة مدينة طرابلس وبها قصر درغوت، والصورة من مخطوط مؤرخ في 1559 ـ عزيز سامح، ص55، Abun - Nasr, p. 194.

(6) Feraud: **Annales,** p.129.

(7) ابن غلبون: **التذكار**: ص138 ـ عزيز سامح، ص54.

(8) الزاوي: **تاريخ**: 274 و275 هامش رقم 1 ـ أبو الحسن علي بن محمد التمغروتي: **النفحات المسكية في السفارات التركية**، (باريس Paul Geuthner 1929) ص35.

مجلس الديوان[1]، وفي أقل من جيل أصبحت هذه الأسرة[2] من العائلات البارزة في الحياة الثقافية والسياسية للمجتمع الطرابلسي[3].

الوضع السياسي والنظام الإداري منذ وفاة درغوت إلى العهد القرمانلي 1565 ـ 1711:

توالى على حكم ليبيا أثناء هذه المدة واحد وأربعون والياً، وقد تولى أغلبهم الحكم لفترة قصيرة، ومنذ وفاة درغوت في سنة 1565 إلى 1595، كان الباشا يرسل من استنبول ويساعده مجلس الديوان في السيطرة على الولاية، وكان بعض هؤلاء الولاة (البيلربايات هو التعبير المتعارف عليه في أسس الإدارة العثمانية لمنصب هذا المكتب)[4] على مقدرة وكفاءة إدارية، وسيطروا على قوات الانكشارية، غير أن البعض الآخر منهم كانوا عاجزين أو زاهدين في الإدارة، وكان هدفهم الرئيس هو جمع المال[5]، وخاصة وانه في هذه الفترة كانت خزانة البلاد تحت إشرافهم المباشر[6].

ومن الملاحظ أن مشاكل الانكشارية في نهاية القرن السادس عشر، تفاقمت، فقد تأثروا بما سمعوه عن التغيرات الإدارية في تونس، وما أحرزته قوات الانكشارية من مشاركة في نظام الحكم والإدارة في إيّالة تونس نتيجة تدخلهم في الحياة السياسية والإدارية، هذه التغييرات جعلت المليشيا، في إيالة

(1) الزاوي، نفس المرجع.

(2) أبو الحسن علي بن محمد التغمروتي: ص35 هامش رقم 1.

(3) أبو الحسن التمغروتي: هو المبعوث الذي أرسله المنصور الذهبي ملك المغرب، والذي زار طرابلس أثناء ذهابه إلى استنبول في سنة 997هـ ـ 1589ف، وقابل أبا عبد الله المكني: شيخ مدينة طرابلس، ويعطي التمغروتي معلومات تبين الأصل الصفاقسي لهذه العائلة الطرابلسية، وأبو عبد الله المكني شيد مسجد ابن مقيل الذي يطلق عليه الأهالي اسم جامع ابن موسى، هذا الجامع يقع في شارع كوشة الصفار بالمدينة القديمة بطرابلس.

(4) Abun - Nasr, p.194.

(5) علي عمر إسماعيل، ص27، Mantran, p.262.

(6) عزيز سامح، ص98 هامش رقم 4.

طرابلس الغرب، تقلد الانكشارية في تونس، وكونت ديواناً للضباط الكبار (أو مجلس الكبار)، هذا المجلس كانت له امتيازات خاصة في الحكم، وكان أعضاء المجلس من البلوك باشيه ينتخبون أحد الضباط الكبار لترؤسه أطلق عليه لقب داي، وكانت مدة بقائه في هذا المنصب ستة أشهر، ومن مهام هذا الداي قيادة قوات الانكشارية وحفظ السلام والنظام في طرابلس، وترؤس الديوان، وكان الديوان يشرف على الخزانة(1)، ويلعب دوراً في عقد الاتفاقيات التجارية، يفرض الضرائب الجديدة، ويزيد في الخراج ويعلن الحرب، وغيرها من الأمور والإجراءات والامتيازات الحكومية، وكان الوالي العثماني يبلغ بكل هذه الأمور، ولكن عليه أن يوافق عليها، وهكذا لم يترك الديوان للباشا إلا القليل من الواجبات، وأصبحت سلطته مجرد سلطة شكلية(2)، وكان موقف السلطان العثماني محمد الثالث (1595 ـ 1603)، من هذه الأمور واضحاً فطالما أن السيادة العثمانية لم تمس بسوء، وطالما أن الخراج يدفع وان النظام مستتب فإنه على إيالات شمال أفريقيا أن تعيش بالطريقة التي تحبها وترغب فيها(3).

هذا التغير في الشؤون الإدارية للولاية أثبت بصفة عامة إنه تغيير عملي، وانه قدم نتائج حسنة إلى حد ما فقد تم السيطرة على فوضى الانكشاريين، وهذا أدى إلى عدم استفزاز أهالي البلاد ولم تثر ثائرتهم وسيطر الديوان على الأمور المالية وتجنب سوء المعاملات المالية وازدهرت التجارة بين ليبيا وأوروبا.

وكان من نتيجة ذلك أن أيَّد الأهالي الديوان واستمرت هذه الفترة الهادئة نسبياً إلى سنة 1609، ثم تلتها فترة أخرى من الفوضى والصراع على السلطة.

ففي سنة 1609 حاول البلوك باشي سليمان رئيس الديوان إعادة انتخابه

---

(1) Bergna. p.105.

(2) ابن غلبون: **التذكار**: ص143 ,Bergna, p.104 محمود ناجي: **طرابلس غرب تاريخي**: تعريب عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى (منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب بيروت: مطبعة الغريب 1970) ص152 و153 .Mantran, p.262

(3) Bergna p.105.

رئيساً للديوان، بعد أن انتهت مدة الستة أشهر المقررة للرئاسة[1]. وفشلت محاولته هذه غير أن خلفه صفرداي نجح في إعادة انتخابه رئيساً للديوان في سنة 1611، بدأ عهد جديد في الإدارة العثمانية، وهو نظام الدايات[2]. وبجمعه لوظيفة الباشا مع رئاسة الديوان، أصبح صفر داي في نفس الوقت قائداً للخيالة وقوات الانكشارية والقوات البحرية وآغا قائد قوات الانكشارية بالعاصمة[3].

وعندما أرسلت الدولة العثمانية علي باشا في سنة 1612 ليمارس سلطته في ليبيا، وجد نفسه لا حيلة له ومسلوب الإرادة، وقبل هذا الوضع على مضض، ثم حجب عن ممارسة أي دور إداري مؤثر، إن تفرد صفر داي بالسلطة وإدارته السيئة للشؤون المالية ومصادرته للممتلكات بدون مبرر، أغضب السلطان أحمد الأول (1603 ـ 1617) فأرسل هذا السلطان في شهر الماء (مايو) 1615 قائد الأسطول العثماني إلى طرابلس ومعه تعليمات وأمر بالقبض على صفر داي وإعدامه، وقد نفذ حكم الإعدام عند وصول الأسطول العثماني إلى طرابلس[4].

وبعد إعدام صفر داي تقاسم السلطة، في ولاية طرابلس الغرب الباشا العثماني وديوان الأعيان حتى سنة 1624، ففي هذه السنة استطاع مصطفى شريف أحد أعضاء الديوان الأثرياء من أن يصبح الداي الثاني في طرابلس، وكان ضابطاً قديراً وادعى أنه من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان هذا مدعاة لأن يلقب نفسه بالشريف) واستطاع أن يجمع كل السلطات في يده.

وكان لكفاءته الإدارية وإخضاعه للقبائل الداخلية عاملاً لكسب ثقة وتأييد

---

(1) المرجع السابق، ص108. Mantran, p.262.
ابن غلبون: **التذكار**: ص146 و147.

(2) Bergna, p.109, 110.

(3) النائب: **المنهل**: ص225 و226، Feraud: **Annales**, pp.171 - 172. عزيز سامح ص117، Mantran, p.262, Bergna, p.109.

(4) نفس المرجع السابق، Bergna, pp. 112 - 116.

الوالي العثماني حسن باشا، اعترف الباب العالي بلسطته[1]، وفي النهاية كانت اضطرابات الانكشارية خطرة عليه وقد قتل في سنة 1630.

وبعد وفاة مصطفى شريف مباشرة، وقبل أن يصل قاسم باشا الوالي التركي الجديد، انتخب رمضان آغا داياً جديداً[2].

وفي سنة 1632 حدث تطور جديد في الإدارة العثمانية لولاية طرابلس الغرب، ففي انقلاب مرتب ترتيباً محكماً استطاع محمد الساقزلي (محمد دي خيو) أن يستولي على السلطة، وأن يصبح الداي الثالث في الولاية، ومن أجل حماية سلطته اتخذ محمد الساقزلي عدة إجراءات: منها إجبار رباني باشا الذي خلف قاسم باشا في حكم الولاية، وممثل السلطة العثمانية في البلاد بأن يطلق له العنان في حكم البلاد[3]. وفي نفس الوقت أعلن ولاءه للباب العالي وأرسل هدايا باهظة للسلطان، وكنتيجة لذلك منحه السلطان مراد الرابع (1623 ـ 1640) لقب باشا في سنة 1633، وهكذا صار محمد الساقزلي أول شخص في إيالة طرابلس الغرب متحصلاً على لقب داي ولقب باشا في نفس الوقت.

وبعد ذلك ألغى الديوان وقضى على كل معارضيه وأصبح هو السلطة الوحيدة في البلاد.

وفي أثناء حكمه (1632 ـ 1649) وحكم خلفه عثمان الساقزلي (1649 ـ 1672)، (لا صلة قرابة بين الاثنين) استتب الأمن والنظام في البلاد، وتمت السيطرة على قوات الانكشارية والخيالة والطائفة. ووفقاً في التعامل بتناسق مع هذه القوات المتصارعة والمتنافسة وساعد ذلك الواليين على إخضاع المعارضين، وان يسيطروا على القبائل العربية بالدواخل، وقد استطاع هذان الواليان أن يتعاملا بنجاح مع المشاكل الإدارية والاقتصادية والسياسية.

---

(1) نفس المرجع السابق ابن غلبون: **التذكار**: ص148.

(2) نفس المرجع السابق النائب: **المنهل**: ص 231 و232، Feraud: **Annales**, p. 177 Bergna, pp. 121, 231.

(3) Bergna, p. 142.

وقام كل منهما بعد إجراءات لمضاعفة دخل الولاية وفرضت ضرائب جديدة على الواردات والصادرات، واحتكر عثمان تجارة بعض المواد[1]. وأعطى كل منهما زخماً ودفعاً للاستفادة من النشاطات البحرية الليبية في البحر الأبيض المتوسط، ففي فترة محمد الساقزلي تم صنع 24 سفينة حربية بحوض بناء السفن بطرابلس، وبهذه السفن كسبت الولاية القوة والسمعة والثراء، وكانت نشاطات البحرية الليبية في عهد هذين الواليين، تمتد ما بين سواحل إسبانيا وإيطاليا[2]، ونتج عن هذه النشاطات البحرية أن كثر عدد أسرى الحرب بين المسيحيين وبالتالي زيادة دخل البلاد[3].

وعلى الرغم من قيام بعض الثورات الداخلية التي كان يقضى عليها بسهولة إلا أن الحالة الداخلية المستقرة شجعت الأقطار الأوروبية من أن تقيم علاقات تجارية مع هذه الولاية، وتفتح لها قنصليات في طرابلس، وازدهرت التجارة خاصة مع فرنسا وانجلترا وهولندا والبندقية وصقلية وإيطاليا واليونان ومصر وبرنو، وازدهرت صناعة النسيج الليبية[4]. وكانت من نتيجة تراكم الثروة في الولاية أن تعاظمت إمكانياتها العسكرية، وتم إرسال عدة حملات عسكرية لتخضع عدة مدن وواحات مهمة على طول خطوط التجارة الصحراوية، ومكنت هذه الثروة الولاية من بناء قوتها العسكرية وتوسعت حدودها لتشمل فزان وبرقة، ومن هذه الفترة برزت ليبيا بحدودها الحالية[5]. وكان هذا أيضاً يعني زيادة فيما ترسله هذه الولاية إلى استنبول[6].

---

(1) ابن غلبون: **التذكار**: ص 150 ـ 152 و154 و155، النائب: **المنهل**: ص232، Feraud: **Annales**, p.182.

(2) المرجع السابق، ص239، عزيز سامح، ص121، ابن غلبون: **التذكار**: ص170، Feraud: **Annales**, pp.181, 182.

(3) Mantran, pp.262, 263.

(4) المرجع السابق، ص263، Bergna, pp. 148, 166.

(5) عوض مصطفى السعداوية «أحوال ليبيا كما وصفها الحاج عبد السلام العياشي، **ليبيا في التاريخ**: مؤتمر تاريخي، 16 ـ 23 الربيع (مارس)، (بنغازي 1968) ص280، Abun - Nasr, p.195.

(6) Bergna, pp. 147, 154, 178 - Mantran, P. 263.

وبالطبع فلأن هذا الاقتصاد المتزايد والمنتعش قد أثّر على الحياة الفنية والمعمارية في هذه الفترة (1632 ـ 1672)، والذي لم تشهده البلاد منذ عهد درغوت، فتوسعت مدينة طرابلس، وشيدت بها مجموعة كبيرة من الفنادق لإيواء التجار الأوروبيين[1].

كما تم بناء مجموعة من السجون (عرفت بالحمامات) لإيواء الأسرى المسيحيين المتزايد والذين كان يحتفظ بهم أسرى لحين دفع فدية لهم من قبل الحكومات الأوروبية، أو بيعهم في الأسواق، وقد بلغ عددهم في عهد عثمان الساقزلي نحو ستة آلاف أسير[2]. وقد شجع هذان الواليان أثرياء البلاد على تشييد قصور ومنازل لهم في ضواحي مدينة طرابلس، وأعطيا مثلاً لذلك بإنشاء مجموعة من القصور والبيوت لهم داخل المدينة نفسها، وفي منطقة المنشية طرابلس[3]. ولحماية مدينة طرابلس ضد الهجمات المحتملة، قام هذان الواليان بإصلاحات وإضافات في أسوارِ طرابلس، وإنشاء مجموعة من أبراج المراقبة بها، وتم تشييد مجموعة من المساجد والجوامع والأبنية الدينية الأخرى في مدينة طرابلس وضواحيها، ومن بين هذه المساجد جامع النخلي، وجامع قنديل، وجامع القائد مصطفى بن عبد الله في منطقة السوالم (أزيل في الفترة الأخيرة وشيد مكانه جامع جديد، وعلى تخطيط مختلف) وهناك مجموعة من المساجد غير المؤرخة ولكن من المؤكد أنها ترجع إلى هذه الفترة.

غير انه في نهاية فترة عثمان الساقزلي بدأت تظهر عوارض التدهور وسوء الإدارة في النواحي المدنية والعسكرية وكنتيجة لحكم الباشا المطلق، قام الأهالي بثورة في سنة 1661 وسنة 1668 وبدأ اقتصاد ليبيا في الانهيار، وانتشرت الفوضى بوفاة عثمان الساقزلي في سنة 1672[4].

---

(1) Bergna, pp. 179, 180.

(2) نفس المرجع، ص157، 158. Feraud: **Annales**, pp. 182, 212.

(3) Bergna, pp. 144, 145.

(4) ابن غلبون: **التذكار**: ص170 و171، النائب: **المنهل**: ص240 و244. =

وبعد وفاة عثمان عين الديوان بالي شاوش داياً على البلاد، في حين أرسلت استنبول خليل باشا كوالي للولاية، ونتيجة لذلك أصبحت من جديد وظيفتا الداي والباشا منفصلتين عن بعضهما البعض، ومن سنة 1673 إلى 1687 حكم ليبيا خمسة عشرة داياً وباشا، وامتازت هذه الفترة بالصراع الذي نشأ واشتد بين رؤساء البحرية (الطائفة) وبين قادة الانكشارية على وظيفة الداي(1)، وبذلك أصبح الباشا مرة أخرى عبارة عن رئيس الإدارة المعين.

وقد تولى محمد باشا شائب العين (له رموش بيضاء في أحد عينيه) حكم

= **ومن المصادر المهمة لهذه الفترة:**

رحلة الحاج أبو سالم العياشي: أثناء زيارته للأماكن المقدسة زار العياشي ليبيا ثلاث مرات: الأولى كانت في سنة 1059هـ ـ 1649ف، والثانية كانت في سنة 1064هـ ـ 1653ف، والثالثة كانت في سنة 1072هـ ـ 1661، ويأتي هذا الكتاب في مجدلين، مكتبة الدراسات العليا بجامعة متشجان بمدينة آن اربور بالولايات المتحدة لديها نسخة مؤرخة في 1899، وتحت رقم إشاري: (NC, BP, 187.3, A.98, 1899) وهناك مرجع مهم آخر هو كتاب:

Histoire Chronologique de Royame de Tripoli De Barbarie.

وهو مخطوط مؤرخ في 1685، ويعتقد أن هذا المخطوط قد كتبه أسير مسيحي، ربما يكون هو ذلك الطبيب المسمى جيرارد، الذي وقع في الأسر، وعاش في طرابلس بضعة سنوات ثم أطلق سراحه من قبل الأدميرال الإنجليزي ناربرو في اليوم العشرين من شهر الربيع (مارس)، سنة 1676 (انظر كتاب Bergna ص187 و 209، وكذلك كتاب: Feraud - **Annales**, p.50. وهذا الكتاب في مجدلين، وهما محفوظان في المكتبة الوطنية بباريس تحت الرقم الإشاري NO.119.12. و 120 . 12

وقد استعملت Microfilm لهذين المجدلين بمكتبة الدراسات العليا بجامعة متشجان تحت رقم إشاري 136، وقد اشتمل هذان المجلدان على معلومات حول إيالة طرابلس الغرب، وأعطى وصفاً للحياة الاجتماعية، وهو الوضع السياسي والاقتصادي، والقدرات العسكرية لهذه الولاية، وعدد السفن الحربية والتجارية، والأسرى المسيحيين، والقناصل الأوروبيين، والتطورات الإدارية، وعدد السكان، وثورات الأهالي، وذكر أيضاً بعض الفضائح الاجتماعية. ومما له أهمية في مجال دراستنا المعمارية والفنية تلك المعلومات التي ذكرها عن تطور مدينة طرابلس وتلك القصور والبيوت التي شيدت بضواحيها. انظر الكتاب:

Feraud: **Annales**, pp. 224, 225 - Bergna, pp. 144, 145.

وهذا المخطوط كان المصدر الأساسي الذي استفاد منه كثير من الكتاب والباحثين فيما بعد، مثل تشارلز فيروه، أتوري روسي، بيرجنا، سلفاتوري أور يغما، وريناتو بورتوشيني، وكثيرون غيرهم.

(1) ابن غلبون: **التذكار**: ص174 ـ 188، Mantran, p.264.

البلاد بين سنة 1687 إلى 1701، وكان من قبلها يشغل وظيفة قائد الانكشارية، وكان رجلاً قديراً، ونجح في فرض النظام والطاعة وحل مجموعة من المشاكل السياسية والاقتصادية، وفي حفظ النظام في البلاد، والسيطرة على قوات الانكشارية، والبحرية وقوات الخيالة والديوان نفسه[1].

وقلده السلطان مصطفى الثاني (1695 ـ 1703) لقب باشا اعترافاً بجهوده، وهكذا مرّة أخرى يجمع شخص واحد وظيفة الباشا ووظيفة الداي[2]. وازدهرت مرة أخرى الحياة الاقتصادية، والتي مكنت كثيراً من الموظفين الكبار والإداريين من تشييد مجموعة من الأبنية الدينية والمدنية، كما شيدت كثير من المساجد والجوامع من قبل رؤساء بيت المال (Khaznadars) ورؤساء الطائفة (Kapudans) والولاة (Beylerbeyis) ورؤساء الديوان (Deys) ومن هذه المباني جامع كراباغلي، والغرياني (سيدي أبو سعيد)، محمود خازندار، عمر فشلوم (أزيل وحل محله جامع جديد) حسين القبطان، سيدي بن ليمام (ابن الإمام)، جامع سيدي محفوظ بغريان، أما محمد الإمام شائب العين نفسه فقد شيد ثاني أكبر المساجد في مدينة طرابلس بعد جامع درغوت باشا.

(سنناقش تواريخ هذه الجوامع والمساجد في الفصول التالية حسب مواقعها).

ولقد وجد محمد باشا شائب العين في صهره خليل الأرناؤوطي (الألباني)، الذي يتقلد وظيفتي آغا الانكشارية، وكابودان الطائفة مجتمعتين، خير عون له، وفي أثناء خروج خليل في مهمة لاستعادة النظام في الدواخل، ثار جنود الانكشارية ونفوا محمد باشا الإمام إلى استنبول وعينوا مرشحهم عثمان القهواجي داياً على الولاية[3].

---

(1) Bergna, p.227. ابن غلبون: **التذكار**: ص188 ـ 190.

(2) النائب: **المنهل**: ص261 (أشار النائب أن السلطان محمد خان منح لقب باشا لمحمد الإمام، والحقيقة هي أن السلطان مصطفى الثاني هو الذي فعل ذلك.

(3) المرجع السابق، ص217، ابن غلبون: **التكار**: ص197، 198.

وعندما سمع خليل الأرناؤوطي بهذه التطورات الجديدة لحق بصهره في العاصمة استنبول، وهناك تحصل على لقب باشا من السلطان، وعاد إلى طرابلس وهناك ردع القوات التركية المتمردة أو الثائرة وأعاد الأمن للبلاد والنظام في الإدارة[1].

وفي فترة بقائه في الحكم (1702 ـ 1709) أثبت خليل كفاءته كرجل إدارة، أنشأ دار سك النقود، واصدر عدة أنواع من العملة، وشجع صناعة بناء السفن من جديد في حوض بناء السفن بطرابلس، وأعطى زخماً جديداً للتجارة البحرية والنشاط البحري للأسطول الليبي.

وشيد عدة مبانٍ دينية بطرابلس، وأقام أول جامع فخم شيده في الضاحية الشرقية من طرابلس، والمشهور حالياً باسم جامع دورار بمنطقة الظهرة[2].

ثم عاشت البلاد فترة قصيرة من الفوضى، عندما قام إبراهيم رايس (إبراهيم البحار) بانقلاب ضد خليل باشا، وتوالى على حكم ليبيا، في ظرف سنتين خمسة من الدايات، وأخيراً تم تعيين أحمد القرمانلي وهو ضابط في سلاح الفرسان، داياً في اليوم الثالث عشر من جمادى الثاني سنة 1123هـ الموافق 27 ناصر (يوليو) 1711، وهو مؤسس العهد القرمانلي، الذي حكم البلاد في الفترة ما بين 1711 إلى 1835، والاعتراف بالتبعية الاسمية للسلطان العثماني[3].

---

(1) النائب: **المنهل**: ص278.

(2) نفس المصدر ابن غلبون: **التذكار**: ص203 و204، عزيز سامح، ص140، Feraud, Annales, p.332.

(3) النائب: **المنهل**: ص285، ابن غلبون: التذكار: ص213، Feraud: **Annales**, pp. 375 - 378.

الفترة القرمانلية 1711 ـ 1835

في بداية القرن الثامن عشر مرت كل من ليبيا وتونس بتغيرات جذرية في أجهزتهما السياسية والإدارية، ففي تونس أسس حسين بن علي التركي، وهو ضابط في سلاح الفرسان الدولة الحسينية التي حكمت تونس، أولاً تحت الاعتراف بالتبعية للدولة العثمانية سنة 1706، ثم خضعت للحماية الفرنسية من سنة 1881 إلى 1957[1].

هذا التغير الإداري والسياسي الذي حدث في تونس شجع أحمد القرمانلي أن يفعل الشيء نفسه وبإرسال الهدايا والخراج السنوي المنتظم والاعتراف بالإخلاص، أمّن أحمد القرمانلي الحصول على فرمان من السلطان أحمد الثالث (1703 ـ 1730) معترفاً به حاكماً على ليبيا، ومقلداً إياه لقب باشا[2]. هذا الاعتراف الرمزي من قبل السلطان العثماني، استمر حتى انهيار العهد القرمانلي في ليبيا، فيما عدا مدة قصيرة (1793 ـ 1795) عندما استولى علي برغل، وهو مغامر جزائري على الولاية بفرمان مزيف[3].

ونظراً لكون القرمانليين من الكراغلة، (الكرغلي Kuloghli) هو الذي

(1) عزيز سامح، ص332.

(2) النائب: **المنهل**: ص285.

(3) Richard Tully, **Narrative of Ten Years Residence of Tripoli in Africa, 2 ND. ED** (LonDon, 1817) p.348. ابن غلبون: **التذكار**: ص316.

ينحدر من أب تركي، غالباً من الانكشارية وأم عربية، فقد اعتبرتهم القبائل العربية المحلية كمواطنين[1]، فسكان المناطق الساحلية والقبائل العربية بالدواخل كانوا أكثر استعداداً لتقبل القرمانليين، هذا التعاون زادت أواصره عندما كوّن أحمد باشا فرقته من الخيالة من القبائل المحلية[2].

غير أن هناك ثورات قامت في وجه القرمانليين، وتحدث مثل هذه الثورات عادة عندما يصبح الباشا عاجزاً عن السيطرة على قوات الانكشارية، وعندما يفرضُ ضرائب جديدة، أو يزيدُ من الخراج النصف سنوي، على انه في بعض الأحيان الأخرى تحدث اضطرابات ضد القرمانليين من منطلق قومي ضد وجود اضطهاد القوات التركية والإدارة العثمانية، على الرغم من ذلك التقارب بين الأهالي والحكام القرمانليين.

والنظام الإداري الذي ساد في فترة العهد العثماني الأول (1551 ـ 1711) استمر نفسه في الفترة القرمانلية بدون تغييرات جذرية، خاصة فيما يتعلق بالديوان والطائفة والقوات الانكشارية[3].

غير أن هناك بعض التجديدات الإدارية التي قام بها يوسف باشا (1795 ـ 1832) منها انه عين اثنين من تابعيه المقربين إليه، أحدهما في منصب كبير الوزراء، والثاني في منصب وزير الخارجية وهاتان الوظيفتان أصبحتا مهمتين ومؤثرتين في حكم الولاية[4]. وإذا كانت هذه الخطوات إيجابية، وعليه فإن خطوات أخرى كانت فاشلة، فتعيين يوسف باشا لأولاده وأقاربه كرؤساء للمتصرفيات، جلب له المشاكل، وسبب في خفض عوائد الضرائب والدخل السنوي للحكومة، وهذا لا يعني بالضرورة أن أقاربه غير أمناء ولكن تواجدهم في العاصمة، في أغلب الأحيان، وتركهم لمقار أعمالهم وإرسالهم لنوابهم، أثر على كفاءة وأمانة جمع الضرائب[5].

---

(1) Feraud: **Annales**, p.375.

(2) Bergna, p.258.

(3) علي عمر إسماعيل، ص163.

(4) المرجع السابق، ص164، محمود ناجي، ص143 و144.

(5) عزيز سامح، ص176 و177، Feraud: **Annales, pp.330 - 599.**

وتعتبر الفترة القرمانلية بصفة عامة فترة ازدهار وتقدم، وصارت ليبيا في حالة سياسية واقتصادية أفضل مما كانت عليه في العهد العثماني الأول، وإن الإنجازات التي أحرزتها ليبيا في العهد القرمانلي، في مجال الثقافة والفن والعمارة وصلت إلى مستوى متقدم رفيع، وعلى الخصوص في فترة أحمد القرمانلي (1711 ـ 1745) وعلي باشا (1745 ـ 1793)، وشجع كل منهما التجارة والنشاطات البحرية الخاصة، وشجع علي باشا كثيراً من التجار المسيحيين واليهود للاستقرار في طرابلس، والذين انشغلوا بالتجارة خاصة مع مالطا واحتكروا التجارة بالتمام، وسيطروا عليها في عهد يوسف باشا (1795 ـ 1832)[1].

وقد استمر الاستقرار السياسي وازدهار التجارة والنشاطات البحرية الخاصة المربحة في الفترة الأولى من حكم يوسف باشا[2]. غير أنه في المرحلة الأخيرة من حكمه انقلبت الأمور سيئة للغاية، تفشت الأمراض ومنها مرض الطاعون، مع سوء الإدارة المالية، والاقتصادية واحتكار التجارة من قبل التجار الأجانب[3]. وكان الشيء الأكثر إيذاءً وضرراً لاقتصاد الولاية، في أواخر عهد يوسف القرمانلي، الحد من نشاطات سفن الجهادية التي كانت تدر ربحاً للولاية من قبل الدول الأوروبية، ومنع تجارة العبيد القرار الذي اتخذته هذه الدول في المؤتمر الذي عقد بهذا الخصوص في سنة 1819 في (Aix - la Chapelle)[4] والذي زاد الطين بلة للانهيار الاقتصادي في عهد يوسف القرمانلي هي مشكلة تسديد الديون الفرنسية والإنجليزية التي تراكمت على هذه الولاية[5]. وظهرت على السطح.

كما أن الصراع بين أبناء يوسف باشا على السلطة كان عاملاً غير مباشر لقيام ثورات داخلية من قبل الأهالي، وقد نجح الثوار في قطع طرق التجارة، والتحكم فيها بين المدن والقرى والموانئ الساحلية الليبية، وبين الدول الأفريقية الصحراوية، وهذا بدوره أدى إلى تدهور التجارة بين ليبيا والدول الأوروبية،

---

(1) Abun - Nasr, pp.196, 197, Leblick, p.268.

(2) علي عمر إسماعيل، ص182.

(3) المرجع السابق، ص182 و191، Abun - Nasr, p. 196.

(4) Feraud: **Annales**, p.586, Bergna, pp.300, 301.

(5) المرجع السابق الأول ص612 و613 ـ والمرجع السابق الثاني ص322.

وفي السنوات الأخيرة من حكم يوسف باشا وصلت حالة الانهيار والفوضى الاقتصادية إلى ذروتها، فقد خفضت العملة إحدى عشرة مرة، في الفترة ما بين سنة 1829 إلى 1832(1)، وكانت الدولة العثمانية تراقب عن كثب ما يجري من تطورات في هذه الولاية، ووضعت خططاً لإعادة السيطرة على هذه المقاطعة خشية أن تستولي عليها إحدى القوى الأوروبية، وما احتلال فرنسا للجزائر في سنة 1830 إلا مبرراً للدولة العثمانية من هذه التخوفات.

وهكذا وفي حركة دراماتيكية أرسل الأسطول العثماني تحت قيادة (الكابودان باشا) طاهر باشا الذي وصل إلى طرابلس ومعه نحو ستة آلاف من الانكشارية تحت إمرة نجيب باشا، الذي قبض على علي باشا القرمانلي وهو ابن يوسف باشا وخليفته في الحكم في يوم 28 من شهر الماء (مايو) 1835، ووضع حداً لنظام الحكم القرمانلي(2)، وعين نجيب باشا حاكماً على الولاية وهكذا رجعت ليبيا مرة أخرى للسيطرة العثمانية المباشرة التي استمرت حتى سنة 1911.

أما ما يخص الفن والعمارة فقد ساعدت فترة الاستقرار والأمن والازدهار، التي عاشتها ليبيا في هذه الفترة وانعكس هذا على تشييد الكثير من الأبنية الدينية والمدنية وشيدت مجموعة من القصور في المدينة القديمة وفي ضواحيها، وكان النمو المضطرد في عدد التجار الأجانب أدى إلى تشييد كثير من الفنادق في هذه الفترة أيضاً(3).

وكان تراكم الأموال خاصة لدى الموظفين الكبار لهذه الولاية، سبباً في تشييد مجموعة من المساجد والأبنية المعمارية في كل البلاد، خاصة في مدينة طرابلس وضواحيها، ومن بين هذه المساجد العقيب، ومسجد الماعزي ومسجد ابن الطبيب، ومسجد عمورة محمد فلمنك، ومدرسة الكاتب، زاوية القائد عمورة، زاوية الباقول التي شيدها الأهالي في بلدة الرياينة.

---

(1) النائب: **المنهل**: ص332، عزيز سامح، ص176 و177. Bergna, pp.301, 310, 322, 323.

(2) عزيز سامح، ص188 و189، Feraud: **Annales**, pp.644 - 645.

(3) علي عمر إسماعيل: ص182 و183.

وإلى جانب هذه المباني المؤرخة وتلك القابلة للتأريخ، هناك مجموعة أخرى من الأبنية الدينية والمساجد التي ترجع إلى هذه الفترة(1).

وأخيراً فإن أعظم ما شيد في ليبيا من الجوامع والمساجد يرجع إلى هذه الفترة، وهما جامع أحمد القرمانلي ومدرسته وضريحه، وجامع مصطفى قرجي وملحقاته، هاتان التحفتان من الفن والعمارة الإسلامية في ليبيا ساهمتا في إنعاش روح المجتمع الليبي، وأعطيتا الانطباع من أن القرمانليين كانوا حماة ورعاة الدين والفن والعمارة(2).

---

(1) ابن غلبون: **التذكار**: ص270.

(2) **ومن المراجع والمصادر الأساسية للفترة القرمانلية هي:**
كتاب التذكار لابن غلبون، وهو الذي كتب سيرة أحمد باشا القرمانلي، ومؤرخ العهد القرمانلي، ويشمل كتابه ملاحظات عن الحياة العلمية والثقافية لهذه الفترة، ويعتبر من أهم الكتب، ليس فيما يخص الفترة القرمانلية بل تاريخ ليبيا بصفة عامة.
وكتاب: **Narrative of Ten Years Residence at Tripoli in Africa** وقد نشر باسم ريتشارد توللي، القنصل الإنجليزي بطرابلس، ولكن الكتاب في الحقيقة كتبته شقيقته التي قضت أكثر من عشر سنوات في طرابلس (1783 ـ 1795) وقد صادقت مس توللي العائلة القرمانلية الحاكمة في السنوات العشرة الأخيرة من حكم علي باشا (1764 ـ 1792)، وكانت رسائلها التي كانت تكتبها إلى شخص مجهول، بين الثالث من شهر ناصر (يوليو) 1783، والثلاثين من شهر الطير (أبريل) 1795، قد نشرت ككتاب في لندن سنة 1816.
ومن بين المصادر والمراجع المهمة لهذه الفترة مؤلفات كل من:
تشارلز فيروه، رود ولفو ميكاكي، كونستازيز بيرجنا، ايتوري روس، ومن أحد هذه الكتب كتاب علي عمر إسماعيل، وسيتون ديردن وفوليان كولا (أطروحة دكتوراه غير منشورة من جامعة لندن سنة 1970).
ومن الكتب الأخرى المهمة عن الفترة القرمانلية كتاب:
Viaggo da Tripoli di Barbaria Alle Occidentali Frontire Dell Egitto ولمؤلفه باولو ديلا شيلا، والذي نشر في سنة 1819.
وكتاب آخر بعنوان:
Tripolie Venezia Nel Secolo XVIII لمؤلفه جيورجيو كابوفين..
وكتاب: **Narrtive of Travels in North Africa** لمؤلفه ليون وقد نشر في سنة 1826.
وكتاب: **Proceedings from the Expedition to Explore the Northern Coast of Africa** لمؤلفه ب. و. بيكلي، وقد نشر في سنة 1828.

الفترة العثمانية الثانية (1835 ـ 1911)

توالى على حكم ليبيا في هذه الفترة اثنان وثلاثون والياً، استطاعت من خلالهم الدولة العثمانية أن تمارس السيطرة المباشرة على هذا القطر[1]، ولكي تثبت الحكومة العثمانية جدارتها عينت كل باشا لمدة لا تقل عن أربع سنوات[2]، لأن الإدارة العثمانية المركزية في عاصمة الإمبراطورية نفسها حدث فيها تطور نحو الإصلاحات الإدارية، والتي أثرت بدورها على المقاطعات العثمانية[3]، والحالة في إيالة طرابلس الغرب كانت أكثر تعقيداً باحتلال فرنسا للجزائر والتهديد الناتج من ذلك على الممتلكات العثمانية في شمال أفريقيا، وعلى ذلك كان حفظ النظام والقضاء على ثورات الأهالي من الأمور والأولويات الحتمية على الولاة العثمانيين في هذه الولاية، وفي نفس الوقت فإن مدى واجبات ودرجة استقلالية الولاة قد حد منه لزيادة إحكام السيطرة المباشرة على الولاية من قبل الحكومة التركية.

فأصبح الآغا قائد الانكشارية مستقلاً عن الإدارة في الولاية، ولكنه أصبح الآن مسؤولاً مسؤولية مباشرة أمام استنبول[4].

---

(1) Bergna, pp. 364 - 365.

(2) المرجع السابق، ص349.

(3) النائب: **المنهل**: ص378 ـ و Shaw, pp.282, 283

(4) Bergna, p.355.

وأصبحت سلطته متركزة في الشؤون العسكرية، والإشراف على بيت المال الذي كان من مسؤولية الآغا، أصبح تحت إدارة أحد المدنيين مسؤولاً مسؤولية مباشرة أمام استنبول[1]، وقد أوكلت مهمة جمع الضرائب إلى موظفين ليبين، وقد اتخذت الحكومة التركية إجراءات كثيرة من أجل حماية المواطنين وحماية التجارة، فأرسلت حاميات تركية للتمركز في كل مدينة وقرية، وفي كثير من النقاط المهمة على طول امتداد طرق التجارة[2].

وانطلق الولاة من أجل استعادة وانتعاش الحياة الاقتصادية لهذه الولاية، والتي بدأت تعتمد فيها على مواردها الخاصة، فتجارة العبيد والنشاطات البحرية الخاصة تم القضاء عليها نهائياً، وبذلت جهود من أجل تحريك الصناعة، واستغلال إمكانيات ليبيا الزراعية، وعملت الإدارة العثمانية الجديدة محاولات قوية لإنعاش التجارة في داخل البلاد، ومع وسطاء في الخارج.

وهذا أدى إلى انتعاش التجارة البحرية من مواني طرابلس والخمس ومصراته وبنغازي ودرنة[3].

ومثلما شاهدنا في فترات الأمن والسلام السابقة، التي شهدت بناء الكثير من الأبنية المدنية والدينية، فإن مدينة طرابلس والمقاطعات الليبية الأخرى، قد شيدت بها الكثيرمن الأبنية الدينية والمدنية، وقد شهدت ليبيا أعداداً أكبر من الرحالة والمكتشفين، ووكلاء التجارة[4]، وخاصة الوكلاء البريطانيين، الذين قاموا بدراسة إمكانية توسع التجارة الإنجليزية المزدهرة، إلى الأقطار الأفريقية الصحراوية، عن طريق طرق التجارة الليبية.

وفتحت إنجلترا لها قنصلية في مرزق سنة 1817[5]، وقد أرسلت إنجلترا

---

(1) المرجع السابق، ص356.

(2) المرجع السابق، ص358، عزيز سامح، ص192.

(3) Bergna, pp. 349, 355, 356, 359.

(4) المرجع السابق، ص360 و361، Abun - Nasr, p.99.

(5) Feraud: **Annales**, pp.580, 581.

الكثير من المكتشفين في مهمات إلى الصحراء مثل: كابتن ليون، وريكي، أوداني ، دنهام، كلابيرتون، وميجور لينج غوردون، وريتشاردسون.

وأخيراً أثبتت إيطاليا الفاشية من إنها الفائزة في هذا الصراع من أجل السيطرة على ليبيا، وصارت لها اليد الطولى في هذا البلد، وكوّنت علاقات تجارية قويّة معها في بداية القرن العشرين، وقد استغلت إيطاليا وجود مشاكل داخلية في الدولة العثمانية نفسها، وفي منطقة البلقان، فاحتلت ليبيا في سنة1911[1]، وبدأ فصل جديد من تاريخ ليبيا، وفصل جديد في الكفاح الوطني الليبي من أجل الحرية والتخلص من الاستعمار إلى سنة 1952[2].

---

(1) Bergna, p.361.

(2) ومن أهم المصادر والمراجع لفترة العهد العثماني الثاني كتاب:
المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، لمؤلفه أحمد النائب، وهذا الكتاب في جزئين، نشر الأول منهما في استنبول سنة 1899.
ولأسباب غير معروفة بقي المجلد الثاني غير منشور حتى وجد الشيخ الطاهر الزاوي مخطوطة هذا الكتاب غير مؤرخة في دار الكتب بالقاهرة سنة 1954، فحققه ونشره في سنة 1961.
ومن هذه الكتب كتاب: **Simali Afrika' Da Turkler** لمؤلفه عزيز سامح التير (1877 - 1948)، والجزء المخصص لتاريخ ليبيا ترجم إلى العربية تحت عنوان:
الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، نشر في طرابلس عام 1969.
وكتاب: **طرابلس غرب تاريخي**، لمؤلفيه محمد نوري ومحمود ناجي، نشر في استنبول في سنة 1330هـ، وعرب الكتاب تحت عنوان: **تاريخ طرابلس الغرب، ونشر في طرابلس عام 1970**.
وكتاب: **Libya in the Second Ottoman Period** لمؤلفه جوزيف كاكيا. وترجم إلى العربية تحت عنوان:
ليبيا في العهد العثماني الثاني، ونشر الكتاب في القاهرة سنة 1984.
وكتاب: **طرابلس غرب تاريخي**، لمؤلفه بهيج الدين بن مصطفى عاشير كتاب غير مؤرخ باللغة التركية في استنبول.
وكتاب: **طرابلس غرب تاريخي**، لمؤلفه حسن صافي، نشر في استنبول سنة 1348هـ - 1929.

2

الخلفية المعمارية لليبيا في الفترات السابقة للعهد العثماني

مدينة سلطان:

قبل مناقشة تطور المعمار الديني في ليبيا في العهد العثماني علينا أن نكوّن فكرة عن التقليد المعماري للعهود السابقة للفترة العثمانية، وخاصة في العهد الحفصي (1228 ـ 1510)، فالمصادر الأدبية تعطينا معلومات عن التطور المعماري، وتزودنا بتواريخ لبعض المباني الدينية الي لم تعرف سنوات تشييدها ونسبتها إلى فترة تاريخية معينة.

وقد كشفت الحفريات التي أجريت في كل من مدينة سلطان وإجدابيا الأثاريتين، عن بقايا لمسجدين فاطميين، فمدينة سلطان التي تقع على الطريق الساحلي شرق مدينة سرت الحالية بنحو 55ك.م. تم التعرف عليها من إنها مدينة سرت القديمة، التي تحيطها أسوار، والتي ذكرها المؤرخون والرحالة العرب القدامى.

فعالم الآثار (Good Child) والدكتور محمد مصطفى، اللذان أشرفا على حفريات أجريت في مدينة سلطان الأثرية في الستينات، لاحظا أن هاتين المدينتين وخاصة مدينة إجدابيا، التي تقع جنوب مدينة بنغازي بنحو 170ك.م. كانتا نقطتي التقاء لطرق التجارة البرية بين برقة وطرابلس[1].

(1) Richard Goodchild, «Madinat Sultan: A Preliminary Note», Libya Antiqua. 1 (Tripoli: the directorate general of Antiquities, 1964), pp.99 - 106.

وقد ذكر ابن عبد الحكم (187 ـ 257هـ) (803 ـ 871ف) هاتين المدينتين، بدون ذكر معلومات أخرى[1]. أما ابن حوقل الذي ألف كتابه في نحو (336هـ ـ 947ف)، فقد وصف مدينة سلطان بأنها كانت ذات أسوار قوية مبنية بالطين والحجر[2]، ولم يشر هذا المؤرخ إلى وجود مسجد في هذه المدينة ولم يصل إلينا وصف مقتضب إلا في القرن الحادي عشر الإفرنجي، عندما زارها البكري حيث قال:

«مدينة سلطان محاطة بسور من حجارة، وبها مسجد وحمام وبعض الأسواق، ولهذه المدينة ثلاث بوابات. . . وليس لهذه المدينة ضواحي، وبها أشجار نخيل وحدائق، وآبار مياه عذبة، وأعداد كبيرة من صهاريج المياه»[3].

وهنا نجد أول ذكر لمسجد في هذه المدينة، وحسب ما جاء في الدراسة التي قام بها الدكتور محمد مصطفى عن حفريات مدينة سلطان، إن قطع الفخار والخزف التي وجدت في هذه الحفريات، وخاصة في منطقة الجامع، ترجع إلى القرن الرابع الهجري، العاشر الإفرنجي، ويصل الباحث إلى نتيجة هي أن مدينة سلطان شيدت في العهد الفاطمي، في نفس الفترة التي شيدت فيها كثير من التحصينات الفاطمية، من أجل حراسة وحماية طرق المواصلات[4].

وقد أرجع الدكتور محمد مصطفى بناء الجامع بهذه المدينة إلى العصر الفاطمي، ويؤيد هذا الرأي الباحث عبد الحميد عبد السيد، الذي كتب مقالاً

(1) Abu al - Kasim abd al Rahman b. Abd Allah Abd al - hakam, The History of the Comquest of Egypt, North Africa and Spain Known as Futuh Misr, ed. Charles C. Torrey, Yale University, Yale Oriental Series Researches III (New Haven, Yale press, 1922), pp. 194, 200, 224, 225.

(2) Muhammad Mustafa, «Excavations in Madinat Sultan» Libya Antiqua, III, IV (Tripoli: the directorate General of Antiquities, 1966), p.147.

(3) Goodchild, p.103 أبو عبيدة عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب: المسالك والممالك، (الجزائر 1857) ص6.

(4) محمد مصطفى، ص149، إحسان عباس: تاريخ ليبيا (بنغازي: دار ليبيا، بيروت: دار صادر ـ 1967) ص85.

عن هذا الجامع المكتشف (أبعاده 31 × 41 متر)، فأرجعه إلى فترة العزيز نزار، أو إلى والده المعز لدين الله معد (380 ـ 393هـ) (990 ـ 1003ف)[1]. هذا الجامع له تخطيط امتازت به المساجد التي شيدت في العصر الفاطمي، مثل مساجد القاهرة المعزية الفاطمية، ومسجد مدينة المهدية، تتكون قاعة الصلاة فيه من ثلاثة أروقة متوازية مع جدار القبلة، يقطعها مجاز قاطع على محور المدخل والمحراب، وكل بائكة تتكون من ثلاثة عقود على جانب من المجاز، تكوّن هذا المجاز بوجود بائكتين متوازيتين كل منهما لها ثلاثة عقود متعامدة على جدار القبلة والسقف محمول على عقود ترتكز على دعامات ذات قطاع مستطيل وأخرى على شكل حرف (T) والصحن محاط بأروقة من أربع جهات، وله ثلاثة مداخل على المحاور الثلاثة.

أما القاعدة المربعة للمئذنة فإنها تقع في الزاوية الشمالية الغربية من المسجد، ويخلص عبد الحميد عبد السيد في مقاله، اعتماداً على المصادر الأدبية[2]، إلى أن بدن المئذنة ربما كان مثمن الشكل، كما كان الحال بالنسبة إلى جامع أجدابيا الفاطمي، شيدت جدران الجامع من الحجر المروم (غير المنتظم)، وهناك ألواح من الحجر الرملي عليها كتابات بالخط الكوفي المورق، وبعض القطع من الجص عليها عناصر زخرفية نباتية، وتؤكد هذه الزخارف نسبة هذا الجامع إلى الفترة الفاطمية.

مدينه أجدابيا:

أما عن مدينة اجدابيا فيعطينا البكري (من مؤرخي القرن الحادي عشر الإفرنجي) هذا الوصف: «إن اجدابيا مدينة كبيرة، بها آبار وينابيع وحدائق، وأشجار نخيل، وأشجار الأرك ومسجد جديد البناء، شيده أبو القاسم بن عبيد

---

(1) Abd Al - Hamid Abdussayed, «An Early Mosque at Medina Sultan», Libya Antiqua, # IV 1966, pp. 155 - 160, Lucien Golvin, Islamic Architecture in North Africa, (London: Faber and Faber, 1976), p.135.

(2) البكري، ص5، عبد الحميد عبد السيد، ص158.

الله، والذي يحتوي على صومعة مثمنة الشكل، وبهذه المدينة كثير من الفنادق وأسواق عامرة»[1]. والجامع المكتشف أثناء الحفريات هو من المساجد الكبيرة والمهيبة، ولم يشيد من الحجر المروم، كما كان الحال بالنسبة إلى جامع مدينة سلطان، ولكنه شيد بالحجر المنتظم، وبعناية كبيرة في البناء والزخرفة.

يحتوي بيت الصلاة على ثماني بواكي تسير متعامدة على جدار القبلة، بكل بائكة أربعة عقود، وبهذا تكون قاعة الصلاة ذات تسعة أروقة متعامدة على جدار القبلة، الرواق الأوسط منها أعرض من بقية الأروقة، وعقود البواكي محمولة على دعامات، والبائكتان اللتان تؤكدا محور المحراب محمولتين على دعامات وأعمدة، والمحراب له مسقط مستطيل، ويميز هذا الجامع ملمح معماري آخر، هو أن واجهة بيت الصلاة المطلة على الصحن محددة بصف من الدعامات الضخمة، بكل دعامة حنية نصف دائرية، يعتقد بعض الباحثين إنها كانت محاريب، على أن البعض الآخر يرى أنها كانت حنايا لوضع جرار للمياه، مثل هذا الملمح يمكن رؤيته في بعض المساجد الفاطمية في كل من المهدية والقاهرة[2].

ويحيط بالصحن رواق من جهاته الأربعة، والبائكة على الجانبين الطوليين محمولة على سبعة عقود، وعلى الجانبين القصيرين محمولة على خمسة عقود، ويحتمل أن هذا الجامع كان مسقوفاً بأقبية برميلية إذ أن هذه الطريقة في التسقيف كانت منتشرة بإجدابيا في فترة المؤرخ البكري، فقد أشار هذا المؤرخ إلى إن مباني مدينة إجدابيا ليس لها أسقف مسطحة، ولكنها ذات أقبية من الآجر والحجارة[3]، ومهما يكن فالمعلومات المتاحة من تقارير الحفريات التي أجريت في منطقة إجدابيا، وبالذات في منطقة الجامع لا تؤكد أو تنفي فيما إذا

---

(1) أحمد بن أبي يعقوب بن وضيح اليعقوبي: كتاب البلدان (**النجف العراق بدون تاريخ**) ص96، البكري، ص10، 5.

(2) David White House, Recent Archaeological Investigations: Introduction: Introduction Istlamic Art and Architecture in Libya Exhibition Catalogue, London, 1976, p.64.

(3) البكري، ص5.

كانت أسقف الأبنية الدينية من الأقبية أو خلاف ذلك، أما بالنسبة للمئذنة التي تقع على الجانب الشمالي الغربي من المسجد، فلها ترتيب وشكل خاص.

فهناك سلم خارجي يقودنا إلى سطح قاعدة مربعة من الحجارة، فوقها كان ينتصب جسم المئذنة المثمنة الشكل، وبدنها به سلم داخلي يؤدي إلى قمتها، وهناك نقش ورسم قام به الرحالة (Pacho) في القرن التاسع عشر، يوضح بعض التفاصيل الباقية من المسجد، ومنها بعض العقود الباقية، والمحراب، والأجزاء السفلى من المئذنة، والتي اختفت منذ ذلك الحين[1].

وفي شكله وترتيبه العام فإن جامع مدينة إجدابيا يذكرنا، بصفة خاصة، بالمساجد الفاطمية الأولى في كل من القاهرة وتونس[2]. أما فيما يخص تاريخ الجامع فإن البكري يعطينا معلومات مهمة في هذا الخصوص، فيشير إلى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعي قد شيد جامعاً مهيباً في إجدابيا، وان لهذا الجامع صومعة مثمنة عجيبة[3].

وعليه فإن مؤسس هذا الجامع هو ابن أول خليفة فاطمي (909 ـ 934ف) وينسب لوشيان غولفن بناء الجامع إلى الربع الأول من القرن العاشر الإفرنجي[4].

إن وجود مثل هذا الجامع الكبير، وعدد من القصور المحصنة، والأسواق والحمامات، والحدائق، والآبار في مدينة إجدابية في الفترة التي مرّ بها المؤرخ البكري[5]، هو مؤشر واضح لما كانت عليه المدينة من تقدم وازدهار اقتصادي، وهذا راجع إلى موقعها الاستراتيجي كملتقى لكثير من طرق التجارة البرية، وكمركز ونقطة التقاء طرق القوافل الممتدة بين مصر

---

(1) White House, p.63.

(2) المرجع السابق، ص63 ـ 65.

(3) البكري، ص5.

(4) Golvin, p.133.

(5) البكري، ص5.

والمغرب[1]. ومن سوء الحظ إن هذا الازدهار الاقتصادي قد وصل إلى نهايته بعد غزو قبائل بني هلال وسليم للمنطقة في نحو 1050 إفرنجي، فيخبرنا الإدريسي في نحو منتصف القرن الثاني عشر الإفرنجي أن:

«من بين المدن الهامة، نجد مدينة سرت وإجدابيا، التي أصبحت الآن جرداء وقليلة السكان، على الرغم من الرأي التقليدي بأن هاتين المدينتين كانتا مزدهرتين»[2].

منطقة فزان:

تعطينا المصادر الأدبية وصفاً عن الخلفية المعمارية لمنطقة فزان، خاصة عن الفترات السابقة للفترة العثمانية، أما المعلومات التي كتبها الرحالة الأوروبيون في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، فهي أكثر اقتضاباً[3].

فالمؤرخ البكري (ق 11ف) يخبرنا أن مدينة سبها كانت كبيرة وبها جامع وأسواق[4]. ومن المحتمل أن الجامع الذي ذكره البكري هو الجامع المسمى بجامع منطقة الجديد في سبها[5]، لأن الروايات المحلية المتعارف عليها تشير إلى أن جامع منطقة الجديد بسبها يعتبر أحد أقدم المساجد الباقية في المنطقة، إلا إن المسجد الحالي ربما أعيد بناؤه وتجديده بعد فترة البكري، ويشير

---

(1) Golvin, p.133.

(2) محمد مصطفى، ص147 (ينقل عن الإدريسي: نزهة المشتاق، ترجمه إلى الإنجليزية Dozy Degoeje, Leden, 1866) p. 161.

(3) Exmaples in Case Are: Thomas Shaw, Travels Observations 1694 - 1751. Friedrick Konrad Harnemann, Travels from Cairo to Murzuk, 1772 - 1800.

Geo Francis Lyon (Captain) a Narrative of Travels of in Northern Africa 1818 - 1820.

(4) البكري، ص11.

(5) Emilie Scarin, le Oasi Del Fezzan (Bologna, Nicola Zanithelli Editori, 19 4 (X11), p.103 figure 78.

غاسبري ميسانا (1969) واميليو سكارين (1934) إن هذا الجامع شيد منذ بضعة قرون خلت[1].

وقد أشار البكري أيضاً إلى بعض المدن والقرى والواحات التي كان بها مساجد، فأشار بأن ودان سكنتها قبيلتان عربيتان، تقاسمتا جامعاً واحداً[2]. وتاقرفت، وهي على مسيرة ثلاثة أيام من ودان (نحو 170ك.م. شرق ودان، و220ك.م. جنوب مدينة سلطان)، استقر بها قسم من سكان ودان، وكان لها مسجد[3]. ويضيف البكري أن زلهى (زلة نحو 100ك.م. جنوب تاقرفت) مدينة كبيرة بها مسجد وحقول من أشجار النخيل[4]. ومما لا شك فيه أن مساجد هذه البلدان قد اندثرت بمرور الزمن.

ويذكر البكري كذلك إن مدينة زويلة (180ك.م. جنوب شرق سبها)، كان بها مسجد[5]. وصارت هذه المدينة ذات أهمية في عهد مملكة بني الخطاب، من قبيلة هوارة البربرية في الفترة ما بين القرن العاشر والثاني عشر الإفرنجي[6] اتخذها بنو الخطاب عاصمة لهم، وشيدت بها بعض الأبنية الدينية والمدنية وتنسب الأضرحة المسقوفة بقباب والتي ما زالت قائمة وفي حالة جيدة بهذه المدينة، إلى هذه الفترة ويعطينا كابتن ج. ف. ليون، الذي زار هذه المدينة، في الفترة ما بين سنة 1818 ـ 1820[7]، وصفاً جيداً عن المباني الدينية

---

(1) المرجع نفسه ميسانا ص94، 95 ولوحة 12 رقم 2 على ص291.

(2) البكري، المرجع نفسه، Geo Francis Lyon A Narrtive of Travels in Northern Africa in the Years 1818 - 1820 (London, John Murray, 1821), p.76. (صاحب كابتن ليون، اثناء زيارته لودان، أحد الرجال الكبار ليفحص لوحاً حجرياً غير عادي، عليه كتابة بارزة، ومن التاريخ الذي يعطيه هذا الحجر توصل كابتن ليون إلى أن هذا المسجد قد شيّد منذ نحو 600 عام (أي نحو ق 15ف).

(3) البكري، ص11.

(4) المرجع نفسه.

(5) البكري، ص10.

(6) إحسان عباس، ص29 و100 و160، ميسانا، ص226 و269.

(7) كابتن ليون، ص214 و215.

بهذه المدينة، وأعطى وصفاً للأضرحة والمسجد المتهدم، وذكر أن أبعاد المسجد كانت 135 قدم في 90 قدم، ومنارته ذات ارتفاع يكفي لرؤية كل المناطق المجاورة، وذكر كابتن ليون أيضاً بأنه توجد ثلاثة مساجد أخرى في حالة جيدة في مدينة زويلة[1].

ومن المعتقد إن هذه الأضرحة هي مدافن ملوك وأمراء مملكة بني الخطاب، وإن المسجد المتهدم الذي ذكره كابتن ليون، ربما كان ذلك المسجد الذي ذكره البكري، وان المساجد الثلاثة الأخرى، التي ذكرها كابتن ليون قد شيدت بعد فترة البكري، ومن المحتمل إنها ترجع إلى ما قبل الفترة العثمانية[2].

ويرجع كل من اميليو سكارين وغاسبري ميسانا[3] أن بعض المساجد الأخرى، التي تقع في منطقة فزان، تعود إلى الفترات السابقة للعهد العثماني، واعتماداً على أقوال الرواة وعلى أسلوب تخطيط البناء، ونظام التسقيف والمادة المستخدمة، يرجع الكاتبان مسجد براك القصر (جدول«ج» مسقط رقم 61) ببراك إلى القرن الثالث عشر الإفرنجي[4]. ويرجع الكاتبان بناء جامع الحنّاش بمرزق، والجامع الجديد بسبها إلى عدة قرون خلت[5] (جدول «ج» مسقط أفقي رقم 63 و62 على التوالي).

---

(1) المرجع نفسه.

(2) البكري، ص10 (على الرغم من أن البكري قد ذكر أن مدينة شروس ـ مدينة كانت قائمة في جبل نفوسة ـ لم يكن بها مسجد في عصره، انظر ص9 من كتابه، ولم يذكر كذلك وجود مسجد بمدينة جادو، غير انه من المؤكد كانت هناك مساجد في تلك الفترة في منطقة جبال نفوسة ومن أمثلة ذلك:
أ ـ مسجد أبو زكريا في منطقة مزدة، الذي ينسب إلى رجل صوفي من القرن التاسع الإفرنجي.
ب ـ مسجد ثمياط المحفور تحت الأرض، والتي تقع بين نالوت وكاباو، ويعود إلى القرن الثاني عشر الإفرنجي.
ج ـ مسجد الباروني، يعتقد البعض أنه يعود إلى القرن التاسع عشر.

(3) Emilio Scarin, Le Oasi Cirenache del 29 Parallelo, Florence, G.C. Sansoni Editore, 1937 (XV), p.141. (ميسانا، ص94، 95).

(4) Scarin, Lo Oasi Del Fezzans, p.51, Figure 24 ميسانا، ص291 ولوحة 12 رقم.

(5) Scarin. Ibid, p. 103, Figure 73, p.138, Figure 106, ميسانا، ص نفس المرجع، رقم 3.

إن النصوص التي أوردها المؤرخون والرحالة العرب الأوائل، مثل ابن عبد الحكم، وابن حوقل، والبكري، والإدريسي، وآخرون غيرهم، لم تعيننا في الواقع على تكوين فكرة واضحة عن التقليد المعماري في بناء المساجد التي يذكرونها في نصوصهم، فهم بوتيرة واحدة يذكرون أسماء هذه المساجد والجوامع، ويفشلون في ذكر ما يتعلق بتخطيطاتها، وزخارفها، وطرق وأسلوب تسقيفها وأمور فنية ومعمارية أخرى، التي لو ذكرت في نصوصهم لقادتنا إلى تكوين صورة ورأي أكثر وضوحاً عن التقليد المعماري للمسجد الليبي في القرون الأولى من انتشار الإسلام في ربوع هذا الوطن.

والمساجد التي تقع في منطقة فزان، والتي يعتقد إنها ترجع إلى الفترات السابقة للعهد العثماني، لها تصميم وتنظيم مميز، فهي تمثل طابعاً خاصاً في التخطيط والتسقيف، وتكون مجموعة مهمة، وأغلب مساجد هذه المنطقة تتكوّن من قاعة صلاة مستطيلة، تقسمها بائكتان أو ثلاث أو أكثر إلى أروقة متعامدة على جدار القبلة، وفي بعض الأمثلة يحتوي المسجد على أروقة وبواكي متوازية ومتعامدة على جدار القبلة في آن واحد، تقسم المساحة الداخلية لبيت الصلاة إلى وحدات فراغية منتظمة، وفي بعض الحالات، وفي المساجد الصغيرة تكون قاعة الصلاة خالية من الأعمدة، وهذه المساجد صغيرة جداً، وتستعمل لصلاة الأوقات فقط.

يتكوّن السقف في هذا النوع من المساجد، من طبقات من جذوع النخيل والجريد، وفوقها طبقة من الطين المضغوط والملاط، وتبنى الجدران من نفس هذه المواد، وبنفس الطرق التي تبنى بها الأبنية المدنية الأخرى، وفي بعض الأحيان يستخدم الآجر المشوي (أو المحروق)، وكذلك ألواح من الحجارة في بعض المواضع من البناء[1]. ويحيط بالمساحة التي تلف ببيت الصلاة، جدار به مدخل، وبداخل هذا الصحن يشيد بناء له عدد من الدرج يقوم مقام المئذنة،

(1) Hutt and Pertherbridge, pp.33, 35, 56.

وهو ملمح معماري شائع في مساجد هذه المنطقة[1]. وفي بعض الأحيان يزود المسجد بمئذنة يصل إليها المؤذن عن طريق سلم خارجي، ومن خصائص هذه المساجد، البساطة في البناء، وعدم البهرجة في الصنعة، والتي تتصف بها المساجد الواقعة في المناطق شبه الصحراوية، وتشترك في هذه الخصائص والصفات المساجد الكثيرة المنتشرة في واحات برقة وفزان[2].

ويرى اميليو سكارين وغاسبري ميسانا، إن المساجد ذات الأسقف المسطحة الواقعة في هاتين المنطقتين، غالباً ما توجد في المناطق الآهلة بالسكان العرب، في حين أن تلك المساجد المسقوفة بقبيبات توجد في المناطق التي تسكنها قبائل بربرية[3]، غير أن أهمية وقيمة وصلاحية هذا الرأي أمر مشكوك فيه، ويحتاج إلى دراسة وتدقيق، وقد ينطبق إلى حد ما، على بعض الواحات مثل واحة أوجلة التي تسكنها قبائل عربية وأخرى بربرية.

ففي جبل نفوسة مثلاً توجد قبائل عربية وأخرى بربرية، وإن أغلبية المساجد وحتى الأبنية المدنية مسقوفة إمّا بقباب صغيرة أو أقبية برميلية، أو الجمع بين هذين النوعين من التسقيف.

ونجد أغلب المساجد والجوامع (الواقعة على الشريط الساحلي تسقفها قباب، وقد أصبح هذا النوع من التسقيف هو الطراز الغالب كما سيتبين ويتضح في الفصل الثامن من هذا الكتاب.

واحة أوجلة:

يوجد في هذه الواحة مسجد عتيق جداً، يطلق الأهالي عليه مسجد عبد الله بن أبي سرح[4] (جدول «أ» مسقط أفقي رقم 35) يقع في واحة أوجلة[5]،

---

(1) نفس المرجع.

(2) ميسانا، ص94 و95 (ينقل عن سكارين Le Oasi Del Fezzan).

(3) نفس المرجع.

(4) أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العمري بن لؤي القرشي، وكان أخو عثمان من الرضاعة، وكان رجل دولة وقائداً عسكرياً عظيماً، وقد ذكر أنه كان من كتاب الوحي، ومات في عسقلان أو الرملة في سنة 36 أو 37هـ ـ 656 أو 658ف، وذكر آخرون أنه توفي في سنة 57هـ ـ 676ف.

(5) هناك ثلاث مدن في منطقة أوجلة: أوجلة العاصمة (المدينة الرئيسية) ومجابرة وميليديلو.

التي تبعد عن بنغازي جنوباً بنحو 300ك.م. ذكر البكري أن منطقة أوجلة كانت مزدهرة، وان مدينتها الرئيسية (إرزاقية) تحوي مساجد وأسواقاً، ولم يذكر البكري وجود ضريح أو مسجد بهذا الاسم يقع في منطقة الواحة[1].

وذكر ابن عبد الحكم أن عبد الله بن أبي سرح قد توفي في مصر سنة 36هـ ـ 656ف، ولم يشر ابن عبد الحكم إلى وفاة عبد الله بن أبي السرح في واحة أوجلة أو برقة، ولم يشر كذلك إلى وجود مسجد أو ضريح مرتبط باسمه في واحة أوجلة[2].

ولكن ابن عبد الحكم أشار إلى أن الصحابي رويفح بن ثابت الأنصاري قد توفى في برقة[3]. والمؤرخ ليو أفريكانوس، الذي زار ليبيا في نحو 1518ف، لم يشر كذلك إلى وجود مسجد باسم عبد الله بن أبي سرح[4] كما أن المؤرخ كرافاجال مارمول، الذي زار ليبيا في النصف الثاني من القرن السادس عشر لم يذكر ذلك أيضاً[5]. وهكذا نصل إلى أن ارتباط اسم عبد الله بن أبي سرح بهذا المسجد وبهذه الواحة هو شيء غير واضح، ويحتاج إلى المزيد من التحري والتوضيح، والتفسير المحتمل لارتباط هذا المسجد باسم عبد الله بن أبي سرح، وهو أن موجة الصوفية كانت في مرحلة الانتشار في شمال أفريقيا في القرن الثاني عشر الإفرنجي[6]، وكانت المشاهد والأضرحة الخاصة بالعلماء الورعين ورجال الصوفية، ينتمون إلى القبائل وإلى المناطق الخاصة بالقبيلة،

---

(1) البكري، ص12 (ويذكر اسم الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري، ص5 ـ كما يذكر اسم شاعر يدعى دعبل الذي قبره بزويلة ص10).

(2) ابن عبد الحكم، ص263 ـ الزاوي معجم، ص42.

(3) ابن عبد الحكم، ص110.

(4) Leo Africanus, vol. 3, p.801.

(5) نيقول زيادة: «ليبيا من الحسن الوزان إلى التمغروتي» ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي 16 ـ 23 النوار (مارس) (بنغازي الجامعة الليبية 1968) ص249 و257 و264 ـ 269 (زيادة ينقل عن كرافاجال مارمول وصف أفريقيا العام، ترجمة Perrot D'Ablan court).

(6) ميسانا، ص84.

وكانوا ينظرون إليهم على اساس أنهم رعاة وحماة لهذه القبيلة أو تلك[1].

وربما اعتقد سكان واحة أوجلة إن وفاة عبد الله بن أبي سرح (وهو أحد الصحابة وحاملي راية الرسول صلى الله عليه وسلم) كانت في ليبيا، وأنه قد دفن في أوجلة، وهكذا كرم أهالي هذه الواحة هذا الصحابي الجليل، واعتبروه حامي مدينتهم[2]، وارتبط اسمه بهذا المسجد وهذه الواحة.

ويرجع كل من اميليو سكارين[3] وغاسبري ميسانا[4] بناء المسجد المنسوب إلى عبد الله بن أبي سرح إلى القرن الثاني عشر الإفرنجي، اعتماداً على الروايات الشعبية المتواترة، وعلى الطراز المعماري وعلى الحقيقة الماثلة، وهي أن أغلب البناء مطمور في الرمال بفعل مرور الزمن.

والمسجد الحالي، الذي ربما شيد لتخليد ذكرى عبد الله بن أبي سرح، مسقوف بعشرة قباب صغيرة مخروطية تشبه القمع أو الطرطور[5]، والبناء كله من النوع البسيط، فجدرانه من الحجارة غير المنتظمة، والطين ومغطاة بالملاط[6]. والمباني التي شيدت على هذا الطراز البنائي من الصعب تحديد فترات بنائها الأول، علاوة على ذلك فإن قباب هذا الجامع من هذا الطراز، ومستوى المادة المستخدمة، لا تعمر لمدة طويلة، ويعاد بناؤها وترميمها، ومن

---

(1) Edward Evan and Pritchard, the Sanusi of Cyrenaica (Oxford: at the Clarendon press), 1973, p.67.

(2) نفس المرجع.

(3) Scarin, Le Oasi de 29 Parallelo, p.142.

(4) ميسانا، ص82 و83.

(5) قباب جامع عبد الله بن أبي سرح متشابهة تقريباً مع قباب المنازل التي يطلق عليها منازل خلايا النحل، الواقعة في منطقة حوران بسوريا، ويبدو أن هذا النوع من البناء ملائم للمناخ الصحراوي. انظر الكتاب:

Godfrey Goodwin A History of Ottoman Architecture (London: Thomas and Hudson, 1971), p.446.

(6) لم يذكر ذلك أي من رحالة هذه الفترة، انظر هوامش 1 و3 و5 من الصفحة السابقة.

المحتمل أيضاً أن المسجد بصفة عامة قد جدد وأعيد بناؤه في العصر الحديث[1].

والمسجد الذي يطلق عليه الأهالي مسجد أوجلة القديم، هو من المساجد العتيقة، وله قباب من نوع ومادة وأسلوب القباب التي تغطي الجامع المسمى بجامع عبد الله بن أبي سرح[2]. والبناء كان في حالة يرثى لها من الحفظ، وان بعض قبابه، في أثناء زيارة اميليو سكارين لهذه الواحة (1937)، قد تهدمت[3]. والبناء بصفة عامة غير منتظم الشكل، وان قبابه مختلفة الأحجام، وذات أقطار مختلفة، ومن المعتقد أن مسجد واحة أوجلة، هو أقدم من المسجد المنسوب إلى عبد الله بن أبي سرح[4]، عليه فإن مسجد واحة أوجلة ربما يعود إلى فترة البكري[5].

مدينة طرابلس:

دعنا الآن نوجه اهتمامنا إلى فحص التراث والتقليد المعماري لمدينة طرابلس للفترات السابقة للعهد العثماني.

ترك لنا كثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب الأوائل، الذين زاروا طرابلس، مشاهدتهم ونصوصهم عن النشاط المعماري لهذه المدينة، فاليعقوبي[6] (نحو 208هـ ـ 823ف)، وابن خرداذبه[7]،

---

(1) ميسانا، ص82، 83.

(2) Scarin, Le Oasi, p. 83 - 85, Figure, 19, Fot. 24, 26.

(3) نفس المرجع، شكل 26.

(4) نفس المرجع، ص85، ميسانا، ص82 و83.

(5) البكري، ص10.

(6) عبد القادر أحمد طليمات: «سكان ليبيا عند اليعقوبي» ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي المنعقد في الفترة من 16 ـ 23 (النوار) مارس (بنغازي: الجامعة الليبية 1968) ص225 ـ 233 (نقلاً عن كتاب البلدان لليعقوبي).

(7) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة: كتاب المسالك والممالك، (ليدن 1306، 1889) (توفي في نحو 284هـ ـ أو 292هـ) (897 أو 904ف).

والكرخي[1]، وابن حوقل[2]، والمقدسي[3]، جميعهم يوردون نصوصاً قصيرة لا تساعدنا على تكوين فكرة دقيقة عن المعمار الديني لمدينة طرابلس.

فابن حوقل يشير إلى أن طرابلس كان بها رباطات كثيرة، والتي لا تعني فقط تلك الأبنية المحصنة، ذات الطابع الديني أو العسكري، بل أيضاً الزوايا التي يعيش فيها رجال الدين والصوفيون، الذين ينقطعون عن العالم الخارجي للعبادة والزهد، هذا المعنى يمكن تأكيده من نص البكري الذي يصف فيه طرابلس حيث يقول:

«طرابلس تقع على الساحل، وتحيطها أسوار كبيرة، وجامعها حسن البناء، وتحتوي على أسواق عامرة، وحمامات ممتازة.

وفي طرابلس مسجد يسمى بمسجد الشعاب... وهناك رباطات كثيرة، أكثرها نشاطاً وشهرة مسجد الشعاب...[4]».

ويعيرُ مؤرخو وجغرافيو ورحالة القرن الثاني عشر الإفرنجي، أمثال الإدريسي[5]، وعبد الواحد المراكشي[6]، قليل الاهتمام لتطور العمارة في ليبيا، وهذا راجع إلى التدهور الاقتصادي الكبير والثقافي كذلك في ليبيا بعد غزو قبائل بنو هلال وسليم لمناطق شمال أفريقيا، في نحو منتصف القرن الحادي عشر الإفرنجي.

---

(1) الكرخي: المسالك والممالك (يرجع إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري العاشر الإفرنجي).

(2) ابن حوقل: وصف الأرض (336هـ ـ 947ف).

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم (القرن الخامس الهجري الحادي عشر الإفرنجي).

(4) البكري، ص7.

(5) الشريف الإدريسي: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ء، تحقيق هنري بيريز دابرس، طبعة ليدن 1866، دوزي وج. ديقوجي (الجزائر 1975) ص89 و90.

(6) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق م. سعيد العريان و م. العنابي العلمي (القاهرة، مطبعة الاستقامة 1949) ص347 و348.

وزار طرابلس ابن رشيد السبتي في نحو 685هـ ـ 1286ف، وتوفي في 1324ف(1)، وأثنى على جامع طرابلس الأعظم، ومدرستها المنتصرية.

ووصف المدرسة بأنها كانت كبيرة وحسنة البناء، والرحالة العبدري، الذي زار طرابلس (في نحو 689هـ ـ 1290ف، والذي توفي في 1326 ـ 1337ف) أعطى كذلك نفس الوصف والانطباع، مضيفاً أنه لم ير مثل بناء هذه المدرسة في أي قطر من أقطار المغرب الإسلامي(2).

رحلة التجاني والخلفية المعمارية لمنطقة طرابلس الغرب قبل الفترة العثمانية:

إن أدق وأطول وأشمل النصوص التي كتبت عن العمارة الدينية لمنطقة طرابلس الغرب، في هذه الفترة، هي ما دونه أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، الذي زار هذه المنطقة، ما بين سنة 1306 و1308ف، ونستعرض هنا نصوصه المتعلقة بالعمارة الدينية بعد قليل.

ولإعطاء خلفيةشاملة عن العمارة في ليبيا، في الفترة السابقة للعهد العثماني، كان من الضروري أن نضمن كتابنا بعض الأمثلة من المساجد والجوامع والمدارس، التي شيدت في تونس في هذه الفترة، ذلك أن تونس القطر المجاور لنا وإنتاجه المعماري الديني يمكن أن نأخذه للمقارنة بينها وبين ليبيا، لكونها تمثل مصدراً للتأثير، خاصة وإن إقليمي طرابلس الغرب وتونس كانا خاضعين للحكم الأغلبي (800 ـ 909ف) ولحكم الدولة الزيرية (972 ـ 1050ف) والتي كانت خاضعة للنفوذ الفاطمي (971 ـ 1171ف).

---

(1) الزاوي: معجم، ص304 و305، إحسان عباس، ص 218 و220، الزاوي ينقل عن ابن رشيد السبتي الذي زار طرابلس في اليوم الثالث من ربيع الآخرة في 685هـ ـ 1286.

(2) أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي: رحلة العبدري: الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، سلسلة الرحلات رقم 4 حجازية رقم 1، (الرباط: جامعة محمد الخامس 1968) ص76 و77 ـ 88، انظر على الخصوص ص77.

وفي نحو 626هـ ـ 1228ف خضعت منطقة طرابلس الغرب لحكام الحفصيين، الذين استمروا في السيطرة على المنطقة حتى العهد العثماني في سنة 1551 بالنسبة لليبيا، و1574 بالنسبة لتونس.

وهكذا يتضح أن ليبيا غالباً كانت، قبل العهد العثماني، في المدار السياسي لحكام من المغرب الإسلامي[1]. ولذلك فإن أي أثر على تطور المسجد قبل الفترة العثمانية تكون تونس مصدره، عليه فإن دراسة لبعض المساجد المؤرخة، التي ما زالت باقية ستكون نماذج طيبة، ومثالية للمقارنة فيما يخص طرق بنائها، وتخطيطاتها، ونظام تسقيفها، وهكذا نرى أن دراسة محدودة لبعض المساجد، التي تعود للفترات السابقة للفترة العثمانية، تكون ضرورية لفهم أشمل وأعم لتطور المسجد من الجانب الفني والمعماري في كلا القطرين.

ومهما يكن فإن الدراسة المقارنة تزودنا بنتائج، التي بدورها ستساعدنا على تكوين نتائج تقريبية لتحديد وجود بعض المساجد، التي ترجع إلى ما قبل العهد العثماني في ليبيا، وهذه المقارنة مهمة خاصة فيما يتعلق بالنتائج التي تم الوصول إليها جزئياً من خلال المشاهدات والإثبات المادي والأدبي، وجزئياً من خلال الأقوال المتوارثة المتعارف عليها، وجزئياً من خلال التحليلات الفنية والمعمارية، وأخيراً فإن نتائج هذه الدراسة ستوضِّح خصوصاً إلى أي فترة من الفترات السابقة للعهد العثماني إرجاع المساجد الموضوعة تحت المقارنة إلى فترة محددة.

مسجد أبو فتاتة ومسجد قصر الرباط:

إن هذين المسجدين هما أقدم المساجد المؤرخة الباقية في شمال أفريقيا،

---

(1) Jamil M.Abun - Nasr, A History of the Maghrib, (Cambridge, the University Press 1975), p.139, 190.

وان أهميتهما تكمن في تصميميهما المعماري، ويقع المسجدان في سوسة بتونس، شيّد المسجد الذي يقع في رباط سوسة (حالياً يسمى قصر الرباط) في سنة 206هـ ـ 821ف[1].

وهو في الطابق الأول من الرباط (أبعاد الرباط 37.70 × 38.80 متر) والمسجد بهذا الرباط مستطيل الشكل (أبعاده 38 × 7 متر) ويشغل كل الجانب الجنوبي الشرقي من الرباط، به عشرة بواكي تسير عمودية على جدار القبلة، بكل منها عقدان، تقسم بيت الصلاة إلى أحد عشر رواق متعامد على جدار القبلة، وعشر دعامات على شكل علامة (+)، هي التي تحمل سقف هذا المسجد المتكوّن أيضاً من أحد عشر قبو برميلي تسير كذلك متعامدة على جدار القبلة.

وهناك بائكة ذات عقود مستعرضة تتقاطع مع العشرة بواكي، أي أنها تسير متوازية مع جدار القبلة، والغرض المعماري منها هو تدعيم الأقبية البرميلية، وهكذا قسم الفراغ الداخلي لهذا المسجد إلى اثنين وعشرين فراغاً، والمحراب له عقد على شكل حذوة الفرس.

أما مسجد أبو فتاتة، الذي شيد في 223هـ ـ 226هـ (838 ـ 841)[2]، فهو أصغر حجماً من المسجد السابق، وأبعاده 7.71 × 7.88 متر.

وتقسم الفراغ الداخلي لهذا المسجد أربع دعامات، على هيئة علامة (+)، إلى تسع فراغات متساوية مسقوفة بتسعة أقبية برميلية، وتحمل الدعامات أربعة بواكي متقاطعة، كل منها لها ثلاثة عقود على هيئة حذوة الفرس، ومسجد أبو فتاتة له أيضاً محراب على هيئة عقد حذوة الفرس، ويتقدم مدخل المسجد رواق صغير به عمودان (Portico - in - Antis)، وهذان المسجدان خاليان من الزخرفة، وان أسلوب بنائهما بسيط. ويعتبر المستشرق (K.A.C. Cres Well)

---

(1) Alexandre Lezine, «Deux Ribat du Sahl Tunisien», Les Cahiers de Tunisie, XV, Tunis Institut des Hatues pp. 279 - 285. Etuden, 1956, 279 - 285.

(2) المرجع نفسه.

إن مسجدي قصر الرباط وأبو فتاتة، وخاصة المسجد الأخير، هما نموذجان أوليان لكل المساجد المسقوفة بأقبية برميلية في شمال أفريقيا[1].

إن وجود عدد كبير من المساجد المشابهة، المسقوفة بأقبية برميلية، في مدينة طرابلس وضواحيها، والمناطق الأخرى المجاورة تزيد هذه النظرية تأييداً كما ستوضح ذلك نصوص التجاني.

والمساجد التي شيدت في تونس في العصر الحفصي (625 ـ 982هـ) (1228 ـ 1574ف) تمثلها المساجد الآتية:

المساجد الجامعة تشمل:

1 ـ جامع القصبة (633هـ ـ 1235ف)[2].

2 ـ جامع الهواء (منتصف القرن الثالث عشر)[3].

3 ـ جامع الزيتونة البراني (أو جامع الزرارعية) (682هـ ـ 1282)[4].

4 ـ جامع الحلق (777هـ ـ 1375ف)[5].

5 ـ جامع باب الأقواس (بداية القرن الخامس عشر الإفرنجي)[6].

وقد شيدت هذه الجوامع في مدينة تونس.

---

(1) Creswell, E.M.A. I, PI.I pp. 246 - 253.

(2) Abdel Aziz Daoulatli, Tunis sous le Hafsids, Evolution Urbaine et Activite Architecturale, (Tunis, Institut National D'archeologie et D'art, 1976), pp.176 - 199. Figures 24, 26.

عبده محمد بن الخوجة: تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، (تونس المطبعة التونسية، 1939)، ص91 ـ 95.

(3) الدولاتلي، ص200 ـ 203، أشكال 43 و44.

(4) سليمان مصطفى زبيس: القباب التونسية في تطورها، (تونس، المعهد الوطني للآثار والفنون 1959) ص31 و32، شكل 39 و40. (المسجد نسخة مصغرة من جامع الزيتونة خاصة بالنسبة لمعالجة شكل القبة والمحراب).

(5) Georges Marcais, L'architecture Muslumane D'occident (Paris, Art et Metiers, Graphiques Press, 1954), pp. 459, 460, Figure 260.

(6) نفس المرجع، ص460 وشكل 261.

والمدارس والأضرحة التي بها مساجد صغيرة هي:

1 - المدرسة الشمّعية (633هـ - 1235ف)[1].

2 - المدرسة المنتصرية (838 - 841هـ) (1434 - 1437ف)[2].

ضريح سيدي أبو القاسم الزلليزي، توفي في 902هـ - 1496ف)[3] به مسجد صغير.

فالمساجد الجامعة هذه لها خصائص مشتركة، فهي متسعة ومعمدة، يتكوّن الجامع غالباً من قاعة صلاة مستطيلة مبنية من الحجارة الحسنة الصقل، وتنحصر الزخرفة في هذه الجوامع في منطقة المحراب وقبة بهو المحراب والمدخل والمئذنة، وبيت الصلاة في هذه الجوامع يحاط من الخارج بأكثر من رواق من ثلاثة جوانب من بيت الصلاة وكذلك أكثر من صحن[4]. إن وجود مثل هذا الرواق أو الأروقة، التي تحيط ببيت الصلاة من الخارج، وتعدّد الصحون في الجامع الواحد[5]، هي ظواهر معمارية جديدة ومثيرة، ومثل هذه الملامح المعمارية يمكن رؤيتها في الجوامع التي شيدت في الفترة العثمانية في كل من ليبيا وتونس[6].

---

(1) الدولاتلي، ص222 - 224، الخوجة، ص176 - 178.

(2) نفس المرجع، ص224 - 227، الخوجة، ص184 - 186.

(3) الدولاتلي، ص206 - 213، شكل 45 (ينسب المسجد الصغير إلى الدولة الحسينية) انظر ص208.

(4) أغلب المصادر الفرنسية تطلق على هذا النوع من المساحة المحصورة صحون.

(5) جامع القصبة له رواقان وثلاثة صحون تحيط ببيت الصلاة.
وجامع الهواء له ثلاثة صحون تحيط ببيت الصلاة.
وجامع باب الأقواس له صحن واحد، ورواق واحد خارج بيت الصلاة.

(6) جامع يوسف داي 1025هـ - 1616ف.
جامع حمودة باشا 1066هـ - 1655.
جامع الجديد 1129هـ - 1716.
جامع سيدي محرز 1086هـ - 1675.
تقع هذه المساجد في تونس.

أما نظام التسقيف في هذه الجوامع فيختلف، بعضها ذات أقبية برميلية، والبعض الآخر ذات أقبية برميلية متقاطعة، أو سقف يجمع بين هذين النظامين من الأسقف والبعض الآخر من الجوامع لها أسقف مسطحة، وفي كل هذه الجوامع استخدمت دعامات وأعمدة، ودعامات ساندة ملتصقة بالجدران، لحمل العقود وتقسيم الفراغ الداخلي لقاعة الصلاة إلى فراغات متساوية، هذا الترتيب الداخلي لهذه الجوامع يبين استمرارية للنوع القديم من المساجد الجامعة، ووجود قبة تغطي منطقة المحراب، ووجود مئذنة مربعة يدعم ويبرهن على هذه الاستمرارية[1].

وما يجب التنويه عنه أن مساجداً، بهذا النوع والضخامة والفخامة، لم يشيّد في ليبيا في العهد الحفصي، على أن نوعاً من هذه الجوامع وصل تأثيره إلى ليبيا في بداية العهد العثماني، والمسجد الوحيد المشابه لهذه الجوامع التونسية، هو جامع مراد آغا بتاجوراء، الذي شيّد في سنة 960هـ ـ 1553ف جدول «ب» مسقط أفقي 47) (راجع التحليلات المعمارية ومصدر التأثير في الفصل الثامن من هذا الكتاب).

أما المساجد الصغيرة، التي توجد ضمن أبنية المدارس كالمدرسة الشمعيّة والمنتصريّة، عادة تتكوّن من ثلاثة أروقة، إما متوازية[2] أو متعامدة على جدران القبلة[3]، وفي بعض الأحيان تكون أسقفها مسطحة محمولة على بواكي تحملها أعمدة، أو دعائم، ودعائم ساندة[4]. إن مساحة وعدد الأروقة

= جامع محمد شائب العين 1111هـ ـ 1699.
جامع أحمد القرمانلي 1150هـ ـ 1738.
جامع مصطفى قرجي 1249هـ ـ 1834.
وتقع هذه المساجد في طرابلس.

(1) ومن أمثلة ذلك مسجد القيروان والزيتونة وجامع سوسة.

(2) الدولاتلي، شكل 45.

(3) نفس المرجع، شكل 58.

(4) في تخطيطها العام ونظام تسقيفها فهذه المساجد تشبه مسجداً آخر في زاوية سيدي علي الفرجاني في مدينة ساحل الأحامد سوق الخميس، انظر كتاب الزاوي: معجم، ص166، 167 ـ الزاوي: أعلام، ص194 يعطي التاريخ 1115هـ ـ 1703.

وخلو المسجد من الزخرفة، ومقدار الصنعة لهذه المساجد التونسية الصغيرة يذكرنا بالمساجد الليبية الصغيرة المماثلة، وبعض هذه المساجد سبق ذكرها والبعض الآخر سنتناوله فيما بعد، هذه المساجد الليبية أثبتنا وسنثبت أكثر فيما بعد إنها ترجع إلى الفترات السابقة للعهد العثماني (جدول «ب» مسقط أفقي رقم 40، 50، 51، 52، 53، جدول «ج» مسقط أفقي رقم 62، 63)، غير أن الفرق هو إن المساجد الليبية غالباً ما تغطيها اسقف من ثلاثة أقبية برميلية متوازية على جدار القبلة، والبعض الآخر لها أسقف مسطحة، في حين إن المساجد التونسية المماثلة لها ثلاثة أروقة ذات أسقف مسطحة.

ومما يجب توضيحه في هذا الخصوص، أن المساجد الليبية الصغيرة المشابهة، وغير المؤرخة تتشابه مع تلك المساجد التونسية التي توجد مع كل من مسجد رباط القصر ومسجد أبو فتاتة، اللذين شيدا في العهد الأغلبي (800 ـ 909ف) (821ف و830 ـ 841ف على التوالي).

تطرقنا في الصحفات السابقة إلى أن ليبيا خضعت للحكم الحفصي في تونس في سنة 626هـ ـ 1228ف، الذي استمرت سيطرته على المنطقة حتى سنة 1510ف، إلا أنه في هذه الفترة استقل بعض زعماء القبائل المحلية عن الحفصيين لبعض الوقت، وتشير المصادر الأدبية إلى أن سكان المناطق الليبية غالباً ما كانوا يثورون ضد نظام الحكم والإدارة الحفصية.

وعلى الرغم من عدم الاستقرار السياسي، فقد أشارت المصادر إلى أن طرابلس كانت المدينة الوحيدة في ليبيا، التي ازدهرت في المنطقة الجغرافية الواقعة بين تونس والإسكندرية في العهد الحفصي[1].

كما تشير المصادر أيضاً إلى أن مدينة طرابلس شيدت بها بعض المساجد والمدارس والمستشفيات، وأبنية أخرى متعددة[2].

---

(1) ليو أفريكانوس، ج3، ص738، فيروه، الحوليات، ص77 و78، زيادة، ص259.
(2) نفس المرجع.

أضف إلى ذلك إن المصادر التاريخية تعطينا وصفاً للتطور الاقتصادي والفني والثقافي لمدينة طرابلس، خاصة في المرحلة الأخيرة من العصر الحفصي(1). ومن الواضح أن هذا الانتعاش الثقافي يرجع إلى النمو التجاري بين أفريقيا وأوروبا عن طريق طرابلس(2).

وفي الحقيقة فإن النص التاريخي الوحيد المفصل، إلى حد ما لمنطقة طرابلس الغرب، في فترة العهد الحفصي نجده في كتاب رحلة التجاني، الذي ألّفه أبو محمد عبد الله بن محمد التجاني، الذي كان كاتباً للوزير الحفصي، أبو يحيى بن أحمد اللحياني في عهد السلطان أبو عصيدة (1295 ـ 1309ف)(3). وقد رافق التجاني الوزير أثناء رحلته ثمانية عشر شهراً بين 706 ـ 708هـ (1307 ـ 1308ف).

وفي أثناء مكوثه في منطقة طرابلس، درس التجاني التطور السياسي، والاجتماعي والاقتصادي، والثقافي، والمعماري لمنطقة طرابلس الغرب، وحسب وصفه إن طرابلس كانت مدينة مزدهرة.

ويبين التجاني في مبالغة إن المساجد في طرابلس كانت من الكثرة بحيث تفوق عدد البيوت(4). وقد ضمن التجاني في رحلته كل المساجد، التي شاهدها أو سمع عنها، ومع أن كتاب رحلة التجاني يعتبر الوحيد المفصل نوعاً ما، عن منطقة طرابلس الغرب، في الفترة الحفصية إلا إن هذا النص غير كاف ليعيننا على تكوين فكرة دقيقة عن التقاليد المعمارية للمسجد الليبي في هذه الفترة، تكمن المشكلة في أن الذي نعرفه، من وصف التجاني هو أسماء المساجد

---

(1) Leo Africanus, Vol3, pp.738 - 740, Feraud, نفس المرجع Constanzio Bergna, Tripoli Dal 1510 al 1850. Trans., Khalifa M. Tillisi Tripoli, Libya, Editor Ferjani 1969, p.24, 25.

(2) Leo Africanus, Ibid, M.Elie de la Primaudie, le Littoral de Paris, la Tripolitania commerce, Navigation, Geographie Compare (Arthurs Bertrand 866), pp.128, 129.

(3) أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، (تونس: المكتبة العتيقة 1966) ص56 هامش رقم 1.

(4) التجاني، ص254.

بدون ذكر وصف لها، خاصة فيما يتعلق بمخططاتها، والمواد المستخدمة في البناء، ونظام التسقيف، وأنواع الزخارف، والأشكال المعمارية المختلفة، علاوة على ذلك أن بعض أسماءالمساجد التي يعطيها ما زالت مستخدمة، والبعض الآخر قد تغير، لذلك في غياب الإثبات الكتابي على الأبنية، أو أي معلومات موثوق بها حول المساجد والجوامع، التي ما زالت باقية، فهذه الدراسة تعتمد على تحليل الشكل المعماري، طرق التسقيف، المخططات الأرضية، والمقارنة من أجل الوصول إلى نتائج تقريبية عن تواريخ المباني تحت الدراسة، وتشمل المقارنة المساجد والجوامع التونسية المؤرخة والموثقة في الفترة الحفصية، والفترات السابقة لها التي ذكرت أعلاه، وتلك التي ذكرها التجاني وغيره من المؤرخين المؤلفين، والمقارنة تشمل كذلك تلك المساجد والجوامع الليبية الموثقة والمؤرخة، التي شيدت في العهد العثماني التي سيتم مناقشتها في الفصول التالية، بعد مجيء الأتراك إلى ليبيا حدث تطور جذري في الطراز المعماري للمسجد الليبي، خاصة في طريقة التسقيف، ونوع مخطط المسجد والتي تختلف عن تلك التي شاهدناها في المساجد غير المؤرخة.

إن المعلومات المتعلقة بالمعماري الديني لمنطقة طرابلس الغرب، توجد في مواقع مختلفة من كتاب رحلة التجاني، وسنعرضها في تسلسل تاريخي ونبدأ بـ:

مسجد الشعاب:

يقع مسجد الشعاب في الجانب الشرقي من مدينة طرابلس[1]، ولم تذكر المصادر اسم المواطن الذي شيده، وبعد فترة قصيرة من بداية التشييد أصبح هذا المواطن عاجزاً مالياً عن الاستمرار في البناء، وفي هذه المرحلة تولى مسؤولية استكمال المشروع شخص اسمه أبو محمد عبد الله الشعاب، والذي كانت حرفته النجارة ومشهور بورعه وتقواه، وقد توفي في سنة 243هـ ـ 857ف[2].

---

(1) البكري، ص7، التجاني ص247، الزاوي: معجم، 313، إحسان عباس، ص104.

(2) ابن عبد الحكم، ص171، التجاني، ص247 و248، الزاوي: معجم، ص313 و314، إحسان عباس، ص106.

ولم يذكر التجاني وصفاً لشكل وبناء المسجد[1]. والبكري بدوره لم يذكر شيئاً عن المبنى أو تفاصيله المعمارية في زيارته لليبيا في نحو 1028 ـ 1094ف[2]. وقد أرجع الشيخ الطاهر الزاوي (1968) في معجمه هذا المسجد إلى القرن الثالث الهجري، والتاسع الإفرنجي[3].

وهناك مسجد مازال قائماً في الجزء الشرقي من مدينة طرابلس يحمل هذا الاسم، ثم أزيل في بداية السبعينات، وأقيم على موقعه جامع جديد له تخطيط مخالف لمخطط المسجد القديم سنة 1976[4].

جامع طرابلس:

أشار التجاني إلى أن جامع طرابلس بناه أبو عبيد، على يد عبد الله بن أبي مسلم، وخليل بن إسحاق في 300هـ ـ 900ف[5].

وكان الجامع يقع بالقرب من المدرسة المستنصرية، التي كانت تقع بالقرب من قوس ماركوس أوريليوس، وقد وصف التجاني هذا الجامع بأنه كان كبيراً ومتسعاً، وان له أعمدة مرتفعة، وبيَّن أن سقف الجامع كان قد جدد حديثاً (أي قبل زيارة التجاني لهذا الجامع)، كما ذكر إن الجامع له مئذنة[6] كبيرة مشيدة على أعمدة، وكان بدنها العلوي سداسي الأضلاع[7].

وبالإضافة إلى وصف التجاني لجامع طرابلس، فقد أعطى البكري وصفاً مشابهاً، وذكر بأن الجامع كان كبيراً وحسن البناء[8].

---

(1) الزاوي، نفس المرجع.
(2) ابن عبد الحكم، ص171، البكري، ص7.
(3) الزاوي، نفس المرجع.
(4) المسجد الجديد ما زال يحمل نفس الاسم القديم.
(5) التجاني، ص253، الزاوي: معجم، ص91، 92 ـ عمر أحمد مختار: النشاط الثقافي في ليبيا. (بيروت، دار الكتب، 1971) ص107.
(6) ذكر البكري أن جامع إجدابية كانت له صومعة مثمنة.
(7) التجاني، ص253.
(8) البكري، ص7.

وقد أعطى العبدري بدوره وصفاً مشابهاً لجامع طرابلس بأنه كان حسن البناء[1]. وهكذا يتضح بأن وصف التجاني لهذا الجامع يتمشى مع الوصف الذي ذكره كل من البكري والعبدري، ومما يتضح من هذه النصوص إن الجامع كان حسن البناء وكبيراً وسقفه محمولاً على أعمدة وله مئذنة غير عادية الشكل، وقد اندثر هذا الجامع ولم يعد له وجود الآن.

جامع الجدة:

ذكر التجاني بأن هذا الجامع شيد في العهد الأغلبي (800 ـ 909ف) وشيدته جدة بني الأغلب، كان هذا المسجد يقع خارج مدينة طرابلس بالقرب من المقبرة، كما كان يسمى أيضاً بمسجد البارزي، نسبة إلى الشيخ أبي زكريا البارزي، كما كان يسمى أيضاً بمسجد أبي عثمان سعيد ابن خلفون الحساني[2]، وهو مندثر ولم يعد له وجود الآن.

جامع طرابلس الأعظم:

ذكر التجاني هذا الجامع بأنه كان يوجد بالقرب من أسوار مدينة طرابلس، بين باب البحر والباب الأخضر[3]. ويضيف التجاني بأن الإمام المهدي زار هذا المسجد أثناء رحلته إلى مصر، ولم يذكر التجاني اسم مؤسسه وتاريخ تأسيسه، ولم يعطي وصفاً للمسجد، وكل الذي ذكره التجاني أنه كانت هناك نافورة أو حنفية بالقرب من الجامع.

والوصف الذي أشار إليه التجاني يناسب موقع جامع الناقة الحالي، ويرى الشيخ الطاهر الزاوي أن هذا الجامع شيده الفاطميون، ومن المحتمل أن الذي شيده هو المعز لدين الله الفاطمي، الذي مكث في طرابلس أثناء ذهابه إلى مصر

---

(1) العبدري، ص77.

(2) التجاني، ص249، الزاوي: معجم، ص312، إحسان عباس، ص104.

(3) التجاني، ص245، الزاوي: معجم، ص94 و95، إحسان عباس، ص104.

بين الرابع والعشرين من ربيع الأول، والسابع عشر من ربيع الآخر سنة 362هـ[1].

وغاسبري ميسانا يرى بدوره إن جامع طرابلس الذي بناه بنو عبيد، هو في الحقيقة الجامع الذي زاره المعز لدين الله الفاطمي أثناء رحلته من المهدية إلى القاهرة، ويرى ميسانا أن المعز لدين الله تقديراً منه لما قام به أهل طرابلس من حفاوة بالغة أثناء وجوده في طرابلس، قد منحهم ناقة محملة بالذهب لصرفها على تجديد وتوسيع جامع طرابلس[2]. ويبدو إن الاعتقاد في هذه الأسطورة من قبل الأهالي الغرض منها تفسير سبب تسمية الجامع بجامع الناقة.

جامع الناقة:

وجامع الناقة الحالي (جدول «ب» مسقط أفقي رقم 43) يقع بالمدينة القديمة على بعد نحو 50 متر غرب جامع أحمد القرمانلي (1738)، وقد دمره الأسبان ضمن المساجد والأبنية الدينية، التي دمرت عند احتلال الإسبان لطرابلس سنة 1510، وبقي الجامع في حالة خراب لمدة ما يقرب من قرن من الزمان حتى جدده الوالي التركي صفر داي، وإلى ولاية طرابلس الغرب، واستخدمت في البناء الحالي بقايا الجامع الأول[3]. والمسجد الحالي مسقوف باثنتين وأربعين قبة وسبعة أقبية برميلية.

مجموعة أخرى من المساجد:

وأشار التجاني إلى مجموعة أخرى من المساجد، منها مسجد الخطاب الذي كان يقع على الجانب الشرقي من طرابلس[4]، وينسبه الطاهر الزاوي إلى

(1) الزاوي: تاريخ، ص194، إحسان عباس، ص104.
(2) ميسانا، ص164 ـ 167.
(3) المرجع نفسه، اللوحة التذكارية التي فوق المدخل تحمل تاريخ البناء واسم الوالي الذي أعاد بناء المسجد.
(4) التجاني، ص248.

الشيخ أبي نزار خطاب البرقي، الذي توفي في سنة 373هـ ـ 983ف[1]. ولا يوجد حالياً جامع بهذا الاسم وقد اندثر بمرور الزمن.

وذكر التجاني مسجداً آخر، وهو مسجد ابن فرج، الذي شيده الفقيه أبو مسلم مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي، الذي توفي في سنة 442هـ ـ 1050ف، ويحدد التجاني موقع هذا الجامع بأنه كان بداخل المدينة، بين جامع طرابلس وبين جامع الفقيه أبي الحسن بن محمد المنمر الطرابلسي، الذي ولد في سنة 348هـ[2]. ولم يذكر التجاني شيئاً آخر عن هذا المسجد، والموقع الذي أشار إليه التجاني لهذا المسجد ينطبق على موقع جامع سيدي عطية الفلاح الحالي ـ (جدول «أ» مسقط أفقي رقم 27)، وإذا قبلنا بنظرية ميسانا القائلة بأن جامع طرابلس الأعظم هو جامع الناقة عليه يمكن اعتبار المسجد المسمى بمسجد ابن فرج معادلة بجامع الخروبة، (جدول «أ» مسقط أفقي رقم 31) الذي يقع على بعد نحو 150 متر شمال غرب جامع الناقة.

وعلى العموم يرجع كل من جامع سيدي عطية، وجامع الخروبة إلى الفترة العثمانية (بالنسبة إلى الجزء الجديد من جامع الخروبة) وان تاريخها غير واضح بالتحديد، وانه لا يوجد مسجد يحمل اسم ابن فرج حالياً.

(راجع المناقشة الخاصة بجامع الخروبة في الفصل السابع من هذا الكتاب).

وذكر التجاني مسجد الشيخ أبى الحسن علي بن أحمد الخطيب، الذي قام بالوعظ والتدريس فيه لمدة ما يقرب من أربعين سنة[3]. ولم يذكر التجاني موقع الجامع ولم يصفه أيضاً، والمصادر التي كتبت بعد التجاني تكرر نفس الكلام الذي ذكره[4]، ولا يوجد في الوقت الحاضر مسجد يحمل هذا الاسم ومن الواضح أنه اندثر.

---

(1) الزاوي: أعلام، ص102.

(2) التجاني، ص264، 265، إحسان عباس، ص212 و213.

(3) التجاني، ص251.

(4) النائب: نفحات، ص78.

وأشار التجاني كذلك إلى مسجد العشرة، الذي ذكر أنه شيد في النصف الأول من القرن الثاني عشر الإفرنجي، قبل خضوع طرابلس للموحدين[1]. وبين التجاني أن المسجد كان يقع خارج أسوار طرابلس، وكان ابن مطروح ومجلس الشيوخ العشرة، الذي كان يرأسه وكانوا يناقشون فيه أمور البلد[2]. ومن الواضح إن المسجد مندثر.

وباختصار شديد يتضح أن المعلومات، التي أوردها التجاني، في كتابه عن مساجد طرابلس وضواحيها، لا تلقى ضوءاً واضحاً، ولا تعطي تفاصيل عن معمار المسجد الليبي في هذه الفترة، وان ما عرفناه منها هي أسماء المساجد بدون ذكر لوصفها، والاسم الوحيد الذي ذكره التجاني، ولا زال مستخدماً حالياً هو جامع الشعاب، وان الوصف المعماري الوحيد الذي ذكر هو وصف مئذنة جامع طرابلس وبيت صلاته المعمد.

مسجد سيدي عبد الوهاب القيسي:

ذكر التجاني في رحلته قبر سيدي عبد الوهاب القيسي وبعض المدارس[3]. وبين انه زار ضريح سيدي أبي محمد عبد الوهاب القيسي، وذكر أن قبره يقع في مدينة طرابلس على الجانب الشمالي قرب البحر[4]. ويوجد في الوقت الحاضر بناء صغير يتكوّن من ضريح مسقوف بقبو برميلي، تتوسطه قبة صغيرة، ومسجد صغير مسقوف بثلاثة أقبية برميلية متعامدة على جدار القبة يحمل هذا المسجد اسم الشيخ سيدي عبد الوهاب القيسي (جدول «ب» مسقط أفقي رقم 48)، وسندرس هذا الجامع بالتفصيل حين نناقش المساجد الصغيرة من هذا النوع في الفصل الثامن.

---

(1) التجاني، ص251.
(2) المرجع السابق، إحسان عباس، نفس المصدر، الزاوي: معجم، ص314.
(3) التجاني، ص237 و238.
(4) المرجع السابق، ص259.

وقد شملنا بالدراسة كذلك المدارس، لأن بعضاً منها ملحق بها مساجد صغيرة، كما هو الحال في بعض المدارس التونسية التي شيدت في العصر الحفصي، مثل المدرسة الشمعية والمنتصرية التي ذكرت في الصفحات السابقة[1]. اشار التجاني إلى وجود بعض المدارس في مدينة طرابلس وان أحسنها بناءً هي المدرسة المنتصرية التي شيدها أبو محمد بعد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا (606 ـ 684هـ) في الفترة ما بين سنة 655 و658هـ (1257 ـ 1259ف)[2].

ويضيف التجاني أن هذه المدرسة كانت كبيرة، وحسنة البناء، وتقع بالقرب من قوس ماركوس أوريليوس، ومن الواضح أن هذه المدرسة قد اندثرت، وهكذا نرى أن ما ذكره التجاني متطابق مع ما ذكره كل من ابن رشيد السبتي، الذي زار طرابلس سنة 1286ف، وتوفي في سنة 1324ف[3]، والعبدري الذي زار ليبيا في سنة 1290ف[4].

مساجد وزوايا جنزور:

ضمّن التجاني في كتابه بعض المساجد التي تقع في جنزور، وهي منطقة آهلة بالسكان، تقع غرب طرابلس بنحو خمسة عشر كيلو متراً، ومن هذه المساجد:

مسجد جنزور القديم:

يتكون المسجد الحالي من قاعة صلاة وصحن، ويحيط بهذا الصحن رواقان، يقع أحدهما على الجانب الجنوبي الغربي والآخر على الجانب

(1) الخوجة، ص176، 184 ـ انظر كذلك قائمة المساجد على صفحة 173، الدولاتلي، ص222 ـ 227.
(2) التجاني، ص215 و252، الزاوي: معجم، ص304 و305، إحسان عباس، ص218 و220.
(3) الزاوي: معجم، ص304 و305، إحسان عباس، ص218 و220.
(4) العبدري، ص77.

الشمالي الغربي، أما المئذنة ـ السلم فتشغل الجانب الشرقي من المسجد من الخارج (راجع الفصل الثالث حول مناقشة أصل ونشأة المئذنة ـ السلم في معمار المسجد بصفة عامة)، بيت الصلاة مسقوف بثلاثة أقبية برميلية متوازية مع جدار القبلة، محمولة على ستة عقود نصف دائرية، التي بدورها تحملها أربعة أعمدة من الرخام، كل واحد منها من قطعة واحدة، ودعامات ساندة ملتصقة بالجدران من الحجر، تيجان الأعمدة كورنثية، مأخوذة من الواضح من أبنية قديمة، محراب المسجد بسيط، عبارة عن تجويف غير عميق في جدار القبلة، المنبر بدوره بسيط يتكون من ثلاث درجات من الحجر، والمبنى كله خالٍ من الزخرفة.

وجامع جنزور القديم يشبه جامع أبو فتاتة، الذي يقع في مدينة سوسة في تونس، والذي شيد في سنة 838 ـ 841ف، كما يشبه أيضاً مجموعة من المساجد، التي تقع في منطقة جنزور نفسها، وكذلك طرابلس وضواحيها ومنها مسجد السيّاح (معلومات أوفى في صفحة 87 ـ 91).

هذا الجامع يقع في جنزور وله تخطيط مشابه لتخطيط مسجد جنزور القديم، يتكوّن من صحن وبيت صلاة مسقوف بثلاثة أقبية برميلية متوازية مع جدار القبلة، وهناك مساجد أخرى تشبه هذين المسجدين تقع في طرابلس وسوق الجمعة: منها مسجد سيدي عبد الوهاب القيسي، سيدي سالم المشاط (الجزء القديم)، سيدي إسماعيل بن يربوع (الجزء القديم) مسجد العمروص بسوق الجمعة مسجد الشعاب القديم (جدول «ب» مسقط أفقي رقم 48 و50 و53).

فكل هذه المساجد تشبه في كل شيء، جامع جنزور القديم وجامع أبو فتاتة، وكل المساجد الليبية من هذا النوع يمكن إرجاعها إلى الفترة السابقة للعهد العثماني، من خلال المصادر الأدبية، ودراسة الشخصيات المنسوبة إليها، ودراسة الأضرحة المقامة إلى جوارها، وكذلك من خلال الأقوال المأثورة المتداولة، والتي ستناقش فيما بعد.

والجدير بالذكر أن التجاني أشار إلى أن جامع جنزور القديم شيده عمرو بن العاص في نحو 23هـ ـ 643ف[1]، وتذكر المصادر أن عمرو بن العاص شيد مسجداً بطرابلس، بعد تخليصها من البيزنطيين، وتشير المصادر إلى أن الموقع، الذي شيد عليه عمرو مسجده هو الموقع المقام عليه حالياً جامع أحمد القرمانلي (1738)[2].

والمعلومات التي ذكرها التجاني عن مسجد عمرو بن العاص يمكن ربطها بمسجد جنزور القديم وهو أقدم المساجد القائمة حالياً في منطقة جنزور، ومما يزيد هذا الرأي تدعيماً هو حفر الأساسات للجامع الجديد، الذي أقيم إلى جوار جامع جنزور القديم سنة 1976 وشاهدتها عند زيارتي الميدانية في هذه السنة للموقع، بينت أن جدران المسجد القديم من الخارج أغلبها مغطاة بسبب تراكم الرمال عبر القرون والملامح المعمارية واستخدام الأقبية في التسقيف، وتخطيط البناء، والبساطة في التشييد، وخلو المسجد من الزخرف، كل ذلك يثبت قدم المسجد وجامع جنزور القديم يشبه في كثير من ملامحه جامع أبي فتاته الذي شيّد في سوسة سنة 838 ـ 841ف[3]، والذي يعتبره المستشرق كريسويل النموذج الأول لكل المساجد ذات الأسقف البرميلية الشكل التي شيّدت في شمال أفريقيا.

إن ما ذهب إليه التجاني، وكذلك سكان المنطقة بأن مسجد جنزور القديم شيّده عمرو بن العاص، أمر مشكوك فيه تاريخياً ومرفوض من حيث البناء الحاليّ، وأعتقد أن المسجد في وضعه الحالي يرجع إلى فترة أسبق من العصر الحفصي (1228 ـ 1510ف).

والمسجد الكبير ذو القبة، والذي شرع في تشييده في سنة 1976

---

(1) التجاني، ص251 و252، إحسان عباس، ص218 و220.

(2) التجاني، ص215 و245، نجم الدين غالب الكيب: مدينة طرابلس عبر التاريخ، (القاهرة: دار الجبل الفجالة 1971) ص88 ـ 91.

(3) Lezine, p.279 - 285.

واستكمل بناؤه في عام 1978، أقيم ملاصقاً لمسجد جنزور القديم، وتم هدم جزء كبير من الصحن، ولم يبق من البناء إلا بيت الصلاة لتستخدم الأرضية في بناء الجامع الجديد، ولكي تسمح بالحركة بين المسجدين القديم والجديد، وبحسب ما هو مدون على المخطط والمسقط الأفقي والقطاع للمسجد الجديد، التي قمت بفحصها في موقع البناء، أثناء دراستي الحقلية وإعدادي للأطروحة في صيف 1976، والتي كانت مع المهندس التونسي، الذي كان يشرف على البناء، فإن الجامع الجديد سيطلق عليه «جامع عمرو بن العاص بن عبان»، وتشييد هذا الجامع الجديد إلى جوار جامع جنزور القديم يجعلني أفكر في احتمالين اثنين: إعطاء المسجد الجديد إسماً قديماً يتمشى مع الاعتقاد السائد أن جامع جنزور القديم سيّده عمرو بن العاص، والثاني أن بناءه في الحقيقة هو تخليد الاسم المشيّد الحقيقي لجامع جنزور القديم أو الذي ارتبط اسمه بهذا الجامع، والذي لم يكن عمرو ابن العاص الذي فتح مصر وليبيا، وإنما هو شخص آخر، وهو عمرو بن العاص بن عبان، عليه فالتجاني كان يقصد أو يشير إلى جامع جنزور القديم الذي ربما شيده «عمرو بن العاص بن عبان»[1].

جامع الشيخ أبو الحسن السيقاطي:

ويخبرنا التجاني عن مسجد آخر يقع في جنزور بالقرب من الشاطئ، بناه الشيخ الفقيه أبو الحسن السيقاطي، والذي هو مقبوز بجوار المسجد، والشيخ أبو الحسن السيقاطي توفي في سنة 420هـ ـ 1029ف[2]، (جدول «أ» مسقط أفقي رقم 33)، البناء الحالي يتكوّن من جزئين: الصحن وبيت الصلاة، والأخير مسقوف بتسع قباب محمولة على عقود نصف دائرية، وعلى مثلثات كرويّة في مناطق الانتقال والسقف محمول على هذه الشبكة من العقود التي

---

(1) ما زلت مستمراً في التحري عن هذا الاسم وللأسف لم أوفق لحد الآن.

(2) التجاني، ص219، إحسان عباس، ص212 و213.

ترتكز على أربعة أعمدة، لكل منها من قطعة واحدة. ودعاماتساندة ملتصقة بالجدران الأربعة ثلاثة من هذه الأعمدة لها تيجان استخدمت بكثرة خاصة في العهد القرمانلي (1711 ـ 1835)، هذه الأعمدة الأربعة والعقود التي تحملها تقسم بيت الصلاة إلى تسع وحدات فراغية متساوية، وجعلت الدعامات الساندة من الجدران الأربعة لبيت الصلاة، تبدو كأنها بواكي كاذبة ذات عمق بنحو 30سم.

ومحراب الجامع عبارة عن حنية بسيطة غير عميقة، والمنبر يتكوّن من ثلاث درجات من الحجر، ويحيط بالصحن رواقان أحدهما يقع على الجهة الشماليّة الشرقيّة، ويحتوي على حجرة صغيرة، ومراحيض، وحنفيات للوضوء، أمام الرواق الواقع على الجهة الجنوبية الغربية له بائكة محمولة على عقدين يرتكزان على عمود، هذا الرواق يستخدم للصلاة، أما الجهة الجنوبيّة الشرقيّة من الصحن تشغلها سقيفة ومخزن مستطيل مدخله يقع خارج المسجد، وعلى هذا الجانب من الصحن توجد المئذنة ـ السلم التي تؤدي إلى سطح المسجد، وهذا ملمح معماري شائع في معمار المسجد الليبي، والجامع به دعامات ساندة من الخارج لتحمل الرفس المعماري الذي تحدثه القباب، وهذا أيضاً ملمح معماري شائع في معمار المسجد الليبي في هذه الفترة.

وتشير المعطيات المعمارية إلى أن مسجد سيقاطه (كما يعرف حالياً عند الأهالي) أعيد بناؤه في نحو القرن الثامن عشر، فحالته الإنشائية جيدة، وأنواع الأعمدة وتيجانها، واستخدام المثلثات الكروية في مناطق الانتقال في القباب، كل ذلك يدعم هذا الرأي.

مساجد أخرى على ساحل جنزور:

زار التجاني على ساحل جنزور ضريح الشيخ أبي عبد الجليل الحكيمي، الذي توفي في ربيع الأوّل سنة 685هـ ـ 1286ف، وقد شاهد التجاني هذا

التاريخ مكتوباً على ضريحه[1]، ذكر التجاني أيضاً أن الشيخ الحكيمي شيّد بيتاً بجوار المسجد الذي كان يتعبد فيه، والذي لم يعرف مشيّده الحقيقيّ، وينسب إلى الشيخ الحكيمي، هذا المسجد وهو أحد المحارس التي توجد على طول الشريط الساحلي[2].

وبالإضافة إلى هذه المساجد فقد ذكر التجاني أن عدداً من المساجد الأخرى تقع على الشريط الساحلي قد شيّدها الأغالبة، الذين أقاموا كثيراً من الرباطات، تمتد من الإسكندرية إلى سبته[3]. وعلى أي حال فإن كلمة رباط كما أوضحنا سابقاً، لا تعبّر فقط عن مبنى محصن يحوي مسجداً وحجرات لسكنى المرابطين، كما هو الحال في رباط القصر (يسمّى حالياً قصر الرباط) بمدينة سوسة، وإنما كلمة رباط تشير أيضاً إلى مبنى منعزل، مثل الدير، حيث ينقطع الصوفيّون فيه للعبادة لفترة محدّدة، أو أحياناً طيلة حياتهم وقد كتب البكري أن إقليم طرابلس الغرب تكثر فيه الرباطات، وكان أكثرها شهرة ونشاطاً هو مسجد الشعاب[4]. ومن الواضح أن هذا المسجد لم يكن رباطاً بمفهومه العسكري، وقد أشرنا إلى أن هذا المسجد الصغير قد أزيل سنة 1976 وحلّ محلّه جامع جديد بتخطيط وأسلوب مغاير.

مسجد السيّاح:

من الواضح أن مسجد السيّاح بجنزور هو أحد المساجد أو المحارس، التي اشار إليها التجاني في رحلته، المبنى الحالي يتكوّن من صحن وبيت للصلاة، الجزء الأخير مسقوف بثلاثة أقبية برميلية متوازية مع جدار القبلة، هذه الأقبية يحملها عقدان، كل عقد منهما مرتكز على دعامتين ملتصقتين بالجدران

(1) التجاني، ص219.
(2) يقع المسجد بالقرب من منطقة عسكرية.
(3) التجاني، ص220.
(4) البكري، ص7.

كأن بهما دخلتان عمق كل منها نحو 30 سم، هذا الترتيب لهيكل العقود والبناء لقاعة الصلاة من الداخل امتازت به كل المساجد الليبية التي ترجع للفترات السابقة للعهد العثماني، واستمر هذا الترتيب الإنشائي كذلك في المساجد التي شيّدت في الفترة العثمانية.

والمعالجة المعماريّة للصحن التي رأيناها في كل من مسجد جنزور القديم، ومسجد الشيخ السيقاطي (جدول «أ» مسقط أفقي رقم 33، وجدول «ب» مسقط أفقي رقم 51) هي نفسها بمسجد السياح الذي زود بمئذنة من نوع المئذنة ـ السلم، وقد أقيمت على الجدار الشمالي الغربي من بيت الصلاة، ويشبه مسجد السياح، في تخطيطه العام وأسلوب بنائه، المساجد التونسيّة والليبية من نفس النوع، والتي امتاز بها معمار المسجد في كلا البلدين، خاصة قبل الفترة العثمانية، ويقع هذا المسجد على بعد نحو 3ك.م. شمال موقع مسجل جنزور القديم، وهو غير مؤرخ، ولم يذكره التجاني بالإسم، غير أننا شملناه بالدراسة، ضمن مساجد جنزور القديمة، بسبب تشابه أسلوبه المعماري الواضح مع المساجد التونسيّة والليبية بأقبية برميلية، وعلاوة على ذلك فإن سكان قبيلة السيّاح يعتقدون أن مسجدهم هذا هو من أقدم المساجد الباقية في جنزور، وذكر التجاني أن هناك مجموعة من المساجد على الشريط الساحليّ بجنزور بدون أن يذكر أسماءها.

ومرة أخرى نصل إلى أن المعلومات التي أوردها التجاني عن المساجد الليبية، غير كافية لإعطاء صورة واضحة عن التقاليد الفنيّة والمعماريّة للمسجد الليبي للفترة السابقة للعصر العثماني، وكعادته يعطي التجاني أسماءً بدون وصف لها، ومهما يكن فإن كتاب رحلة التجاني يعتبر المصدر الوحيد الذي أشار إلى مساجد منطقة طرابلس الغرب في العصر الحفصي.

أما الزركشي، وهو مؤرخ من القرن الخامس عشر الإفرنجي، فيعطينا وصفاً مقتضباً عن ازدهار مدينة طرابلس، فأشار إلى أن أبا زكريا اللحياني استقر في طرابلس، وبنى بها قصراً، كان يسمّى «الطارمة» وكانت جدران هذا القصر

مكسوة ببلاطات من القاشاني وبالرخام، وأشار الزركشي أيضاً إل أن اللحياني أنعش الحياة الزراعيّة والاقتصاديّة والفنون والعمارة[1].

ويمكننا إجمال القول، ومن خلال دراسة كتب هؤلاء الرحالة والمؤرخين، إن منطقة طرابلس الغرب، وخاصة مدينة طرابلس وجنزور، كان بها عدد من الأبنية الدينية والمدنية في الفترة الحفصية، بعض هذه المباني أقيمت في العهد الحفصي، والبعض الآخر منها أقيم في فترات سابقة، وإن قليلاً من هذه المساجد ما زال قائماً اليوم، في حين أنه لم يبق من المدارس المذكورة أي منها.

المعمار الإسلامي بعد زيارة التجاني:

زودتنا المصادر المختلفة بمعلومات عن مساجد أخرى ترجع إلى العصر الحفصي، والتي شيدت بعد زيارة التجاني إلى ليبيا، وأول هذه المساجد هو مسجد سيدي عبد الوهاب القيسي، ويقع هذا المسجد في المدينة القديمة بطرابلس، على بعد نحو 50 متراً شمال شرق قوس ماركوس أوريليوس الروماني، المبنى الحالي (جدول «ب» مسقط أفقي رقم 48) عبارة عن مسجد صغير، له ممرّ مسقوف بقبو برميلي يحتوي على الميضأة، وسلم من الخشب يقودنا إلى المئذنة الصغيرة، التي تقع على الركن الشمالي الغربيّ من البناء، وهي تشبه برج المراقبة على أحد الاسوار.

ومن هذا الممرّ يصل الإنسان إلى ممرّ آخر أصغر منه تكتنفه حجرتان، أحداهما تستعمل كمخزن، والثانية بها ضريح سيدي عبد الوهاب القيسي، وحجرة تقع على الجانب الشماليّ الشرقيّ من البناء.

قاعة الصلاة مسقوفة بثلاثة أقبية برميلية متعامدة على جدار القبلة، تحملها أربعة عقود مرتكزة على عمودين، أحدهما له تاج كورنثي، والآخر له تاج عبارة

---

(1) الزركشي، ص65.

عن قاعدة عمود استخدمت كتاج، وهناك دعامتان ساندتان ملتصقتان بجدار القبلة، ومثلهما على الجدار المقابل لجدار القبلة، هذه الدعامات الأربعة تسند العقود الأربعة من هذين الجانبين.

وتجويف المحراب بسيط جداً، والضريح الصغير الملاصق للمسجد مسقوف بقبو برميلي في منتصفه تبرز قبّة صغيرة مثمنة على أربعة حنايا ركنية.

ومع أن التجاني زار قبر الشيخ أبي محمد عبد الوهاب القيسي[1] إلا أنه لم يشر إلى المسجد الصغير الملتصق حالياً بالضريح، وهناك احتمال كبير من أن المسجد شيّد في العصر الحفصي، ويمكن استخدام الملاحظات التي سأذكرها لتكون أسس تحليل تجريبي وتقريبي لهذا الافتراض: وفاة الشيخ عبد الوهاب القيسي كانت في نهاية القرن الثالث عشر الإفرنجي قبل زيارة التجاني إلى ليبيا، لأن التجاني أشار إلى أنه كان من عادته أن يحضر محاضرات الشيخ أبو الحسن، وهو ابن الشيخ عبد الوهاب القيسي[2]. وبما أن التجاني لم يذكر وجود مسجد أثناء زيارته لضريح عبد الوهاب القيسي، عليه فإنه من المحتمل أن المسجد شيّد بعد وفاة الشيخ عبد الوهاب القيسي لتخليد ذكرى هذا الرجل الورع.

وعليه يمكنّنا أن نفترض أن بناء المسجد قد حدث بعد زيارة التجاني بوقت قصير، بالإضافة إلى هذا التحليل والافتراض، فإن الأقوال المحلية المأثورة السائدة تشير إلى أن المسجد هو من أقدم المساجد القائمة في مدينة طرابلس[3].

وابن غلبون وهو معاصر ومؤرخ لفترة أحمد القرمانلي (1711 ـ 1745)، أشار إلى أن كلاً من مسجد الشعاب وسيدي عبد الوهاب القيسي لم يلحقهما

---

(1) التجاني، ص256.

(2) إحسان عباس، ص223.

(3) ابن غلبون: التذكار، ص213، عبد السلام بن عثمان بن عبد السلام الأسمر: كتاب الإشارات (طرابلس ليبيا، مكتبة النجاح، المخطوط مؤرخ في 1094هـ ـ 1682، ص14.

الدمار، الذي أحدثه الإسبانيّون وفرسان القديس يوحنا في مدينة طرابلس[1]. أضف إلى ذلك أن مسجد عبد الوهاب القيسي ينتمي إلى مجموعة المساجد المسقوفة بأقبية برميلية، مثل جامع جنزور القديم، والسيّاح، وسيدي الشعاب، ومسجد سيدي سالم المشاط (القسم القديم) ومسجد إسماعيل بن يربوع (القسم القديم) ومسجد العمروص (جدول «ب» مسقط أفقي رقم 50، 52، 53). والمساجد الثلاثة الأخيرة سيتم مناقشتها فيما بعد، وجميع المساجد هذه تذكرنا، في معظم مكوناتها المعمارية، بالمساجد التونسيّة الصغيرة وخاصة جامع أبو فتاتة.

والمبنى الحالي لمسجد سيدي عبد الوهاب القيسي يعتبر في حالة جيدة بصفة عامة، ويبدو أن أجزاءً منه قد جددت، أو انه أعيد بناؤه بالكامل في القرن العشرين، فالمسجد الحالي كان ملاصقاً من الخارج للقسم الشمالي من سور طرابلس، الذي أزيل أثناء الاحتلال الإيطالي لليبيا (1911 ـ 1943)، والضريح، كذلك له قبة ذات شكل غير عادي، رقبة القبة المثمنة والمرتفعة جداً، يجعل منها قبة فريدة في نوعها ولا تشبه أي من قباب مدينة طرابلس[2].

وهذا الشكل المعماري للقبة قد يحدد الفترة التي أعيد فيها تجديد، أو إعادة بناء المسجد خاصة قبة الضريح، كما سنوضح من خلال التحليل التاريخي التالي.

تبيّن لنا من خلال المصادر التاريخية والأدبية، أنه في أثناء الاحتلال الإسباني لمدينة طرابلس غادرها أغلب سكانها، واستقروا في المناطق المجاورة[3]، هذه الهجرة بلغت مداها وذروتها أثناء احتلال فرسان القديس

---

(1) ابن غلبون: التذكار، ص231.

(2) القباب تشبه بعض القباب الموجودة في بعض كنائس صقلية.

(3) Bergna, Dei Cavalieri di Malta a Tripoli, 1530 - 1551, Trans. Khalifa M. Tillisi (Tripoli, Libya Mu' Assasat al Thakafa (p.42, 44, 1952 Allibya 1969), p. 38, 60, 76.
عمر محمد الباروني الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، (طرابلس، ليبيا، مطبعة ماجي، 1952) ص42 و64.

يوحنا لها (1530 ـ 1551)، حيث بلغ عدد السكان المسلمين المتبقين بالمدينة نحو ستين عائلة حسب بعض المصادر، أو نحو خمسمائة فرد[1].

وكنتيجة لهذا الاحتلال نجح فيردناند الكاثوليكي الإسباني، عن طريق هوجو دي مونكاد في تشجيع بعض العائلات الصقلية للاستقرار في مدينة طرابلس فأنعشوا إلى حد ما الحياة التجاريّة والثقافيّة للمدينة[2]. ونستنتج من ذلك أن بعض الأبنية قد أعيد بناؤها في هذه الفترة من قبل هؤلاء الصقليين المستقرين بطرابلس، وكما أوضحنا سابقاً أن مسجد عبد الوهاب القيسي شيّد ملاصقاً لسور المدينة الشمالي فإن إعادة بنائه في هذه الفترة شيء محتمل.

جامع سيدي سالم المشاط:

وهو أحد المساجد التي شيّدت في طرابلس بعد زيارة التجاني إلى ليبيا، يقع هذا المبنى على هضبة مرتفعة، تشرف على البحر من الشمال، ويسيطر على المدينة من هذا الجانب. تشير المصادر التاريخية إلى إن مؤسس هذا الجامع هو الشيخ المشاط، ولكن لا تشير إلى تاريخ تشييده، وفي اعتقادي أن القسم القديم المسقوف بأقبية برميلية شيّد قبل الاحتلال الإسباني لطرابلس سنة 1510، لأن الشيخ المشاط المقبور في الضريح الملاصق للمسجد توفي في 899هـ ـ 1493ف[3]، ويحتمل أن بناء القسم القديم تمّ قبل وفاة الشيخ المشاط.

إن القسم القديم المسقوف بثلاثة أقبية برميلية متعامدة على جدار القبلة، وهي نفس الطريقة والترتيب الإنشائي والمعماري الذي امتازت به المساجد الأخرى المشابهة التي ذكرت أعلاه، وفي ملامحه العامّة فهو يشبه إلى درجة كبيرة مسجد سيدي عبد الوهاب القيسي.

---

(1) الباروني: ص83، Abun - Nasr, p.193, Rossi, p.51, 60, 70.

(2) Rossi, p.37, 38 (Quotes: G. Longo, Lasicilia e Tripoli Catania 1912).

الباروني، ص64 ـ 66.

(3) النائب: نفحات، ص108.

والكتلة الحاليّة لجامع سيدي سالم المشاط تتكوّن من القسم الصغير الأصلي المسقوف بثلاثة أقبية برميلية، وله محرابه الخاص، والقسم الحديث المسقوف بست قباب وله كذلك محرابه الخاص، وميضأة وكتاب، ومقبرة مفتوحة، وضريحين مسقوفين بقبتين، ومئذنة أسطوانية من الطراز العثماني (جدول «أ» مسقط أفقي رقم 29)، شيّد هذه المجموعة المعمارية الحديثة رمضان بن عثمان رايس في 1080هـ ـ 1670ف[1].

(راجع الفصل الخامس لمزيد من المناقشة والتحليل).

مسجد إسماعيل بن يربوع (الدروج):

يعود مسجد إسماعيل بن يربوع القديم إلى نهاية العصر الحفصي، وهو بداخل المدينة القديمة بطرابلس، على ناصية شارع جامع الدروج، وشارع قوس الصرارعي، وتاريخ بناء الجامع ما زال غامضاً، يبيّن الإثبات الأدبي والتاريخي أن الضريح المسقوف بقبّة، الواقع خلف جدار القبلة، يضم قبر رجل ورع، وتشير أحد هذه المصادر إلى أن ضريح إسماعيل بن يربوع يقع إلى جوار جامع الدروج[2]. وعند تتبعّنا لسير أفراد عائلة بن يربوع أعطتنا مفتاحاً لتحديد تاريخ بناء الضريح، وبالتالي المسجد الصغير ذي الأقبية البرميلية، واستطعنا تتبع سلسلة نسب أفراد عائلة بن يربوع من خلال مصادر تاريخية مختلفة كالتالي:

«هو إسماعيل بن قاسم بن عبد الحميد بن محمد بن يربوع بن مالك بن الوجيه ابن عامر السيناني السليمي»[3].

---

(1) إدارة أوقاف القطر الطرابلسي: كتاب الميزانية الاحتياطية لسنة 1919، (طرابلس: مطبعة الحكومة 1919) ص13.

Muhammed Salim Warfelli, «The Old City of Tripoly», Art and Archaeology Research Papers, (Tripoli, the Antiquities Department 1976), p.10.

(2) كتاب البلدان، ص16.

(3) الزاوي: أعلام، ص88 و155.

ولم يبيّن المصدر تاريخ ميلاده أو وفاته، ولكن نفس المصدر يعطينا المعلومات التالية:

«أحمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن قاسم ابن عبد الحميد بن محمد ابن يربوع بن مالك الوجيه ابن عامر السيناني السليمي توفي في 979هـ ـ 1571ف، ودفن في ديالة بالقرب من الزاوية الغربيّة والمشهور ببحر السماح[1].

وبحر السماح هو حفيد إسماعيل بن يربوع المقبور بجوار جامع الدروج.

وهناك اسم آخر مهم يلقي ضوءاً أكبر على مشكلة التاريخ والمؤسس الحقيقي لمسجد الدروج (القسم القديم)، وأشار أحد المصادر التي تؤرخ السِّيَر لبعض الشخصيات أن:

«عبد الحميد بن إسماعيل بن قاسم ابن عبد الحميد بن محمد بن يربوع ابن مالك بن الوجيه ابن عامر السيناني السليمي ولد بطرابلس وحفظ القرآن على والده في المسجد المعروف بمسجد الدروج، والذي توفي في سنة 928هـ ـ 1521ف وهو والد بحر السماح»[2].

ومن هذه النصوص يتضح جلياً أن الشيخ إسماعيل بن يربوع هو مؤسس جامع الدروج (الجزء القديم الملاصق للضريح)، وهو جد بحر السماح الذي توفي في سنة 1521ف، ولذلك فالمسجد لا بد وأنه شيّد في نهاية القرن الخامس عشر القديم الإفرنجي أو بداية القرن السادس عشر، يتكون المبنى حالياً من القسم القديم، المسقوف بأقبية برميلية متوازية مع جدار القبلة، وله محراب، والمسجد الحديث وهو عبارة عن قاعة صلاة مربعة مسقوفة بتسع قباب، وبها محراب، ومئذنة على هيئة برج مراقبة، ميضأة، ومراحيض وحمام، وضريح مقبى (جدول «أ» مسقط أفقي رقم 30).

(راجع الفصل السادس لمزيد من التحليل الخاص بهذا الجامع).

---

(1) النائب: نفحات، ص103 و198 ـ 199.

(2) الزاوي: المرجع السابق.

مسجد العسوسي:

إن مسجد العسوسي (الاسم محرف عن عيسى الأوسي) هو أحد المساجد التي شيّدت في المرحلة الأخيرة من العصر الحفصي، ويقع في المدينة القديمة بطرابلس، أوضح أحمد النائب الذي توفي في طرابلس في العقد الأخير من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الإفرنجي) وهو أحد أفراد عائلة العسوسي، التي جاءت أصلاً من الأندلس في نهاية القرن السابع الهجري، الثالث عشر الإفرنجي، أوضح أن مسجد العسوسي قد شيّده عبد العزيز بن محمد الأوسي الأنصاري، في الفترة الأخيرة من العصر الحفصي، قبل الاحتلال الإسباني لمدينة طرابلس في سنة 1510ف[1]. وذكر أحمد النائب أن مؤسس المسجد ترك طرابلس واستقر في غريان حيث شيّد مسجداً آخر[2]، حدث هذا بعد احتلال الإسبان لطرابلس، ومكث عبد العزيز في غريان حتى وفاته هناك، أما ابنه أحمد الذي توفي في سنة 1023هـ ـ 1614ف، رجع إلى طرابلس عندما استولى عليها الأتراك في سنة 1551ف[3].

وهكذا يتضح أن تشييد مسجد العسوسي بطرابلس قد تمّ في الفترة الأخيرة في العصر الحفصي قبل احتلال الإسبان بطرابلس.

المسجد الحالي يتكوّن من قاعة صلاة مربعة الشكل، أبعادها (نحو 7 × 7 متر)، وصحن به رواق، ومئذنة من نوع المئذنة ـ السلم ـ بيت الصلاة مسقوف بأربعة قباب صغيرة، محمولة على أربعة عقود، يحملها عمود واحد ومن قطعة واحدة في وسط القاعة، وترتكز العقود على دعامات ساندة ملتصقة في وسط كل جدار، وكل قبّة محمولة على منطقةالانتقال التي تتكوّن من أربعة حنايا ركنية، وأربعة عقود كاذبة في وسط الأضلاع الأربعة المحوريّة لمنطقة

(1) النائب: المنهل: ص325 و326، انظر ص146 لمزيد من معرفة الأسماء المدونة وشجرة الأنساب للعائلة.
(2) نفس المرجع، ص326.
(3) المرجع نفسه.

الانتقال، وهذه العقود الكاذبة لها نفس الشكل والاتساع والارتفاع الذي عليه الحنايا الركنية الأربعة، من أجل الحصول على تماثل معماري وفني لمنطقة الانتقال، وهو المثمن الذي يحمل القبة، ومنطقة الانتقال محصورة بين حليتين معماريتين بارزتين قليلاً عن السطح، تسيران متوازيتين على طول أضلاع منطقة الانتقال، لتأكيد تحديدها، كما أن منطقة المحراب قد حددت بحلية معمارية مشابهة.

إن الحالة الإنشائية التي عليها مسجد العسوسي الآن هي حالة جيدة جداً، ولا نعرف فيما إذا كان المسجد قد جدد، أو أعيد بناؤه في فترة لاحقة على الأرجح هي الفترة العثمانية، وهذا المسجد في الحقيقة يتبع مجموعة من المساجد المشابهة التي لها نفس الخصائص المعمارية والفنية، والمعالجة الفراغيّة لبيت الصلاة، وإن أغلب هذه المساجد ترجع إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر الإفرنجي.

(جدول «أ» مسقط رقم 14، 16، 17، 19، 20، و21 ـ راجع أيضاً القائمة رقم 3 في الفصل السابع).

ويبدو جلياً أن مسجد العسوسي بالمدينة القديمة بطرابلس أعيد بناؤه في هذه الفترة، ومما يؤيد هذا الرأي أن مدينة طرابلس كانت دائماً تتعرض للدمار والخراب، من جراء محاصرة الأعداء، أو احتلالهم لها كما سنوضح ذلك فيما بعد.

(انظر أيضاً مزيداً من المعلومات في الهوامش رقم 2 و3 و4 ص108 و109).

وهذا المسجد يمثل في الحقيقة أهمية كبرى في تطور المسجد الليبي.[1]

مسجد العمروص (العريفي) بسوق الجمعة:

يقع هذا الجامع في منطقة العمروص[2] بسوق الجمعة، إلى الشرق من

---

(1) إذا ثبت أن مسجد العسوسي الحالي، هو المسجد الأصلي، الذي شيد قبل سنة 1510، عندئذٍ يعتبر الأول لكل المساجد من نفس النوع، وربما حتى الأكبر حجماً التي تسقفها العديد من القباب.

(2) العمروص هي كلمة محرفة عن اسم عمرو بن العاص.

طرابلس، ويحمل نفس الخصائص المعمارية التي لاحظناها في المساجد ذات الأسقف البرميلية، والتي تناولناها في الصفحات السابقة.

ولم نتمكن من الحصول على أي مصدر يثبت تاريخ بنائه أو اسم مشيده، والمسجد لا يحمل لوحاً تذكارياً، ولا يوجد به ضريح، ولكن المتعارف عليه تقليدياً من قبل الأهالي، إن هذا الجامع يعتبر من أقدم المساجد الباقية في المنطقة وكانت حالته سيئة أثناء دراستي للمبنى في سنة 1976، وان جزءاً من أروقة الصحن قد انهارت. (وقد أزيل بعد زياراتي له بقليل وحل محله جامع كبير وله مخطط مختلف).

يتكوّن المسجد من بيت للصلاة، وصحن له رواقان متوازيان على كل من الجانب الشماليّ الغربيّ والجانب الشماليّ، مراحيض، ميضأة (شكل 1)، ويتكوّن بيت الصلاة بدوره من قسمين الأول مسقوف بثلاثة أقبية برميلية متوازية مع جدار القبلة، تحملها عقود مرتكزة على دعامتين، وأربعة أعمدة ضخمة، كل منها قطعة رخامية ملونة، وهذه الأعمدة وتيجانها مأخوذة من أبنية ترجع إلى عهود قديمة سابقة للعصر الإسلامي.

والجزء الثاني من بيت الصلاة، والذي يقع على الجهة الشماليّة الغربيّة، مسقوف بأربعة أقبية برميليّة غير متساوية في الطول، تسير متعامدة على الأقبية البرميليّة التي تسقف الجزء الأول، والتي تسير متوازية مع جدار القبلة.

والعقود التي تلتقي عندها الأقبية البرميليّة المتعامدة والمتوازية وتدعمها، هي عقود ضخمة جداً، كما الدعامات التي ترتكز عليها بدورها ضخمة جداً، أما أروقة الصحن فإنها ذات أسقف مسطحة، تتكوّن من طبقات من عوارض من جذع النخيل والجريد وطبقة من الملاط وكلها تحملها عقود مرتكزة على دعامات. وهذا الاسلوب البنائي يشير إلى عراقة وقدم هذا النوع من المساجد، صحيح أنه أكبر من أي واحد من المساجد التي ذكرناها سابقاً، ذات الأقبية البرميليّة إلا أن جامع العمروص يندرج بدوره تحت هذه المجموعة في تخطيطه

العام والمعالجة المعماريّة والبساطة[1]. وهذه المساجد تكوّن طابعاً معمارياً مميزاً يختلف عن المساجد الأخرى، التي لها أسقف مسطحة وتلك التي تغطيها قباب صغيرة.

وبعد استعراضنا للنصوص التاريخية المذكورة أعلاه يتبيّن لنا أنه توجد في ليبيا في الفترات السابقة للعهد العثماني مجموعة من المساجد، بعضها شيّد في الفترة الحفصية، والبعض الآخر يرجع إلى الفترات السابقة للفترة الحفصية، ومنها ما هو آثار باقية، ومنها ما هو مندثر والمساجد الوحيدة الباقية والمذكورة في كتب الرحالة المؤرخين ومنها كتاب رحلة التجاني، ما زالت تحمل أسماء أصحابها، هي مسجد الشعاب وسيقاطه. وهناك مساجد أخرى شيّدت بعد زيارة التجاني لليبيا (1306 ـ 1308)، ما زالت باقية وتحمل أسماء أصحابها المنسوبة إليهم، مثل مسجد عبد الوهاب القيسي، ومسجد سيدي سالم المشاط (القسم القديم)، ومسجد إسماعيل بن يربوع (القسم القديم)، ومسجد العسوسي، (جدول «أ» مسقط رقم 15، 29، 30، و33، وجدول «ب» مسقط رقم 48).

وهناك أيضاً مساجد أخرى تنتمي إلى فترات تاريخية مختلفة، قبل المرحلة العثمانية ما زالت باقية، ومنها مسجد سيدي عبد الله بن أبي سرح، والمسجد القديم بأوجلة، وقد نسبت إلى القرن الثاني عشر الإفرنجي، أو ربما أقدم من ذلك في حين أن مسجد براك القصر ببراك، ومسجد الحناشي بمرزق، ومسجد الجديد بسبها، يمكن إرجاعها إلى عدة قرون خلت.

جدول «أ» مسقط رقم 35، جدول «ج» مسقط رقم 61، 62 و63 على التوالي).

وهناك مجموعة أخرى من المساجد القديمة جداً، والتي لم يذكرها التجاني أو غيره من المصادر، إلا أن أهالي المناطق التي تقع فيها هذه المساجد

---

(1) مسجد قبيلة أولاد شهوب في غريان يتبع نفس المجموعة.

يعتبرونها أقدم المساجد الباقية في مناطقهم، فطريقة ونوع المواد المستعملة في تشييدها، وتصميمها وأشكالها المعمارية، وأسلوب تسقيفها، كل ذلك يجعل إرجاعها إلى فترات قديمة جداً أمراً مقبولاً، ويدعم اعتقاد مواطني هذه المناطق المتوارث، والمنقول عن آبائهم وأجدادهم، والفترة المحتملة التي تعود إليها هذه المساجد، هي الفترة الحفصية، وربما أسبق من ذلك. وهذه المساجد هي:

مسجد جنزور القديم، ومسجد السيّاح بجنزور، ومسجد العمروص بسوق الجمعة، ومسجد قبيلة أولاد شهوب بغريان، وبعض المساجد في بنغازي والتي أزيلت في الفترة الأخيرة.

(جدول «ب» مسقط رقم 52، 50، 53، و51 على التوالي).

أما فيما يتعلق بشكلها الخارجي وتفاصيلها المعمارية الداخلية، ومعالجة الفراغ الداخلي في قاعات الصلاة، ونظام تسقيفها، فإنه يمكن تصنيف هذه المساجد على النحو التالي:

أولاً: المساجد المسقوفة بأقبية برميليّة:

1 ـ مسجد سيدي عبد الوهاب القيسي ـ طرابلس.
2 ـ مسجد سيدي سالم المشاط (القسم القديم) ـ طرابلس.
3 ـ مسجد إسماعيل بن يربوع (القسم القديم) ـ طرابلس.
4 ـ المسجد القديم ـ جنزور.
5 ـ مسجد السيّاح ـ جنزور.
6 ـ مسجد العمروص ـ سوق الجمعة.
7 ـ مسجد قبيلة أولاد شهوب ـ غريان.

فهذه المساجد هي من جنس ونوع واحد، يتكوّن المسجد من صحن مفتوح (أو مكشوف أو غير مسقوف) (مسجد عبد الوهاب القيسي الوحيد الذي

صحنه صغير مسقوف بقبو برميلي) وعادة ما يكون في الصحن رواق أورواقان، ومئذنة بسيطة من نوع المئذنة ـ السلم، وبيت للصلاة في الغالب تسقفه ثلاثة أقبية برميلية متوازية مع أو متعامدة على جدار القبلة، هذا النوع من التسقيف امتازت به مساجد منطقة طرابلس الغرب[1].

(جدول «ب» مسقط رقم 48، 50، 51، 52، و53 وجدول «أ» مسقط رقم 29 و30).

هذه المساجد تشبه المساجد التونسية التي هي نفس النوع و التي لها أسقف برميلية، وخاصة مسجد أبو فتاتة، وهكذا نرى أن هذا (النوع من تخطيط المساجد ونظام التسقيف عرف منذ العصر الأغلبي (800 ـ 909ف)، هذا التقليد استمر في تونس وليبيا بدون انقطاع، وبدون تحوير أو زيادة، وبالنسبة إلى تونس إلى وقت قريب، في حين أن هذا التقليد في ليبيا، وخاصة في منطقة طرابلس الغرب، استمر بشكل مكثف حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

(جدول «ب» مسقط رقم 46 و55 وجدول «ج» مسقط رقم 7 و71).

ثانياً: المساجد ذات الأسقف المسطحة:

1 ـ مسجد براك القصر ـ براك.

2 ـ مسجد الحناشي ـ مرزق.

3 ـ مسجد الجديد ـ الجديد سبها.

4 ـ مسجد القاضي ـ بنغازي.

5 ـ مسجد إجدابيا (ربما كان مسقوفاً بأقبية برميليّة (عصر فاطمي).

هذه المساجد هي أيضاً من نوع واحد ولها أسقف مسطحة، وهذا ما

---

(1) تلك المساجد المذكورة في هامش رقم 2 ص64 كذلك مسقوفة بأقبية برميلية (انظر كتاب أنتوني هت وجاي بيرتربردج، ص40، 41، و46، 47).

امتازت به المساجد التي شيّدت في منطقة برقة وفزان، بدون انقطاع واضح في الفترة السابقة للعصر العثماني، واستمر كذلك في العصر العثماني نفسه (راجع الفصل الثامن) (انظر كذلك القوائم لمزيد من المعلومات).

(جدول «ج» مسقط رقم 59، 61، 62 و63).

ثالثاً: المساجد المسقوفة بقباب صغيرة:

1 ـ مسجد سيقاطه (الشيخ أبو الحسن السيقاطي) جنزور.

2 ـ مسجد أوجلة القديم ـ أوجلة.

3 ـ مسجد سيدي عبد الله بن أبي سرح ـ أوجلة.

4 ـ مسجد العسوسي ـ طرابلس.

هذه المجموعة من المساجد تسقفها قباب صغيرة متعددة، وهو نظام تسقيف امتازت به مساجد منطقة طرابلس وضواحيها، وفي مناطق أخرى من منطقة طرابلس الغرب، ولكن بأقل كثافة.

وأصبح هذا النوع من التسقيف هو السائد منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر حتى النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، أي أغلب الفترة العثمانية، وهذه الحقيقة المعماريّة يدعمها الإثبات التاريخي، وتلك المساجد والجوامع المؤرخة، وتلك التي يمكن تأريخها وإرجاعها إلى هذه الفترة بأسلوب وتحليل معماري، وهكذا يتضح أيضاً أن هذه الفترة حدث فيها تغيّر جذري في التقليد البنائي المعماري، الذي ظهر على السطح فيما له علاقة بنظام تخطيط بيت الصلاة وأسلوب تسقيفه، وهذا التقليد المعماري هو تشييد مساجد وجوامع تسقفها قبة صغيرة واحدة، أو أربع أو ست أو تسع، أو اثنتا عشرة، أو ست عشرة، وهكذا تصل في بعض الأمثلة إلى اثنتين وأربعين قبّة، وأصبح هذا النوع من التسقيف هو النوع الغالب في معمار المسجد الليبي، كما سنوضحه في الفصول القادمة، ابتداءً من الفصل الثالث وإلى الفصل الثامن من هذا الكتاب.

المصادر التاريخية التي أشارت إلى تدمير الأعداء لمدينة طرابلس في فترات مختلفة.

إن وجود عدد صغير جداً من المساجد، التي نجت من الدمار على أيدي الأعداء في الفترات السابقة للفترة العثمانية، إنما هو راجع إلى الدمار، الذي أصاب مدينة طرابلس على أيدي الإسبان وفرسان القديس يوحنا، وكذلك على أيدي القوات التركيّة أثناء دكها وحصارها للمدينة، قبل أن تستولي عليها من فرسان القديس يوحنا، وقد خربت المدينة وسويت أغلب مبانيها على الأرض، على يد القوات الإسبانية بقيادة بيدرو نافارو في سنة 1510، وأوضحت المصادر التاريخية أن بيدرو نافارو استخدم الحجارة من البيوت والمباني العامة التي دمرها، في بناء التحصينات للإسبانيين[1]. ومن أقدم المصادر التي أشارت إلى ذلك، جين ليو أفريكانوس (وهو الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي) نحو 1550[2]، وكرفاجال مارمول نحو 1573[3]، وتشارلز فيروه نحو 1887[4]، وهم أشهر المؤرخين الذين ذكروا وأشاروا إلى هذه الحوادث، إضافة إلى هذه المصادر، هناك مصادر أخرى كتبت باللغة العربية[5]، والإيطالية[6]، والإنجليزية[7]، والفرنسية[8]، تعزز نصوص المؤرخين الثلاث الأوائل.

---

(1) Abun - Nasar, p.192.

(2) Leo Africanus, vol.3, pp.737 - 740.

(3) Feraud, Annales, pp. 21 - 25 (Hequotes Caravajal Marmol, Description General de Africa, Trans. D'ablan court, Tome II pp. 563 - 556).

(4) المرجع نفسه.

(5) النائب: المنهل، ص184 و185.

(6) Bergna, pp.24, 25, 29, 30.

(7) Abun - Nasr, p.192.

(8) Herissant Impriment, Histoire des Estate Barbaresque qui exercant le Piraterie.

هذا الكتاب كتب أصلاً باللغة الفرنسية ثم ترجم إلى الإنجليزية قام بالترجمة:

P. Boyer de Pre - Bomdier II, (Paris Ches Herissant Imperment, 1957), pp. 183 - 189.

وتعرضت مدينة طرابلس، بعد الدمار الذي ألحقه بها بيدرو نافارو، إلى كثير من الدمار في الفترات اللاحقة، وسيطرة فرسان القديس يوحنا لم تتعد في الغالب أسوار المدينة.

وهذا راجع إلى المحاولات العديدة، التي قام بها الأهالي لاسترجاع مدينتهم، وتخليصها من المحتلين، وفي إحدى هذه المحاولات حاصرت القبائل العربية المجاورة مدينة طرابلس لمدة طويلة، وكان من نتيجة هذا الحصار أن خرّب فرسان القديس يوحنا كثيراً من المباني، لأنه لم يكن في مقدورهم استغلال المحاجر، التي تقع في قرقارش وغرب طرابلس، ليحصنوا ويدعموا أسوار المدينة[1].

وكان لاحتلال الإسبان وفرسان القديس يوحنا، وتدميرهم للمدينة عواقب سلبيةو ففي أثناء الاحتلال ترك كثير من المواطنين المدينة، بل إن منهم من تركها قبل أن يبدأ الإسبان في مهاجمتها. ومن جراء السياسة الاقتصادية التي اتبعها المحتلون غادرت المدينة أعداد كبيرةمن المواطنين، واستقروا في القرى والمدن المجاورة[2]، وأدى هذا إلى انخفاض كبير في عدد سكان المدينة من المسلمين[3]، وأشارت بعض المصادر إلى أن عدد الذين مكثوا في المدينة، في فترة احتلال فرسان القديس يوحنا، لا يزيد على خمسمائة نسمة، وإن أغلب المتبقين كانوا من التجار، وإن بعضاً منهم كانوا جواسيس يعملون لصالح الإسبان وفرسان القديس يوحنا[4].

ومن هذا الاستعراض لبعض المصادر التي أوضحت الدمار الذي أصاب طرابلس في هاتين الفترتين، يبدو منطقياً أن نفترض أن قليلاً من المباني الدينية

---

(1) الباروني، ص71، Rossi, p.54.

(2) الباروني، ص35، 40 و64.

(3) الباروني، ص83، Rossi, p.60 (أشار إلى أن العائلات التي مكثت في طربالس كانت نحو 80 عائلة، Abun Nasr, 193.

(4) الباروني، ص83، Rossi, 60, 76.

قد نجت من هذا الدمار، ويذكر ليو أفريكانوس أن طرابلس شهدت انتعاشاً اقتصادياً بسيطاً ومحدوداً بعد فترة قصيرة من احتلالها، وأخبرنا ليو أفريكانوس، الذي زار طرابلس في نحو 1518 أن طرابلس كانت في بداية انتعاش بعد ما أصابها من الدمار والاحتلال الإسباني(1). وذكر ليو أفريكانوس كذلك أنه كان بطرابلس مساكن ومدارس ومساجد ومستشفيات(2).

ومن المؤكد أن هذه المباني المختلفة قد شيّدت في الفترات السابقة للاحتلال الإسباني، ويضيف ليو أفريكانوس أن بيوت مدينة طرابلس هي أكثر فخامة مقارنة بمساكن تونس(3).

وكان بطرابلس كثير من الأنوال لصناعة النسيج، مما يدل على انتعاش هذه الصناعة أثناء زيارة هذا المؤرخ الرحالة، وان كل صناعة وتجارة لها موقعها بالمدينة(4).

وبعد استعراض نصوص ليو أفريكانوس يتضح أنه على الرغم من الدمار الذي أصاب المدينة على أيدي الإسبان، إلا أن بعض المباني الدينية قد نجت من الدمار، وإنها كانت تقوم بوظيفتها أثناء الاحتلال الإسباني، ومن المحتمل أن بعضها كان يؤدي وظيفته أثناء احتلال فرسان القديس يوحنا أيضاً.

ويمكننا القول أن هناك احتمالاً كبيراً من أن كلاً من مسجد سيدي عبد الوهاب القيسي، ومسجد سيدي سالم المشاط (الجزء القديم)، ومسجد إسماعيل بن يربوع (القسم القديم) ومسجد الشعاب قد نجت من الدمار، وأنها ترجع إلى الفترة السابقة للاحتلال الإسباني وفرسان القديس يوحنا(5).

وهناك بعض المساجد، التي تقع خارج نطاق مدينة طرابلس، قد نجت

---

(1) الباروني، ص63، .Leo Africanus, vol. 3, p.740. Ziada, p.259, Rossi, p.38

(2) الباروني، نفس المرجع، .Leo Africanus, vol 3, p.738

(3) الباروني، المرجع نفسه، .Leo Africanus, vol. 3 p.737

(4) زيادة، نفس المرجع، ص259، الباروني، نفس المرجع.

(5) ابن غلبون: التذكار، ص231.

كذلك من الدمار، ومنها مسجد العمروص، مسجد جنزور السيّاح، ومسجد سيقاطه ((جدول «أ» مسقط رقم 33، وجدول «ب» مسقط رقم 50، 52 و53)، هذا الرأي تدعمه المصادر الأدبية، مبني على الحقيقة، وهي أن احتلال الإسبان وفرسان القديس يوحنا كان مقتصراً أساساً على حدود أسوار مدينة طرابلس[1]. ويبدو أن هذا كان سبباً في نجاة مجوعة من الأبنية الواقعة في المناطق التي كانت خارج نطاق الصراع بين المحتلين والقبائل المحليّة.

وأصاب مدينة طرابلس كثير من الأضرار في شهر هانيبال (أغسطس) سنة 1551، عندما دكّت السفن الحربية للأسطول العثماني، وكذلك القوات البريّة التركية، بالتعاون مع القبائل المحليّة، دكّت مدينة طرابلس لعدّة أيام، حتى تمّ تخليصها من حكم فرسان القديس يوحنا، في يوم 14 هانيبال (أغسطس) 1551.

وكان من نتيجة هذا الهجوم أن انهارت تحصينات المدينة ودمار كثير من الأبنية.

وحدث دمار مفجع لمدينة طرابلس في الفترة العثمانية الأولى[2]، وفي الفترة القرمانلية[3]، عندما تعرضت المدينة، في كثير من المرات إلى حصار وضرب مدفعية السفن الحربية للدول الأوروبية، وكانت بعض هذه الهجمات البحرية قوية، لدرجة انه في كل حصار ينهار نحو نصف أبنية المدينة[4].

---

(1) الباروني، ص87، Rossi, p.54.

(2) Feraud, Annales, pp. 208, 210, 217.
(يذكر المؤلف تفاصيل القصف المتعاقب، الذي حدث في سنة 1675 انظر صفحات 241، 242، وبالنسبة للدمار الذي حدث في سنة 1676 انظر الصفحات رقم 246 و249.

(3) Feraud, Annales, pp.561 - 563.
(السفن الحربية الأمريكية قصفت مدينة طرابلس في يوم 25 و26 ناصر (يوليو) سنة 1804 ـ والسفن الحربية النابوليتانية هاجمت طرابلس وقصفتها لمدة 9 أيام من 22 إلى 30 هانيبال (أغسطس) سنة 1828، انظر الصفحات رقم 597 و598.

(4) الرحالة المغربي أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المغربي زار طرابلس في سنة 1096هـ ـ 1680، وعند وصوله إلى طرابلس كان هجوم السفن الحربية الفرنسية، تحت قيادة الأدميرال ديستري، وأعطى الدرعي تفاصيل هذا الحدث والخراب الذي حل =

(لمزيد من المعلومات وتحديد المصادر وما كتبه شهود العيان انظر هامش رقم 2 و3 و4 ص108 و109).

وكنتيجة لهذه يصل الباحث بكل اطمئنان، وبخلاصة تجريبية تقديرية، إلى إن الأغلبية العظمى من المساجد الباقية، خاصة التي تقع داخل أسوار مدينة طرابلس القديمة، قد شيدت أو أعيد بناؤها، أو أضيفت إليها أبنية، أو رممت بعد استيلاء الأتراك على ليبيا[1].

ويذهب بعض العلماء المعاصرين بعيداً في هذا الشأن، ويقررون أنه ليس كل المباني الدينية، والتحصينات الحربية لمدينة طرابلس هي إنشاءات تركية فحسب، بل أن أغلب القصور والبيوت الكبيرة، والحمامات والسجون، والفنادق، قد شيدت في الفترة العثمانية[2].

هذه الحقائق سنتناولها بالتفصيل في الفصول التالية، حيث تفحص بعناية كل المساجد المسقوفة بقباب، والتي أغلبها مؤرخ، وحتى تلك غير المؤرخة يمكن نسبتها إلى الفترة العثمانية، من خلال دراسة المصادر، ودراسة سير العلماء، والسياسيين، والقادة العسكريين، والإداريين، والحكام، ومن سوء الحظ أن كثيراً من الأبنية الدينية هدمت في السنوات الأخيرة، وبعضها في طريقه للزوال في المستقبل القريب، وفقدان هذه الأبنية الهامة تحرم الإنسان من التقويم الصحيح لتطور المساجد الليبية التي شيدت في الفترات السابقة للعهد العثماني.

= بطرابلس، وكذلك النص الذي تركه الترجمان الذي كان في معية الأدميرال، فذكر أن نحو نصف مبان المدينة قد دمّرت في هذا الهجوم، انظر الحوليات، ص271، 286 و278، Bergna, p.221, 222.

(1) أمثلة مؤرخة هو جامع الناقة، سيدي سالم، وجامع الدروج.

(2) خليفة محمد التليسي: **كراسات أدبية**: طرابلس كما وصفها الرحالة والجغرافيون العرب: عهد مراد آغا.

3

المساجد ذات الوحدة الفراغية
المسقوفة بقبة واحدة

تاريخ معمار المسجد في ليبيا
في العهد العثماني والقرمانلي
1551 - 1911
نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية

لقد أوضحنا أن أغلب المساجد الليبية القائمة حالياً قد شيّدت أثناء الفترة العثمانية (1551 ـ 1911)، وأن أغلبها أقيمت في منطقة طرابلس الغرب، وخاصة في مدينة طرابلس القديمة وضواحيها، والمناطق القريبة منها. ذلك أن هذه المدينة كانت مقراً للحكومات والإدارات المتعاقبة، كما أنها المدينة التي شهدت تطوراً معمارياً وفنياً هائلاً على الرغم من تعرضها للدمار الشديد في فترات مختلفة[1].

واجهتني مشكلة عند دراستي تاريخ تطور معمار المسجد الليبي في هذه الفترة، وتكمن المشكلة في وجود عدد كبير من المساجد غير مؤرخة، وهذا يخلق مشكلة إلى حد ما تحول دون جمع وتصنيف وفهم شامل لتطور معمار المسجد الليبي في الفترة العثمانية.

علاوة على ذلك فإن قلة المصادر، المتناولة للعمارة الإسلامية في ليبيا، يخلق أيضاً مشكلة أساسية في الدراسة، إن أغلب المساجد والمنشآت المعمارية في هذا البلد لم تدرس بشكل شامل من قبل باحثين ليبيين[2] أو أجانب، على

(1) انظر الهوامش رقم 2 و3 و4 ص108 و109 في الفصل الثاني.

(2) Muhammed S. Warfelli Wrote an article about limited number of religious buildings which was published in the Art and Archaeology Research Papers in 1976. pp. 1 - 18.

أن بعض الباحثين الأجانب كتبوا عدة مقالات ودراسات عن قلة من المساجد المشهورة، مثل جامع مراد آغا في تاجوراء[1]، وجامع درغوت بطرابلس[2]، وجامع أحمد القرمانلي[3]، وجامع مصطفى قرجي وكلاهما أيضاً في طرابلس[4]، وكانت هذه الجوامع محط أنظار الباحثين الأجانب، ومجال بحثهم في مجال العمارة الإسلامية في ليبيا (سيتم تناول هذه الجوامع بالدراسة والتحليل في موقعها المختلفة في الفصول التالية).

وغاسبري ميسانا بدوره لم يشمل في كتابه: L'Architettura Muslmana Della Libya [5] عدداً كبيراً من المساجد المؤرخة وغير المؤرخة، وعدم تضمين هذه الأعداد الكبيرة من المساجد والجوامع في دراسته، بالإضافة إلى تضمين دراسته أفكاراً غامضة، فيما يتعلق بمراحل تطور المسجد الليبي يصل الدراس بالضرورة إلى نتائج غير سليمة وغير موثوق بها.

وعندما عَزَمْتُ على القيام بهذه الدراسة، وتأليف هذا الكتاب كان عليَّ أن أتبع منهجاً علمياً لدراسة معمار المسجد الليبي، بحيث أصل إلى نتائج علمية تحليلة، تأخذ بعين الاعتبار كل ما يؤدي إلى تحقيق الهدف من الدراسة بموضوعية وعلمية متعارف عليها في الأبحاث العلمية الهادفة والموثقة.

مؤرخو الفنون، المتخصصون في تاريخ العمارة الإسلامية العثمانية،

---

(1) Renato Bartoccini, «la moschea di Murad Agha in Tajura Tripolitania» Architettura e Arte Decorative, I, Anno 3, Rome: Milan, Casa Editrice d'Arte Bestettie Tumminelli, 1923, pp. 337 - 346.

(2) Ali Sa'im Ulgen, «Trabulsgarpta Turgutries Mimari Manzumesi», Vakfilar Dergisi, III, Ankara, 1962, pp. 87 - 92

(3) Salvatore Aurigemma, «La Moschea di Ahmad Qaramanli in Tripoli», Dedolo, II. Anno 7, Rome: Milan, Casa Edtitricde d'Arte Bestettie Tumminelli.

(4) Salvatore Aurigemma, «1926 - 1927, pp. 492 - 513, Moschea di Gurge in Tripoli, «Africa Italiana, I, Anna, 6 no. 4, Roma: Acuro del Ministero delle Colonie, 1928, pp. 257 - 285.

(5) كتاب غاسيري ميسانا يعتبر دراسة عن المعمار الإسلامي في ليبيا بصفة عامة.

كوّنوا صيغاً يدرسون من خلالها نشوء وتطور معمار المسجد التركي العثماني، ومن أول الدراسات عن المساجد العثمانية، تلك التي قام بها ألبرت غابريل عن مساجد استنبول(1)، وادموند بوتي عن مساجد مصر(2)، وفون غنتو مارتيني(3)، وعبد الله كوران عن المساجد العثمانية المبكرة(4)، وهي أمثلة بهذا الخصوص.

صنف هؤلاء الدارسون المساجد والجوامع العثمانية بحسب مساقطها الأفقية وأحجامها وتنظيم فراغها الداخلي، وأعطى كل منهم أهمية أولية للفراغ الداخلي بهذه الجوامع وترتيب وتطور القبّة.

ولقد اتبعت في هذه الدراسة الخاصة بمعمار المسجد الليبي، نفس المنهج والطريقة لتصنيف وتقويم مظهرها الخارجي، وتنظيم فراغها الداخلي(5)، إلى فئات، وأوّل هذه الفئات هي التي سنطلق عليها:

المساجد ذات الوحدة الفراغية الواحدة المسقوفة بقبة واحدة، وستتم دراستها وتحليلها على النسق التالي:

أولاً: المسقط الأفقي والتقسيمات الفراغية:

إن المخطط المعماري لعدد كبير من المساجد الليبية، التي توجد معظمها بالمدينة القديمة بطرابلس، يتكوّن من بناء مربع أو شبه مربع، يمثل بيت

(1) Albert Gabriel, «Les Mosquees de Constantinopole», Syria: revue d'Art Orientale et d'Archeologie, VII Paris: Libraire Paui Genthner, 1926, pp. 353 - 419.

(2) Edmond Pauty, «L'Architecture au Caire depuis la conquete Ottomane», Bulletin de l'Institute Francais d'Archeologie Orientale, XXXVI, Cairo, 1936, 1937, pp. 1 - 96 (About Mosques, pp. 10 - 21).

(3) Von Guntner Martin, «Zur Entwicklungeshichte der Osmanischen», Ars Orientalis, IV (Ann Arbor, The University of Michigan and Smithsonian Publication, 1961), pp. 107 - 112.

(4) Aptullah Kuran, the Mosque in Early Ottoman archtecture, Chicago, London, the University of Chicago press, 1968.

(5) استخدمت في هذا الكتاب نفس المصطلحات التي استخدمها عبد الله كوران، ص27.

الصلاة، حجمه متواضع، غالباً ما تكون أبعاده 5 × 5 متر، (جدول «أ» مسقط 1 و11 و7 و6 ـ جدول «ج» مسقط 69)، وفي حالة واحدة، تصل أبعاد بيت الصلاة إلى نحو 12 متر للضلع، (جدول «أ» مسقط 10 وشكل 55) و(جدول د مسقط 24 و25).

وفي حالة كون بيت الصلاة مستطيلاً فإنه يتكوّن من قسمين، القسم الرئيسي، يضم المحراب والمنبر أحياناً، ومسقوف بقبة، في حين يسقف القسم الثاني بقبو أو بقبوين برميليين، عادة يوضعا على جانب واحد من القبة، وفي حالة واحدة يكتنف القبة قبوان برميليّان، (جدول «أ» مسقط 5، 6، 8، و7 على التوالي).

وهذه المجموعة من المساجد الصغيرة توضح أمثلة لنفس تصميم المسجد، ذي الوحدة الفراغية الواحدة والمسقوفة بقبّة.

والاختلافات الموجودة بينها لا تنحصر في تصميم بيت الصلاة المربع، ولكن تكمن في التكوين العام للبناء ومفرداته المعمارية، التي تشمل عناصر معماريّة أخرى مكمّلة، فيما له علاقة بالمكوّنات الأخرى ذات الوظائف المختلفة، التي تكوّن التوافق المعماري والجمالي والوظيفي في هذه المجموعات المعمارية الدينية ككل.

وبالإضافة إلى قاعة الصلاة، ذات القبة الأساسية، فالبناء يحتوي أحياناً على حجرة مسقوفة بقبو برميلي، وعادة ما يشغلها الحمّام والميضأة والمراحيض، هذه الحجرة تعمل كردهة بين قاعة الصلاة والشارع (جدول «أ» مسقط 6 و7).

وفي حالات أخرى تزود بعض المساجد بصحن يحاط برواق أو أروقة، وتحددها جدران غير مرتفعة[1] والمساجد من هذا النوع لا تتعدى أبعاد الصحن بها أبعاد بيت الصلاة نفسه، وكقاعدة عامة نجد على جانب من جوانب الصحن

---

(1) كوران، ص48.

رواقاً بدوره يحتوي على حمام ومراحيض وميضأة (جدول «أ» مسقط 2، 3، 4، 8 و10).

وبالطبع فإن الفراغ المتاح والمخصص للبناء، هو الذي يحدّد فيما إذا كان بيت الصلاة سيزود بصحن أم لا، وعلينا ملاحظة أن هذه المساجد ذات الصحون، وعلى الرغم من صغر حجمها فانها تندرج تحت المساجد ذات التخطيط التقليدي: بيت صلاة مسقوف وصحن مكشوف (أحسن مثال جامع سيدي المرغني بطرابلس جدول «د» رقم 25).

ثانياً: الملامح المعمارية:

1 ـ بيت الصلاة:

أ ـ الجدران والعقود:

يتكوّن الهيكل البنائي لبيت الصلاة، إما من أربعة عقود، عقد بكل جانب، كما هو الحال في المساجد (جدول «أ» مسقط 1، 3، 4، و5)، أو ثمانية عقود، عقدان بكل جانب، كما هو في المساجد (جدول «أ» مسقط 2)[1]، أو أثني عشر عقداً ثلاثة بكل جانب (حدول «أ» مسقط 6 و8 ـ جدول «ج» مسقط 69)، وتكون العقود جزءاً مكملاً للجدران في داخل هذه العقود، والتي تبرز عنها بنحو 30 سم، من داخل بيت الصلاة.

هذا الترتيب المعماري ميَّز، فيما يخص الهيكل البنائي لبيت الصلاة، كل المساجد التي شيّدت في ليبيا في الفترات السابقة للفترة العثمانية، واستمر كذلك في الفترة العثمانية، (شكل: 14، 22، 31، و32).

ومن الجانب الوظيفي والجمالي فإن تنظيم بيت الصلاة في هذه المساجد الصغيرة المتواضعة يعطي المشاهد المصلي انطباعاً يمثل القوة والثبات والشعور بالاستقرار الإنشائي لبيت الصلاة، بالإضافة إلى هذه الانطباعات، فإن هذا

---

(1) في مسجد كراباغلي الجانب الشمالي الغربي من الجامع له عقد واحد.

الترتيب البنائي يعطي الإيحاء والتأثير بالرحابة التي تفتقدها هذه المساجد الصغيرة[1].

ب ـ القبة ومنطقة الانتقال:

القباب في هذه المساجد يحملها دائماً الهيكل البنائي الموصوف أعلاه، والذي يتكوّن من عقود رشيقة، غالباً شكلها نصف دائري، ونلاحظ من آن لآخر حلية زخرفية معمارية بارزة (كرنيش) تجري على امتداد الجدران أسفل منطقة الانتقال في القبة (شكل: 14 و46)، تتكوّن منطقة الانتقال في القبة إما من حنايا ركنية، أو مثلثات كروية، (شكل: 14، 18، و46)، هذه المجموعات أو الفئة من المساجد بها تنوع لنفس التصميم الخاص بمنطقة الانتقال، من بينها حنية ركنيّة ذات تصميم وشكل خاص (شكل: 15 و46) تسمّى نصف تربيعة[2]، لأنها تشبه منطقة مربعة قسّمت بميل قطري بزاوية 90 درجة، وهذا التعبير المعماري ينطبق على التعبير الذي يطلقه المستشرق كرزويل (Domical Vault Niche).

والحنايا الركنيّة في منطقة الانتقال في القبّة في معمار المسجد الليبي تذكرنا بنفس الحنايا في العمارة الإسلامية في تونس كما يشاهد في منطقة الانتقال بقبة البهو في جامع القيروان (244هـ ـ 858ف)[3]. وهناك أمثلة أخرى في جامع الكاف في تونس شيّد في القرن الحادي عشر الإفرنجي[4].

ومن أجل إحداث التماثل، وإبراز اللمسة الجمالية في داخل بيت الصلاة، فإننا نلاحظ أحياناً وجود أربع حنايا ذات عمق بسيط، صممت في الأضلاع المحوريّة الأربعة للمثمن، الذي يكوّن منطقة الانتقال في القبّة، وفي

---

(1) الحنايا الكبيرة المعقودة يمكن توظيفها لوضع بعض الأشياء مثل أحذية المصلين.

(2) Mustafa Sulayman Zbiss, Les Coupoles Tunisiennes Dan Leur Evolution (Tunis, Institut National d'Archeologie et Arts, 1959) Figs, 9 - 1, 2 - 2.

(3) نفس المرجع، شكل 9.

(4) نفس المرجع، ص31، شكل 35 ـ 37.

بعض الأمثلة الأخرى نلاحظ وجود عقدين توأمين، من نوع حدوة الفرس، على مستويّين في كل ضلع من الأضلاع الأربعة المحورية للمثمن، موضوعة بين الحنايا الأربعة (شكل 46).

ظهر هذا الموضوع الزخرفي في العمارة الإسلامية الدينية والمدنية في ليبيا في بداية القرن السابع عشر[1]، وأصبح معمارياً شائعاً، خاصة في الأبنية التي شيّدت في الفترة القرمانلية (1711 ـ 1835)[2]، (شكل: 9)، وفي بعض الحالات نشاهد حليتين زخرفيتين معماريتين تبرزان عن سطح الجدران لتحدد منطقة الانتقال[3]، من فوق وأسفل (شكل: 14 و20)، ونشاهد مثل هذا الترتيب المعماري، بمنطقة الانتقال كذلك في بعض المساجد ذات الوحدات الفراغية المتعددة (شكل: 20).

هذه المساجد الصغيرة، المتواضعة المساحة، مسقوفة بقباب متواضعة الحجم، لا يتعدى قطر الواحدة منها حدود الخمسة أمتار، غير أن بعضها زودت بقباب أكبر، يتراوح قطرها من ستة إلى ثمانية أمتار وأحياناً تصل إلى أكثر من ذلك[4].

(جدول «أ» مسقط 1 ـ 8 ـ 10 ـ 11 ـ وجدول «ج» مسقط 65 و69، انظر كذلك القائمة رقم 1 من 1. . 12) (وجدول «د» مسقط 25).

---

(1) جامع خليل باشا الأرناؤوطي (دورار) شيّد في منطقة الظهرة بطرابلس سنة 1708، أول مبنى مؤرخ نلاحظ فيه مثل هذه العناصر الزخرفية.

(2) هناك بعض المباني الأخرى التي لها نفس هذا العنصر الزخرفي، منها جامع أحمد القرمانلي وجامع قرجي، وبعض المباني المدنية المعاصرة.
انظر كذلك:

Pietro Romanelli, «Vecchie Case Arabe di Tripoli», Architettura e Art Decorative, I, Anno, (Milano, Roma, Casa Editrice d'Arte Bestette E Tumminelli), 1924, FIGS. 1, 2, 12, 20.

(3) لم يستخدم عنصر المقرنصات في عمارة المسجد الليبي، غير أن شكلاً مبسطاً من المقرنصات نشاهده في شرفة مئذنة جامع الباشا في مدينة الخمس، وكذلك على مدخل جامع المغاربة في شارع أول سبتمبر (الفاتح) بطرابلس.

(4) إن التعقيد المعماري، وإبراز الضخامة والفخامة النسبية في هذه المساجد، دليل على أنها شيّدت في فترة متأخرة.

وقطاع القباب في هذا النوع غالباً ما يكون نصف دائري، وأنها محمولة على حنايا أو مثلثات ركنية كروية، وبعضها الآخر لها رقبة مثمنة الأضلاع، فوق منطقة الانتقال يمكن مشاهدتها من الخارج، خاصة تلك المساجد المسقوفة بقباب ذات الأحجام الأكبر مثل جامع سيدي المرغني وجامع عمورة محمد فلمنك، بشارع بن عاشور بطرابلس، والمسجد الواقع في مدرسة عثمان الساقزلي، وجامع سيالة، وجامع ميز ران بطرابلس، والمسجد الواقع في زاوية عمورة بجنزور، وجامع الباشا في الخمس (شكل: 5، 7، 8، و55)، ومن الواضح أن وجود رقبة مثمنة أو دائرية للقبّة يزيد من ارتفاعها وإظهارها بمظهر الضخامة، كما إن الرقبة تزود غالباً بعدد من الشبابيك للتهوية والإضاءة.

والقباب التي تخلو من الرقاب، فإن منطقة الانتقال بها تكون مطمورة من الخارج، وتظهر القبة من هذا النوع كأنها نصف كرة موضوعة على مربع، وهذا يقلل من تأثيرها الخارجي، هذه الخاصية ميزت قباب المساجد الصغيرة، وتلك التي تسقف المساجد من النوع الأكبر حجماً ومساحة في ليبيا.

وعلينا أن نشير في هذا الصدد، بأن مثل هذه القباب تميّز بعض مساجد تونس، التي ترجع إلى العصر الأغلبي (800 ـ 909ف) واستمر استخدام هذا النوع من القباب في كل الفترات المتعاقبة بعد الفترة الأغلبية في تونس وليبيا، مما يوضح العلاقة في اتباع هذا التقليد المعماري في كلا البلدين، كما علينا أن نشير أيضاً إلى أن ليبيا تفتقر إلى أمثلة ثابتة للتاريخ ترجع إلى الفترات السابقة للفترة العثمانية، (مع مراعاة حالة استثنائية واحدة وهو مسجد العسوسي المسقوف بأربعة قباب صغيرة الذي ربما شيّد قبل سنة 1510. انظر الفصل الرابع لمزيد من المعلومات).

ومن الواضح أن القباب الليبية هي من نفس القباب التونسية، التي استخدمت بدون انقطاع، ودون تغير من القرن التاسع الإفرنجي إلى الوقت

الحاضر[1]. فالقبة التي توجد في رباط سوسة (206هـ ـ 821ف)، والقبة التي بجامع القيروان (858ف)[2]، هي أمثلة مبكرة من هذا النوع من القباب، وتظهر مثل هذه القباب في جامع صفاقس في وقت متأخر (378 ـ 988ف)[3]، وقبة المحراب بجامع سوسة، الذي يرجع إلى القرن الحادي عشر الإفرنجي[4]، وكذلك القبة التي تسقف منطقة المحراب بجامع القصبة (633هـ ـ 1235ف)[5]، وقد أثبت السيد مصطفى زبيس في بحثه عن تطور القباب التونسية أن تقليداً معمارياً مشابهاً ـ مع بعض التحوير ـ قد استخدم في مدينة باليرمو في صقلية، وتشاهد خاصة في قباب كنيسة مارترانو، التي شيّدت في 538هـ ـ 1143ف[6]، وفي كنيسة سان كاتلدو، والتي شيّدت في سنة 557هـ ـ 1161ف[7]، وقباب من هذا النوع توجد كذلك في كنيسة سان جيوفاني[8]، التي شيّدت في مدينة باليرمو في القرن الثاني عشر الإفرنجي[9]. ومن الواضح أن هذه الأمثلة هي انعكاس معماري واضح للتأثير المعماري الأغلبي والفاطمي في ليبيا وصقلية والذي مصدره تونس[10].

---

(1) حسن حسني عبد الواهب «الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة»، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، عقد في تونس في الفترة ما بين 18 ـ 29 مايو (الماء) 1963، (القاهرة 1965) ص364 و365، مصطفى زبيس، ص11.

(2) مصطفى زبيس ـ ص29، شكل 31.

(3) المرجع السابق، ص18 و20 وشكل 12، Georges Marcais and Lucien Golvin, la Grande Mosquee de Sfax (Tunis Institut National d'Archeologie et Arts 1960), p.17. شيّد هذا المسجد في البداية في 235هـ ـ 849ف، (انظر ص11 ـ 13 و26 ـ 27 وشكل: 11).

(4) مصطفى زبيس، ص 21 و22 ـ شكل: 17 و18.

(5) Abdel Aziz Daoulatli, Tunis sous les Hafsides, (Tunis, Institut National d'Archeologie et d'Arts 1976), p.176.

(6) مصطفى زبيس، ص 12 و19.

(7) المرجع نفسه.

(8) Georges Marcais, l'Architecture Musulman d'Occident (Paris, arts et Matiers Graphiques 1954), p.122, FIGS. 82, 83, Marcais and Golvin, p.27.

(9) Bruno Zevi, Architecture as space, trans. by Milton Gendel, (New York, Horizon press 1974) p. 209, pl.18, Marcais and Golvin, p.27. مصطفى زبيس ص12 و19،

(10) حسن حسني عبد الوهاب، ص362.

أما بخصوص تنوع أشكال القباب، في المساجد ذات الوحدة الفراغية الواحدة، بعضها لها قبة مضلعة[1] من الخارج مثل جامع المكني بمنطقة المنشية بطرابلس، وكما في المسجد الصغير بمدرسة عثمان الساقزلي بطرابلس، وكذلك قبّة الضريح[2] الملحقة بالمدرسة، وقبة مسجد كراباغلي[3]، التي لها ثمانية جوانب تضيق حتى تلتقي في مركز القبّة.

(جدول «ج» مسقط 65 ـ وجدول «أ» مسقط 2 على التوالي)، أنظر كذلك (شكل: 5).

ج ـ المحاريب والمنابر:

أغلب المحاريب بهذه المساجد الصغيرة مسقطها نصف دائري، وواجهاتها ذات عقود نصف دائرية، وأغلبها خالية من الزخرفة. والمحاريب في بعض الأمثلة، لها عقود من نوع حذوة الفرس، وهذا راجع جزئياً إلى بروز جوانب العقد مباشرة فوق مستوى تاج العمود والتي ترتكز على أعمدة صغيرة ملتصقة بالجدار. ففي زاوية عمورة (1721ف) بجنزور، أحيط محراب المسجد الملحق بحلية زخرفية معمارية بارزة قليلاً عن سطح الجدار (شكل: 46)، وحافة الإطار العليا تبرز قليلاً عن السطح لتتلاءم مع الارتفاع والبروز مع الحلية المعمارية، التي تحدد بداية منطقة الانتقال بالقبّة. وكوشتا عقد المحراب، والمنطقة المحصورة بينهما[4]، زخرفت ببلاطات القاشاني المتعددة الألوان.

---

(1) توجد بعض القباب المضلعة في المساجد التالية:
مدرسة عثمان، أحمد القرمانلي، قرجي بطرابلس، والجامع العتيق وعثمان بوقلاز ببنغازي.

(2) هذه القباب المضلعة المتشابهة فريدة في نوعها واستخدامها في معمار المسجد الليبي وهي في غاية الأهمية، انظر كذلك في:

Sir Banister Fletcher, A History of Architecture, 19 TH. ED. (New York: Charles Scribners' Sons, 1975).

انظر أمثلة متشابهة في ص A 749 وC 765, A 780 وB 823.

(3) مسجد بن سليمان، بمنطقة باب البحر بالمدينة القديمة بطرابلس، له قبتان كل منهما يكتنفها قبوان برميليان. والقبتان تشبهان قبّة مسجد كراباغلي.

(4) الإطار المحيط بالمدخل الرئيسي بزاوية عمّورة تزخرفه بلاطات من القاشاني الملوّن.

ويتوج عقد المحراب عنصر الهلال. والشكل المعماري والترتيب الزخرفي بهذا المحراب، هو انعكاس لنفس الأسلوب المتبع في مدخل المسجد. واستخدام بلاطات القاشاني في المدخل والمحراب هو استثناء زخرفي في هذا المسجد الصغير.

وهناك محراب آخر صنو للمحراب السابق في جامع عمورة بطرابلس، الذي شيّد سنة 1174هـ ـ 1760ف، وعلاوة على وجود نفس الترتيب الزخرفي، في كلا المحرابين، فإن محراب جامع عمورة بطرابلس زخرفت كوشتا عقده بوريدات بارزة منحوتة، بدلاً من بلاطات القاشاني. هذا الترتيب الزخرفي ليس انعكاساً لزخرفة مدخل الجامع (شكل: 39). والتنظيم المعماري والزخرفي، الذي قدمه مدخل مسجد زاوية عمور، يتوافق مع الترتيب المعماري والزخرفي، الذي نشاهده في الأبنية المدنية والدينية في ليبيا، التي تعود إلى القرن الثامن عشر الإفرنجي.

كما يجب ملاحظة أن الشكل العام في كلا المحرابين هو مثيل لكثير من المحاريب الموجودة في جوامع تونس، شيّدت في العصر الأغلبي، كما أصبح متجذراً هذا الطراز في عمارة العصرين الحفصي والعثماني.

والأمثلة الليبية هي صدى للتقليد المعماري التونسي المستمر لقرون طويلة بدون تغير. وأشار إلى ذلك الباحث التونسي مصطفى زبيس في دراسته عن المحاريب في تونس والجزائر والمغرب والأندلس وعددها 34 محراباً، والتي شيّدت بين القرن الثاني إلى القرن الرابع عشر الهجري[1]. ويشير العدد الكبير من المحاريب، [من نفس نوع المحاريب التونسية التي درسها مصطفى زبيس]، في جوامع ومساجد ليبيا، خاصة التي ترجع إلى الفترة القرمانلية، تشير إلى تقليد معماري تونسي، تعود جذوره إلى العصر الأغلبي، وتأثيره على

---

(1) سليمان مصطفى زبيس: «المحاريب في العمارة الدينية بالمغرب الإسلامي»، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، عقد في تونس في الفترة ما بين 18 ـ 29، مايو (الماء) 1963 (القاهرة 1965) ص 553 ـ 562، انظر ص 557 والأشكال: 1 ـ 36.

المعمار الإسلامي الديني في ليبيا (شكل: 39، 42، و44). ويعزى هذا إلى الروابط المتينة المتجذرة بين النظامين الحاكمين في تونس وليبيا، وإلى العلاقات الإجتماعية والفنية التي كانت تربط الشعبين المتجاورين، خاصة أثناء العهدين القرمانلي والحسيني.

أما عن المنابر: فإن وجود منبر يشير إلى أن المسجد تقام فيه أيضاً صلاة الجمع والعيدين، وهذا الموضوع خارج عن نطاق الدراسة، والذي يعتمد على ظروف كثيرة[1] لا علاقة لها بالأمور الفنية والمعمارية.

وفي هذا الصدد فإن أغلب المساجد، ذات الوحدة الفراغية الواحدة، غير مزودة بمنابر، وأنها مساجد أوقات، على اعتبار أن كل حي من الأحياء له مسجد، والمسجد الجامع تنتشر حوله مجموعة من المساجد الصغيرة التي تقام فيها صلاة الأوقات.

(جدول «أ» مسقط 1، 5، 7 و11 ـ وجدول «ج» مسقط 65، أنظر كذلك القائمة الأولى: 2، 3، 4، 6، 9، و10).

وهناك مساجد صغيرة تقع في زوايا ومدارس، مثل مدرسة عمورة، والكاتب تقام فيها صلاة الأوقات من قبل الطلاب والمشايخ. وهناك مجموعة ثالثة من هذه المساجد الصغيرة استخدمت كمساجد جمعة، مثل جامع عمورة محمد فلمنك، وجامع بن الطيف، وجامع سيالة بطرابلس، وجامع الباشا بالخمس (القائمة الأولى: رقم 3، 7، 11، و12). والمسجد الواقع في زاوية عمورة تقام فيها أيضاً صلاة الجمعة والعيدين من قبل الطلاب والأساتذة وسكان المنطقة المحيطة بالزاوية (القائمة الأولى: رقم 5، شكل: 7، 39، 46، و52) فهذه المساجد الخمسة زودت بمنابر خشبية بسيطة التكوين والزخرفة والصنع.

---

(1) لمزيد من المعلومات انظر:

محمد عبده الخوجة، تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، (المطبعة التونسية، تونس 1939) ص6 ـ 8، الدولاتلي، ص144 ـ 151.

يتكوّن كل منها عدد من الدرجات، تؤدي إلى ما يشبه السرداق الصغير يعلوه سقف على شكل الهرم، كما هو الحال في جامع زاوية عمورة، وبعض المساجد الأخرى لم تزود بمثل هذا الشكل البنائي (شكل: 44 و46).

وزودت بعض هذه المساجد الصغيرة بشبابيك للإضاءة والتهوية والتي توجد غالباً في الجزء الأعلى من الجدران، أحياناً على مستوى تحت منطقة الانتقال مباشرة، وأحياناً أخرى نجد بالإضافة إلى هذه الشبابيك، أربع نوافذ في الأضلاع المحورية لمنطقة الانتقال. وهذه الفتحات كافية في الحقيقة بالإضاءة والتهوية لمثل هذه المساجد الصغيرة.

2 ـ عناصر معمارية أخرى مكملة من غير بيت صلاة:

أ ـ الردهة:

لقد أوضحنا أن المساحة المخصصة لبناء المسجد وملحقاته هي التي تحدد فيما إذا كان المسجد سيزود بصحن مكشوف أو بردهة، فبعض المساجد الصغيرة ذات القبة لم تزود بصحن مكشوف، منها مسجد المفتي، وابن طابون، ومسجدالميلادي (حورية) (جدول «أ» مسقط 1، 5، و7)، وعوضاً عن ذلك زودت بحجرة مستطيلة مسقوفة بقبو برميلي، وتضم حماماً، وحنفيات للوضوء، ومراحيض وتؤدي وظيفة ردهة بين بيت الصلاة والشارع.

ب ـ الصحن:

وبعض هذه المساجد الصغيرة زودت بصحن مكشوف محاط برواق أو أروقة، أبعاد هذا الصحن تعادل عادة نفس المساحة المخصصة لبيت الصلاة، ومن هذه المساجد:

مسجد كراباغلي، وابن الطيف، والماعزي، وعمورة محمد فلمنك بطرابلس.

والباشا بمدينة الخمس (جدول «أ» مسقط 2، 3، 4، 8، و10)، وكقاعدة عامة يشغل رواق أحد الجوانب، الذي عادة يسقف بقبو برميلي متقاطع يحوي حماماً ومراحيض وميضأة.

ج ـ المئذنة:

من الطبيعي أن أغلب هذه المساجد الصغيرة لم تزود بمآذن، لأنها مساجد أوقات ويمكن أن تصنف إلى العناصر التالية:

1 ـ المساجد التي لم تزود بأي نوع من أنواع المآذن، ومن هذه المساجد: سيالة، الميلادي، ابن طابون، والمفتي (جدول «أ» مسقط 1، 5، 6، و9)، يؤدي المؤذن الأذان واقفاً أمام المسجد، أو في الردهة الواقعة بين بيت الصلاة والشارع.

وهذه المساجد غالباً تقع بين أزقة ضيقة، وفي مناطق سكنية مكتظة وأحياء تجارية، ويجتمع القاطنون بالقرب منها للصلاة اليومية بدون أن يتركوا أحياءهم، وينتقلون إلى المساجد الجامعة والتي تكون بعيدة نسبياً عن مناطقهم السكنية، وهذه المساجد لم تزود كذلك بمنابر باستثناء جامع سيالة، الذي زود بمنبر، وتقام فيه صلاة الجمعة (للأسف الشديد أزيل من الوجود وهو من أكبر المساجد ذات القبة الواحدة).

2 ـ المساجد التي زودت بمآذن ومنها جامع الباشا بالخمس، فقد زود بمئذنة مثمّنة الشكل، لها شرفة واحدة محمولة على طبقتين من الحنايا الصغيرة المعقودة، الطبقة السفلى بها 32 حنيّة، بواقع 4 حنايا لكل ضلع من أضلاع الشرفة المثمّنة والطبقة العليا بها 40 حنيّة، بواقع 5 حنايا للضلع، هذا الترتيب المعماري يعطينا شكلاً من أشكال المقرنصات (شكل: 55).

وزاوية عمورة بجنزور بها مئذنة ذات قطاع مربع مغربية الطراز، يصل المؤذن إلى مدخلها بعد أن يمر بمجموعة من الدرجات، التي تقوده إلى سطح الزاوية، ومن هناك يدخل إلى المئذنة، التي لها سلم يؤدي إلى قمتها (شكل: 52)، والمسجد في هذه الزاوية تقام فيها صلاة الجمع، وجامع سيدي المرغني زوّد بمئذنة على هيئة برج مراقبة.

وجامع ميزران بطرابلس زود بمئذنة مثمنة قصيرة، لها شرفة واحدة،

والجامع تسقفه قبة كبيرة، وقبوان برميليان متعامدان على جدار القبلة وضعا إلى الغرب من القبة.

3 - المساجد التي زودت بمئذنة من نوع المئذنة - السلّم، ومنها مسجد ابن الطيف، والماعزي (جدول «أ» مسقط 3 و4)، وهو نوع مميّز ولا يقتصر استخدامها في معمار المساجد الصغيرة المسقوفة بقبة واحدة، ولكنها استخدمت في كثير من المساجد التي تسقفها مجموعة من القباب، تصل أحياناً إلى تسع قباب أو أكثر.

وإن عدداً من المساجد التي شيّدت في الفترة السابقة للفترة العثمانية، زودت بهذا النوع من المئذنة (جدول «ب» مسقط 49، 50، 52، و53)، وسنسلط الضوء على انتشارها الواسع في كل مناطق الجماهيرية وبعض الأقطار الأخرى.

تحليل جذور المئذنة - السلم:

يقودنا هذا النوع من المآذن إلى تحليل أصول هذا الشكل المعماري البديل عن المئذنة، ومن المهم أن نتتبع أصل هذا الشكل المعماري، وان نقرر فيما إذا كان عبارة عن سلّم أو هو شكل من أشكال المآذن.

إن الرواة وكتاب السيرة، والمؤرخين الأوائل، مجمعون على أن مسجد الرسول بالمدينة لم يزود بمئذنة، وأشار بعضهم إلى أن بلالاً كان يؤذن للصلاة من على سطح بيت مجاور لمسجد الرسول(1)، وان صاحبة هذا المنزل كانت امرأة من قبيلة بني النجار، وقد فعل بلال ذلك من على سطح الكعبة عند فتح الرسول لها(2).

وهناك نص آخر يوضح كيف كان بلال يقوم بالأذان، هذا النص مأخوذ

(1) أبو الحسن بن عبد الله السمهودي: خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، (المطبعة العامرة، مصر 1285هـ - 1868ف، ص141، 341 و340، و16 .E.I. (Shorter), pp.340

(2) المرجع الأخير، ص340.

من نص ابن زبالة، الذي أكمل كتابه عن المدينة في صفر 199هـ ـ 814ف[1]، هذا المخطوط مفقود، ولكن أجزاءً منه ضمنت في مخطوطي ابن النجار[2]، والسمهودي[3].

يشير السمهودي أنه كانت هناك أسطوانة في بيت عبد الله بن عمر في جدار القبلة، من مسجد الرسول بالمدينة، وكان بلال يؤذن عليها وكان يرقى إليها باقتاب، ويضيف السمهودي، إن هذه الاسطوانة كانت موجودة في أيام ابن زبالة، وكانت تسمى المطمار[4].

ورفعت باشا، وهو من المؤرخين المحدثين، يورد نصاً مشابهاً، بدون ذكر المصدر الذي استقى منه الخبر، ويذكر في هذا النص أن هذه الاسطوانة كانت تقع في نفس المكان الذي كانت عليه دار العشرة، وأنها كانت لها سبعة اقتاب[5].

ورفعت لم يذكر للأسف المصدر الذي استقى منه الخبر.

ويذكر السمهودي كذلك صيغة أخرى مشابهة لما ذكره ابن زبالة ورفعت باشا، استقى السمهودي هذا النص من كتاب عبد الله بن عبد العزيز بن عمران، يقول السمهودي في هذا النص:

«كان في بيت عبد الله بن عمر في جدار القبلة من مسجد الرسول بالمدينة اسطوانة مربعة يؤذن عليها وكانت موجودة في وقت عبد العزيز بن عمران وكانت تسمى المطمار»[6].

---

(1) J. Sauvaget, la Mosquee Omeyyade de Medine, Paris, 1947, p.26.

(2) محب الدين محمد بن محمود ابن النجار: الدرّة الثمينة في أخبار المدينة.

(3) أبو الحسن بن عبد الله السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج1 وج2 (مطبعة الآداب والمؤيد، مصر 1326هـ) ـ هذا الكتاب يحتوي على أجزاء من كتاب تاريخ المدينة لأبن زبالة.

(4) المرجع السابق، ج1، ص375، السمهودي، خلاصة الوفاء، ص141.

(5) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين: الرحلة الحجازية ومشاعرها الدينية، (مطبعة دار الكتب، القاهرة 1344هـ ـ 1925، ص479.

(6) السمهودي: وفاء الوفاء، ج1 ص375.

ويضيف السمهودي صيغة أخرى، تحمل نفس المعنى للنص السابق، الذي يقول عنه أنه مأخوذ من كتاب تاريخ المدينة لجعفر العبيدي أو الحسيني (متوفى سنة 277هـ ـ 890ف وذكر السمهودي أن جعفر الحسيني بدوره رواه عن عبد العزيز بن عمران.

يقول السمهودي في هذا النص:

«كان بلال يؤذن للصلاة من على منار باقتاب كانت في بيت حفصة بنت عمر بن الخطاب، وأنها كانت ملاصقة للمسجد[1].

ومن استعراض هذه النصوص، يبدو أن الأذان للصلاة، في مسجد الرسول بالمدينة، كان يؤدى من على قمة بناء ذي سلالم، وكان هذا البناء في بيت عمر بن الخطاب، الذي كان ملاصقاً لجدار القبلة في مسجد الرسول.

ومع أن هذه النصوص، ذات العلاقة بهذا التقليد المعماري، غير واضحة تماماً، إلا أنه يبدو أن الأذان في المدينة كان يؤدي منذ فترة مبكرة، من على بناء يصل إليه بدرجات (أقتاب)، وتعتبر هذه النصوص أقدم النصوص المتعلقة بهذا الشكل المعماري، الذي يمكن أن نطلق عليه الطابع الأول، أو النموذج الأول للأسطوانة المربعة والسلم الذي استخدمت للأذان.

وهناك نصوص تاريخية أخرى تزودنا بمعلومات أوفى عن هذا الموضوع، فعند إعادة بناء وتوسيع جامع عمرو بن العاص بالفسطاط سنة 53هـ ـ 672ف، على يد مسلمة بن مخلد، تم إصدار قرار بموجبه تم تزويد المساجد بمآذن، وهكذا تم تزويد جامع عمرو بن العاص بالفسطاط بأربعة صوامع[2]، ومن سوء الحظ أن الأوصاف الأولى لهذه الصوامع لا تعطينا صفة سليمة عن شكلها المحدّد، فابن عبد الحكم (توفي سنة 871ف) اكتفى بأن قال أن منارات

(1) المرجع السابق، ص375 و376.

(2) فريد محمود شافعي: العمارة العربية بمصر الإسلامية: عصر الولاة، (الهيئة المصرية، القاهرة 1970) ص637، E.T. (Shorter) p.341.

قد أضيفت إلى مسجد عمرو بن العاص، في حين يذكر ابن دقمان (809هـ - 1406ف) أن أربع صوامع قد شيّدت في الأركان الأربعة للمسجد(1)، ويضيف المقريزي إن السلم الذي كان يصعد منه للأذان كان يقع في الشارع، حتى أدخله خالد بن سعيد إلى داخل المسجد(2).

ويظهر من هذه النصوص التاريخية، أن الأذان في مسجد عمرو بن العاص كان يؤدى من على صوامع، وان السلم الذي يصل إليها كان يقع أول الأمر في الطريق العام خارج المسجد.

وعلى العموم لم يستطع أحد من هؤلاء المؤرخين أن يعطي وصفاً معمارياً وفنياً لشكل وهيئة هذه الصوامع، واستطاع المستشرق يوسف شاخت، اعتماداً على تحليل لغوي، التوصل إلى معرفة أن كلمة صومعة ربما كانت تعني كوخاً بسقف مدبب(3).

هذا الافتراض يتمشى مع نظرية كوربت، الذي أشار إلى أن كلمة صومعة ربما كانت تعني بناءً صغيراً يشبه برج المراقبة، الذي وضع في كل ركن من أركان المسجد(4).

ومن المعلومات التي توصلنا إليها، من خلال النصوص التاريخية، عن مسجد الرسول، ومسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، نستطيع أن نقول أن الشكل المعماري، الذي كانت عليه هذه المآذن في المسجدين المذكورين، كان شكلاً مبسطاً يتكوّن من بناء صغير، وسلم يؤدي إلى سطح المسجد، وفي

---

(1) إبراهيم ابن محمد بن ايدمر العلائي ابن دقماق:
كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج4، (المطبعة الكبرى، بولاق، القاهرة، 1309هـ، ص62، Creswell, the Burlington, I, p.137.

(2) عبد العزيز السيد محمود سالم: المآذن المصرية (القاهرة 1959)، ص10، K.A.C. Creswell, the Burlington, I, p.137.

(3) Joseph Schacht, «Ein Archaiscer Minaret - Typ Egypten und Anatolien», Ars Islamica, V, PT.I. (Ann Arbor, the University of Michigan Publication, 1938), p.46.

(4) Creswell, Ibid (Quoting Corbet the History of the Mosque of Amr, p.722).

حالة مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط يبدو أن سلّماً واحداً كان يؤدي إلى هذه الصوامع المبنية على سطح المسجد. هذه الأمثلة المبكرة تبدو أنها كانت المصدر الأول للمئذنة ـ السلّم، التي استمرت وما زالت تستخدم في كثير من المساجد حتى وقتنا الحاضر، ومنتشرة بكثرة في مصر والسودان، وشمال أفريقيا والمنطقة الصحراوية الواقعة جنوب منطقة شمال أفريقيا.

ويبدو أن هذا الشكل المعماري انتشر في مصر، ومنها اتجه غرباً إلى منطقة شمال أفريقيا، ومن هذه المنطقة اتجه هذا الأسلوب المعماري جنوباً، شاقاً الصحراء ومواكباً لطرق التجارة.

وقد أشار البعض أن انتشاره مرتبط بنمو وانتشار المذهب الاباضي[1].

وبصفة عامة فالمساجد التي لها مآذن من نوع المئذنة ـ السلّم، هي في غاية البساطة، وغالباً ما تكون خالية من الزخرفة، فهي بذلك تمثّل أسلوباً معمارياً مميزاً، وهو في الحقيقة استمرار لنوع المساجد الإسلامية المبكرة الخالية من البهرجة المعمارية والفنية، والمحافظة على التقليد المعماري الإسلامي البسيط في شكل مآذنها.

وما يزيد هذا الافتراض قوّةً وتأييداً، هي أن هذه المساجد، من الناحية الجمالية والمعمارية، والمزودة بالمئذنة ـ السلّم، هي أبسط أنواع المساجد الليبية، فهي خشنة البناء وخالية من الزخرفة.

ومن البديهي أن الغاية منها تأدية وظيفة، بغض النظر عن قيمها الجمالية والفنيّة، وعلى ما يبدو فإن كل التركيب البنائي لهذه المساجد الصغيرة، هو صدى وانعكاس لتلك المساجد، التي شيّدت في المراحل الإسلامية الأولى، وعليه فإن السلالم من الناحية الوظيفية، حسب نص ابن زبالة والسمهودي، في

---

(1) Joseph Schacht, «Sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane a traverse la Sahara», Travux de l'institut de recherches sahariennes XI, Alger, e Impret imperimreur, 1954, pp. 11 - 27 (with 19 pls. containing 41 FIGS).

هذه المساجد هي صنو لذلك البناء المسمّى المطمار الذي استخدمه بلال، والذي كان قائماً في بيت عبد الله بن عمر، وعليه فانه معمارياً يمثل أقدم وأبسط شكل للمئذنة، وهذا الشكل البسيط استمر مستخدماً عبر القرون.

والمئذنة ـ السلّم في معمار المسجد الليبي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة عناصر:

أ ـ مئذنة من نوع السلّم الذي ينتهي إلى ما يشبه السرداق.

ب ـ سلم بسيط يتكوّن من عدد من الدرجات.

ج ـ خليط من مئذنة وسلم، وهي عبارة عن مئذنة بها سلم داخلي يؤدي إلى قمتها، ولكن لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال سلم يقع في وسط الصحن، ويؤدي إلى سطح المسجد حيث تكون المئذنة مقامة على ركن من أركان المسجد.

ناقش هذا الموضوع المستشرق يوسف شاخت، في مقالاته الثلاث(1) بصفة عامة مستخدماً أمثلة من مصر، وشمال أفريقيا، وأقطار المنطقة الصحراوية، ولم تشمل دراساته المساجد الليبية التي بها مآذن من هذا النوع، وأكثرها في ليبيا.

ركز شاخت في مقالته الأولى، على نوع من المئذنة ـ السلّم، التي تتكوّن من عدة درجات، تؤدي إلى إحدى زوايا وأركان سطح المسجد، حيث يوجد بناء يشبه برج المراقبة، وبيّن شاخت أن هذا النوع من المئذنة ـ السلم وتنوعاتها، توجد في ريف مصر(2)، وفي وسط وغرب أناضوليا(3).

ونؤكد هنا إن هذا النوع بالذات منتشر في ربوع ليبيا، نشاهده في مسجد

---

(1) Joseph Schacht, «Further note on the staircase minarets», ARS Orientalis, (Annarbor, the University of Michigan, Smithsonian publication 1961), vol. 4, p.137.

(2) Schacht, Ein archaischer, FIGS, 9 - 11.

(3) المرجع السابق، Schaht, Further notes, p.137, note (1).

سيدي عبد الوهاب القيسي، ومسجد إسماعيل بن يربوع (شكل: 48)، وكلا المسجدين شيّدا أساساً في العصر الحفصي.

وهناك ثلاثة مساجد أخرى بها مآذن مشابهة، منها مسجد بن سليمان، والزاوية القادرية، وجامع ابن مقيل (بن موسى)، (جدول «أ» مسقط 9 ـ وجدول «ب» مسقط 54 ـ وجدول «ج» مسقط 70)، وهذه المساجد الثلاثة الأخيرة تقع في طرابلس، ومن المحتمل أنها شيّدت في الفترة العثمانية.

والاختلاف بين المساجد الليبية، التي زودت بمآذن من هذا النوع، وتلك التي تناولها شاخت، أن الأمثلة الليبية لها سلالم إما من الحجر أو الخشب، وفي حالة واحدة فالسلم مصنوع من الحديد، ويقع داخل بيت الصلاة بدلاً من وجوده محاذٍ لإحدى جدران بيت الصلاة من الخارج، بل إن السلالم التي تؤدي إلى البناء الذي يشبه برج مراقبة في جامع الدروج، قد وضعت في سمك الجدار الشمالي الغربي من بيت الصلاة (شكل: 48)، وربما جاءت تسمية الجامع بجامع الدروج لوضع هذه السلالم الفريدة.

وفي بعض المساجد البسيطة من نوع المعمار الشعبي، مآذن من نوع المئذنة ـ السلم، فالمسجد العتيق في نالوت به مئذنة ذات شكل فريد، عبارة عن ثلاثة أعمدة تلتقي مع بعضها مكوّنة لشكل أقرب ما يكون بمسند آلة تصوير، والسلّم الذي يؤدي إلى هذا البناء الغريب يوجد ملاصقاً لجدار المسجد من الخارج[1]. وأشار أنتوني هت وجاي بيرتر بردج أن مآذن مساجد منطقة فزان، من نوع المئذنة ـ السلّم، توجد ملاصقة لجدار السلّم من الخارج، وأن هذا الشكل المعماري هو الأكثر انتشاراً في مساجد منطقة فزان[2].

وما زال هذا النوع من المآذن مستخدماً في بناء بعض المساجد المتواضعة

(1) Antony Hutt and Guy Perther Bridge, «Vernacular architecture» Islamic art and archaeolgy in Libya (Tripoli Libya, the Antiquites department 1976), p.46.

(2) نفس المرجع، ص56 و57.

خاصة في الريف الليبي، بل أحياناً يشاهد كذلك في بعض المساجد حالياً في بعض ضواحي مدينة طرابلس من قبل بعض الأفراد الخيرين[1].

وتعرّض يوسف شاخت في مقالته الثانية، إلى أمثلة من المساجد التي لها مآذن من نوع المئذنة ـ السلّم، فالشكل البنائي في هذا النوع يشبه برج مراقبة، في إحدى أركان المسجد فوق السطح، ويكتفي المعماري بوضع سلّم من عدة درجات ملاصقاً لجدران المسجد من الخارج، وقد تتبع شاخت انتشار وانتقال هذا الملمح المعماري في أقطار أفريقيا الشماليّة والوسطى، ومرة أخرى فإن شاخت لم يتطرق إلى مساجد من هذا النوع في ليبيا.

وأوضح شاخت أن هناك شكلاً يندرج تحت نوع المئذنة ـ السلّم نجد فيه، بدلاً من البناء الذي يشبه برج مراقبة، بناءً ضخماً، ولكن ما زال هذا البناء يتبعه سلم مستقل يؤدي إليه، وبيّن شاخت انتشار هذا النوع من المئذنة ـ السلّم خاصة في جربة وسوسة بتونس[2]، ورجلة بالجزائر[3]، وفي شمال نيجيريا[4].

وأمثلة أخرى نراها في مساجد سوريا[5]، والسودان[6] وشرق أفريقيا[7].

ونقول إن هذا الشكل المبسط من المئذنة ـ السلّم استمر استخدامه في ليبيا، وصار ملمحاً معمارياً شائع الانتشار في طول البلاد وعرضها، عبر الفترات السابقة للفترة العثمانية، وأثناءها بدون انقطاع وإلى الوقت الحاضر.

ومن المساجد التي تسبق الفترة السابقة للعصر العثماني التي زودت بنوع المئذنة ـ السلّم:

---

(1) ميسانا، ص103 وشكل: على ص102.
(2) Schacht, Further notes, p.137.
(3) المرجع نفسه.
(4) المرجع نفسه، (مسجد فولانيس).
(5) المرجع نفسه، المسجد الكبير في بصرى.
(6) المرجع نفسه، ص138 ـ 140 (بيت خولانه عبد الله في أم درمان).
(7) المرجع نفسه، شكل: 1 ـ 4.

مسجد جنزور القديم.

مسجد السيّاح ـ قبيلة السيّاح ـ جنزور.

مسجد العمروص ـ سوق الجمعة.

مسجد العسوسي ـ طرابلس (شيّد قبل سنة 1510ف).

مسجد القصر ـ براك.

مسجد الجديد ـ منطقة الجديد بسبها.

مسجد الحناشي ـ مرزق.

وبعد استيلاء الأتراك العثمانيين على ليبيا (1551) أصبحت المئذنة ـ السلّم عنصراً معمارياً شائعاً في المساجد ذات الوحدة الفراغية الواحدة، وتلك المساجد ذات الوحدات الفراغية المتعددة، وتلك المسقوفة أيضاً بأقبية برميلية، وكذلك ذات الأسقف المسطحة، وإليك بعضاً من هذه المساجد نوردها حسب تاريخ تشييدها:

مسجد قنديل (1558 ـ 1568) منطقة النوفليين بطرابلس.

مسجد سيدي أبو سعيد (أو الغرياني) (1679) بطرابلس.

المسجد الواقع بزاوية سيدي على الفرجاني (1703) سوق الخميس.

مسجد الشيخ السكلاني (1734) المدينة القديمة بطرابلس.

مسجد عمورة محمد فلمنك (1760) شارع بن عاشور.

المسجد الواقع بزاوية الباقول (نحو 1799) الرياينة ـ الجبل الغربي.

مسجد الدامر بن حسين (1889) بطرابلس.

مسجد الزغاغنة أوجلة (نحو القرن التاسع عشر).

مسجد السبخة بأوجلة (جدول «أ» مسقط 16 و17 ـ جدول «ج» مسقط 68 ـ جدول «أ» مسقط 18 و8 ـ جدول «ج» مسقط 71 و57 ـ جدول «أ» مسقط 32).

وهناك بعض المساجد، غير مؤرخة، إلا أنه يمكن إرجاعها إلى الفترة العثمانية، وقد زودت كذلك بنوع المئذنة ـ السلّم، وهذه المساجد هي:

مسجد ابن الطيف ـ طرابلس.

مسجد ابن صوان ـ طرابلس.

مسجد سيدي جابر ـ منطقة النوفليّين بطرابلس.

مسجد وزاوية المشاط بجنزور.

مسجد وزاوية العريفي وبن حسين بجنزور.

(جدول «أ» مسقط 3، 26، و28 ـ جدول «ج» مسقط 66 و67 على التوالي).

والنوع الثالث من المئذنة ـ السلّم، وهي المغربية الطراز ذات القطاع المربع، ولا يمكن دخولها مباشرة من الصحن، أو من خارج المسجد بصفة عامة من مستوى الأرض، ولكن من خلال سلّم يوجد عادة في الصحن ويؤدي إلى سطح المسجد، ومن هناك يتجه المؤذن إلى المئذنة حيث المدخل الخاص بها والسلالم الداخلية التي تؤدي إلى قمتها، ويوجد هذا النوع من المئذنة ـ السلّم في مسجد سيدي الكتّاني (أزيل في نهاية 84)، ومسجد سيدي عطية الفلاح، كلاهما بطرابلس، ومسجد زاوية عمّورة (1721)، بجنزور.

(جدول «أ» مسقط 22 و27 ـ جدول «ج» مسقط 69 على التوالي).

ونشير هنا إلى أن أقدم نموذج لهذا النوع من المئذنة ـ السلّم من النوع الثالث يمكن إرجاعه إلى الجامع الفاطمي بمدينة إجدابيا، الذي ينسبه المؤرخ البكري إلى أبي القاسم بن عبيد الله، وشيّد في الربع الأول من القرن العاشر الإفرنجي، كما أشار إلى ذلك غولفن، أو إلى الفترة ما بين 934 و946ف، كما أشار إلى ذلك كريسويل[1]، ويشير ديفيد وايت هاوس إلى أن هذه المئذنة غير

(1) أبو عبيد الله ابن عبد العزيز البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، المسالك والممالك (الجزائر 1957) ص5. =

العادية، لها سلّم خارجي من الحجر يقود إلى قاعدة حجرية مربعة، فوقها جسم المئذنة المثمنة[1]، والتي بدورها لها سلّم داخلي يؤدي إلى قمّتها[2].

ويبدو أن بساطة وطريقة البناء للمساجد، التي تحوي هذا النوع من المآذن، تقوم مقام المئذنة الكاملة، وتذكرنا بمسجد الرسول بالمدينة، وتلك الطريقة التي كان بلال يعتلي بها سطح المسجد أو المطمار الذي كان خلف جدار القبلة لأداء الأذان.

ومن الملاحظ إن وجود هذا النوع من المساجد، وهذا الشكل المعماري المبسط للمئذنة، هو تقليد واضح لنوع معماري بدائي، استمر استخدامه وبشكل خاص في المناطق النائية والمنعزلة والمحافظة جداً[3].

ثالثاً: الملامح الزخرفية:

علينا الآن أن نبدأ باستعراض الملامح الزخرفية للمساجد ذات الوحدة الفراغية الواحدة المسقوفة بقبة، أغلبها بسيطة وخالية من الزخرفة، كما هو الحال في معظم المساجد الليبية من كافة الأنوع.

غير إننا نشاهد في بعضها نوعاً من الزخرفة البسيطة المتمثلة في استخدام عنصر أو عدة عناصر زخرفية بارزة، وفي بعض الحالات الأخرى نلاحظ اختفاء الزخرفة البارزة من جراء تكرار تبيضها بالجير الأبيض أو أنواع أخرى من الطلاءات (شكل: 19).

والزخرفة بهذه المساجد الصغيرة، وكقاعدة عامّة تنحصر في المدخل،

= Lucien Golvin, Islamic architecture in North Africa, (London Faber and Faber 1976), p.133, Creswell, Burlington, I, p.140.

(1) البكري، نفس المرجع.

(2) David White House, «Recent archaeological investigations», Islamic art and architecture in Libya Exhibition catalogue, London, 1976, pp. 60, 61, 63.

(3) Schacht, Further notes, p.41.

ومنطقة المحراب، ومنطقة الانتقال في القبّة، هناك مجموعة من هذه المساجد الصغيرة حظيت بنوع من الزخرفة البسيطة.

ومنها مسجد عمّورة محمد فلمنك (1760) بشارع بن عاشور بطرابلس، ومسجد زاوية عمورة بجنزور (1721) وجامع الباشا بالخمس (نهاية القرن التاسع عشر) وجامع ميزران بطرابلس (1880) (شكل: 39 و46).

وفي تخطيطها وهيئتها العامة، فإن محراب مسجد عمورة، ومحراب مسجد زاوية عمورة، هما صنوان، لهما عقدان من نوع حذوة الفرس، محمولان على عمودين صغيرين ملتصقين بالجدار، ومحراب مسجد زاوية عمورة مزخرف ببلاطات من القاشاني المتعددة الألوان، في كوشتي العقد الذي يتوّجه هلال، في حين محراب جامع عمّورة بطرابلس زخرف بمجموعات من الوريدات المنحوتة، التي تختلف في الحجم والقطر والبروز عن سطح الإطار وزخرفة مدخل جامع عمورة لا تنعكس على زخرفة المحراب، لكون المدخل له عقد مستقيم، ومثل هذه الزخرفة أصبحت شائعة الاستخدام على المداخل، خاصة في العمارة المدنية، التي ترجع إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر الإفرنجي[1].

ويحصر منطقة الانتقال، في كلا المسجدين، شريطان زخرفيان يبرزان قليلاً عن الجدران، ويسيران على امتدادها، ومثل هذا الترتيب الزخرفي نشاهده كذلك في قباب جامع خليل باشا الارناؤوطي المسقوف باثنتي عشر قبة صغيرة (شكل: 20، 39، و49).

ومناطق الانتقال في قباب مسجدي عمورة وزاوية عمورة زخرفت بصفين من العقود الصغيرة من نوع حذوة الفرس يعلوان بائكة كاذبة من نفس العقود المذكورة، ونلاحظ مثل هذه العقود في الأضلاع الأربعة المحوريّة لمنطقة

---

(1) Domingo Badia y Leblich, The Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria and Turkey between the years 1803 and 1807, I, (Philadelphia, M. Carey, 1816) pp.258, 261, 274.
مكث هذا الرحالة في طرابلس بين 11 نوفمبر (الحرث) 1805 إلى 26 يناير (أي النار) 1806.

الانتقال في القبّة، بين كل حنيّة وأخرى من الحنايا الأربعة، ونرى هذاالترتيب الزخرفي منعكساً أيضاً في منطقة الانتقال من الخارج، ومثل هذه العقود الصغيرة نراها كذلك في جامع سيدي المرغني بطرابلس.

والرقبة المثمنة، في جامع عمورة بطرابلس، يحددها كرنيش بارز (حلية معمارية) تلف حولها من الخارج، ومثل هذا الكرنيش نجده شريطين يحددان ويؤكدان كذلك الحواف للتقسيمات الأفقية للقبة، يحدّد أحدهما الحافة العليا للمربع، الذي يحمل القبة، والآخر يحدّد الحافة العليا لرقبة القبة بجامع الباشا بالخمس (شكل: 8 و55) ومثل هذا الشكل الزخرفي نراه كذلك في قباب أضرحة القرمانليين بسيدي الشعاب بطرابلس.

وهناك أربعة شبابيك من منطقة الانتقال بين الحنايا الركنية الأربعة في مسجد زاوية عمّورة، ذات زجاج ملوّن مرتب في لوحات من الجص، ذات تصاميم وزخارف مختلفة منها على شكل نجمة، والآخر توريق، وثالث شجرة سرو.

وحظي جامع ميزران كذلك بنوع من الزخرفة المنحصرة في منطقة المحراب والمتمثلة في البلاطات الخزفية المتعددة الألوان التي تكسو إطار المحراب.

وباختصار فهذه المساجد القليلة هي التي نالت قسطاً من الزخرفة، وتعتبر أكثر غنى زخرفياً من بقيّة المساجد الأخرى، التي تكوّن هذه المساجد ذات الوحدة الفراغية الواحدة من المساجد الليبية.

رابعاً: أمثلة وأنواع هذه المساجد:

ونورد هنا قائمة من المساجد المؤرخة وغير المؤرخة التي تكوّن هذه المجموعة من المساجد الصغيرة ذات الوحدة الفراغية الواحدة والمسقوفة بقبّة، ونبدأ بالمساجد المؤرخة وهي:

1 ـ مسجد كراباغلي (نحو 1083 ـ 1086هـ) (1672 ـ 1675) بطرابلس[1].

2 ـ مسجد محمد الماعزي (1160 هـ ـ 1747ف) بالقرب من قصر الشعب ـ طرابلس[2].

3 ـ مسجد عمّورة محمد فلمنك (1174هـ ـ 1760ف) بشارع بن عاشور بطرابلس[3].

4 ـ جامع ميزران بشارع ميزران (1880) (1298هـ) بطرابلس.

5 ـ جامع الباشا (نهاية القرن التاسع عشر) الشارع الرئيسي ـ الخمس[4].

6 ـ مسجد رشيد باشا (1882 ـ 1893)درنة.

7 ـ جامع سيالة (أسسه الحاج محمد سيالة سنة 1327هـ ـ 1908ف) طرابلس.

8 ـ جامع سيدي المرغني (أسسه يوسف القرمانلي سنة 1236هـ ـ 1820ف) طرابلس.

9 ـ جامع المكني (أسسه يوسف المكني سنة 1123هـ ـ 1711ف) المنشية بطرابلس.

---

(1) النائب: المنهل، ص247 (يذكره عمر كراداغلي)، محمود ناجي: تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، (منشورات الجامعة الليبية، كليّة الآداب، مطبعة الغريب، بيروت لبنان 1970) ص156 (يذكره ناجي باسم عمر كراداغلي)، عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، ترجمة عبد السلام أدهم (دار لبنان، بيروت لبنان، 1969)، ص126 (نقلاً عن المنهل العذب، لكنه يذكره خطأ باسم كراتاغلي أحمد قبطان).

(2) الزاوي: **أعلام**، ص297، النائب: **نفحات**، ص152.

(3) قائمة المساجد ومؤسسيهم التي أعدتها مصلحة الآثار وإدارة الأوقاف تعطينا تاريخ بناء هذا الجامع.

(4) له مئذنة مثمنة الشكل، وهو المثل الوحيد من المساجد ذات الوحدة الفراغية الواحدةالذي زود بمئذنة مثمنة الشكل.

أما المساجد التي تقع ضمن الزوايا والمدارس فهي:

1 ـ مسجد مدرسة عثمان الساقزلي (1064هـ ـ 1653ف) طرابلس[(1)].

2 ـ مسجد زاوية عمورة (1134هـ ـ 1721ف) جنزور[(2)].

3 ـ مسجد مدرسة الكاتب (1183هـ ـ 1769ف) طرابلس[(3)].

وهناك عدّة مساجد غير مؤرخة، ولكن يمكن إرجاعها بسهولة إلى الفترة العثمانية ومنها:

1 ـ مسجد المفتي (نحو 18ف) بشارع قوس الصرارعي بطرابلس[(4)].

2 ـ مسجد ابن الطيف (نحو ق 17ف) المدينة القديمة بطرابلس[(5)].

3 ـ مسجد ابن طابون (نهاية ق 16 بداية ق 17ف) قوس المفتي بطرابلس[(6)].

4 ـ مسجد حورية (الميلادي) (نهاية ق 18 بداية ق 19ف) قوس الصرارعي بطرابلس[(7)].

5 ـ مسجد المغاربة بشارع الفاتح (أول سبتمبر) ـ طرابلس (ق 19ف).

---

(1) الزاوي: **معجم**، ص302، 303، واللوحة الرخامية فوق المدخل الرئيسي تعطينا التاريخ وأسماء المؤسسين.

(2) اللوحة الرخامية فوق المدخل الرئيس تحمل تاريخ البناء، ميسانا، ص232 ـ 235.

(3) الزاوي: **أعلام**، ص343، 344، الزاوي: **معجم**، ص303 و304، النائب: المنهل، ص 312 و313، النائب: **نفحات**، ص162، Feraud, Annales, pp.506, note, 1.
(يذكر المؤلف أن مصطفى خوجه كان الكاتب الأول لعلي باشا القرمانلي، والمؤسس لهذه المدرسة، هو مصطفى بن قاسم المصري المعروف بالخوجة، كما يعرف كذلك بالكاتب، وقد توفي سنة 1213هـ ـ 1798ف.

(4) يقع الجامع بشارع قوس الصرارعي بطرابلس.

(5) يقع المسجد بشارع الباز بطرابلس.

(6) يقع المسجد بشارع قوس المفتي بطرابلس.

(7) يتكوّن المسجد من ردهة وقبو برميلي وقبّة.

خامساً: قضايا: المؤسسون، الفترة التاريخية والتأثيرات المعمارية:

والمساجد غير المؤرخة والتي تاريخها غير ثابت وواضح، تثير الكثير من التساؤلات والاستفسارات، ولكن يمكن إرجاعها إلى الفترة العثمانية على الأقل بالنسبة إلى معظمها، ذلك أن التاريخ التقريبي، لكثير من المساجد غير المؤرخة يمكن تكوينه عن طريق استخدام معيار في طريقة البحث والتقصي، ومن ذلك عن طريق مقارنتها بتلك الأمثلة المؤرخة، وكذلك عن طريق ربطها بحدث أو أحداث تاريخية معينة.

دعنا الآن نأخذ مثلاً منها، لنبيّن المنهج الذي استخدمناه في البحث، لنحدد الفترة التاريخية التي يرجع إليها هذا أو ذاك المسجد الصغير، ونتعرف على الاسم الحقيقي للمؤسس، وهويته ووظيفته التي كان يقوم بها إلى غير ذلك من الأمور، وقد استخدمنا منهج البحث التاريخي والحوادث التاريخية لتحديد الفترة التي يرجع إليها المسجد الصغير الواقع بزنقة الريفي بالمدينة القديمة بطرابلس والمسمّى مسجد كراباغلي.

فالمسجد من النوع المتوسط في هذه المجموعة من المساجد، هذا من جانب، ومن جانب آخر على الرغم من أنه غير مؤرخ إلا أنه يمكن إرجاعه إلى مؤسس بعينه، ومن ثم إلى فترة تاريخية محدّدة، الأقوال المأثورة التي يتناقلها سكان الحيّ، من جيل إلى جيل، ومنهم إمام المسجد، يشيرون إلى أن المسجد شيّده شخص تركي يدعى كراباغلي، هذا الاسم مدون في قائمة المساجد التي أعدتها إدارة الأوقاف، ومصلحة الآثار عن المساجد بالمدينة القديمة بطرابلس، وهكذا يتضح أن اسم المؤسس قد استمر ولكن هويته ووظيفته غير معروفة[1].

وبتتبع الحوادث التاريخية، التي تغطي الفترة العثمانية، كذلك الكتب التي

(1) المسجد له ممرّ طويل (ردهة) ضيق يقود إلى بيت الصلاة وإلى الكتاب.

تتناول السير الشخصية[1]، وتشير إلى شخص باسم كراباغلي[2]، جاء هذا الاسم بعدة صيغ[3]، وهذا يشير إلى أن في طرابلس مجموعة من الأسماء التركيّة، أما أنها محرّفة، أو مختلطة مع بعضها، وأما هي نفس الأسماء ولكنْ تنطق وتكتب بعدة صيغ.

وهكذا يمكننا أن نربط بين الاسم الذي يعرف به المسجد حالياً (كراباغلي)، من أنه هو عمر كراباغلي[4]، والذي هو ضابط من ضبّاط الطائفة في ولاية طرابلس الغرب[5]، والذي كان رباناً لإحدى السفن الحربية الكبيرة، أثناء حكم بالي شاوش، داي إيالة طرابلس الغرب في الفترة ما بين 1672 و1675ف[6].

والتسجيلات التاريخية، المرتبطة بالداي بالي شاوش، توضح أنه عندما ألغى المعاهدة التي كانت معقودة بين إيالة طرابلس الغرب وبين إنجلترا، قد استعد بالي شاوش لمهاجمة السفن الإنجليزية فجهز خمس سفن وأرسلها إلى عرض البحر وكان عمر كراداغلي واحداً من الربابنة الخمسة الذين أوكلت إليهم هذه المهمة البحرية القتالية[7].

والدراسات الخاصة بالحياة الاقتصادية، لهذه الفترة التاريخية، تثبت أن رواتب أمراء البحر (كابودان) في الولايات العثمانية الثلاثة في شمال أفريقيا، كانت أكثر الرواتب بين الضباط.

---

(1) ابن غلبون: **التذكار**، ص175، النائب: **المنهل**، ص247.

(2) محمود ناجي، ص156، النائب: **المنهل**، ص247 و262، يذكر النائب أيضاً خليل كراتاغلي، ولكن هذه الشخصيّة أصبح داياً لولاية طرابلس الغرب، وشيّد جامعاً ضخماً مسقوف باثنتي عشرة قبّة.

(3) النائب: المنهل، ص247 و262.

(4) محمود ناجي، نفس المرجع.

(5) المرجع السابق.

(6) النائب: **المنهل**، ص248.

(7) محمود ناجي، ص156، 126، النائب: **المنهل**، ص247.

وكانوا يؤلفون طبقة من أكثر الطبقات غنى، بسبب الأموال التي كانوا يحصلون عليها من سفن الجهادية[1]، ولم يكن هؤلاء الضباط أكثر غنى فحسب، بل لعبوا دوراً مهماً في الحياة السياسيّة للولاية، وفي بعض الفترات كانوا يسيطرون على الشؤون البحرية، في حين داخلياً يمارس ديوان الانكشارية السلطة الفعليّة، والباشا كان يمثل راس الإدارة[2]، (وكمثال بارز وواضح عن حياة أمراء البحر وثرواتهم، وكونهم رعاة للفن والعمارة في طرابلس هو حسين القبطان، الذي سنشير ونناقش جامعه في الفصل الرابع)[3].

وهكذا نصل إلى أنه من المغري أن نربط بين اسم كراباغلي (كراداغلي) وبين بناء هذا المسجد الصغير الواقع في المدينة القديمة بطرابلس، والذي يطلق عليه جامع كراباغلي، فهذا المسجد من فئة المساجد الصغيرة ذات الوحدة الفراغية، أو المتعددة الوحدات الفراغية، والمغطاة بقباب، والتي شيّدت خلال بضعة أجيال من قبل ضباط في الجيش والبحرية، وأعضاء مجلس الديوان، والمشرفين على الخزانة، وديوان الانكشارية، وغيرهم من الشخصيات المدنية والدينية، وحتى الحكام (باشاوات) الذين كانت الحياة الاقتصادية غير منتعشة أثناء توليهم الحكم، وكانوا غير قادرين على تشييد منشآت معمارية كبيرة تليق بمقامهم ومراكزهم في الولاية.

وباختصار فإنه في الوقت الحاضر لا نعرف شيئاً عن مؤسس الجامع، وبخصوص تاريخ ميلاده ووفاته، ولكن بما أنه كان ضابطاً بحرياً نشطاً في الفترة ما بين (1083هـ ـ 1086) (1672 ـ 1675)[4].

عليه نرجح بناء هذا المسجد الصغير في هذه الفترة.

---

(1) Jamil Abun - Nasr, A History of the Maghrib (Cambridge, the University press, London, 1975) p.174.

(2) نفس المرجع.

(3) Feraud, Annales, 257, 258 note I.

(4) نفس المرجع، ص231، 230، النائب: **المنهل، ص245 و248، محمود ناجي، ص125 و126.**

سادساً: مصدر الإلهام لهذا النوع من المساجد والخلاصة:

إن مصدر اشتقاق المسجد المسقوف بقبة، من مبنى الضريح المقبّى تناوله كل من جورج مارسيه، وغاسبري ميسانا، اللذين وصلا إلى نتائج متعارضة ومتضادة ومختلفة، فجورج مارسيه يرى أن بناء ضريح بقبّة، في المغرب الإسلامي اشتق من قبّة المحراب بالمسجد، ويرى ان القبّة التي تغطي منطقة المحراب في المساجد الجامعة[1]، كانت مصدر الإلهام لبناء ضريح مسقوف بقبّة[2].

ونظريته هذه يدعمها وجود مساجد مبكرة مؤرخة وبها قبّة فوق منطقة المحراب، والتي تسبق تاريخياً أي ضريح بقبّة، بما في ذلك قبّة الصليبية في سامراء (248هـ ـ 862ف) وضريح إسماعيل الساماني في بخارى (298هـ ـ 907ف)[3]. ويضيف جورج مارسيه أن الأقطار الإسلامية بالمغرب الإسلامي قد تعرضت للتأثيرات الفنية والمعمارية العثمانية ابتداءً من القرن السادس عشر الإفرنجي[4].

ويعتقد غاسبري ميسانا[5]، أن الأضرحة، ذات القبة كانت مصدر الإلهام لبناء المساجد المسقوفة بقبّة أو بكثير من القباب، وخاصة المساجد الليبية المسقوفة بمجموعة من القبيبات[6]. فقبة الضريح يمكن تكرارها في كل اتجاه

---

(1) التجاني: رحلة، ص254 (يذكر التجاني إن الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد السلام الأموي أخبره بأن الفقيه أبو العباس، نسخ معلوماته من مخطوط القاضي أبي موسى بن معمر، أن شكر (المعروف باسم الصقلبي) قد بنى قبّة المسجد بطرابلس (أي قبّة منطقة المحراب) في سنة 269هـ، وأن خليل بن إسحاق شيّد المئذنة).

(2) Georges Marcais, Mannuel d'art Musluman: l'architecture, II, (Paris, editions Auguste Pilartd, 1977), p.769.

(3) Creswell, M.A.E.I, PT, I, p.138.

(4) Marcais, IBID, p.772.

(5) ميسانا، ص35 و36 (إن نظرية ميسانا تنطلق من نظرية برونو زيفي الخاصة بالعمارة كفراغ).

(6) ميسانا، ص49 و78.

بحيث يتمكن المعماري من أن يشيد أي عدد من القباب في كل الاتجاهات، لكي يسقف بيت صلاة مربع أو مستطيل الشكل[1].

ويحاول ميسانا أن يدعم نظريته، فيقول لو أننا أزحنا الجدران الأربعة لأي بيت صلاة فماذا يبقى لنا؟ تبقى العقود والأعمدة والدعامات الساندة التي تحمل القبّة أو القباب.

فإذا كررنا هذه الفكرة البنائية الإنشائية، أي كرّرنا بناء القبّة بهذه الكيفية، فإننا نحصل على بيت صلاة به الكثير من الوحدات الفراغية المسقوفة بقباب.

ومن الواضح أن غاسبري ميسانا كوّن نظريته بعد أن شاهد أعداداً كبيرة من الأضرحة المسقوفة بقبّة، والمنتشرة بكافة البلاد، وظهرت هذه الأضرحة نتيجة انتشار موجة الصوفية في شمال أفريقيا، ابتداءً من القرن الثاني عشر الإفرنجي وما بعده.

وقام بدراسة أضرحة شمال أفريقيا (باستثناء ليبيا) كومندان كوفت[2]. وهذه الأضرحة الصغيرة، عبارة عن حجرة صغيرة مربعة ذات 2 × 2 متر أو 3 × 3 متر مسقوفة بقبّة، وأصبح المعماريون والبناؤون الليبيون متمرسين في بناء مثل هذه الأضرحة الصغيرة، وأصبح هذا النوع مألوفاً لديهم.

وعند الحاجة لتسقيف بيت صلاة كبير يقفز هنا الحل العلمي، كما يذكر ميسانا، وهو تكرار القبيبة من نفس النوع والحجم، والمعماريون الليبيون الذين كانت تنقصهم الخبرة والمهارة الفنيّة الإنشائية لبناء قبّة كبيرة[3]، كان عليهم استخدام الهيكل البنائي للضريح بقبّة، وكرروه بأعداد كبيرة، تصل في بعض

---

(1) ميسانا، ص76 و11.

(2) ميسانا، ص261 (انظر كذلك مقالتين عن الأضرحة المسقوفة بقباب لـ:

Commandant Cauvet, «les Marabouts: Petits monuments funeraires et votifs du nord de L'afrigue», Revue Africaine LXIV (Algiers, 1923: Kraus Reprint 1971), pp. 274 - 329, 449 - 522, (Plan on p. 295, FIGS., 1 - 18 on p.323).

(3) ميسانا، ص79.

الأمثلة إلى 42 مرّة[1]، مثل جامع الناقة (1610) وجامع درنة (1689). ويضيف ميسانا أن المساجد الليبية المسقوفة بقباب، هي نتاج خبرة معمارية محدودة، ومحصورة في بناء ضريح صغير بقبّة[2]. ويضيف ميسانا أن المصلى ينزوي في مسجد من هذا النوع محدد بأربع أعمدة أو دعامات، وتكتمل هذه الوحدة الفراغية القبّة، والمحمولة على هذه الأعمدة أو الدعامات، وفي هذا المحيط يشعر فيه المصلي بأهميته بشكل أو بآخر، كما لو كان لوحده[3]، لكل هذه الأسباب مجتمعة برز معها المسجد الليبي ذو القبيبات في آن واحد، في جميع أنحاء البلاد[4]. ويختم ميسانا نقاشه بأن معماري المسجد في ليبيا قد ركزوا على قيمة ومعنى طبيعة الفراغ[5]. ويشير ميسانا بأن أصل ونشأة وتطور المسجد الليبي ذو القبيبات قد حدث بالصدفة، وبجهود المعماريين المحليين في كافة البلاد[6]، وأن هذا الأصل والنشوء والتطور لا علاقة له بمدارس المغرب الإسلامي ولا المشرق الإسلامي المعمارية[7]. وهكذا ينفي ميسانا أي تأثير تونسي أو مصري[8] أو تركي أناضولي[9]. بل إنه يذهب إلى مدى أبعد من هذا، ويرى أن المساجد الليبية ذات القبيبات كانت مصدر الإلهام لمسجد بيالة باشا المسقوف بست قباب، والذي شيّد في استنبول سنة 1573ف[10].

من الواضح أن نظرية ميسانا غير مقنعة، ولم يقدم أي ضريح بقبّة يسبق تاريخياً أي من المساجد الجامعة، التي لها قباب فوق منطقة المحراب، لتدعيم

---

(1) نفس المرجع، ص89 و261.
(2) نفس المرجع، ص261.
(3) نفس المرجع، ص90.
(4) نفس المرجع، ص261.
(5) نفس المرجع، ص263.
(6) نفس المرجع، ص87.
(7) نفس المرجع، ص60 و263.
(8) نفس المرجع، ص261.
(9) نفس المرجع، ص54 و60 و157 و263.
(10) نفس المرجع، ص 62 و63.

نقاشه حول مصدر الإلهام للمساجد المسقوفة بقبيبات، لذلك فإنه من المغري أن نشير إلى أن ميسانا قصد تحاشي وتجنب الإشارة إلى عدد كبير من المساجد والمشاهد التي شيّدت في الفترة الإسلامية المبكرة، ذات الوحدات الفراغية المتعددة والمسقوفة بقبيبات، وخاصة المسقوفة بتسع قباب، التي ترجع إلى الفترة ما بين القرن التاسع والثاني عشر الإفرنجي.

توجد هذه المساجد في كل من بلخ[1]، والقاهرة[2]، وطليطلة[3]، والحضر[4]، وأسوان[5]، وجنزو[6]، والشلال[7]، وبخاري[8]، وأوجلة[9]، وجامع الأقمر بالقاهرة[10]، وجامع الفيالة بالقاهرة[11].

وأشرنا إلى هذه الأمثلة لنبيّن مدى انتشارها (هذه المساجد ستناقش بحسب علاقتها بالمساجد المسقوفة بتسع قباب في الفصل السادس من هذا الكتاب).

ومهما يكن فإن منطقة طرابلس الغرب، وخاصة مدينة طرابلس والمناطق المجاورة لها، بها أكبر مجموعة من أنواع المساجد ذات القباب.

---

(1) Lisa Golombek «Abbasid Mosque at Balkh», Oriental art, XV, New Series, 1969, pp. 173 - 189, FIGS. 2, p.187.

(2) نفس المرجع، ص188، شكل 34. Creswell, M.A.E., IPP.11 - 15.

(3) Golombek, p.188 (Mosque of Bib Mardum date, CA 999 A.D).

(4) نفس المرجع.

(5) Creswell, M.A.E., IPP. 144, 145 FIG. 71.

(6) التجاني: رحلة ص219.

(7) Creswell, M.A.E., I, pp.150, 151,155, Oleg Grabar, «the Earliest Islamic commemoratives structures», Ars Orientalis, VI (Ann Arbor, the University of Michigan, Smithsonian Publications, 1966), p.10.

(8) Esin Emel, «Al - Qubbah Al - Turkiyya», Atti Del Terzo Congresso di studi Arabi e Islamic Ronello, 1 - 6 Settembre, 1966, (Napoli, 1967), p.303, PL, V111, Illus. 7.

(9) Emilio Scarin, le Oasi, p.84, FIG. 19, p.91, FIG. 27.
(يذكر ميسانا مسجد أوجلة).

(10) Creswell, M.A.E., I, pp.241 - 245. FIG. 141.

(11) Grabar, p.11.

على أن هذا لا يعني أن أقطاراً أخرى لم تستخدم طريقة التسقيف بالقبيبات، على أنه أيضاً وبنفس الدرجة أن أغلب إن لم يكن كل المباني المسقوفة بقباب المذكورة أعلاه تسبق تاريخياً أي مسجد ليبي ذي قبيبات مؤرخ بما في ذلك مسجد الشيخ أبو الحسن السيقاطي بجنزور الذي توفي في نحو 420هـ ـ 1029ف، ولكن قبيباته التسع محمولة على مثلثات كروية، وأعمدته لها تيجان، أصبحت شائعة في العصر القرمانلي (1711 ـ 1835) أضف إلى ذلك أن الإثباتات الأدبية والتاريخية والفنية، والمقارنات المعمارية تشير إلى أن كل المساجد الليبية ذات القبيبات قد شيّدت في الفترة العثمانية.

ويتجاهل ميسانا أيضاً مجموعة كبيرة من المساجد الموجودة في ليبيا، ذات الوحدة الفراغية الواحدة والمغطاة بقبّة والتي هي موضع المناقشة في هذا الفصل.

(لمزيد من المعلومات الملخصة حوّل هذه المساجد انظر القائمة رقم 1 لفهم العلاقة بينها وبين المساجد ذات الأربعة وحدات فراغية فيما يتعلق بتواريخها وأحجامها وأقطار قبابها).

وتقودنا هذه الدراسة إلى الاعتقاد، بأن التقليد المعماري للمساجد ذات القبّة الواحدة، وتلك ذات القباب المتعددة قد نتج عن ممارسة عثمانية جذرتها في ليبيا المؤسسات الإدارية والعسكرية التركيّة، وكذلك المستوطنون الأتراك الذين استقروا وعاشوا في ليبيا من خلال مجموعاتهم التجارية والثقافية والحرفية، واتبع هذا التقليد العثماني تطوراً مشابهاً لما كان يجري في تركيا.

وكما أشرنا سابقاً، فإن كل مؤرخي الفن المتخصصين في الفن والعمارة من العصر العثماني، قد أعطوا أهمية أولية إلى التنظيم الفراغي الداخلي للمبنى وتطوره وترتيب القبّة.

إن تشييد القباب الكبيرة كان تحدياً للمهندسين والمعماريين ولجملة من الأسباب، منها الوظيفية والرمزية، وقد نجح المعماريون الأتراك العثمانيون في

بناء قباب كبيرة تصل أقطارها إلى أكثر من 33 متراً، وارتفاعها عن سطح الأرض بأكثر من 50 متراً في بعض المساجد السلطانية وبسبب التأثير الثقافي والفني والمعماري العثماني القوي أثر معمارياً وفنياً وثقافياً على كل الولايات العثمانية في كل مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، وعليه فمن المعقول أن نتوقع تطوراً فنياً ومعمارياً مشابهاً، أخذ طريقه إلى ليبيا، التي كانت مقاطعة عثمانية، ومهما يكن فليس في الامكان أن نقارن الطراز العثماني السلطاني الإمبريالي والطراز العثماني المقاطعي، ما عدا المقارنة التي تخص الأسّس المشتركة.

وفكرة تطور القبّة من حيث القطر والشكل الفني، والتقنية الضرورية لتشيدها لاستخدامها في تسقيف بيت صلاة أكبر فأكبر، كما توضح ذلك القائمة رقم (1)، نجد مثل هذه المحاولات في كثير من المساجد الليبية يمكن إثباتها وتتبعها بسهولة عند فحصنا المساجد الليبية بصفة عامة وخاصة المؤرخة منها، أما تلك المساجد غير المؤرخة، فذلك يعود إلى غياب المادة أو الإثبات الكتابي، والنصوص التاريخية الواضحة المعروفة حالياً.

إذاً علينا أن نعتمد على التحليل الفنيّ والمعماري لنسبتها إلى فترة تاريخية محددة، ومن أجل استخدام أفضل للمادة العلمية المتاحة والخاصة بالبحث، فرأيت من الأنسب أن أحصر كل المساجد، ذات الوحدة الفراغية الواحدة في القائمة رقم (1) لنعود إليها من آن لآخر.

إن أصغر قبّة مستخدمة في هذه الفئة قطراً وحجماً تلك القبّة التي تسقف مسجد ابن طابون، وهي أقل من خمسة أمتار من حيث القطر، ومحمولة على مثلثات كروية، يجعلنا نرجعه إلى بداية الفترة العثمانية، وهناك أربعة مساجد أخرى وهي مسجد مدرسة عثمان الساقزلي، ومسجد كراباغلي، ومسجد ابن الطيف، ومسجد الماعزي، لها قباب أقطارها 5.20 متر، 5.0 متر، و5 متر على التوالي، وتاريخها 1653، 1672، 1675، والثالث غير مؤرخ، والرابع يؤرخ في 1747 على التوالي، عليه فإنني أفترض أن مسجد بن الطيف قد شيّد في النصف الثاني في القرن السابع عشر الإفرنجي، ومدرسة الكاتب ومسجد

المفتي لهما قبتان أكبر حجماً من القباب السابقة، قطر قبّة مسجد مدرسة الكاتب نحو 6.20 متر، بينما مسجد المفتي قطر قبته نحو 6.30 ولكن غير مؤرخ.

ومرة أخرى فإن هذا المسجد الأخير يمكن إرجاعه إلى القرن السابع أو الثامن عشر الإفرنجي، لأنه لا توجد مساجد مسقوفة بقباب بهذا الحجم التي ترجع إلى فترة قبل القرن السابع عشر الإفرنجي.

والمسجد، الملحق بزاوية عموّرة، الذي شيّد في سنة 1721، هو أول مسجد مؤرخ، له قبّة كبيرة ذات قطر نحو 7 متر، ومن حيث الحجم فإن قبة أخرى كبيرة يمكن مقارنتها بهذه، وهي قبّة مسجد عموّرة محمد فلمنك الذي تسقفه مثل هذه القبّة ومعها قبوان برميليان، ويؤرخ في سنة 1760، وجامع سيّالة أسسه الحاج محمد سيّالة سنة 1327هـ ـ 1908ف بطرابلس، له قبّة ذات قطر نحو 8 متر، ومعها قبو برميلي يسقفان بيت صلاة أبعاده نحو 8 × 10.20 متر، وجامع سيدي المرغني بطرابلس (1820) له قبّة قطرها نحو 8.50 متر.

ومسجد حوريّة أو الميلادي مسقوف بطريقة غير مسبوقة من قبل(1)، القبّة كبيرة ومرتفعة جداً، قطرها نحو 7 متر، يكتنفها قبوان برميليان قصيران متوازيان مع جدار القبلة، ويحمل هذا السقف عقدان وهو المسجد الأول من نوعه، الذي حلّت فيه مشكلة وحدة الفراغ الداخلي وهذه الطريقة في التسقيف هي أنجح محاولة لإيجاد وحدة فراغ داخلي من كل المحاولات السابقة، أظهر فيه المعماري محاولة جادة لإظهار التعقيد البنائي المعماري.

عليه فمن المرجح أن يعود هذا الجامع إلى القرن التاسع عشر الإفرنجي.

ويحق لنا القول، بعد هذا الاستعراض، لمحاولات إيجاد وحدة فراغ داخلي في المساجد الليبية، إن مجيء العناصر الإدارية، والعسكرية والاقتصادية والثقافية العثمانية، مختلطة بالطرق والأساليب الإنشائية والبنائية نقل المعماريين

---

(1) مسجد بن سليمان له سقف يتكوّن من قبتين يكتنف كلاً منهما قبوان برميليّان.

الليبيين للعمل بكفاءة وروعة إلى مرحلة جديدة، وتعرضوا إلى اتجاهات إنشائية ومعمارية جديدة، ومنها قبول التحدي لبناء قباب كبيرة الحجم، بتعقيداتها الإنشائية المختلفة والتي لم يستطع أسلافهم بناءها، لا في العمارة المدنية ولا الدينية.

وأخيراً نجح البناؤون الليبيون في تشييذ القباب الضخمة، التي وصل قطرها إلى نحو 12 متر كما هو الحال في جامع الباشا بالخمس، الذي يرجع إلى نهاية القرن التاسع عشر الإفرنجي.

أما فيما يتعلق باستخدام القبة في المباني المدنية، فهناك عدّة محاولات، يمكن تتبعها في المباني المدونة في القائمة رقم (2)، حمّام درغوت بطرابلس به قبتان كبيرتان فوق القاعة الباردة والقاعة الساخنة، وضعت القبتان مباشرة على الجدران الأربعة السميكة، فلا تعطيان إيحاءً بالضخامة والفخامة، التي حققها المسجد العثماني ذو القبة الواحدة حيث كقاعدة عامة، هو بناء القبة على رقبة مثمنة والتي تزيد من رؤية ووضوح القبّة.

ولم يستخدم المعماريون الليبيون قبّة من هذا النوع باستثناء الأمثلة المذكورة أعلاه لتسقيف قاعة صلاة مربّعة ذات أبعاد في حدود 8 أو 9 متر للضلع، وقبّة من هذا النوع يمكن أن تسقف تماماً كل المساجد الصغيرة ذات الأربعة وحدات فراغية (التي سنناقشها في الفصل الرابع من هذا الكتاب) المسقوفة بأربعة قباب صغيرة، ولكنّ المعماري الليبي فضل أن يسقف بيت صلاة بهذا الحجم بأربعة قباب، بالرغم من أن الفراغ الداخلي بها مشتت، نظراً لوجود العمود، الذي ترتكز عليه العقود الأربعة الحاملة للقباب، ولذلك يمكن اعتبار المساجد ذات القباب الكبرة، هي محاولات ناجحة لبناء مسجد بقبّة واحدة، حلّت فيه مشكلة وحدة الفراغ الداخلي، كما هو الحال في مسجد عمورة بطرابلس، ومسجد زاوية عمورة بجنزور، وسيّالة، وميزران، وجامع الباشا في الخمس، والذي فيه تحقق طابع الفخامة والعظمة في البناء، وجامع سيدي المرغني ذو القبّة الكبيرة بطرابلس.

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر استخدم المعماريون الليبيون أشكالاً جديدة من التخطيط، وطرقاً جديدة من أنظمة التسقيف، هذه الاتجاهات الجديدة وصلت القمّة، ببناء جامع عثمان بوقلاز (1883 ـ 1893) والجامع العتيق (1893 ـ 1904)، اللذين شيّدا في مدينة بنغازي من قبل واليين عثمانيين متعاقبين على حكم الولاية (جدول «ج» 72 و73، شكل: 24 54)، وهما من صنف المساجد السلطانية ذات التخطيط المركزي، حيث تهيمن قبّة كبيرة محاطة بأنصاف القباب، لتسندها من المحاور الأربعة، وأربعة قباب في الزوايا الأربعة لبيت الصلاة (مع بعض الاختلاف البسيط الذي لا يضر الجوهر).

وهكذا يتضح انه لم تكن الرغبة المتجذرة في نفوس البنائيّن الليبيّين، كما قال ميسانا، في استخدام القبيبات في تسقيف المساجد الليبية[1]، بل كانت قلّة المعرفة والخبرة الفنيّة الإنشائية الكافية، هي التي منعتهم من استخدام أشكال معماريّة أخرى في التسقيف، في الفترة ما بين القرن السابع إلى القرن الخامس عشر الإفرنجي، وكانت تنقص الليبيّين التقاليد الفنيّة والمعماريّة، لأنها كانت معبراً للفاتحين والغزاة والتجار والحجاج[2].

ومع أن العناصر والأشكال المعمارية في هذه الأبنية تعكس أسلوباً معمارياً محلياً معروفاً قبل الفترة العثمانية، إلا أن المساجد الليبية ذات القبة الكبيرة تعكس بالمقابل تأثيرات المدرسة العثمانية المعمارية والفنية.

---

(1) ميسانا، ص93.

(2) Abun - Nasr, pp.189 - 190. ميسانا وص59.

القائمة رقم (1)

مساجد ذات وحدة فراغية مسقوفة بقبّة

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	أعداد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
1 ـ مدرسة عثمان الساقزلي	عثمان الساقزلي والي الولاية	م. ق طرابلس	5.20 متر في 5.20	1 قبة	5.20 متر	مثلثات كروية	1653	ج ـ 56	القبّة مضلعة
2 ـ كراباغلي	عمر كراباغلي ضابط في البحرية	م. ق طرابلس	5.50 متر في 5.50 متر	1 قبة	5.50 متر	حنايا ركنية	1672 1675	أ ـ 2	القبة لها ثمانية أضلاع
3 ـ ابن الطيف	؟	م. ق طرابلس	5 متر في 5 متر	1 قبة	5 متر	حنايا ركنية	ق 17	أ. 3	
4 ـ ابن طابون	؟	م. ق طرابلس	5.80 متر في 4.60 متر	1 قبة + 1 قبو	4.60 متر	مثلثات كروية	ق 16	أ. 5	
5 ـ زاوية عمورة	القائد عمورة	جنزور	7 متر في 7 متر	1 قبة	7 متر	حنايا ركنية	1721	ج. 69	ضابط في الجيش

القائمة رقم (1) تكملة (أ)

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	أعداد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
6 ـ الماعزي	محمد الماعزي	طرابلس	5.20 متر في 5.20 متر	1 قبة	5.20 متر	حنايا ركنية	1747	أ. 4	شيخ عالم توفي في 1753
7 ـ عمورة محمد فلمنك	عمورة محمد فلمنك	طرابلس	14 متر في 7 متر	1 قبة 2 قبو	7 متر	حنايا ركنية	1760	أ. 8	

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبة يحتمل تنقصها الدقة.

(م.ق = المدينة القديمة)

القائمة رقم (1) تكملة (ب)

مساجد ذات وحدة فراغية مسقوفة بقبّة

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
8 ـ مدرسة الكاتب	مصطفى المصري الكاتب	م.ق طرابلس	6.20 متر في 6.20 متر	1 قبّة	6.20 متر	حنايا ركنيّة	1769	أ. 11	
9 ـ المفتي	؟	م.ق طرابلس	6.30 متر في 6.30 متر	1 قبة	6.30 متر	حنايا ركنيّة	ق 18	أ. 1	
10 ـ الميلادي (حورية)	؟	م.ق طرابلس	11.50 متر في 7	1 قبة + 2 قبو	7 متر	حنايا ركنيّة	ق 18	أ. 7	
11 ـ سيّالة	الحاج محمد سيّالة	طرابلس	8.20 متر في 10.20 متر	1 قبة + 1 قبو	8.20 متر	حنايا ركنيّة	1327هـ ـ 1909ف	أ. 6	أزيل في نهاية سنة 1984
12 ـ الباشا	الوالي محمد باشا أو الوالي رجب باشا	الخمس	11.75 متر في 11.75 متر	1 قبة	11.75 متر	حنايا ركنيّة	نهاية ق. 19	أ. 10	أكبر قبة في المساجد الليبية

القائمة رقم (1) تكملة (ج)

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	أعداد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
13 ـ رشيد باشا المغار (حالياً)	رشيد باشا	درنة	7 متر في 7 متر	1 قبة	7 متر	حنايا ركنيّة	1882 ـ 1893	ـ	المؤسس هو والي ولاية برقة (1882 ـ 93)
14 ـ ميزران	الحاج رمضان ميزران	شارع ميزران طرابلس	14.50 متر في 7.50 متر	1 قبة + 2 قبو	7.50 متر	حنايا ركنيّة	1298هـ ـ 1880ف	د. 21	من كبار التجار في البلاد

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبّة يحتمل تنقصها الدقة.

القائمة رقم (1) تكملة (د)

مساجد ذات وحدة فراغية مسقوفة بقبّة

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
15 ـ سيدي المرغني	يوسف باشا القرمانلي	منطقة الحشان طرابلس	8.50 متر في 8.50 متر	1 قبة	8.50 متر	حنايا ركنيّة	1236هـ ـ 1820ف	د. 25	فترة يوسف القرمانلي 1795 ـ 1832
16 ـ المكني	يوسف المكني	المنشيّة طرابلس	6.50 متر في 6.50 متر	1 قبة	6.50 متر	حنايا ركنيّة	1123هـ ـ 1711ف	د.24	فترة محمد باشا شائب العين وخليل باشا الأرناؤوطي 1687 ـ 1711

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبة يحتمل تنقصها الدقة.

القائمة رقم (2)
بعض القباب الكبيرة التي تسقف بعض الأضرحة وحمام درغوت

إسم الضريح أو إسم الحمّام	المؤسس	الموقع	أبعاد الحجرة المقبّاة	نوع القبّة	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
1 ـ ضريح درغوت	درغوت باشا	م.ق طرابلس	6 متر في 6 متر	نصف دائرية	6.00 متر	مثلثات كرويّة	منتصف ق. 16	ب. 42	ملاصقة لبيت الصلاة من الجنوب الشرقيّ
2 ـ ضريح درغوت	درغوت باشا	م.ق طرابلس	6.50 متر في 6.50 متر	نصف دائرية	6.50 متر	مثلثات كرويّة	منتصف ق. 16	ب. 42	الحجرة الأساسية لضريح درغوت
3 ـ ضريح درغوت	درغوت باشا	م.ق طرابلس	6.50 متر في 6.50 متر	نصف دائرية	6.50 متر	حنايا ركنيّة	منتصف ق. 16	ب. 42	الضريح الملاصق لضريح درغوت

القائمة رقم (2) تكملة

إسم الضريح أو إسم الحمّام	المؤسس	الموقع	أبعاد الحجرة المقبّاة	نوع القبّة	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
4 ـ ضريح عثمان الساقزلي	عثمان باشا الساقزلي	م.ق طرابلس	6.20 متر في 6.20 متر	مضلعة ولها رقبّة مثمّنة	6.20 متر	مثلثات كروية	1653	ج. 65	مثل قبة المسجد بالمدرسة
5 ـ حمّام درغوت	اسكندر باشا	م.ق طرابلس	8 متر في 8 متر	نصف دائرية	8.00 متر	حنايا ركنيّة	1604	ـ	الحجرة الباردة
6 ـ حمّام درغوت	اسكندر باشا	م.ق طرابلس	7.50 متر في 7.50 متر	نصف دائرية	7.50 متر	حنايا ركنيّة	1604	ـ	الحجرة الدافئة
7 ـ مسجد سيدي سالم المشاط	رمضان ابن عثمان رايس	م.ق طرابلس	6 متر في 6 متر	نصف دائرية	6.00 متر	حنايا ركنيّة	1670	أ. 29	الضريح الواقع على الجانب الجنوبي الشرقي

ملاحظة/ الأبعاد وقطر القبّة يحتمل تنقصها الدقة.

4

المساجد ذات الأربع وحدات فراغية والمسقوفة بأربع قباب

يمكن تقسيم وتصنيف المساجد المتعددة الوحدات الفراغية، من حيث المساقط والتخطيط الأرضي، والحجم والتنظيم الداخلي، والشكل الخارجي إلى الفئات التالية:

1 ـ مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأربع قباب.

2 ـ مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بست قباب.

3 ـ مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بتسع قباب متماثلة وأخرى متباينة.

4 ـ مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأكثر من تسع قباب.

5 ـ مساجد متعددة الوحدات الفراغية المسقوفة بأقبية برميلية، أو أقبية برميلية وقباب، أو ذات أسقف خشبية.

ومصطلح وحدة فراغية (Unit) عرفها وحدد مفهومها الباحث التركي عبد الله كوران، بأنها هي الوحدة الأساسية في النظام الإنشائي الفراغي للنظام المعماري[1]، وفي معمار المسجد الليبي المتعدّد الوحدات فإن مصطلح «وحدة

---

(1) Aptullah Kuran, the Mosque in Early Ottoman architecture, (Chicago, London, the University of chicago press, 1968) pp.27, 138.

Unit» هي عبارة عن فراغ أومساحة تحددها أربعة أعمدة، أو أربعة من الأعمدة والدعامات السائدة، وهذه الوحدة الفراغية تسقف بقبو، أو قبو برميلي متقاطع، أو سقف مسطح.

ومن الناحية الوظيفية الإنشائية، فإن استخدام أعمدة، أو دعامات في قاعات الصلاة المعمّدة، تقسّم بيت الصلاة من الداخل، إلى مساحات متساوية، والفراغ البنائي الداخلي إلى وحدات فراغية متساوية، وكل منها محدّدة بدورها بأربعة عقود محمولة على أعمدة أو دعامات[1]، ومسقوفة في أغلب الحالات بقبّة، وفي بعض الحالات الأخرى بقبو برميلي، وفي حالات ثالثة يكون السقف مزيجاً من القباب والأقبية البرميليّة، وفي حالات رابعة فإن هذه الوحدات الفراغيّة المتساوية يغطيها سقف مسطح.

سبق أن أوضحنا أن النظام والتخطيط المعماري، المتّبع في بناء المساجد الليبية، التي شيّدت أو أعيد بناؤها في الفترة العثمانية، هو تشييد مسجد مسقوف بقبّة واحدة، أو مجموعة من القبيبات وفي النوع الأخيرتتكرّر الوحدة الفراغية المربّعة في اتجاه الطول أو العرض، أو في كليهما[2]، وبتعبير آخر هو أن الوحدة الفراغية الواحدة ذات القبّة، يمكن تكرارها في أي عدد في صفوف منتظمة، حسب رغبة المعماري لبناء بيوت صلاة كبيرة، لكي يسقف المستطيل منها أو المربّع بقباب[3]، والمساجد المتعدّدة الوحدات الفراغية المسقوفة بقبيبات، هي أكبر من تلك المسقوفة بقبّة واحدة، مع وجود بعض الاستثناءات، والتي تغطيها قباب كبيرة، ولها فراغ داخلي أكبر وموحد من بعض تلك المساجد التي تغطيها قبيبات[4].

---

(1) ميسانا، ص91.

(2) Kuran, pp.27, 150, 205.

(3) المرجع السابق، ص213، ميسانا، ص93.

(4) وكمثل على ذلك جامع سيّالة الواقع في شارع عمرو بن العاص (الوادي) بطرابلس تغطيه قبّة وقبو برميلي، والجزء المسقوف بقبّة قطرها نحو 8 متر، هي أكبر من بيت الصلاة في مسجد العسوسي، ومسجد قنديل، والدبّاغ، وبعض المساجد الأخرى، ذات الأربع وحدات فراغية. =

ويقسّم الفراغ الداخلي في المساجد الليبية، ذات الوحدات الفراغية المتعدّدة، إلى أربع وحدات[1]، وفي بعض الحالات إلى اثنين وأربعين وحدة متساوية[2]، وفي بعض الأمثلة يسقف بيت الصلاة قبوان برميليّان[3]، أو أربعة[4]، أو أكثر من ذلك.

وأكبر المساجد من هذا النوع، هو جامع مراد آغا بتاجوراء الذي تقسم فراغه الداخلي ثمانية وأربعون عموداً، ينتج عنها ثلاثة وستون وحدة فراغية مسقوفة بطريقة غير عادية، بأقبية برميلية (جدول «ب» مسقط 47).

واستخدام الأعمدة أو الدعامات في قاعة الصلاة يعطي مسافات في الاتجاهات الأربعة، وهذا يمكّن البنّاء من تغطية بيت صلاة، مربّع أو مستطيل بقباب متساوية، أو أقبية برميليّة متساوية[5]. والفراغ الداخلي في المسجد ذي الوحدة الفراغية الواحدة، غير مجزأ[6]، ولكن المسجد الليبي من هذا النوع صغير جداً، ولا يمكن استخدامه كمسجد جامع (هناك بعض الاستثناءات)، ومع أن الفراغ الداخلي في المساجد الصغيرة المسقوفة بأربع أو ست أو تسع قباب، هو فراغ مجزأ بسبب وجود الأعمدة (1 و2 أو 4) التي تحمل القباب أو

= وجامع الباشا بمدينة الخمس هو أكبر من أي مسجد تسقفه أربعة قباب بما في ذلك جامع محمود خازندار، ومسجد الكتاني. قطر قبّة جامع الباشا نحو 12 متر وهي أكبر القباب في ليبيا.

(1) كل المساجد المسقوفة بأربع قباب.

(2) مسجد الكتاني، والخروبة، وعبد الله بن أبي سرح، وخليل الأرناؤوطي، وشائب العين، والقرمانلي، ودرغوت، والناقة، هي أمثلة لهذه الحالة، التي تحوي إما ست أو تسع، أو عشر، أو اثنتي عشرة، أو ست عشرة، أو خمس وعشرين، أو اثنتين وثلاثين، أو اثنتين وأربعين قبّة على التوالي.

(3) مساجد مسقوفة بقبوين برميلين، هي جامع المجيدية بشارع الزاوية بطرابلس، ومسجد زميت بقرقارش، ومسجد زاوية الباقول بالرياينة، ومسجد الدامر بن حسين بجوار مستشفى العيون بطرابلس.

(4) مساجد مسقوفة بأكثر من قبوين برميلين، هي مسجد الكراري بطرابلس، مسجد سيدي محفوظ بغريان، وجامع السنوسية (حالياً عمر المختار)، وجامع مراد آغا بتاجوراء، ومسجد العريفي بالعمروس سوق الجمعة.

(5) Kuran, p.27.

(6) نفس المرجع، ص49.

الأقبية البرميليّة، إلا أننا نشعر بنوع من وحدة الفراغ قد تحقق إلى حد ما (جدول «أ» مسقط 20، 26 و31)، أما في المساجد الكبيرة، التي هي مساجد جامعة فإن فراغها الداخلي مجزأ ومشتّت بوجود الأعداد الكبيرة من الأعمدة أو الدعامات، التي تسند السقف، مثل ما نشاهد ذلك في جامع الناقة، وجامع درنة، ودرغوت، ومراد آغا، وغيرها[1]، (شكل: 26 و27).

ولفهم أكبر وأكثر وضوحاً لطبيعة المسجد الليبي، علينا أن نفحص أكبر عدد من المباني، والتي صنفناها بحسب عدد الوحدات الفراغية فيها، ذلك أن كل فئة منها لها ملامحها الخاصة والمميّزة، ومشاكلها المعمارية والإنشائية، ونبدأ أولاً بتلك المساجد ذات الوحدات الفراغية الأربعة.

---

(1) كما هو الحال في جامع مراد آغا بتاجوراء.

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأربع قباب

أولاً: المسقط الأفقي والتسقيمات الفراغية:

مساجد هذه الفئة لا تختلف عن المساجد، ذات الوحدة الفراغيّة الواحدة ذات القبّة في أغلب المفردات والتفاصيل المعمارية، والتصميم المعماري لعدد كبير من المساجد في منطقة طرابلس وضواحيها، يتكوّن من قاعة مربّعة أو شبه مربّعة، مسقوفة بأربع قبيبات متساوية، أبعاد هذه القاعة تتراوح بين (6 في 6 متر) إلى نحو (8.20 في 8.20 متر) (جدول «أ» مسقط 12 ـ 23، جدول «ج» مسقط 66 و70) القائمة (3) (1 ـ 12).

ومن ضمن هذه المجموعة تتشكل تنوعات لنفس التصميم المعماري، لا تكمن الاختلافات بينها في تصميم الهيكل البنائي لبيت الصلاة المسقوف بأربعة قباب، ولكن في التكوين العام للمبنى الذي يشمل بالإضافة إلى بيت الصلاة عناصر معمارية أخرى مكمّلة.

ومثلما شاهدنا في المساجد ذات الوحدة الفراغية الواحدةمن كونها تحتوي على صحن مكشوف ـ في بعض منها، فإن بعض المساجد، ذات الأربعة وحدات فراغية، زودت كذلك بصحن مكشوف.

وفي هذا الصحن الصغير والمكشوف والمحدّد بجدران منخفضة، يوجد

رواق أو رواقان الذي بدوره يشغله حمّام ومراحيض وميضأة (جدول «أ» مسقط 14 ـ 23).

وكما بيّنا في الفصل السابق أن الفراغ المتاح والمخصّص للبناء يحدّد فيما إذا كان المسجد سيزوّد بصحن مكشوف أم لا.

وتعتبر المساجد قيد المناقشة، والتي زودت بصحون هي مساجد ذات تخطيط تقليدي، بغض النظر عن ضآلة حجمها (بمعنى أنها تتكوّن من بيت صلاة مسوقف وصحن مكشوف).

ثانياً: الملامح المعمارية:

1 ـ بيت الصلاة:

أ ـ الجدران والعقود:

تفرض وتحتّم القوانين المعمارية والبنائية الإنشائية انه في كل ضلع من أضلاع مربع بيت الصلاة، يوجد عقدان يشكلان جزءاً من الجدار، ويبرزان بنحو 30 سم عن سطح الجدار من الداخل (شكل: 12، 14، و28)، هذا الترتيب البنائي الداخلي يعطينا نفس الانطباع، الذي تعطيه المساجد التي ناقشنا ظروفها المعمارية في الفصل السابق، من كونها توحي بالاستقرار والثبات والقوّة لبيت الصلاة.

ب ـ القبّة ومنطقة الانتقال:

مناطق الانتقال في القباب محمولة دائماً على شبكة من العقود، تتكوّن من اثني عشر عقداً، اثنان على كل جانب، وأربعة عقود تنتشر من العمود الذي يتوسط بيت الصلاة، وترتكز على الأربعة دعامات الساندة الملتصقة بالجدران الأربعة لبيت الصلاة.

وتتكون منطقة الانتقال، إما من حنايا ركنية، أو مثلثات كروية، (شكل: 12 و13)، في بعض الأمثلة نشاهد حنايا صغيرة ذات عقود بارزة عن سطح

الجدار، في المحاور الأربعة لمنطقة الانتقال، موضوعة بالتبادل مع الحنايا الركنية الأربعة، وهذا الترتيب والنسق المعماري يذكرنا بنفس الترتيب في بعض المساجد ذات القبة الواحدة مع وجود كرنيش يجري تحت منطقة الانتقال ويحدّدها، وهو ما نرى أمثلة منه في بعض المساجد ذات القباب الأربعة، والقباب التي تسقف هذه المساجد، هي قباب صغيرة تتراوح أقطارها من 2.75 متر، إلى نحو 3.90 متر (القائمة رقم (3) 1 ـ 12) وهي دائماً من نوع القباب النصف دائرية ومحمولة إما على حنايا ركنيّة، أو مثلثات كروية وتكون منطقة الانتقال مندمجة في الجزء الأعلى من جدران بيت الصلاة، والاستثناء الوحيد هو جامع سيدي الكتاني بطرابلس (شكل: 25) (أزيل في نهاية 1984).

ج ـ المحاريب والمنابر:

أغلب المحاريب في هذه الفئة من المساجد ذات قطاع نصف دائري ـ وعقودها نصف دائرية، وخالية من الزخرفة (شكل: 43)، وبعض هذه المحاريب لها عقود من نوع حذوة الفرس، وكلّها محمولة على أعمدة مندمجة في الجدار، وتحمل هذه العقود بعض الزخارف، وهي عبارة عن إطار يبرز قليلاً عن الجدار (جدول «أ» مسقط 15، 20، و21 ـ وشكل: 44).

ويشكل موقع المحراب، في بيت الصلاة في هذه الفئة من المساجد، مشكلة معماريّة، ناتجة عن وجود العمود الذي يتوسط بيت الصلاة، الذي تنتشر منه أربعة عقود، تستقبلها دعاماتساندة في الجدران الأربعة، والتي يجب أن تكون في وسط كل جدار، ومن بينها جدار القبلة الذي يشغله المحراب.

أوجد المعماريون الليبيون حلاً لهذه المعضلة المعمارية والإنشائية، وذلك بتشييد محراب يبرز عن جدار القبلة على مستوى نهاية العقد، وهكذا يصبح الرفس المعماري، الذي يحدثه العقد، الذي يكون في وسط جدار القبلة، يقع على عقد المحراب البارز عن جدار القبلة، ويجعل إطار المحراب سميكاً وقوياً وبارزاً عن جدار القبلة (شكل: 43).

وتميّز هذه المشكلة الإنشائية كل مساجد هذه الفئة باستثناء جامع القبطان بزاوية الدهماني (1687)، الذي وضعت فيه الدعامات الساندة في جدار القبلة بين المحراب والمنبر (شكل: 44)، ويشاهد نفس الحل والترتيب المعماري في مسجد بني رواحة(سيدي الشامس) بغريان[1]، الذي أزيل في الآونة الأخيرة.

ومثل هذه المعضلة الإنشائية نشاهدها في جامع عبدال محمد في مدينة بورصا بتركيا، والذي يعود إلى 1450ف، ووضع له نفس الحل للمحراب، تتكوّن قاعة الصلاة في هذا الجامع، من وحدتين فراغيتين مسقوفتين بقبتين متساويتين يحملهما عقد كبير، ووضع المحراب في وسط جدار القبلة، ولكنه نحت في الدعامة الساندة الملتصقة بجدار القبلة[2]، ومن الواضح أن هذه المعضلة المعمارية برزت في كلا البلدين وتم إيجاد حلّ لها في البلدين بدون أن يكون هناك تأثير من أي البلدين في الآخر.

وفي هذه الفئة من المساجد ذات القباب الأربعة تبرز ظاهرة معمارية، تكمن في وجود محرابين في بعض من هذه المساجد[3]، تم اكتشاف أن مكان المحراب لم يكن في الاتجاه الصحيح للقبلة، وبعد تحديد الاتجاه تم بناء محراب آخر في الزاوية التي تتوافق مع الاتجاه الصحيح للقبلة، وسدّ المحراب القديم الذي كان في وسط جدار القبلة[4]، (شكل: 43).

وفي شكلها العام فإن بعض المحاريب بهذه المساجد هي عبارة عن استمرار لنفس التقليد المعماري والزخرفي المعروف في المساجد التونسية، التي ناقشها سليمان مصطفى زبيس[5]، والتي تمّ تتبعها في المساجد الصغيرة

---

(1) ميسانا، ص87 وشكل: 7.

(2) Kuran, pp. 138, 139 FIGS., 149 - 151.

(3) عبد السلام بن عثمان ابن عبد السلام الأسمر: كتاب الإشارات، (طرابلس، ليبيا، تاريخ المخطوط 1094هـ ـ 1682) ص113. ويشير فيها المؤلف أن مساجد جنزور وطرابلس والساحل اتجاه القبلة فيها ليس الاتجاه الصحيح.

(4) مسجد الكتاني ومسجد قنديل يحتوي كل منهما على محرابين.

(5) مصطفى سليمان زبيس: «المحاريب في العمارة الدينية بالمغرب الإسلامي»، المؤتمر =

ذات القبّة الواحدة، التي درسناها في الفصل السابق، وخاصة محراب مسجد زاوية عمورة (1721)، وجامع عمورة محمد فلمنك (1760)، ومحراب آخر في جامع القبطان (1686) (شكل: 39 و44)، وجامع العسوسي، وجامع الدباغ، (1679)، وجامع محمود خازندار (1680).

أما بقيّة المحاريب فهي عبارة عن حنايا بسيطة خالية من الزخارف، وبعض هذه المحاريب دعمت بوجود إطار بارز سميك (شكل: 43) من الحجارة (جدول «أ» مسقط 12، 15 و16) وبعضها، طليت بألوان كثيرة أو بالجير مرات عديدة.

وهو شيء مألوف في العمارة الإسلامية في ليبيا (شكل: 38، 40، 43، و44).

والمحراب الوحيد الذي حظي بزخرفة جصية، هو محراب مسجد زاوية المشّاط بجنزور، التي اقتصرت على الإطار والمنطقة التي تعلو المحراب مباشرة (جدول «ج» مسقط 66).

ومن حيث استخدامها كمساجد أوقات أو مساجد جامعة يمكن تصنيفها على النحو التالي:

1 ـ المجموعة الأولى:

وتشمل عدة مساجد بالمدينة القديمة بطرابلس، وضواحيها والتي تستعمل لصلاة الأوقات: منها مسجد العسوسي، والنخلي، والدبّاغ، وابن الطبيب، والسكلاني بالمدينة القديمة بطرابلس، وبعض المساجد الأخرى تقع في الضاحية الجنوبيّة الشرقيّة لمدينة طرابلس، مثل مسجد قنديل،وسيدي أبو سعيد (الغرباني) (أزيل في نهاية 1984)، (جدول «أ» مسقط 15، 12، 14، 18، 17، و16 على التوالي).

= الرابع للآثار في البلاد العربية، (تونس 18 ـ 19 مايو (الماء) 1963، القاهرة 1965) ص553 ـ 562 مع عشر لوحات بها 36 محراب.

2 ـ المجموعة الثانية:

وتشمل جامع محمود خازندار، المدينة القديمة بطرابلس، وجامع القبطان بزاوية الدهماني بطرابلس، وجامع الكتاني في منطقة أبي هريدة بطرابلس (أزيل في نهاية 1984)، هذه المساجد هي أكبر حجماً من المساجد الأولى ولها منابر ومآذن، وتقام فيها صلاة الأوقات والجمع (شكل: 43 و44 ـ جدول «أ» مسقط 20، 21 و22).

3 ـ المجموعة الثالثة:

وتشمل المسجد الواقع في زاوية المشّاط في جنزور، له منبر وتقام فيه صلاة الجمع والأوقات. ومنابر هذه المساجد كلّها بسيطة، مصنوعة من الخشب وتشبه تلك المنابر التي درست في الفصل السابق في المساجد المسقوفة بقبّة واحدة، الاستثناء الوحيد هو منبر مسجد زاوية المشاط وهو من الحجر، عبارة عن عدة درجات.

أما معالجة الإضاءة والتهوية بهذه المساجد، فوجود عدّة شبابيك في الأجزاء السفلى من الجدران كافية لإعطاء الإضاءة المطلوبة، أما جامع محمود خازندار فقد زوّد بشباكين كبيرين في جدار القبلة، نصفا دائريين وبهما زجاج ملوّن.

وسنتناول أهمية تصميم هذين الشبّاكين في تطور العناصر المعمارية في المساجد الليبية في الصفحات التالية من هذا الفصل.

2 ـ عناصر أخرى مكمّلة من غير بيت الصلاة:

أ ـ الردهة:

من المعروف أن المساحة المخصصة لبناء المسجد هي التي تحدّد فيما إذا كان المسجد سيزود بردهة أو صحن مكشوف.

وفي هذه المجموعة من المساجد الصغيرة نسبياً، هناك مسجدان وهما

مسجد ابن الطبيب، ومسجد النخلي (رمضان النابوليتاني) (جدول «أ» مسقط 12 و13) لم يزودا لا بردهة ولا بصحن، وفي هذين المثلين تقع المراحيض والميضأة والمطهرة في مبنى منفصل، يقع بالقرب من المسجد، ومسجد ابن الطبيب[1]، ملحق به ضريح صغير، تسقفه قبّة صغيرة، يكتنفها قبوان برميليّان صغيران[2]، (جدول «أ» مسقط 13)، ويذكرنا بنفس التصميم والترتيب المعماري، الذي نشاهده في مسجد حورية (الميلادي)، الذي درسناه في الفصل السابق، ويمكن الدخول إلى الضريح من داخل بيت الصلاة.

يذكر الشيخ الطاهر الزاوي أن الضريح الواقع على الجانب الشمالي الغربي الملحق بمسجد ابن الطبيب، مقبور فيه الشيخ مصطفى الماعزي، والد الشيخ محمد الماعزي الذي شيّد مسجداً صغيراً مسقوفاً بقبّة قبل سنة 1753[3]، يقع هذا المسجد في زاوية الشيخ الماعزي في منطقة بالقرب من قصر الشعب.

ب ـ الصحن:

زودت بقية المساجد من هذه المجموعة بصحون مكشوفة، أحد الجوانب في الصحن دائماً يشغله رواق، به المراحيض والميضأة.

والمساجد التي توضح هذا النوع، هي مسجد العسوسي، والدباغ، والسكلاني، وسيدي بن الإمام (محمد الإمام)، والمسجد الأخير أزيل في سنة 1959، وحل محله جامع كبير (جدول «أ» مسقط 14، 15، 18، و19).

وفي أمثلة أخرى يزود الصحن بأكثر من رواق، أحدهما دائماً تشغله المراحيض والميضأة، وعلى جانب آخر من الصحن رواق يستخدم للصلاة،

---

(1) مسجد ابن الطبيب له في الحقيقة لوحة تذكارية فوق مدخله، ولكن بسبب تكرار الطلاء عليها أصبح من المستحيل قراءتها.

(2) Creswell, M.A.E., I, pp.131 - 145، انظر كذلك وعلى الخصوص ص134، شكل 65 III أ و III ب وIII ج.

(3) الزاوي: **معجم**، ص87، النائب: **نفحات**، ص152، النائب: **المنهل**، ص296، ابن غلبون: **التذكار**، ص263 انظر كذلك هوامش 2 و3 على ص182، الزاوي: **أعلام**، ص297.

وسقيفة، ومخزن أو مخازن، والجانب الثالث من الصحن تشغله أحياناً المئذنة ـ السلّم ـ أو مئذنة.

والمساجد التي لها هذا التخطيط والترتيب المعماري، هي جامع قنديل، وسيدي أبو سعيد، ومحمود خازندار، والقبطان، والكتاني (جدول «أ» مسقط 16، 17، 20، 21، و22)، وجامع بيت المال، وجامع الجداع (جدول «د» مسقط 20 و23).

ومجموعة أخرى من هذه المساجد لم تزود بمئذنة ولا بالمئذنة ـ السلّم، وهي مسجد النخلي والدبّاغ، في حين زود مسجد العسوسي والغرياني (أبو سعيد)، وقنديل والسكلاني، سيدي بن سليمان، ومسجد بيت المال، ومسجد الجداع في الظهرة بالمئذنة ـ السلّم، وهناك نوع ثالث من المساجد زوّد بمآذن، منها جامع محمود خازندار زود بمئذنة أسطوانية، لها شرفة واحدة، جامع القبطان زوّد بمئذنة مغربية الطراز، وكذلك جامع الكتاني زوّد بمئذنة مغربيّة الطراز، تقع فوق سطح المسجد وسلّم يؤدي إليها يقع في الصحن، والمئذنة لها مدخلها وسلّم داخلي يؤدي إلى قمّتها.

ومكوّن معماري جديد بدأ ينضم إلى المسجد كأحد مكوناته، هو مبنى الضريح الملاصق للجامع، مثل جامع محمود خازندار، والكتاني، وابن الطبيب، وسيدي بن الإمام(1)، وسيدي بن سليمان.

ثالثاً: الملامح الزخرفية:

ومن الناحية المعماريّة والجماليّة، فالمساجد المسقوفة بأربعة قباب، قيد الدراسة يمكن تصنيفها على الوجه التالي:

1 ـ المجموعة الأولى:

تشمل مساجد صغيرة منخفضة السقف، وخالية من الزخرفة، وفي بعض

---

(1) النائب: نفحات، ص130، الزاوي: **أعلام**، ص261، النائب: **المنهل**، ص247، ميسانا: لوحات 8 ـ 10 على صفحتي 287 ـ 289.

الحالات تحوي بعض المداخل زخارف بارزة، مثل تلك التي تزخرف مداخل المساجد الصغيرة المسقوفة بقبّة واحدة، وقد نحتت بنفس الأسلوب والمعالجة، والمحراب عبارة عن حنية خالية من أي نوع من الزخرفة.

2 ـ المجموعة الثانية:

تشمل مساجد أكبر حجماً من المساجد في المجموعة الأولى، ولها قباب أكثر ارتفاعاً وأكبر حجماً، ولها محاريب نالت حظاً من الزخرفة، عبارة عن أشرطة بارزة تحدد منطقة المحراب، جامع محمود له زخارف بارزة، وزخرفة عبارة عن توريق لورقة نخيل، في كوشتي عقد المحراب، وفوق العقد وحنية المحراب، وعقد المحراب محمول على عمودين صغيرين مندمجين، والسطح المواجه لأرضية بيت الصلاة من دكة المبلغ بهذا الجامع به زخرفة ملوّنة، وعناصر زخرفيّة متنوعة ومنتشرة في مواقع مختلفة من هذا الجامع، منها بلاطات خزفيّة عليها كتابة كوفيّة، وجامات بعضها به كتابة، وبعضها بزخارف نباتيّة أو هندسية (شكل: 13).

وهناك احتمال أن بلاطات القاشاني، ذات اللون الواحد، خاصة تلك التي تزيّن جدار القبلة، وبالقرب من النهاية العليا من حنية المحراب، قد أضيفت في القرن التاسع عشر الإفرنجي.

والإطار الجديد الذي يتداخل مع المحراب، يغطي جزءاً من بلاطات القاشاني، وهناك بلاطات من نفس النوع والزخرفة في كل من جامع إسماعيل بن يربوع، وجامع عمر المختار (سابقاً السنوسيّة) شيّد في سنة 1306هـ ـ 1888ف[1]، وجامع درغوت، ويرجح الباحث التركي علي صايم أولجن، في مقالته عن جامع درغوت، أنها صنعت في القرن التاسع عشر[2].

---

(1) قائمة المساجد التي أعدتها مصلحة الآثار وإدارة الأوقاف تعطينا التاريخ وأسماء المؤسسين.

(2) Ali Saim Ulgen, «Trablusgarpta Turgut Reis Mimari Manzumesi» Vakfilar Dergisi, III (Ankara, 1962), p.90.

وتزخرف مدخل مسجد النخلي بلاطات خزفية، عليها زخارف نباتية ذات لون أزرق ترقوازي، ومثلها لوناً وتصميماً وزخرفة تزخرف كلاً من مدخل جامع حوريّة، والمدخل الذي يربط بيت الصلاة في جامع درغوت، بالحجرة الملاصقة للمسجد من الناحية الشماليّة الشرقيّة، وباب هذا المدخل عليه تاريخ 1220هـ ـ (1807)، مما يوضح أن هذا الباب قد أضيف إلى المسجد في إحدى فترات التجديد والصيانة، التي أجريت للمسجد، كما قد يساعدنا هذا التاريخ في إرجاع بناء جامع حوريّة إلى القرن التاسع عشر (شكل: 56 و59).

وهناك محراب فريد في المسجد الملحق بزاوية المشّاط بجنزور، مزخرف بزخارف هندسية، محفورة في الجص، وهي غير متقنة، مما يرجح أنها من عمل مزخرفين محليّين غير محترفين في نهاية القرن التاسع عشر، أو بداية القرن العشرين.

وكقاعدة عامة يحدّد إطار بارز مداخل هذه المساجد، به زخارف بارزة على شكل وريدات، وعنصر الهلال الزخرفي وهذا الترتيب والأسلوب الزخرفي أصبح شائعاً في العمارة الدينية والمدنية[1]، ويشاهد بشكل مكثف في مداخل جامع محمد شائب العين بطرابلس (1699) (شكل: 57).

رابعاً: أمثلة وأنواع هذه المساجد:

نتناول الآن أمثلة مختلفة ومتنوعة من المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأربع قباب، ونبدأ بـ:

المساجد المؤرخة:

1 ـ مسجد العسوسي: شيّده عبد العزيز بن محمد الأوسي الأنصاري[2]،

---

(1) Antony Hutt and George Michell, Islamic art and architecture in Libya, (Tripoli, Libya, the antiquites department, 1976), pp.22, 23, with 6 FIGS. of Doorways.

(2) النائب: **المنهل**، ص325 ـ 327، النائب: **نفحات**، ص114 و115.

في نهاية الفترة الحفصيّة، قبل الاحتلال الإسباني لمدينة طرابلس في سنة 1510[1]، يقع بالمدينة القديمة بطرابلس.

2 ـ مسجد النخلي: الذي بناه رمضان خازندار (النابوليتاني)[2] في سنة 1064هـ ـ 1653ف[3]، يقع كذلك بالمدينة القديمة بطرابلس.

3 ـ مسجد قنديل: الذي يقع في منطقة النوفليّين بالضاحية الشرقيّة من طرابلس، شيّده القائد مصطفى بن عبد الله في سنة 1067هـ ـ 1656ف[4].

4 ـ مسجد سيدي أبو سعيد (الغرياني): الذي يقع في الضاحية الجنوبيّة بطرابلس، شيّده حسب اللوحة التذكارية فوق المدخل الرئيسي حسن أبازه، الذي كان داياً لطرابلس الغرب[5]، في سنة 1090هـ ـ 1679ف ـ 1680ف[6].

5 ـ مسجد الدباغ: الذي يقع بالمدينة القديمة بطرابلس، من المؤكد أن الذي قام بتشييده هو محمد الدباغ أحد قواد الانكشارية بالولاية في سنة 1089هـ ـ 1679ف[7].

---

(1) المرجع الأخير، ص114، الزاوي: **أعلام**، ص179 و180، النائب: المنهل، ص326.

(2) Feraud, Annales, p.192 - 3, 4. (كان رمضان النابوليتاني خازنداراً أثناء فترة محمد الساقزلي وعثمان الساقزلي).

(3) إدارة أوقاف القطر الطرابلسي: كتاب الميزانية الاحتياطية لسنة 1919، (طرابلس الغرب: مطبعة الحكومة 1919) ص14، اللوحة التذكارية فوق المدخل الرئيسي تعطينا التاريخ واسم المؤسس.

(4) اللوحة التذكارية فوق المدخل الرئيسي للجامع تعطي التاريخ الذي يمكن قراءته إما 1076 أو 1079هـ (1666 أو 1669ف) ومهما يكن فإن مصطفى بن عبد الله (الذي يعرف حالياً «بو عبد الله») هو مؤسس هذا الجامع، وشيّد مسجداً آخر في قبيلة السوالم، في سوق الجمعة في سنة 1066هـ ـ 1655ف. أزيل هذا الجامع وشيّد مسجد حلّ محله. اللوحة التذكارية التي كانت على مدخل المسجد القديم قد وضعت على المدخل الرئيسي للمسجد الجديد.

(5) النائب: **المنهل**، ص252 ـ 254، عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، ترجمة عبد السلام أدهم (لبنان، دار لبنان 1969) ص129، 131، واللوحة الرخاميّة التذكارية على المدخل الرئيسي للجامع تعطي اسم ووظيفة المؤسس وتاريخ الإنشاء.

(6) Feraud, Annales, pp. 255, 256. (he was the Agha of the Janissaries).

(7) النائب: **المنهل**، ص253، عزيز سامح: المرجع السابق، ص129.

6 ـ جامع محمود خازندار: يقع بالمدينة القديمة بطرابلس، وهو أحد أكبر المساجد من هذا النوع، شيّده محمود خازندار في سنة 1091هـ ـ 1680ف[1]، وكان يشغل منصب المشرف على الخزانة لولاية طرابلس الغرب[2].

7 ـ جامع حسين القبطان: شيّده حسين القبطان في سنة 1099هـ ـ 1688ف[3] في الضاحية الشرقيّة لطرابلس، منطقة زاوية الدهماني، وكان من أغنى أمراء البحر في ولاية طرابلس الغرب، وشيّد كذلك عدّة منازل فخمة، الجامع مسقوف بأربع قباب وقبوين برميليّين متعامدين على جدار القبلة.

8 ـ مسجد السكلاني (الصقلاني): ينسب إلى الشيخ محمد بن محمد بن علي السكلاني، الذي واصل تعليمه في الأزهر بالقاهرة، ورجع إلى طرابلس سنة 1147هـ ـ 1734ف[4]، يقع المسجد بالمدينة القديمة بطرابلس.

9 ـ مسجد سيدي بن الإمام: ينسب إلى سيدي محمد الإمام، الذي توفي في سنة 1083هـ ـ 1672[5]، يقع في الضاحية الشرقيّة من طرابلس، أزيل سنة 1959، وشيّد بدلاً منه جامع جديد.

---

(1) المرجع السابق، النائب: **المنهل**، ص252، الزاوي: **معجم**، ص93، 314، 315.

(2) ابن غلبون: **التذكار**، ص181 ـ وقد أشار المؤلف إلى أن محمود خازندار شيّد خمسة مساجد في طرابلس، وبعض المواقع الأخرى، الزاوي: **معجم**، ص314 و315، ويذكر الزاوي أن مسجد قصر أحمد في مصراته شيّده محمود خازندار، ويضيف الزاوي (ص93) أن محمود خازندار، شيّد ايضاً المسجد المسمى بمسجد سليمان داي المعروف بصفر داي، الذي يقع في حومة أولاد نوير في طرابلس. وجامع محمود به لوحتان تذكاريتان، واحدة فوق المدخل الرئيسي للجامع، والثانية على مدخل الضريح.

(3) Feraud, Annales, p.257, note 1 on pp.257, 258.

النائب: **المنهل**، ص260 و262، عزيز سامح، ص134. واللوحة فوق المدخل الرئيسي تعطينا التاريخ واسم المؤسس، انظر كذلك الحوليات، ص257 و258 حيث النص كامل.

(4) النائب: **نفحات**، ص149 ـ 151 و161.

(5) النائب: **المنهل**، 247، النائب: **نفحات**، ص130، الزاوي: **أعلام**، ص261.

10 ـ مسجد بيت المال: يقع في منطقة أبو ستة، وسوق الجمعة، وشيّده إبراهيم شلابي ناظر بيت المال المشرف على الخزانة في عهد يوسف القرمانلي، في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر (1786 ـ 1800).

المساجد غير المؤرخة وتشمل:

1 ـ مسجد بن الطبيب[1]: يقع بالقرب من مسجد السكلاني بالمدينة القديمة بطرابلس، وبجواره ضريح ملاصق مقبور فيه الشيخ مصطفى الماعزي[2].

2 ـ مسجد سيدي البشت والكتاني: يقع في منطقة أبي هريدة في الضاحية الجنوبيّة من طرابلس[3]، ومن المؤكد انه يعود إلى القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر (أزيل في نهاية 1984).

3 ـ مسجد زاوية سيدي سالم المشّاط بجنزور[4]، يعود كذلك إلى القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر.

4 ـ مسجد الزاوية القادريّة: يقع بالمدينة القديمة بطرابلس، منطقة الفنيدقة على بعد بضعة أمتار من جامع الناقة[5]، يعود إلى فترة القرن السادس عشر أو السابع عشر.

---

(1) هناك لوحة تذكارية على المدخل الرئيسي ولكن من الصعب قراءتها.

(2) الزاوي: **معجم**، ص87.

(3) يعرف بمسجد سيدي البشت والكتاني، النائب: **نفحات**، ص203 و204 ـ يذكر النائب أن أبا الحسن علي بن محمد البشت كان أحد أتباع سيدي عبد السلام الأسمر البارزين ـ توفي الشيخ البشت في ربيع الثاني سنة 997هـ ـ 1588ف ـ ويضيف النائب أن قبر البشت هو بجوار قبر جده.

(4) النائب: **نفحات**، ص108 ـ كتاب الميزاينة، ص13.

(5) يقال أن الشيخة مدّينة مقبورة في الزاوية الملاصقة لهذا المسجد الصغير (هذا الاسم مذكور ضمن أسماء المساجد ومؤسسيها).

5 ـ مسجد سيدي بن سليمان: بزنقة أبو دينة بشارع بن عاشور بطرابلس، ويعود كذلك إلى القرن السابع عشر (جدول «د» مسقط رقم 22).

6 ـ مسجد الجداع: بالظهرة بطرابلس، ويعود إلى القرن الثامن عشر أو التاسع عشر، (جدول «د» مسقط رقم 23).

7 ـ مسجد باكير بمنطقة الحشان بطرابلس، أزيل في تسعينات القرن العشرين.

وهذه المساجد الصغيرة لم نتمكن من معرفة تاريخ تشييدها بالتحديد، ولكنها من نفس تصميم المساجد المؤرخة، ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأربع قباب، ولها نفس التفاصيل المعمارية والتخطيط، والبساطة في الزخرفة، وفي طريقة البناء بصفة عامّة، وعليه فمن شبه المؤكد أنها شيّدت أو أعيد بناؤها في القرن السابع عشر أو الثامن عشر.

خامساً: قضايا: المؤسسون، الفترة التاريخية، والتأثيرات المعمارية:

أوضحنا في الفصل السابق، انه في غياب الإثبات التاريخي والكتابي، فإن تحديد التاريخ، أو الفترة الزمنيّة، التي شيّد فيها هذا أو ذاك المسجد يجب أن نعتمد على التحليل والمقارنات المعماريّة والفنيّة.

وليكون استخدامنا للمادة العلمية المتاحة أكثر علمية، فقد صنفنا المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأربع قباب، في القائمة رقم (3)، والتي سنشير إليها من آن لآخر، عند تحليلنا لهذه الفئة من المساجد.

أصغر القباب المستخدمة في هذه المساجد، تلك التي تسقف مسجد العسوسي، والدباغ، وقطر القبّة في كليهما في حدود 2.80 متر (القائمة رقم (3) 1 و4)، واعتماداً على المصادر التاريخية فإن مسجد العسوسي شيّده عبد العزيز بن محمد الأوسي الأنصاري، في نهاية العصر الحفصي، قبل الاحتلال الإسباني لطرابلس في سنة 1510[1].

(1) انظر هامش 2 على ص 176 وهامش 1 على ص177 من هوامش هذا الفصل.

والمسجد حالياً في حالة حسنة، مما يوحي بإعادة بنائه، أو تجديده في فترة لاحقة، ربما في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وهي الفترة التي شيّدت فيها أغلب المساجد الصغيرة، المسقوفة بقبّة، أو بأربع أو ست قباب، بحسب ما توصلنا إليه، اعتماداً على المصادر التاريخية والأدبية، وتتبُّع أسماء الشخصيات المنسوبة إليها هذه المساجد.

وقباب مسجد الدباغ محمولة على مثلثات كروية، متشابهة مع مسجد العسوسي، واستطعنا نسبته إلى محمد الدباغ(1)، الذي كان ضابطاً في جيش الانكشارية، لولاية طرابلس الغرب، في سنة 1689ف، وكان معاصراً لمحمود خازندار، الذي شيّد كذلك مسجداً في سنة 1680، عليه فإن مسجد الدباغ، اعتماداً على المقارنات المعمارية والخلفيات التاريخية، يجب أن نؤرخ بناءه في القرن السابع عشر.

أما القباب التي أقطارها في حدود 3.50 متر فهي تسقف كلاً من مسجد النخلي، ومسجد السكلاني، وجامع محمود خازندار، ومسجد زاوية سيدي سالم المشاط، ومسجد سيدي أبو سعيد (الغرياني)، المساجد الثلاثة الأولى مسقوفة بقباب محمولة على مثلثات كرويّة، في حين أن قباب المسجدين الأخيرين محمولةٌ على حنايا ركنية.

وهذه المساجد مؤرخة وثابتة التاريخ، باستثناء مسجد السكلاني يجب إرجاعه إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، لأن الشيخ محمد بن محمد بن علي السكلاني تمّ تعليمه في الأزهر ورجع سنة 1734.

ومسجد وزاوية المشّاط بجنزور ما زالت في حالة جيدة، ومسجدها به زخارف جصيّة حديثة في منطقة المحراب، يساعدنا هذا في إرجاع ونسبة هذه الزاوية إلى القرن الثامن عشر.

9 - جامع القبطان وجامع الكتاني، ومسجد بن الطبيب (القائمة رقم (3)

---

(1) عزيز سامح، ص129، النائب: **المنهل**، ص253.

11) قبابها أكبر حجماً، إلى حدّ ما، ومحمولة على حنايا ركنيّة، وأقطارها نحو 3.75 متر 3.90 متر على التوالي، والمسجدان الأخيران غير مؤرخين[1]، وبما أن قباب هذه المساجد هي الأكبر، وبما أن تاريخ تأسيس مسجد الكتاني غير معروف، عليه يجب إرجاعه إلى نهاية القرن السابع عشر أو بداية الثامن عشر.

وفي حالة مسجد ابن الطبيب، الذي تسقفه أكبر القباب في هذه المجموعة، وعلى الرغم من وجود لوحة تذكارية على مدخل المسجد، لكنها غير مقروءة، لكن من المرجح إرجاع تشييد هذا المسجد إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، لأنّه بالإضافة إلى ما ذكرناه، فالجامع يحوي ضريح الشيخ مصطفى الماعزي، والد الشيخ محمد الماعزي[2].

والشيخ محمد الماعزي شيّد مسجداً مسقوفاً بقبّة واحدة، في الضاحية الشرقيّة من طرابلس، بالقرب من قصر الشعب قبل وفاته[3]، في سنة 1167هـ ـ 1753ف، وتاريخ والده الشيخ مصطفى الماعزي، المدفون في الضريح الملاصق لمسجد بن الطبيب غير معروف، غير انه من المعقول أن نفترض أن وفاته حدثت قبل وافة ابنه، عليه هناك احتمال كبير أن مسجد بن الطبيب شيّد في بداية القرن الثامن عشر.

أهمية جامع محمود خازندار في تطور معمار المسجد الليبي:

علينا أن نهتم بدراسة هذا المسجد، لأنه يقدم لنا شكلاً معمارياً مهماً لم نشاهده في المسجد الليبي قبل تشييده، تشير اللوحتان المثبتتان على المدخل الرئيسي للجامع، وعلى مدخل الضريح الملاصق للمسجد، إن محمود خازندار

(1) هناك لوحة تذكارية على المدخل الرئيسي للجامع كان من العسير قراءتها.

(2) ابن غلبون: **التذكار**، ص263، الزاوي: **معجم**، ص87.

(3) من المحتمل أن مسجد الماعزي شيّد قبل سنة 1145هـ ـ 1732ف، لأنه وحسب ما جاء في كتاب التذكار أن أحمد القرمانلي (1711 ـ 1745) ساعد الشيخ الماعزي في بناء زاويته، انظر كذلك: General Board of tourism amd fairs, souvenirs from the Libyan Arab Republic, 1976, p.27 no. 27.

شيّد هذا الجامع في سنة 1091هـ ـ 1680ف[1]، والمسجد هو أكبر المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأربع قباب، فهو يتكوّن من قاعة الصلاة، وضريح مسقوف بقبّة[2]، وصحن يحيطه رواقان، ومراحيض، وميضأة، ومخزنين، وكتاب، ومئذنة أسطوانية الشكل، يقع المدخل الرئيسي على شارع جامع محمود، يقودنا إلى الردهة ذات السقف المسطح، والردهة بدورها تقودنا إلى فسحة ثانية مسقوفة، بها سلالم تؤدي إلى الكتّاب، الذي يقع على مستوى الدور الأول، ومن خلال الكتّاب يصل الإنسان إلى الشرفة الخشبية، التي توجد في بيت الصلاة، على مستوى الدور الأول، تحت القبتين الأخيرتين في بيت الصلاة. ومن الردهة التي تلي المدخل، يصل الإنسان إلى صحن الجامع، ومنه إلى بيت الصلاة.

يمثل هذا الجامع مرحلة مهمّة في تطور المسجد الليبي، وهو أقدم مثال مؤرخ شيّد على مستوى ضخم نسبياً[3]. ومن الناحية التصميميّة، فإن جامع محمود يشبه إلى حد كبير جامع محمد شائب العين (شيّد في 1699)، وجامع أحمد القرمانلي (1738)، وجامع مصطفى قرجي (1834) (هذه الجوامع الأخيرة سيتم مناقشتها في الفصل السابع)، القباب الأربعة في جامع محمود مرتفعة جداً، ومحمولة على أربعة عقود ترتكز على عمود واحد في وسط بيت الصلاة، تقابل هذه العقود دعامات ساندة في وسط الجدران الأربعة السميكة، هذا الترتيب المعماري ينتج عنه وجود حنيتين معقودتين، في كل جدار من جدران بيت الصلاة.

الجزء الأعلى من الحنيتين المعقودتين في جدار القبلة زودتا بشباكين على هيئة نصف دائرة بهما زجاج ملوّن.

---

(1) انظر الهوامش 1و2 على ص 182.

(2) النائب: **المنهل**، ص221 و222، النائب: **نفحات**، ص125، الزاوي: **أعلام**، ص361، 362 و309، 314، الزاوي: **معجم**، ص305.

(3) انظر هامش 41 من هذا الفصل.

ونفس هذا الترتيب المعماري الإنشائي، في جدار القبلة نجده في المساجد الثلاثة المذكورة (شائب العين، القرمانلي، قرجي).

في شائب العين أربعة شبابيك، والقرمانلي ثلاثة شبابيك، وقرجي به أربعة شبابيك (في الأجزاء العليا من الحنايا المعقودة بعقود نصف دائرية) (جدول «أ» مسقط 20، 38، 39، و41 شكل: 22 و54).

هذا الترتيب والتصميم المعماري، للشبابيك في جدار القبلة، الذي شاهدناه في جامع محمود وشائب العين والقرمانلي وقرجي، نراه كذلك في جامع درغوت، الذي شيّد اصلاً في نحو 1556، غير أن الجامع الحالي قد أعيد بناؤه عدة مرات، آخرها كان سنة 1945[1] بعد أن دمر في غارة جوية، أثناء الحرب العالمية الثانية، أدت إلى تدمير بيت الصلاة الذي أعيد تصميمه وتشييده بالكامل، على تخطيط أرضي مخالف للتخطيط الأصلي[2].

وحيث أن جامع درغوت الحالي (بيت الصلاة) لا يمثل أهمية تاريخية، كما أشار إلى ذلك الباحث التركي على صايم أولجن[3]، فإن ترتيب جدار القبلة لا يمكن استخدامه لتوضيح تأثيره على تفاصيل جدار القبلة في جامع محمود خازندار، وعليه ونتيجة لذلك فإن الشبابيك النصف دائرية الكبيرة في جدار القبلة، في جامع محمود تعتبر الصيغة الأولى وأقدم مثال مؤرخ[4].

وعلى العموم فإن نفس التصميم لجدار القبلة يوجد في جامع محمد

---

(1) Ulgen, p.87. ـ يشير أولجن أن كل الجامع قد أعيد تشييده من قبل علي بي في سنة 1013هـ ـ 1604ف ـ وقد ذكر أيضاً على اللوحة التذكارية في الرواق.

(2) ميسانا، ص161 ـ 163، يذكر ميسانا أن علي أبو زيان هو الذي قام بعمل الإصلاحات والتجديدات وإعادة البناء لهذا الجامع (تشير إلى ذلك الكتابة التي تعلو المحراب، ولوحة رخامية في الصحن تشير إلى أن إدارة الأوقاف قامت بأعمال الصيانة والترميم سنة 1946).

(3) أولجن، ص88.

(4) ابن غلبون: **التذكار**، ص270 ـ يذكر المؤلف أن إعصاراً مدمراً اجتاح منطقة قصر أحمد (مصراته) نتج عنه خراب ودمار لكثير من المباني المدنيّة والدينيّة، من بينها زاوية ابن غلبون، الجامع الذي شيّده محمود خازندار في قصر أحمد، انظر أيضاً، الزاوي: **معجم**، ص93.

شائب العين (شكل: 45)، هذا الجامع مسقوف بست عشرة قبّة، وله أربع شبابيك نصف دائرية كبيرة في جدار القبلة، بنفس الأسلوب والطريقة والطراز الذي عليه شبابيك جامع محمود.

وفيما له علاقة بتطور المساجد فإن جامع شائب العين يعتبر النموذج الأول، الذي على غراره شيّد كل من مسجد أحمد القرمانلي، مسجد مصطفى فرجي، ومثل هذه الشبابيك النصف دائرية توجد كذلك في جدار القبلة في جامع الخروبة بطرابلس، والذي تسقفه تسع قباب، غير أنها أصغر حجماً، كما أنها وضعت في منتصف جدار القبلة، على مستوى نهاية المحراب والمنبر، جامع الخروبة غير مؤرخ، ولكن لأسباب فنيّة ومعمارية، وتحليلات تاريخية سيتم مناقشتها في الفصل السادس من هذا الكتاب، فإن هناك احتمالاً كبيراً، أن القسم الجديد المسقوف بتسع قباب، شيّد في القرن الثامن عشر (شكل: 47).

سادساً: مصدر الإلهام لهذا النوع من المساجد والخلاصة:

من الجانب المعماري نرى أن المساجد ذات الوحدة الفراغيّة المسقوفة بقبة، وذات الأربعة وحدات فراغية المسقوفة بأربع قباب، تعطينا تنوعات ذوات علاقة بنفس الموضوع المعماري، أغلب هذه المساجد خالية من الزخرفة، أغلبها مساجد أوقات، وأغلبها لها صحون على الرغم من صغر حجمها، تحددها جدران منخفضة، وأغلبها شيّدت أو أعيد بناؤها في الفترة ما بين القرن السابع عشر والثامن عشر من قبل دايات، وبايات وضباط من الجيش، والبحرية، ومشرفي الخزانة، الذين كانوا الممثلين الأساسيين للإدارة التركيّة العثمانية في هذا القطر، وبعض هذه المساجد شيّدها صوفيون وعلماء وفقهاء.

القائمة رقم (3)

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأربع قباب

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
1 ـ العسوسي	عبد العزيز بن محمد أحمد	م.ق طرابلس	6.ـ متر في 6.ـ متر	4 قباب	2.75 متر	حنايا ركنيّة	قبل 1510	أ. 15	شيخ عالم
2 ـ النخلي	رمضان النابوليتاني	م.ق طرابلس	7.30 متر في 7.30 متر	4 قباب	3.40 متر	مثلثات كروية	1653	أ. 12	خازندار
3 ـ قنديل	القائد مصطفى بن عبد الله	النوفليّين طرابلس	6.60 متر في 6.60 متر	4 قباب	3.20 متر	حنايا ركنية	1658	أ. 17	ضابط في الجيش
4 ـ الدبّاغ	محمد الدبّاغ	م.ق طرابلس	6.ـ متر في 6.30 متر	4 قباب	2.90 متر	مثلثات كروية	1679	أ. 14	ضابط في الجيش
5 ـ أبو سعيد (الغرياني)	حسن أبازه	أبو مشماشة طرابلس	7.60 متر في 7.40 متر	4 قباب	3.50 متر	مثلثات كروية	1679	أ. 16	والي الولاية أزيل المسجد في 1984

القائمة رقم (3) (تكملة)

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأربع قباب

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
6 ـ محمود	محمد خازندار	م.ق طرابلس	7.50 متر في 7.50 متر	4 قباب	3.50 متر	مثلثات كروية	1680	أ. 20	المشرف على الخزانة
7 - زاوية المشاط	؟	جنزور	7.40 متر في 7.20 متر	4 قباب	3.50 متر	حنايا ركنية	؟	ج. 66	

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبّة يحتمل تنقصها الدقة.

(م.ق = المدينة القديمة).

القائمة رقم (3) تكملة

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأربع قباب

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	محلاظات
8 ـ السكلاني	محمد علي السكلاني	م.ق طرابلس	7.40 متر في 7.40 متر	4 قباب	3.35 متر	مثلثات كروية	1734	أ. 18	شيخ عالم
9 ـ القبطان	حسين القبطان	زاوية الدهماني ـ طرابلس	ـ.16 متر في ـ.8 متر	4 قباب + 2 قبو	3.75 متر	حنايا ركنية	1687	أ. 21	كبودان في البحرية
10 ـ البشت والكتاني	؟	أبو هريدة طرابلس	8.20 متر في ـ.8 متر	4 قباب	3.70 متر	حنايا ركنية	ق. 16 ق. 17	أ. 22	المسجد به محرابان وأزيل في سنة 1984
11 - إبن الطبيب	؟	م.ق طرابلس	8.20 متر في 8.20 متر	4 قباب	3.70 متر	حنايا ركنية	ق. 18	أ. 13	الضريح الملصق مقبور فيه الشيخ مصطفى الماعزي

القائمة رقم (3) تكملة

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأربع قباب

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	محلاظات
12 - إبن الإمام	؟	طرابلس	7.- متر في 7.- متر	4 قباب	3.25 متر	حنايا ركنية	بعد 1673	أ. 19	أزيل سنة 1959
13ـ الجداع	الحاج محمد الجداع	الظهرة طرابلس	7.50 متر في 7.50 متر	4 قباب	3.35 متر	حنايا ركنية	ق. 18 ق. 19	د. 23	
14 - بيت المال	ناظر الخزانة الحاج إبراهيم شلابي	أبو ستة طرابلس	8. - متر في 8. - متر	4 قباب	3.60 متر	مثلثات كروية	1786ف 1800ف	د. 20	إلى جوار بيت الصلاة رواقان يتعامدان على جدار القبلة في عهد يوسف القرمانلي

ملاحظة/ ابعاد بيت الصلاة وقطر القبة يحتمل تنقصها الدقة.

5

مساجد ذات وحدات فراغية
مسقوفة بست قباب

أغلب المساجد المسقوفة بست قباب توجد في المدينة القديمة بطرابلس، وفي حالة واحدة يقع مسجد من هذا النوع في الضاحية الشرقيّة من مدينة طرابلس بمنطقة النوفليّين، وفي حالة أخرى يقع المسجد في زاوية بن حسين والعريفي في جنزور.

أولاً: المسقط الأفقي والتقسيمات الفراغية:

يتكون التخطيط المعماري لهذا النوع من المساجد من قاعة صلاة مستطيلة، أبعادها تتراوح بين 5 في 8 متر، إلى نحو 7.30 في 10.40 متر (القائمة (4) 1 ـ 9 وجدول «أ» مسقط 24 ـ 29 وجدول «ج» مسقط 67).

توضح هذه المجموعة تنوعات لنفس المسقط الأفقي، وينحصر الاختلاف فيما له علاقة بالعناصر المعمارية من غير بيت الصلاة.

وتبيّن المساقط الأفقية لهذه المساجد، وجود عمودين أو دعامتين تقسم الفراغ الداخلي لبيت الصلاة إلى ستة فراغات متساوية، تسقفها ست قباب صغيرة، تتراوح أقطارها من 2.30 متر إلى نحو 3.25 متر، وهكذا تتكوّن قاعة الصلاة من ثلاثة فراغات بالعرض وفراغين بالطول (أو العمق)،

ونلاحظ في حالتين إن المحراب وضع في الضلع القصير، وفي هذه الحالة يكون بيت الصلاة عبارة عن فراغين بالعرض وثلاثة بالعمق (جدول «أ» مسقط 28 و29).

ومثلما لاحظناه في المساجد الصغيرة، المغطاة بقبّة واحدة أو بأربع قباب التي تمت مناقشتها في الفصلين السابقين، فإن بعض المساجد المسقوفة بست قباب لها صحون بها رواق أو أروقة، وتحاط بجدران منخفضة، وأحد أضلاع الصحن به رواق تشغله المراحيض والميضأة.

ثانياً: الملامح المعمارية:

1 ـ بيت الصلاة:

أ ـ الجدران والعقود:

يتكوّن بيت الصلاة في هذا النوع من المساجد، من هيكل بنائي معماري من العقود، وتحتم القوانين المعمارية أن تكون ثلاثة عقود على الضلعين الطوليين، وعقدان على كل من الضلعين القصيرين، وتشيّد الجدران بحيث تبرز العقود بنحو 30 سم عن سطح الجدار من الداخل.

ب ـ القبة ومنطقة الانتقال:

مناطق الانتقال محمولة على هذه التشكيلة من العقود، التي تتكوّن في الحقيقة من سبعة عشرة عقداً: عشرة على الجدران الأربعة، وسبعة عقود تقسّم الفراغ الداخلي إلى مساحات فراغية متساوية، والعقود السبعة يحملها عمودان يقعان في وسط بيت الصلاة، على مسافات متساوية على المحاور، ولتقابل الدعامات الست الساندة الملتصقة بالجدران الأربعة.

وقباب هذه المساجد صغيرة جداً، أقطارها تتراوح بين 2.30 متر إلى نحو 3.25 متر (القائمة (4) 1 ـ 8)، وهي نصف دائرية وليس لها رقاب، ومنطقة الانتقال لا يمكن رؤيتها من الخارج ولا تنعكس على الخارج، هذه

القباب عادة تكون محمولة، إما على مثلثات كروية، وفي حالة المسجد الواقع في زاوية بن حسين، فالقباب محمولة على حنايا ركنية.

ج ـ المحاريب والمنابر:

لا تختلف مساجد هذه المجموعة عن مجموعة المساجد الأولى أو الثانية، المعالجة الفنيّة والمعماريّة للمحاريب والمنابر، كذلك فتحات الإضاءة والتهوية لها نفس الخصائص والمميزات والأشكال.

وفي حالات قليلة فإن وضع حنية المحراب في وسط جدار القبلة في الضلع القصير (في بعض الأمثلة) هي معضلة إنشائية واجهها المعماريون الليبيون وأوجدوا لها حلاً مناسباً في مساجد المجموعة الثانية المسقوفة بأربع قباب، كما أوجدوا لها حلاً في هذه المجموعة المسقوفة بست قباب (الجدول «أ» مسقط 28 و29 ـ وجدول «ج» مسقط 67).

والمحاريب الموجودة في كل من مسجد سيدي جابر، وسيدي سالم المشّاط، وزاوية بن حسين، تقع في الضلع القصير بدلاً من وقوعها في وسط الضلع الطولي، كما هو الحال في بقية المساجد من هذا النوع.

وفي هذه المساجد وضع المعماريّون المحاريب بجوار الدعامة السائدة في هذا الضلع، والتي تكون جزءاً من المحراب، وعلى العموم فإن أغلب المساجد من هذه الفئة وضعت محاريبها في الضلع الطولي الجنوبيّ الشرقيّ، كما إن أغلب هذه المساجد هي مساجد أوقات، وعليه فلم تزوّد بمنابر.

أما المساجد التي زودت بمنابر وهي مساجد جمعة، هي مساجد عطيّة الفلاح، وسيدي سالم المشّاط، سيدي جابر وهي بسيطة ومصنوعة من الخشب.

2 ـ عناصر معمارية أخرى مكمّلة من غير بيت الصلاة:

أ ـ الردهة:

مسجد عزي ومسجد سيدي الحطاب لم يزودا لا بردهة ولا بصحن

مكشوف، والمراحيض والميضأة، التي تتبع مسجد عزي، تقع في مبنى منفصل، مقابل لبيت الصلاة على الجانب الآخر من الشارع، وفي حالة مسجد سيدي الحطّاب، فالميضأة والمراحيض والضريح المقبى، وضعت ملاصقة لبيت الصلاة على الجانب الغربي منه، ولم يزوّد لا بردهة ولا بصحن مكشوف، ويمكن الدخول إلى بيت الصلاة مباشرة من الشارع. (جدول «أ» مسقط 24 و25).

ب ـ الصحن:

زوّدت بقيّة المساجد من هذه الفئة بصحون، وهي كالعادة لها رواق تشغله المراحيض والميضأة والحمام، هذا الترتيب نشاهده في مسجد سيدي جابر، وسيدي سالم، ومسجد ابن صوان، مسجد سيدي عطيّة الفلاح (جدول «أ» مسقط 26 و29)، ومسجد ابن موسى (ابن مقيل) به صحن مغطى بسقف مسطح حديث يرتكز على عمودين وفي نهاية جدران الصحن توجد ستة شبابيك للتهوية والإضاءة.

ومما تجب ملاحظته أن كل الحالات، التي كون فيها المسجد واقعاً ضمن مبنى زاوية، فالصحن يكون مشتركاً بين الزاوية والمسجد، مثل ما هو الحال في زاوية عمورة والمشاط في جنزور، وزاوية الباقول بالريباينة، وزاوية سيدي علي الفرجاني بسوق الخميس (ساحل الأحامد) (جدول «ج» مسقط 65 ـ 69 و71).

ج ـ المئذنة:

مسجد عزي ومسجد سيدي الحطّاب لم يزودا بأي نوع من المآذن، فهما مخصّصان لصلاة الأوقات، بينما زود مسجد ابن صوان، وسيدي جابر، والمسجد الملحق بزاوية بن حسين بمئذنة من النوع البسيط عبارة عن مجموعة من الدرجات تستخدم للأذان من فوقها.

في حين زود مسجد ابن موسى (ابن مقيل) بالمئذنة ـ السلّم، التي توجد

في نهايتها مئذنة صغيرة مثمّنة، منتصبة على ركن المسجد الشمالي الغربي، مثل برج مراقبة، ويغطيها شكل بصلي مصنوع من الخشب[1]. وزوّد مسجد سيدي عطيّة الفلاح بمئذنة من النوع المغربي ذات القطاع المربّع، ولا يمكن الدخول إليها مباشرة، وإنما عن طريق سلم يؤدي إلى سطح المسجد، ومن هناك يوجد مدخل خاص بالمئذنة، وسلّم داخلي بها يؤدي إلى قمتها.

ومثل هذه المئذنة زوّد بها مسجد الكتاني، ومسجد زاوية عمورة، اللذان تناولنا مناقشتهما في الفصلين السابقين، أما جامع سيدي سالم المشّاط بطرابلس فقد زوّد بمئذنة أسطوانية الشكل من الطراز العثماني ذات الطابع المحليّ.

ثالثاً: الملامح الزخرفية:

أغلب المساجد من هذه الفئة بسيطة جداً، ولا تمثّل أهمية زخرفية. وباختصار فهذه المساجد لا تختلف عن المساجد التي درسناها في الفصلين السابقين. فهي تخلو من العناصر الزخرفية البارزة، التي تميز أحياناً بعض المساجد المسقوفة بقبّة أو بأربع قباب. المحراب في جامع سيدي سالم وضع في إطار بارز، ومحراب ابن موسى له عقد نوع حذوة الفرس، محمول على عمودين ملتصقين، كما هوالحال في مسجد الدراوي في بنغازي. ومدخل مسجد ابن موسى له بلاطات من القاشاني، ذات زخارف نباتية بلون واحد في كوشتي العقد.

وتصميم المدخل من حيث الشكل والزخرفة، صنو لتلك المداخل لمسجد النخلي والميلادي، وإلى ذلك المدخل المؤدي من بيت الصلاة بجامع درغوت إلى الحجرة المقبّاة، الواقعة على الجانب الشماليّ الشرقيّ من بيت الصلاة (شكل: 16 و40 و59).

---

(1) Ali Mustafa Ramadan, **Reflections upon Islamic architecture in Libya,** (Tripoli, Tunis, the Arabic house, 1975). p.99.

رابعاً: أمثلة وأنواع هذه المساجد:

تنقسم المساجد المسقوفة بست قباب إلى قسمين رئيسيين:

المساجد المؤرخة والقابلة للتأريخ:

1 - مسجد سيدي سالم المشاط بالمدينة القديمة بطرابلس، ينسب إلى الشيخ الإمام سيدي سالم المشّاط، الذي توفي في سنة 899هـ - 1493ف[1].

وقد أضيف القسم المسقوف بست قباب على يد رمضان بن عثمان رايس في سنة 1080هـ - 1670ف[2] (انظر المناقشة بعد قليل).

2 - مسجد سيدي الحطاب بالمدينة القديمة بطرابلس، ينسب إلى الشيخ محمد الحطاب الصغير، الذي ولد في الثامن عشر من رمضان 902هـ - 1496ف[3] (تفاصيل المناقشة بعد قليل).

3 - مسجد سيدي عطيّة بالمدينة القديمة بطرابلس، ينسب إلى الشيخ عطيّة الفلاح[4].

4 - مسجد سيدي جابر بمنطقة التوفليّين: ينسب إلى الشيخ سيدي بن خليفة[5].

---

(1) النائب: **نفحات**، ص108، النائب: **المنهل**، ص184، عبد السلام بن عثمان ابن عبد السلام الأسمر: **كتاب الإشارات** (طرابلس، ليبيا، مكتبة النجاح (تاريخ المخطوط 1094هـ - 1682) ص14.

(2) إدارة أوقاف القطر الطرابلسي: **كتاب الميزانية الاحتياطية لسنة 1919**، (طرابلس، الغرب، مطبعة الحكومة، 1919) ص13.

Muhammed Salem Warfelli, «The Old city of Tripoli» **Art and archaeology research papers,** (Tripoli, Libya, the antiquites department, 1976) pp.8, 9.

(3) النائب: **نفحات**، ص111 - 114، النائب: **المنهل**، ص194 - 197، الزاوي: **أعلام**، ص311 - 314، ابن عبد السلام الأسمر: **كتاب الإشارات**، ص15، **كتاب الميزانية الاحتياطية**، ص13.

(4) المرجع السابق، ص14، **كتاب الإشارات**: ص16.

General Board of tourism and fairs, **Souvners from the Libya Arab republic** (Tripoli, Libya, 1976), p.22 no7.

(5) المرجع السابق، ص21 ورقم 25.

5 ـ جامع ابن موسى بالمدينة القديمة بطرابلس، شيّده أبو عبد الله المكني[1] (تفاصيل المناقشة بعد قليل).

6 ـ مسجد الدراوي بمدينة بنغازي: ينسبه ميسانا إلى بداية القرن التاسع عشر الإفرنجي[2].

المساجد غير المؤرخة:

7 ـ مسجد عزي أو (دقدق) بالمدينة القديمة بطرابلس[3].

8 ـ المسجد الواقع في زاوية بن حسين والعريفي، تقع الزاوية في جنزور، ينسب إلى الشيخين بن حسين والعريفي[4].

9 ـ مسجد ابن صوان بالمدينة القديمة بطرابلس[5].

خامساً: قضايا: المؤسسون، الفترة التاريخية، التأثيرات المعمارية:

أغلب المساجد في هذه المجموعة غير مؤرخة، فلا تحمل كتابات تذكارية تعطي التاريخ واسم المؤسس، وبصفة عامة فإن تحديد تاريخ إنشائها

---

(1) أبو الحسن علي بن محمد التمغروتي: **النفحات المسكية في السفارات التركية** (باريس 1929) ص35. المسجد الحالي مسقوف بقبتين وقبوين برميليّين متعامدين على جدار القبلة، ويدعم القبوين عقدان، ويبدو أن المسجد كان أصلاً مسقوفاً بست قباب.

(2) ميسانا، ص218، يذكر ميسانا أن المسجد كان أصلاً بسقف مسطح، ثم استبدل السقف بست قباب، وبعد مرور نحو ثمانين سنة (قبل سنة 1972) ثم أصبح بسقف مسطح مرة ثانية.
(زرت المسجد في شهر أغسطس (هانيبال) من عام 1976، وكان بسقف مسطح وله شرفة خشبية معلقة، ويبدو أن المسجد كان مسقوفاً بقبوين برميليّين متوازيّين على جدار القبلة أكثر من أن يكون مسقوفاً بست قباب، لأنه لا توجد دعامات ساندة ملتصقة، أو حتى آثارها، على الجدران التي كان لا بد من وجودها لتستقبل العقود المنتشرة من العمودين، اللذين يحملان السقف. ومسجد الدراوي يشبه تماماً جامع المجيدية (1858)، وجامع زميت (1887)، وهما مسقوفان بقبوين برميليين. (شكل: 30، 35، و36).

(3) **كتاب الميزانية الاحتياطية**، ص14.

(4) **كتاب الإشارات**، ص111.

(5) **كتاب الميزانية**، ص14.

غامض، ومسألة تأسيسها تحتاج إلى تتبعها والتعرف عليها، ونسبتها إما إلى شخصيّة دينية أو سياسية أو عسكرية.

عليه فإن دراستها ستعتمد على دراسة الشخصيات التي ستعطينا مفاتيح واعدة لتحديد تاريخ بعض من هذه المساجد، كما سنعتمد على المقارنات، وتحليل للأساليب الفنيّة والمعماريّة وهناك خمسة من هذه المساجد، ذات الست قباب، ملحق بها أضرحة، والتي تحمل أسماء بعض الشخصيات الدينية المقبورة بها،وأربعة من هذه الشخصيات يمكن تتبعها والتعرف عليها، وعلى فترتها التاريخية.

وأول هذه المساجد الملحق بها ضريح، وهو مسجد سيدي الحطاب بالمدينة القديمة بطرابلس.

من الواضح انه لا يوجد وضوح فيما يخص أي من أفراد الحطاب المدفون في الضريح المجاور لمسجد محمود خازندار، ومن هو الحطاب المقبور في الضريح المجاور لمسجد الحطّاب (انظر شجرة العائلة على الصفحة التالية).

عند استعراضنا لأفراد عائلة الحطاب، من خلال المصادر الأدبية والتاريخية وسيّر الشخصيّات الدينية، اتضح أن الحطاب الكبير توفي في طرابلس، ودفن في زاويته في تاجوراء سنة 1538ف، ولكن حسب ما تشير إليه المصادر الأدبية إن الحطّاب الصغير توفي سنة 1547ف، وإن قبره مشهور في هذه المدينة، ومن هنا يقفز السؤال التالي:

هل ضريحه هو الضريح الملاصق لمسجد الحطّاب المسقوف بست قباب؟

أم الضريح الملاصق لجامع محمود خازندار.

شجرة عائلة الحطّاب

محمد أبو عبد الله الرعيني (الحطّاب الطرابلسي)
الذي هو أصلاً من الأندلس[1]

↓

حسين

↓

عبد الرحمن

↓

محمد الحطّاب[7]، ولد سنة 856هـ ـ 1452ف[8]، وكان لا يزال حياً في سنة 894هـ، ورجع إلى طرابلس في نحو سنة 885هـ ـ 1480ف[9]

محمد (الحطّاب الكبير)[2] ولد في العشر الأخيرة من شهر صفر 860هـ ـ 1455[3]، ورافق والديه إلى مكة سنة 877هـ[4] وتوفي في منتصف شعبان سنة 945هـ ـ 1538ف[5] في طرابلس ودفن في زاويته في تاجوراء[6].

↓

بركات الحطّاب[15]، توفي بعد سنة 980هـ ـ 1572ف ودرّس ابن أخيه يحيى الحطّاب[16] (أبو زكريا).

محمد (الحطّاب الصغير)[10]، ولد في اليوم الثامن عشر من رمضان سنة 902هـ[11]، تتلمذ وتعلّم على يد والده (الحطّاب الكبير)[12] وتوفي في طرابلس في اليوم التاسع من ربيع الآخرة سنة 954هـ ـ 1547ف[13]، وقبره داخل مدينة طرابلس مشهور ومعروف[14].

↓

يحيى الحطّاب (المعروف باسم أبو زكريا)[17]، ولد في مكة، وكان مؤلفاً ورجل دين وعلم فاضل، توفي سنة 994هـ ـ 1585ف[18] في طرابلس، وإن قبره في داخل المدينة ملاصق لجامع محمود خازندار[19].

---

(1) النائب: **المنهل**، ص190، النائب: **نفحات**، ص104، الزاوي: **أعلام**، ص109 (كل هؤلاء المؤلفين ينقلون من كتاب **الضوء اللامع**، وكتاب **كفاية المحتاج**، من تأليف السخاوي.

(2) الزاوي: **أعلام**، ص309 ـ يشير الزاوي إلى أن تسمية محمد الحطاب الكبير جاءت لتمييزه عن ابنه.

(3) المرجع السابق، ص110، النائب: **نفحات**، ص104.

=

ومرّة أخرى تشير المصادر الأدبيّة والتاريخية، إلى إن الضريح الملاصق لجامع محمود مقبور به الشيخ يحيى الحطّاب المعروف باسم أبو زكريا، الذي توفي في سنة 1585 (انظر شجرة الأنساب لعائلة الحطاب).

ومهما يكن فالكتابة الموجودة على اللوحة التذكارية، على مدخل الضريح الملاصق لجامع محمود خازندار تحمل اسم محمد الحطاب[1]، ولكن من هو محمد أي محمد؟ لدينا ثلاثة أشخاص يحملون نفس الاسم. ولكن من السهل أن نغض الطرف على أحدهم، وهو الذي توفي في سنة 1538 المقبور في تاجوراء[2]، والشخص الثاني المسمّى محمد الحطاب يلقب بمحمد الحطّاب الصغير، وعلى حسب ما ذكر في المصادر التي استعنّا بها، نقول أن

---

(4) نفس المرجعين السابقين.

(5) الزاوي: **أعلام**، ص311.

(6) النائب: **المنهل**، ص194، النائب: **نفحات**، ص107، الزاوي: **أعلام**، ص311.

(7) الزاوي: **أعلام**، ص309.

(8) المرجع السابق.

(9) نفس المرجع.

(10) نفس المرجع، ص 311.

(11) النائب: **المنهل**، ص179، النائب: **نفحات**، ص114، الزاوي: **أعلام**، ص311 هامش رقم 1.

(12) المرجع السابق، ص312.

(13) النائب: **المنهل**، ص179، النائب: **نفحات**، **ص114**، **الزاوي**: **أعلام**، ص14.

(14) نفس المرجع.

(15) النائب: **نفحات**، ص124، الزاوي: **أعلام**، ص86.

(16) نفس المرجعين السابقين.

(17) النائب: **المنهل**، ص221 ـ 222، الزاوي: **أعلام**، ص361 و362، النائب: **نفحات**، ص125.

(18) النائب: **المنهل**، ص222، النائب: **نفحات**، ص125، الزاوي: **أعلام**، ص361.

(19) الزاوي: **أعلام**، ص362، النائب: **المنهل**، 222.

(1) اللوحة التذكارية على مدخل الضريح تعطينا اسم محمد الحطّاب، الذي توفي في سنة 954هـ ـ 1547ف، فوقيّة عبد العال: «جامع محمود» **جريدة الفجر الجديد**، رقم 650، طرابلس ليبيا 1974، سجلت الكاتبة كل محتوى اللوحة. الزاوي: **معجم**، ص305.

(2) انظر هوامش رقم 16 و17.

قبره مشهور في مدينة طرابلس، وعليه فلا بد وأن يكون في الضريح الملاصق لجامع الحطاب المسقوف بست قباب والمعروف بجامع سيدي الحطاب.

وعلى العموم فإن الضريح الملاصق لجامع محمود خازندار به قبران هما قبر محمد الحطّاب الصغير والآخر لابنه يحيى أبو زكريا، وفي هذه الحالة فالمصادر الأدبية والكتابة التذكارية تؤكد وتدعم كل منها الأخرى، وإذا صحّ هذا الافتراض، فإن الضريح الملاصق لمسجد الحطّاب ذي الست قباب يكون لمحمد الحطاب (وهو شقيق أو أخ محمد الحطاب الكبير)، الذي رجع إلى طرابلس في سنة 1480ف، وربما توفي في نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر الإفرنجي، وشقيقه (أو أخوه) الحطّاب الكبير، الذي توفي في سنة 1538، كان يصغره بنحو ثلاثة سنوات.

وفي كل الأحوال فإن بناء مسجد سيدي الحطاب ربما تمّ في نهاية القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر، عندما كانت فكرة تخليد رجال الدين والصوفيّين على أشدها، وذلك ببناء أو إعادة بناء المساجد والأضرحة القديمة، وإعادة بناء ضريح الحطّاب، الملاصق لجامع محمود، من قبل محمود خازندار، وإعادة بناء جامع سيدي سالم المشّاط، هي أمثلة موثقة لهذه الممارسة[1]. (انظر الملاحظات 5، 6، و8 في القائمة رقم (4).

والمسجد الثاني الذي سنحاول تحديد فترته التاريخية هو جامع ابن موسى (أو ابن مقيل)، واستناداً إلى ما جاء في كتاب الميزانية، إن الجامع أسسه أبو عبد الله المكني، المقبور في الضريح الملاصق للجامع[2] (جدول «ب» مسقط 54)، ونسبة هذا الجامع إلى أبي عبد الله المكني يمكن تدعيمها بالنص، الذي ذكره أبو الحسن علي بن محمد التمغروتي، الذي أوفده السلطان المنصور الذهبي المراكشي، في مهمة خاصة إلى استنبول، وفي طريقه إليها مرّ

---

(1) محمد سالم الورفلي، ص10.

(2) **كتاب الميزانية**، ص13.

التمغروتي بطرابلس، التي كانت آنذاك تحت حصار ثائر من زعماء القبائل المحليّة وهو يحيى السويّدي[1]، وشاهد وصول الأسطول الحربي العثماني، الذي جاء لوضع حدّ لهذه الثورة أو التمرد.

ذكر التمغروتي انه قابل أبا عبد الله المكني، وذكر التمغروتي أيضاً أن أبا عبد الله المكنيّ كان مفتياً وعالماً مشهوراً، وأشار التمغروتي انه زاره في مسجده بطرابلس[2]، وأشار التمغروتي أيضاً إلى أن عائلة المكني كانت أصلاً عائلة صفاقسية من تونس[3].

ورحلة التمغروتي وزيارته لطرابلس كانت في اليوم السادس والعشرين من ذي القعدة سنة 998هـ ـ السادس من أكتوبر (التمور) 1589ف.

وهكذا يتضح أن المسجد الأصلي كان قائماً في ذلك الوقت، ومن المؤكد أنه كان قائماً قبل زيارة التمغروتي لهذا المسجد.

ويعرف هذا المسجد كذلك بمسجد ابن مقيل، الذي هو إما محمد بن مقيل الكبير، الذي ولد في سنة 1054هـ ـ 1644ف، وتوفي في سنة 1688[4]، وإما محمد بن محمد ابن مقيل أبو عبد الله[5]، ومع اننا لا نعرف شيئاً عن تاريخ ولادته ووفاته، إلا أنه يجب أن يكون ابن محمد ابن مقيل الكبير، عليه ولذلك لا بد وأن يكون حياً في نهاية القرن السابع عشر الإفرنجي.

---

(1) نقولا زيادة، «ليبيا من الحسن الوزان إلى التمغروتي» **ليبيا في التاريخ** المؤتمر التاريخي 16 ـ 23 مارس (الربيع) (بنغازي، ليبيا 1968) ص256، 269، 270، و276 ـ انظر أيضاً التمغروتي، ص31 ـ 33 ملاحظة على ص32.

(2) التمغروتي، ص35 يعطي التمغروتي اسمه على أساس أنه عبد الله المكني، انظر هامش رقم (1) على صفحة 35 من المرجع.

(3) المرجع نفسه، الزاوي: **أعلام**، ص80 و81 الزاوي: **تاريخ**، ص274.

(4) ابن غلبون: التذكار، ص234 و235، الزاوي: أعلام، ص228 و299، النائب: المنهل، ص263، 264، النائب: **نفحات**، ص133 ـ 135.

(5) الزاوي: **أعلام**، ص293.

ومما تجدر ملاحظته أن عائلة المكني، التي ذكرها التمغروتي على أنها أصلاً من مدينة صفاقس بتونس، وما يؤكد ذلك، وبحسب ما ذكره الشيخ الطاهر الزاوي أن أحد أفراد عائلة المكني كان حاكماً على مدينة صفاقس[1]، وفي عهد درغوت باشا (1553 ـ 1565) أن مدينة صفاقس كانت جزءاً من ولاية طرابلس الغرب، حين ضمّها درغوت، وأحضر درغوت نحو أربعين عائلة صفاقسيّة لكي تستقر في طرابلس، وتنعش فيها الحياة الثقافية والعلميّة والتجارية[2].

وعيّن درغوت المكني رئيساً للعائلات الصفاقسيّة، وعضواً في ديوان طرابلس الغرب[3].

ومن خلال دراسة سير الشخصيات، يتضح أن ثلاثة أفراد من أسرة المكني قد ولدوا في أوائل، أو في منتصف القرن السابع عشر، وثلاثتهم توفوا قبل نهاية القرن السابع عشر، وكانوا علماء بارزين، وكان منهم الواعظ والإمام والشيخ والمفتي[4]، عليه فإن عائلة المكني شقت طريقها في الحياة الثقافية والفكرية في المجتمع الطرابلسي في القرن السابع عشر[5].

---

(1) الزاوي: **تاريخ**، 274، 275 هامش رقم (1) على صفحة 274.

(2) المرجع السابق، ص274 ـ الزاوي: **أعلام، ص80**.

(3) الزاوي: **تاريخ، ص274**.

(4) الزاوي: **أعلام**، ص327، 326 ـ يشير الزاوي بأن محمد المكنيّ تقلد وظيفة مفتي لعدة مرات، وتوفي في سنة 1056هـ ـ 1646، ويذكر الزاوي كذلك، أن أحمد بن محمد المكني تقلد وظيفة مفتي، بعد أن شغلها الشيخ ابن مساهل، الذي ولد في طرابلس سنة 1042هـ ـ 1632ف، وتوفي سنة 1011هـ ـ 1689ف ـ أنظر كذلك ابن غلبون: **التذكار**، ص234، النائب: **نفحات**، ص132 و133 (وهنا يعطينا المؤلف، وهو النائب، تاريخ وفاة المكني خطأ، لأن محمد بن محمد المكني، كان معلماً وإماماً وخطيباً، أنظر الزاوي: **أعلام**، ص296 و297، أنظر كذلك: **كتاب الإشارات**، ص20 و21 ـ ولمزيد من معرفة الأسماء لعائلة المكني، الذي كان يعرف أيضاً باسم أبو عباس، وتقلد وظيفة مفتي ـ أنظر ابن غلبون: التذكار، ص236.

(5) وعضو آخر من عائلة المكني، وهو محمد صار حاكماً لإقليم فزّان، الذي كان يعرف بإسم السلطان، أثناء فترة يوسف القرمانلي (1795 ـ 1832).

ازداد نفوذ وتأثير عائلة المكني قوّة في القرن الثامن عشر، في الحياة الثقافية والفكرية والاقتصادية في ليبيا، فهذا محمد بن أحمد بن محمد، ومحمد بن محمد المكنيّ تقلدا وظيفة مفتي على التوالي لمدّة طويلة[1].

والمسجد الثالث غير المؤرخ من هذه المجموعة، هو المسجد الواقع في زاوية بن حسين والعريفي، تنسب الزاوية إلى الشيخين، سيدي بن حسين، وسيدي محمد العريفي، والزاوية والضريح غير مؤرخين، ولكن هذه الزاوية ذكرت في كتاب الإشارات المؤرخ في 1094هـ ـ 1682ف[2].

والمبنى الرابع غير المؤرخ، هو جامع سيدي عطيّة الفلاح، الذي يضم ضريحاً مقبى لعطيّة الفلاح، الذي لا نعرف شيئاً عنه، ولكن المسجد والضريح ذكرا كذلك في كتاب الإشارات[3].

والمسجد الخامس غير المؤرخ، هو مسجد سيدي جابر وبجواره ضريح، وينسب تشييد هذا الجامع إلى سيدي خليفة، الذي لا يعرف شيء عنه ويمكن إرجاعه إلى بداية الفترة العثمانية، فقبابه أصغر القباب في هذه المجموعة، وتشبه قباب جامع الناقة الذي أعيد بناؤه في سنة 1610ف، كما أن قبابه محمولة على مثلثات كروية مثل جامع الناقة، عليه يمكن إرجاعه إلى بداية القرن السابع عشر.

والجامع الأخير في هذه المجموعة من المساجد هو جامع سيدي سالم المشّاط، الذي توفي سنة 1493ف، تتكوّن هذه المجموعة المعمارية من المسجد القديم، المسقوف بثلاثة أقبية برميلية، والقسم الجديد المسقوف بست

---

(1) عرفت عائلة المكنيّ بإسم المفتي كذلك، وهذا اللقب ربما يعطينا مفتاحاً لحل مشكلة تأريخ أوتحديد تاريخ جامع المفتي، الذي يقع في شارع قوس الصرارعي بطرابلس، ومسجد المفتي مسقوف بقبّة واحدة، درسناه في الفصل الثالث. وبناءً عليه فإن مسجد المفتي المذكور ربما ينسب إلى نهاية القرن السابع عشر أو بداية القرن الثامن عشر، عندما كانت عائلة المكنيّ (أي المفتي) عائلة مؤثرة في الفترة القرمانلية (1711 ـ 1835).

(2) **كتاب الإشارات**، ص111.

(3) المرجع السابق، ص16، **كتاب الميزانية**، ص14.

قباب، وضريح مقبّى ملاصق للقسم القديم، وكتاب، ومراحيض، ومطهرة، ومقبرة مفتوحة، وضريح كبير مسقوف بقبّة، ومئذنة أسطوانية بشرفة واحدة، ويشرف الجامع والمئذنة على المدينة من الهضبة الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من طرابلس (جدول «أ» مسقط 29).

وقد مرّ جامع سيدي سالم المسّاط بمرحلتين بناءً على تحليل معماري وتاريخي، فالجزء المسقوف بثلاثة أقبية برميليّة، والمحراب الواقع به ينسب إلى الشيخ المشّاط، الذي توفي سنة 899هـ ـ 1493ف[1]. أما الجزء الجديد المسقوف بست قباب فقد شيّده رمضان بن عثمان رايس سنة 1080هـ 1670ف[2].

وفي هذه التجديدات والتعديلات الشاملة، التي أجريت على القسم القديم، أضيف القسم المسقوف بست قباب، والمئذنة، والضريح المسقوف بقبّة، الواقع في جنوب بيت الصلاة المسقوف بست قباب، وكذلك الكتّاب، هذه المجموعة أضيفت في هذه المرحلة من التعديلات، والتي ترجع إلى فترة رمضان بن عثمان رايس.

وتدعم هذا الرأي الحقائق المعمارية، ومنها سمك الجدار الغير عادي، الذي يفصل بين قسميّ الجامع المسقوف بالأقبية البرميلية والمسقوف بالقباب، وكذلك عدم انتظام الجدار من حيث السمك، كما أن جدار القبلة، في بيت الصلاة القديم، لا يتوازى مع جدار القبلة في بيت الصلاة المسقوف بست قباب، ونتج هذا السمك غير العادي، من بناء القسم الجديد، الذي شيّد منحرفاً عن جدار القبلة لبيت الصلاة القديم المسقوف بالأقبية البرميليّة.

وفي فترة إعادة البناء هذه كان لا بد من إزالة بعض الأجزاء من جدار القبلة لبيت الصلاة القديم، وكذلك أجزاء من الأقبية البرميليّة، التي تسقف بيت

---

(1) النائب: **نفحات**، ص108، محمد سالم الورفلي، ص10.

(2) المرجع السابق، ص9 و10، **كتاب الميزانية**، ص13.

الصلاة القديم لتفسح الطريق لبناء بيت الصلاة الجديد المسقوف بالقباب، كما أن بعض التغييرات قد طرأت، منها فتح باب في جدار القبلة لبيت الصلاة القديم، ليسمح بالتنقل بين القسم القديم والقسم الجديد، كذلك فتح باب بين ضريح سيدي سالم المشّاط المجاور لبيت الصلاة القديم وبين بيت الصلاة الجديد.

وباختصار يمكننا القول بأن المجموعة المعمارية، لجامع سيدي سالم المشاط تتكوّن من مسجدين مختلفين، فبيت الصلاة القديم المسقوف بالأقبية البرميليّة، هو المسجد القديم، واستخدام هذا الأسلوب في التسقيف هو تقليد ونظام معماري ميّز بناء المساجد، التي شيّدت قبل الفترة العثمانية (جدول «ب» مسقط 48، 50، 53)، في حين أن بيت الصلاة المسقوف بالقباب، وحسب ما جاء في كتاب الميزانية لسنة 1919[1]، شيّده رمضان بن عثمان رايس، الذي كان داياً على ولاية طرابلس الغرب لمدة قصيرة، ونسبة إعادة بناء هذا الجامع إلى رمضان بن عثمان رايس يمكن تأكيدها بالكتابة التي توجد على شاهد قبره الموجود في الضريح الكبير، الذي يقع في الضلع الجنوبي لهذه المجموعة المعمارية، ونصها:

«هذا قبر المغفور له

رمضان بن عثمان رايس

توفي في اليوم الثامن من

ذي القعدة سنة 1080هـ (1671ف)[2]».

وجامع سيدي سالم المشّاط هو المسجد الوحيد، في هذه المجموعة من المساجد، الذي زوّد بشرفة خشبية معلقة، تقع تحت القبتين الخلفيتّين الواقعتين في الضلع الشماليّ الغربيّ، زوّدت الشرفة بسلم خشبي في داخل بيت الصلاة،

(1) المرجع السابق، ص14.

(2) محمد سالم الورفلي، ص9 و10.

وهي إضافة لاحقة بسبب زيادة عدد المصلّين، ونشاهد مثل هذه الشرفات الخشبية الداخلية في جامع محمود خازندار، وجامع الدروج، وجامع الخروبة، وربما زوّدت هذه المساجد بهذه الشرفات، لتخصيصها لصلاة النساء، وشاهدت ذلك في جمهورية تونس في إحدى الزيارات الميدانية[1].

ويمكننا الجزم إن مئذنة جامع سيدي سالم المشاط هي ثاني أقدم مئذنة مؤرخة أسطوانية الشكل في طرابلس، فالمئذنة الأسطوانية الأقدم والمؤرخة، هي مئذنة جامع درغوت، التي بناها اسكندر باشا سنة 1013هـ ـ 1604ف[2]، عندما قام بإصلاحات شاملة على الجامع، ومئذنة سيدي المشّاط الثانية، والمئذنة الثالثة هي مئذنة جامع محمود خازندار 1680ف.

ومئذنة جامع محمود ومئذنة جامع سيدي سالم المشّاط متشابهتان إلى درجة كبيرة، وإن الفترة التي تفصلهما هي نحو عشرة سنوات، وربما شيّدت المئذنتان من نفس البنّائين، وجامع الخروبة له كذلك مئذنة أسطوانية شبيهة جداً بالمئذنتين السابقتين، هذا الجامع وظروف بنائه المعمارية والتاريخية، ستتم مناقشتها بالتفصيل في الفصل السادس من هذا الكتاب.

سادساً: مصدر الإلهام لهذا النوع من المساجد والخلاصة:

هناك عدة أبنية دينية ومدنية، لها نفس التخطيط الارضي، وطريقة

---

(1) نجم الدين غالب الكيب: **مدينة طرابلس عبر التاريخ ـ 1835**، (القاهرة، دار الجبل، 1970) ص88 ـ أثناء زيارتي الميدانية لتونس سنة 1976 لاحظت أن الشرفة الخشبية المعلّقة في داخل بيت الصلاة، في جامع الجديد، قد خصّصت لصلاة النساء اللائي كان حضورهن بأعداد كبيرة.

(2) شارل فيروه: **الحوليات**، ص57، هامش 3. أعطيت هذه المعلومات في الحوليّات باللغة الفرنسية المطبوع سنة 1927 (بينما النص الذي ترجمه الوافي نشر في سنة 1937 لا يحوي أو يشمل هذا التاريخ، علي صايم أولجن، ص90 و91.

ويعطي علي صايم أولجن مقاسات المئذنة على النحو التالي:

15.75 متر ارتفاع بدن المئذنة، 3.55 متر ارتفاع القسم الثاني الخشبي. حتى الغطاء المخروطي الخشبي. ونشير أيضاً أن الجامع كان قد أصابته أضرار في الحرب العالمية الثانية، نتج عنها تهدم الجزء الأوسط من بيت الصلاة، والجزء الأعلى من المئذنة.

التسقيف، والتي تسبق تاريخياً المساجد الليبية المسقوفة بست قباب، أقدم هذه الأبنية المؤرخة هو المسجد المشهور بإسم مشهد بلال (أو المشهد القبلي) في منطقة الشلال بمصر العليا، ينسبه المستشرق كريسويل إلى أعمال أمير الجيوش الفاطمي بدر الجمالي، في الفترة ما بين 469 ـ 474هـ (1077 ـ 1082ف)[1]، هذا المشهد بقبابه الستة ما زال قائماً، ويحمل خصائص مميّزة، الأضرحة المسقوفة بقباب في مقابر أسوان تعكس تقليداً معمارياً مقاطعياً، فالقباب ومناطق الانتقال فيها وعقودها، التي توجد في جدران الأضرحة، تترك أيضاً بروزاً في حدود 30 سم في العمق، فهذه الملامح والخصائص المعمارية شبيهة بتلك التي توجد وتتصف بها المباني الليبية، المتعددة القباب.

وبسبب هذا التشابه الكبير نرى من الضرورة أن نشير إلى تأثير هذه المقاطعة المصرية الواضح على المعمار الديني، وبالذات على معمار الأضرحة، خاصة في ليبيا أثناء الفترة الفاطمية، وخاصة بعد قدوم قبائل بني هلال وسليم، ومن مصر العليا إلى الشمال الأفريقي، في نهاية النصف الأول من القرن الحادي عشر الإفرنجي، وتأثرت ليبيا، وخاصة منطقة طرابلس الغرب، وجنوب تونس بهذا التقليد المعماري، عندما استقرت هذه القبائل العربية بهذه المناطق، ومن الواضح إنها أحضرت معها هذا التقليد المعماري من مصر، وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى في الفصل السادس من هذا الكتاب.

هناك أمثلة أخرى من الأبنية، التي تسقفها ست قباب، والتي تسبق تاريخياً أي مبنى ليبي من نفس النوع، ولها نفس التخطيط الأرضي، وطريقة التسقيف، توجد في آسيا الصغرى (أناضوليا) واستنبول منها جامع (Vivili Minare) بمدينة انطاليا، الذي شيّده محمد بيك الحميدي سنة 1373ف، مسقوف بست قباب محمولة على مثلثات تركية، واثنتي عشرة عمود ودعامة

---

(1) Creswell, M.A.E., I, Oxford 1952, p.150, 151, FIGS., 74, 76.

ساندة، حوّل المسجد إلى متحف لمدينة أنطاليا، وهو أقدم مسجد مهيب مسقوف بست قباب، ويعود إلى الفترة الحمديدية في أناضوليا[1].

والجامع الذي شيّده عتيق علي باشا، كبير الوزراء في عهد بايزيد الثاني في نهاية القرن الخامس عشر الإفرنجي، في منطقة (Zincirlikuyu) في استنبول، قطر قبابه 5.60 متر محمولة على مثلثات كروية[2].

وجامع بياله باشا الذي تمّ تشييده في سنة 1573ف، وكان بياله باشا (كابودان باشا) قد أصبح الوزير الثالث، يقع هذا الجامع المسقوف بست قباب في الحقول التي تقع خلف جامع قاسم ودار بناء السفن، له قباب ذات قطر 9 متر محمولة على عمودين ضخمين من الجرانيت[3].

ومن بين الأبنية المدنيّة المسقوفة بقباب، والمسماة (بيد ستان) أسواق للملابس والأقمشة، ومنها خان أشرف أنجلو في بيشهير، والذي يعود إلى الفترة (1256 ـ 1483ف)، هذا السوق بحوانيته الداخلية والخارجية ملحق به قسم مسقوف بست قباب[4]، ومبنى آخر من هذه المجموعة هو سوق غاليبوس، الذي ينسب إلى القرن السادس عشر الإفرنجي، شبيه جداً بالسوق السابق، ولكن لا حوانيت له من الخارج[5].

وقضية التعرّف على مصدر اشتقاق الأبنية، ذات الأسقف المتعدّدة القباب تقودنا مرّة أخرى إلى نظرية غاسبري ميسانا، الذي يرى أن المسجد ذا الست

---

(1) Oktay Aslanapa, **Turkish art and architecture,** (London, New York, Washington, Praeger Publishers,1971) p.175, fig. 120.

(2) Aptullah Kuran, **the Mosque in Early Ottoman architecture,** (Chicago, London, the university press, 1968) p.159, FIGS. 171, 172, Albert Gabriel, «les Mosques de Constantino ple» **Syria,** V11, 1926, pp.384, 385. FIG.19.

(3) Godfrey Goodwin, **A History of Attoman architecture** (London, Thomas and Hudson, 1971), p.277, FIG. 262 - SEE Also: Gabriel, pp. 385, 386, FIG. 20, PLS. LXXV - 1 and; LXXV 111, 3.

(4) Behcet Unsal, **Turkish Islamic architecture: Seljuk to Ottoman** 1071 - 1933 (London, Academy editions, 1973) p.55, FIG 26A.

(5) نفس المرجع، ص55 و56، شكل: B. 26

قباب قد نشأ في ليبيا، ويرى بأن المساجد الليبية من هذا النوع قد أثرت على تخطيط جامع بيالة باشا، الذي شيده في استنبول سنة 1573ف.

يرى ميسانا أن كابودان باشا بيالة قضى فترة في البحرية في شمال أفريقيا، وعليه تأثر بالمساجد الليبية ذات القبيبات[1].

وما توصل إليه ميسانا في هذا الشأن لا يستند على وثائق أو أدلة مادية، ومعلوماته على العمارة التركيّة العثمانية تبدو محدودة، والأمثلة التي استعرضتها منذ قليل تجعل من نظريته غير موثوق فيها، وما توصل إليه لا أساس له من الصحة.

علاوة على ذلك إذا كان أي شيء أثر على تخطيط جامع بيالة باشا فالأقرب أن يكون جامع عتيق علي باشا، الذي شيّد في استنبول في نهاية القرن الخامس عشر الإفرنجي، فكلا المسجدين يقعان في نفس المدينة، ويشبهان بعضهما معمارياً وتخطيطياً على الرغم من اختلاف حجم القباب وأقطارها 5.60 متر، في عتيق علي باشا، و9 متر في بيّالة باشا، علماً بأن أكبر القباب في المساجد الليبية من هذا النوع لا تتجاوز أقطارها 3.50 متر، وبسيطة البناء والتنفيذ.

مع ملاحظة أن حجم العمودين الكبيرين اللذين استخدما لحمل القباب الست، من جامع بيّالة باشا، ربما كانا سبباً في تصميم وتخطيط جامع بيّالة، لأنه وحسب ما جاء في كتاب جودفري جودوين عن المعمار العثماني، أن العمودين كان من الصعب استخدامهما في أي مبنى آخر[2].

هذه الملاحظة الأخيرة، لا تنفي التأثير الأناضولي على تخطيط جامع بيالة، وخاصة تأثير جامع عتيق علي باشا، الواقع بالقرب من جامع بيّالة،

---

(1) ميسانا، ص63، 64.
(2) جودوين، ص277.

والخلاصة أن المساجد الليبية المسقوفة بست قباب تختلف فقط في بعض الجوانب عن المساجد المسقوفة بقبّة واحدة أو بأربع قباب، وهي كذلك بسيطة وخالية من الزخارف، ووجود مجموعة من المساجد الصغيرة من الأنواع الثلاثة، في طرابلس والمناطق المجاورة لها، يوضح ويؤكد الروتين والتكرار الميكانيكي الآلي للقبيبات الصغيرة المتشهابة، وكذلك لبيوت الصلاة، وهذا يقودنا إلى أنه من المحتمل أن عائلات قليلة من بنائي المساجد، هي التي احتكرت هذا التقليد المعماري الإنشائي، الذي ورثوه عبر الأجيال أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر حين تشييد أغلب هذه المساجد.

القائمة رقم (4)

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بست قباب

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
1 - بن جابر	سيدي بن خليفة	النوفليّين طرابلس	8.- متر في 5.- متر	6 قباب	2.20 متر	مثلثات كروية	بداية ق. 17	أ. 28	به زيادتان بسقف مسطح
2 - سيدي عطيّة	؟	م.ق طرابلس	8.80 متر في 5.80 متر	6 قباب	2.60 متر	مثلثات كروية	ق. 17	أ. 27	أبعاد المبنى كله نحو 22 في 8 متر
3 - عزيّ أو دقدق	؟	م.ق طرابلس	9.- متر في 5.80 متر	6 قباب	2.60 متر	مثلثات كروية	ق. 16 ق. 17	أ. 24	-
4 - ابن صوّان	؟	م.ق طرابلس	9.- متر في 5.80 متر	6 قباب	2.60 متر	مثلثات كروية	ق. 16 ق. 17	أ. 26	-
5 - سيدي الحطاب	؟	م.ق طرابلس	9.- متر في 5.60 متر	6 قباب	2.60 متر	مثلثات كروية	نهاية ق. 16 بداية ق. 17	أ. 25	-

القائمة رقم (4) تكملة

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	الملاحظات
6 ـ سيدي سالم المشّاط	رمضان بن عثمان رايس	م.ق طرابلس	10.40 متر في 7.30 متر	6 قباب	3.25 متر	مثلثات كروية	1670	أ. 29	توفي المشّاط في 899هـ 1493ف جدد في 1670
7 ـ زاوية بن حسين والعريفي	؟	جنزور	ـ.9 متر في 5.60 متر	6 قباب	2.60 متر	حنايا ركنية	ق. 17	ج. 67	-

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبّة يحتمل تنقصها الدقة.

(م.ق = المدينة القديمة).

القائمة رقم (4) تكملة

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بست قباب

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والاقبية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
8 ـ ابن مقبل (ابن موسى)	أبو عبد الله المكني	م. ق. طرابلس	9 متر في 6 متر	2 قبّة 4 أقبية	2.60 متر	حنايا ركنية	نهاية ق. 16 بداية ق 17	ج. 54	يبدو أن المسجد كانت به 6 قباب
9 ـ الدراوي	؟	بنغازي	10 متر في 10 متر	حالياً سقف مسطح	-	-	بداية ق. 19	ج. 64	يذكر ميسانا أن المسجد في الأصل له 6 قباب

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبّة يحتمل تنقصها الدقة.

6

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بتسع قباب متماثلة وأخرى متباينة

تاريخ معمار المسجد في ليبيا
في العهد العثماني والقرمانلي
1551 - 1911
نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية

توجد في ليبيا مجموعة من المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بتسع قباب متماثلة، منها اثنان في المدينة القديمة بطرابلس، والثالث في مبنى السراي الحمراء (قلعة طرابلس)، والرابع في منطقة جنزور، والخامس في مصراته، والسادس في واحة أوجلة، وهناك مسجدان كل منهما مسقوف بتسع قباب متباينة، يقعان في مدينة بنغازي وهما من صنف المساجد ذات التخطيط المركزي.

أولاً: المسقط الأفقي والتقسيمات الفراغية:

يتكوّن المخطط الأرضي لهذه المساجد، من قاعة صلاة مربّعة، ذات أبعاد تتراوح بين 9 متر في 9 متر إلى نحو 16 متر في 16 متر.

والفراغ الداخلي لهذه القاعة مقسّم إلى تسع وحدات فراغية، لوجود الأعمدة الأربعة التي ترتكز عليها العقود والقباب.

وهذه التشكيلة المتكونة من 24 عقداً، منها 12 عقد ملتصقة بالجدران، و12 عقد تنتشر من الأعمدة التي تتوسط بيت الصلاة، هذه التشكيلة تحمل السقف المتكوّن من تسع قباب.

وفي المساجد، المسقوفة بقباب متشابهة تكون الفراغات التسع متساوية، وتتراوح أقطار القباب التي تسقفها بين 2.25 متر إلى نحو 4.70 متر، في حين تمثّل المساجد ذات التخطيط المركزي، فراغات غير متساوية بسبب تباين أحجام القباب التي تغطيها، فالفراغ المركزي فيها هو أكبر الفراغات ومسقوف بقبّة مركزيّة، وتحيطها أربعة فراغات مستطيلة في المحاور الأربعة، واربع وحدات فراغية متساوية في الزوايا الأربعة لبيت الصلاة.

هذه الفراغات المحورية مسقوفة بقباب بيضيّة الشكل، كما هو الحال في المسجد العتيق، أو بأربع قباب في الزوايا، كما هو الحال في جامع عثمان بوقلاز في بنغازي[1]. والقبّة المركزية الوسطى تحملها أربعة عقود نصف دائرية محمولة بدورها على دعامات ضخمة، والتي تقسم الفراغ في بيت الصلاة إلى تسع وحدات فراغية غير متساوية.

وعلى العموم فإن هذا التنظيم الفراغي الداخلي لا ينعكس على شكل الجامع من الخارج، مثلما نشاهد ذلك في المساجد العثمانية، ذات التخطيط المركزي، زوّد جامع عثمان بوقلاز بشرفات داخلية، تحيط ببيت الصلاة على مستوى الدور الأول، من كل جهة عدا جدار القبلة، وتتصل هذه الشرفات ببيت الصلاة، من خلال عقود كبيرة من ثلاث جهات (راجع الفصل السابع لمزيد من المناقشة في هذا الخصوص).

الشرفتان الجنوبية الغربية، والشمالية الشرقية، محمولتان على أبنية ملاصقة لمبنى المسجد، في حين نرى الشرفة الشماليّة الغربيّة محمولة على رواق، وبائكة تتقدم مدخل بيت الصلاة[2]. هذا الرواق له سقف من قبو برميلي، في حين سقفت الشرفات الثلاث بسقف مسطح، المسجد العتيق زود

(1) ميسانا، ص 324 و325، لوحات 45 و46.

(2) المرجع السابق، ص223، لوحة 46 على ص 325.

بشرفة واحدة على مستوى الدور الأول، في الجهة الشمالية الغربية، ومحمولة على البائكة والرواق، الذي يتقدم مدخل بيت الصلاة من هذه الجهة. (جدول «أ» مسقط 30 ـ 34، جدول «ج» مسقط 72 و73).

ثانياً: الملامح المعمارية:

1 ـ بيت الصلاة:

أ ـ الجدران والعقود:

تحتم القوانين المعمارية الإنشائية، في المساجد المسقوفة بتسع قباب متماثلة، بناء إثني عشر عقداً على الجدران، بواقع ثلاثة على كل جانب، واثني عشرة عقداً تنتشر من الأعمدة أو الدعامات الأربعة، التي تسند السقف، تبنى الجدران في داخل هذه العقود التي تحيط ببيت الصلاة تاركة عمقاً في الجدار في حدود 30 سم.

وجامعا العتيق وعثمان بوقلاز لا تظهر العقود في الجدران التي شيّدت سميكة، والدعامات السائدة الثمانية شيّدت بدورها سميكة، ووضعت على نفس المحور للدعامات الأربعة، التي تحمل العقود والقباب، وشيّدت الجدران سميكة لتتحمل الرفس المعماري، الذي تحدثه القبّة المركزية، والقباب الأخرى الأصغر حجماً التي تسند القبّة المركزية.

ب ـ القبة ومنطقة الانتقال:

استخدمت مثلثات كروية في منطقة الانتقال في بعض هذه الفئة من المساجد، وبعضها حنايا ركنية، وقطر القبة في هذه المجموعة من المساجد، تتراوح ما بين 2.25 متر، إلى 4.70 متر، والقباب نصف دائرية، وقبتا مسجد العتيق وبوقلاز المركزيتان محمولتان على مثلثات كروية، وقبابهما البيضية الشكل تشبه القبو البرميلي المشطوف الأركان من الجانبين القصيرين.

والقبة المركزية في جامع عثمان بوقلاز زودت برقبة أسطوانية، ورقبة

القبة في الجامع العتيق تبدو دائرية من الداخل ومثمّنة من الخارج، وكل رقبة زودت بعدد من الشبابيك في رقبتها، والقبة المركزية في الجامع العتيق مضلعة من الداخل والخارج، ومقسّمة من الداخل إلى ستة عشر ضلعاً، وإلى ثمانية أضلاع من الخارج، وتتبادل الأضلاع الخارجية والداخلية على النحو التالي ضلعان من الداخل، وضلع من الخارج وهكذا دواليك[1].

ومنطقة الانتقال في القبّة المركزية في كلا المسجدين محدّدة بكورنيش زخرفي بارز (شكل: 24).

ج ـ المحاريب والمنابر:

هذه الفئة من المساجد هي أكبر حجماً من تلك المساجد التي تناولناها في الفصول السابقة، وهذه المساجد المسقوفة بتسع قباب متماثلة وأخرى متباينة، يمكن تصنيفها على النحو التالي:

المجموعة الأولى: تتكوّن من جامعي الدروج والخروبة، وكلاهما بالمدينة القديمة بطرابلس، وجامعي عثمان والعتيق في بنغازي.

هذه الجوامع زودت بمحاريب ومنابر ذات زخارف متنوعة (شكل: 47)، وعقود هذه المحاريب نصف دائرية باستثناء، عقد محراب مسجد عثمان بوقلاز فهو من نوع حذوة الفرس.

وعقود هذه المحاريب محمولة على أعمدة مستقلة، تتوج محراب جامع العتيق حنيّة (نصف قبة) على شكل الصدفة، وما يلفت النظر في هذه المجموعة من المساجد، وجود حنيتين تكتنفان المحراب في الجامع العتيق وجامع عثمان، واحدة يشغلها المنبر، وكلتا الحنيتين يحيطهما إطار مسطح قليل البروز[2].

---

(1) نفس المرجع، 327 و328 ولوحة رقم 48 و49.

(2) نفس المرجع، 221 و224، شكل 45 على ص225.

والمجموعة الثانية: تشمل جامع سيقاط، والسراي الحمراء، والزغاغنة، (تقع في جنزور وطرابلس وأوجلة على التوالي) لها محاريب أصغر حجماً وبسيطة وخالية من الزخرفة، وجامع سيقاط والزغاغنة زودا بمنبرين بسيطين يتكوّن كل منهما من عدد من الدرجات، ولم يزود مسجد السراي بمنبر، والمنابر والمحاريب في هذه المجموعة بسيطة وخالية من الزخرفة.

2 ـ عناصر معمارية أخرى مكمّلة من غير بيت الصلاة:

أ ـ الردهة:

مسجد السراي الحمراء لم يزود لا بردهة تتقدم مدخل بيت الصلاة، ولا بصحن مكشوف، ويمثّل حالة فريدة لوقوعه داخل قلعة طرابلس، وجامع الدروج بدوره لم يزوّد بردهة ولا بصحن مكشوف، ويمكن الدخول مباشرة من الشارع إلى بيت الصلاة، والمراحيض والميضأة والمطهّرة تقع على الجانب الشمالي من بيت الصلاة، وزود هذا الجامع بساحة صغيرة مكشوفة تقع على الجانب الجنوبي الشرقي خلف جدار القبلة، بحيث تسمح بحركة المرور إلى ضريح الشيخ إسماعيل بن يربوع، وإلى المراحيض والمطهرة.

ب ـ الصحن:

بقية المساجد من هذه الفئة من المساجد زوّدت بصحون أحد أضلاع الصحن يشغله رواق أو رواقان، أحدها تشغله الميضأة والمراحيض والمطهرة، وما يثير الانتباه هو أن جامعي بوقلاز والعتيق، من نوع المساجد ذات التخطيط المركزي، لم يزودا، بصحن مكشوف والذي عادة يساوي مساحة بيت الصلاة في المساجد السلطانية، ونلاحظ في هذين الجامعين أنهما زوّدا بممّر مستطيل ضيّق يمكن اعتباره صحناً بسيطاً، أحد جوانب هذا الممّر تشغله الميضأة والمراحيض، كما يوجد السلّم المؤدي إلى الشرفات المحيطة ببيت الصلاة على مستوى الدور الأول في جامع عثمان، أو إلى الشرفة الوحيدة في الجامع العتيق.

ج ـ المئذنة:

مسجد السراي غير مزوّد لا بمئذنة من النوع البسيط ولا أي نوع من المآذن، أما مسجدي سيقاط والزغاغنة بهما المئذنة ـ السلّم وجامع الدروج زوّد بالمئذنة ـ السلّم، التي لها برج منتصب على أحد أركان سقف المسجد، صمّم السلّم الذي يؤدي إلى هذا البرح في سمك الجدار الشمالي الغربي، كما يؤدي كذلك إلى الدكّة الخشبية المعلّقة على مستوى الدور الأول في داخل بيت الصلاة، في حين زوّد كل من مساجد الخروبة وعثمان بوقلاز والعتيق بمآذن مستقلة، أسطوانية الشكل كل منها بها شرفة، وتستدق مئذنة جامع العتيق كلما اتجهنا إلى أعلى، ومئذنة جامع بوقلاز مضلّعة وبها زخارف على هيئة المعينات في منتصف بدنها[1]. وهذه المئذنة من حيث تصميمها وزخارف هي الوحيدة في معمار المسجد الليبي، التي تذكرنا بمآذن استنبول وأناضوليا بصفة عامة[2] (شكل: 54).

ثالثاً: الملامح الزخرفية:

بيّنا في الصفحات السابقة أن أغلب المساجد في هذه المجموعة بسيطة وخالية من الزخرفة، ولا تمثل أية أهميّة زخرفية، على أن جامعي الخروبة والدروج يحملان بعض العناصر والمفردات الزخرفية خاصة المنبرين والمحرابين والشرفتين المعلقتين المصنوعتين من الخشب.

عقد المدخل الرئيسي في جامع الدروج، نوع حذوة الفرس، له زخارف منحوتة، عبارة عن عناصر نباتية، وتزخرف بلاطات من القاشاني كوشتيّ العقد، والأسلوب الزخرفي لهذا المدخل هو من خصائص مجموعة كبيرة من

---

(1) نفس المرجع، ص324.

(2) توجد مآذن أخرى من نفس النوع في مسجد داوود باشا (1482 ـ 1497) في استنبول، مسجد محرمة (1555) في استنبول، جامع السلطان بايزيد 1486 من أماسيه بأناضوليا. والزخرفة في بدن المئذنة في جامع عثمان بوقلاز في بنغازي تذكرنا بنفس الزخارف على بدن مئذنة جامع الشيخ زاده 1548 باستنبول.

المداخل، التي نشاهدها في الأبنية المدنية والدينية التي شيّدت في الفترة ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر.

المسقط الأفقي لحنية المحراب في جامع الدروج على هيئة عقد نصف دائري، وعقد المحراب محمول على عمودين لولبيّين، وبالجزء الأعلى من حنيّة المحراب زخرفة جصية وكذلك في كوشتي العقد. وكسيت حنية المحراب تحت مستوى الزخرفة، ببلاطات من القاشاني، ذات اللون الأزرق الترقوازي، مزخرفة بوريدات ذات خمسة بتلات، وحزمة من الأوراق، شكلت على هيئة ورقة، وضعت في شكل معين، تلامس زواياه حواف البلاطة في المحاور الأربعة، وزخرفت بقية مساحة البلاطة بنقط زرقاء[1].

توجد مجموعة كبيرة من البلاطات من نفس التصميم والزخرفة في كوشتي العقد في مداخل مساجد حورية والنخلي وابن موسى، والمدخل المؤدي من بيت الصلاة في جامع درغوت إلى الحجرة الملاصقة لبيت الصلاة على الجانب الشمالي الشرقي (شكل: 56 و59).

وهناك كتابة كوفيّة بلون أبيض على خلفية سوداء تشغل الجزء الأعلى من الإطار، الذي يحيط بحنية المحراب، وعلى كورنيش الإطار من نوع الموجة العدلة والموجة المرتدة:

(Cyma Recta and Cyma Reversa Profile) هناك جامة مستطيلة تكتنفها جامتان دائريتان تشغلها كتابة نسخية، وجمعت بلاطات من القاشاني داخل إطار بارز، كل منها تتكوّن من سبع وعشرين بلاطة (9 × 3) كل بلاطة بها كلمتان بخط كوفي مزوى هما «بركة محمد» باللون الأزرق الهافت على خلفية بيضاء، وضعت هذه المجموعات من البلاطات داخل أطر على ارتفاع منتصف الجدران في داخل بيت الصلاة.

وتقع مباشرة تحت هذه المجموعات الخزفية، جامات بيضيّة الشكل، تشغلها كتابات نسخيّة بارزة بحروف بيضاء على ارضية خضراء اللون، كما

---

(1) تبدو هذه البلاطات الخزفية من أنها صناعة محلية، ولم أصادف هذا النوع من البلاطات ولا زخارفها في أيّ مكان آخر أعرفه.

توجد مجموعات أخرى من نفس البلاطات في جامع محمود خازندار، وجامع درغوت[1]، وجامع عمر المختار (السنوسيّة سابقاً).

ترجع هذه البلاطات إلى القرن التاسع عشر الإفرنجي (شكل: 13 و26) كما أشار إلى ذلك الباحث التركي علي صايم أولجن.

منبر جامع الدروج مبني من الحجر والرخام، يتقدمه عقد نصف دائري، محمول على عمودين رشيقين من الرخام، ويتكوّن المنبر من إحدى عشرة درجة، تقود إلى البناء الذي يشبه السرداق فوق المقعد الذي يجلس عليه الخطيب قبل البدء في الخطبة، هذا البناء المحمول على أربعة أعمدة رخامية، من نفس نوع الرخام والتصميم الذي تحمل عقد المنبر، زخرفت مجنبتا المنبر بجامة بيضيّة الشكل محفورة ومطعّمة، كل منها بها اثنتا عشرة ورقة من الرخام الأبيض، على خلفية أرجوانية اللون تكوّن شكلاً زخرفياً.

يكتنف هذه الجامة تصميمان، يتكوّن كل منهما من نصف تصميم الجامة البيضيّة الشكل.

والموضوع الزخرفي لهذه الجامة البيضيّة الشكل، والتصميمان اللذان يكتنفانها هو موضوع زخرفي غير مألوف، وغريب عن الفن والعمارة الإسلامية في ليبيا.

زخرفت القبّة الوسطى، وهي أكثر ارتفاعاً من بقيّة القباب، بشريط من الكتابة النسخية البسيطة، باللون الأبيض على أرضية خضراء، يدور هذا الشريط فوق منطقة الانتقال، ويشغل مركز هذه القبّة جامة زخرفية رسمت بعدة ألوان.

زخرف سطح الشرفة الخشبية (مقابل لأرضية بيت الصلاة) المعلّقة بهذا الجامع على مستوى الدور الأول، والمقامة تحت القباب الثلاثة الخلفية والواقعة على الجانب الشمالي الغربي، بزخارف ملوّنة عبارة عن حزم نباتية، وزهور، وتوريقات ملتوية، تشغل وسط هذه الشرفة، وتحيط هذه الزخارف بجامة دائرية الشكل (شكل: 62).

---

(1) Ali Saim Ulgen, «Trablus Garpata Turgut Reis Mimari Manzumesi» Vakfilar Dergisi, III, 1962, p.90

يُرجع كاتب المقال هذه البلاطات إلى القرن التاسع عشر.

هذا الأسلوب الزخرفي على الخشب يذكرنا بنفس الأسلوب، الذي نراه في الأسقف المزخرفة في كثير من الأبنية والبيوت والقصور الليبية والتونسية، التي شيّدت في الفترة بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر[1]. وربما يساعدنا في معرفة مصدر التأثير والصناعة والتنفيذ.

جامع الخروبة بدوره زوّد بشرفة خشبية مشابهة، تقع كذلك تحت القباب الخلفيّة الواقعة على الضلع الشمالي الغربي، المقابل لجدار القبلة في بيت الصلاة، ولها نفس الأسلوب الزخرفي والعناصر الزخرفية (شكل: 63).

(لمزيد من المعلومات حول هاتين الدكتين راجع الفصل التاسع).

رابعاً: أمثلة وأنواع هذه المساجد:

يندرج تحت مجموعة المساجد ذات القباب المتماثلة المساجد التالية:

1 ـ جامع سيقاط بجنزور: ينسب إلى الشيخ أبو الحسن السيقاطي، الذي توفي في سنة 430هـ ـ 1029ف[2] (سبق أن أشرنا في الفصل الثاني، أن هناك احتمالاً أن هذا الجامع أعيد بناؤه في القرن الثامن عشر).

2 ـ جامع الدروج (أو جامع الشيخ مساهل أو جامع إسماعيل بن يربوع): ينسب إلى الشيخ إسماعيل بن يربوع، الجزء القديم من الجامع شيّد قبل سنة 1521ف[3] (أنظر الفصل الثاني لتتبع شجرة الأنساب لعائلة بن يربوع مؤسس الجزء القديم من الجامع).

3 ـ مسجد السراي الحمراء: يقع في داخل السراي الحمراء بطرابلس، قيل

---

(1) Jacques Revault, Palais et Demeures de Tunis XVI et XVII siecles (Paris, 1967), see figs., 6, 30, 31, 65.
Jacques Revault, Palais et Demeures de Tunis XVIII et XIX siecles (Paris, 1971), see figs., 28-30, 82, 88.

(2) التجاني: رحلة، ص219 ـ النائب: نفحات، ص211 ـ الزاوي: معجم، ص313 ـ النائب: المنهل، ص107 ـ الزاوي: أعلام، ص256.

(3) الزاوي: معجم، ص91 ـ الزاوي: أعلام، ص81 ـ عثمان ابن عبد السلام الأسمر، كتاب الإشارات، ص16.

أن كنيسة القديس ليونارد في قلعة طرابلس حوّلها مراد آغا إلى مسجد بعد طرد فرسان القديس يوحنا سنة 1551ف[1].

4 ـ جامع الخروبة: يقع بالمدينة القديمة بطرابلس[2].

(وتاريخ تأسيس هذا الجامع سنناقشه بتوسع في الصفحات التالية).

5 ـ جامع قبيلة الزغاغنة: بواحة أوجلة، يرجعه أميليو سكارين[3]، وغاسبري ميسانا إلى القرن التاسع عشر[4].

6 ـ جامع ابن غلبون: في مصراته ينسب إلى المؤرخ محمد بن خليل ابن غلبون ويرجع إلى القرن الثامن عشر (جدول «د» مسقط رقم 11).

ويندرج تحت المجموعة الثانية، التي تشمل مساجد لها قباب غير متماثلة، أو ما يطلق عليها المساجد ذات التخطيط المركزي.

وتشمل:

7 ـ جامع عثمان بوقلاز: يقع في مدينة بنغازي، وشيّده رشيد باشا، والي ولاية برقة في الفترة ما بين 1883 ـ 1893[5].

8 ـ جامع العتيق يقع كذلك في مدينة بنغازي، وشيّده طاهر باشا، والي ولاية برقة، في الفترة ما بين 1893 ـ 1904[6].

خامساً: قضايا: المؤسسون، الفترة التاريخية، والتأثيرات المعمارية:

وأول المساجد التي تجعلنا نضع استفسارات حول مؤسّسيها هو جامع

---

(1) كونستانزيو برنيا، طرابلس من 1510 إلى 1850، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس ليبيا، الناشر الفرجاني 1969) ص63 ـ فيروه: الحوليات، ص82 ـ عمر الباروفي، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، (طرابلس، ليبيا، مطبعة ماجي 1952) ص137.

(2) ميسانا، ص3، لوحة 21 و22 على ص300 و301.

(3) Emilio Scarin, LE OASI Cirenaiche Del 29 Parallelo Florence, G.C. Sansoni, 1937, XV, p. 85, Fig. 20.

(4) ميسانا، ص290، ص11 رقم 2 وص83 ـ 85.

(5) المرجع السابق، ص216 و217.

(6) نفس المرجع.

الدروج (إسماعيل بن يربوع)، بالمدينة القديمة بطرابلس، يقع على ناصية شارع قوس الصرارعي، وزنقة جامع الدروج، أوضحنا في صفحات سابقة، أن المسجد الأصلي (الجزء القديم) شيّد في نهاية العصر الحفصي قبل سنة 1510ف، المسجد يعرف أيضاً باسم الشيخ مساهل (وهو الشيخ محمد بن أحمد بن مساهل)، الذي ولد بطرابلس، وتوفي سنة 1077هـ ـ 1666ف[1]. تقلد وظيفة مفتي لمدة أربعين سنة وقام بالتدريس والوعظ في هذا الجامع لسنوات طويلة[2].

الجامع الحالي يتكوّن من جزء مسقوف بتسع قباب، وبه محراب ومنبر، وجزء آخر مسقوف بأقبية برميليّة، وبه أيضاً محراب مجوف، ويوجد بهذا الجزء الميضأة، وساحة صغيرة مكشوفة تقع خلف جدار القبلة، وتسمح بالمرور إلى المراحيض والمطهرة، وإلى ضريح إسماعيل بن يربوع في الإيوان الصغير المسقوف بقبّة (شكل: 17).

بالنسبة إلى بيت الصلاة المسقوف بتسع قباب، من المؤكد انه يعود إلى فترة ليست قبل القرن السابع عشر أو الثامن عشر الإفرنجي، الاختلافات المعمارية، بين هذا الجزء، وبين الجزء المسقوف بالأقبية البرميليّة (بيت الصلاة القديم)، هي اختلافات واضحة، وتعطي انطباعاً أن كلا الجزئين لم يشيدا في فترة واحدة، هذا من جانب، ومن جانب آخر وجود اثنين من المحاريب، واختلاف نظام التسقيف في كلا الجزئين، وارتفاع مستوى الأرض بين الجزئين، كل هذا يجعلنا نصل إلى هذه النتيجة.

علاوة على ذلك فاللوحتان الرخاميتان التذكاريتان تحملان تاريخين مختلفين، تحمل اللوحة على المدخل الرئيسي لبيت الصلاة، ذي القباب،

---

(1) النائب: نفحات، ص130 ـ الزاوي: أعلام، ص263 و264.

(2) النائب: المنهل، ص107 ـ النائب: نفحات، ص130 ـ الزاوي: أعلام، ص263 و264.

تاريخ 1367هـ ـ 1947ف، في حين تحمل اللوحة الثانية التي تقع فوق المدخل، الذي يربط بين بيت الصلاة القديم، وبيت الصلاة الجديد، تحمل تاريخين أحدهما 1367هـ ـ 1947ف، والآخر 1106هـ ـ 1695ف، التاريخ الأول يوضح التاريخ الذي تمّت فيه آخر الإصلاحات، تحت إشراف المجلس البلدي لطرابلس، بعد أن أصيب الجامع بأضرار أثناء الحرب العالمية الثانية[1] أثناء هذه الإصلاحات تمّ فتح المدخل، الذي يربط بين قسمي الجامع، ذكر هذا في نص اللوحة التذكارية فوق هذا المدخل.

وهذه اللوحة نفسها تحمل جملة مبهمة وتاريخاً وتقرأ (شيخة مستشار للوقف سنة 1106هـ ـ 1695ف[2]، وهذا التاريخ ربما نربطه بإعادة بناء الجامع ذي التسع قباب.

وإذا تمّت إعادة بناء شاملة للجامع في هذه الفترة فلا بد وأنها شملت بناء بيت الصلاة المسقوف بتسع قباب، وشيّد ملاصقاً للمسجد القديم المسقوف بأقبية برميليّة، ويبدو أنه شيّد على يد إسماعيل بن يربوع في نهاية العصر الحفصي.

وأثناء بناء المسجد الجديد، فتح المدخل الذي يربط بين المسجد الجديد وبين القديم، وهو الذي يقع بالقرب من جدار القبلة وتم بناء عدة درجات نظراً لاختلاف مستوى الأرض في كلا الجزئين، لأنها أخفض في بيت الصلاة الجديد عنها في بيت الصلاة القديم، وحدثت عدّة تغييرات وتعديلات أخرى، منها فتح المدخل المؤدي إلى الفسحة، التي تقع خلف

---

(1) تشير اللوحة التذكارية الرخامية فوق المدخل الرئيسي للجامع إلى تجديد الجامع بعد الحرب العالمية الثانية، تحت إشراف مجلس الأوقاف بطرابلس.
وفي هذه التجديدات أعيد بناء القسم الأعلى من المئذنة، التي تشبه البرج، وهي تماثل البناء الذي يشبه السرادق فوق المنبر لجامع درغوت باشا، الذي جُدّد على يد علي محمد أبو زيان سنة 1947.

(2) نص اللوحة يقرأ «فتح الباب في سنة 1367هـ شيخة مستشار للوقف سنة 1106هـ»؟.

جدار القبلة، وكذلك السلّم الذي يؤدي إلى المئذنة الصغيرة الواقعة في الزاوية الشماليّة من الجامع.

الجامع الحالي يسمّى بجامع الدروج، هذه التسمية ذكرها كتاب الإشارات المؤرخ في 1094هـ ـ 1682ف[1]. هذه التسمية ربما التصقت بالجامع لوجود هذا السلّم الذي شيّد في سمك الجدار الشمالي الغربي لبيت الصلاة، المسقوف بتسع قباب، والمؤدي إلى برج المئذنة[2]. يذكر الشيخ الطاهر الزاوي إن التسمية ترجع إلى وجود عدد من الدرجات التي تتقدم المدخل الرئيسي للجامع الواقع على شارع زنقة جامع الدروج[3]. ولقد ذكرت أن هناك سلمين، أحدهما يربط بين بيت الصلاة الجديد والقديم، والواقع في بيت الصلاة الجديد، والآخر يربط بين الجزء المسقوف بأقبية برميليّة حيث توجد الميضأة، والممر الواقع خلف جدار القبلة.

ويبدو أن السلّم الواقع في داخل بيت الصلاة ذي التسع قباب، كان يقع أصلاً في الصحن المكشوف، الذي شيّد عليه بيت الصلاة المسقوف بتسع قباب، وأصبح يربط بين بيت الصلاة القديم وبيت الصلاة الجديد.

ويمكن تفسير ارتفاع أرضية الجزء القديم في الجامع، ومن خلال استعراض الحكايات المتداولة بين سكان المنطقة، قيل أنه كانت توجد كنيسة على نفس الموقع للجزء القديم، وربما ترجع بعض أجزاء الكنيسة إلى الجزء القديم من الجامع، وهذا يفسر أيضاً سبب ارتفاع مستوى الأرض في الجزء القديم عن الجزء الجديد، وربما هذا الذي جعل البنّائين يستخدمون السلّم لتسهيل الانتقال بين القسمين.

---

(1) ابن عبد السلام الأسمر: **كتاب الإشارات**، ص16.

(2) إن السلّم الذي شيّد في سمك الجدار الشمالي الغربي لجامع الدروج يذكرنا كذلك بترتيب مشابه للسلّم في جامع سكوللو محمد باشا في استنبول.

(3) الزاوي: **معجم**، ص91.

وعلينا أن نذكر أن المسجد الحالي المسقوف بتسع قباب شيّد في صحن المسجد القديم المسقوف بأقبية برميليّة. ووجود هذه الساحة ذكر في قصة أو حدوتة متداولة ومدوّنة في الكتب، متعلقة بمسجد إسماعيل بن يربوع، مؤسس المسجد القديم. ومن استعراض القصة يبدو أن البناء المسقوف بقبّة، الذي ذكر في القصة كان يستخدم كتّاباً، وكان قائماً في هذه الساحة.

وحسب ما ورد في كتاب نفحات النسرين، لأحمد النائب الأنصاري، فإن والده المؤلف الذي ولد في اليوم الثالث عشر من شوّال 1223هـ ـ 1808ف[1]، والذي توفي في اليوم الثاني من شوّال سنة 1298هـ ـ 1880ف[2]. ، ذكر للمؤلف (ابنه أحمد) أنه:

«بينما كنا نقرأ مع الشيخ محمود، واعظ جامع الدروج، ظهر لنا فجأة فارس عند مدخل الكتّاب، الذي كان يقع في ساحة الضريح المقبى، وطلب الفارس من الفقيه أن يسرّح الأطفال وفعل الفقيه محمود ذلك، ثم جلس لمتابعة تلاوة القرآن، وطلب الفارس من الفقيه محمود أن يترك بدوره الكتّاب وفعل ذلك على مضض منه، وبمجرد أن ترك الفقيه الكتاب انهارت قبة الكتاب، وعندما أراد الفقيه محمود أن يلمس الفارس من أجل التبرك لم يجد له أثراً»[3].

وعلى الرغم من أن هذه القصة قد تكون خيالية، إلا أنه يبدو أن كتّاباً كان يقع في مكان ما بالقرب من ضريح إسماعيل بن يربوع، في القرن التاسع عشر أو قبل ذلك.

والجامع الثاني، وهو **جامع الخروبة**، الذي لا نعرف عن تاريخ إنشائه شيئاً، ولا عن مؤسّسه الحقيقي، يقع الجامع في منطقة الفنيدقة بالمدينة

---

(1) النائب: **المنهل**، ج2، ص49.

(2) الزاوي: **أعلام**، ص100 و101، النائب: **المنهل**، ج2، ص49.

(3) النائب: **نفحات**، ص103.

بطرابلس، على مسافة قصيرة من جامع الناقة، وجامع الخروبة هو أكبر الجوامع المسقوفة بتسع قباب متماثلة، الجامع يتكوّن من قاعة الصلاة المسقوفة بتسع قباب، والقسم الثاني بسبع أقبية برميلية، متعامدة على جدار القبلة، ويقع على الجانب الشمالي الغربي من القسم المسقوف بقباب، ومن هذا القسم المسقوف بالأقبية البرميلية، يمكن الصعود إلى الشرفة الخشبية المعلقة من خلال سلّم.

ويشمل البناء أيضاً صحناً مكشوفاً مستطيل الشكل، يؤدي إلى الميضأة والمراحيض والمطهرة والمئذنة الأسطوانية الشكل، التي لها شرفة واحدة، وتقع مجموعة من الحوانيت على الجانب الجنوبي الشرقي خلف جدار القبلة، والجانب الشمالي الشرقي، المطل على شارع الفنيدقة (جدول «أ» مسقط 31).

للمسجد مدخلان مطلان على شارع الفنيدقة، أحدهما يؤدي مباشرة إلى بيت الصلاة المسقوف بتسع قباب، والآخر يؤدي إلى الصحن المكشوف وبقيّة مكونات المسجد، وفي وسط الواجهة الشماليّة الغربيّة، من بيت الصلاة يوجد مدخل يقود إلى القسم القديم ومنه إلى القسم المسقوف بتسع قباب، أبعاد هذا القسم هي 16 متر في 16 متر[1]. قباب هذا الجامع هي أكبر القباب في هذه الفئة من المساجد ذات التسع قباب المتماثلة، قطر القبة نحو 4.60 متر (أنظر القائمة رقم 5 للمقارنة).

الحجم الكبير المميّز لهذه القباب له أهمية كبرى في نسبة هذا الجامع إلى فترة محددة، هذا الجامع الوحيد الذي له تسع قباب من هذا الحجم، التي رتّبت في ثلاثة صفوف لتغطي بيت صلاة من هذا الحجم والاتساع.

والحقيقة أنه لا يوجد جامع شيّد قبل أو أثناء الفترة العثمانية، له قباب من هذا الحجم تسقف فيه بيت الصلاة تسع قباب، علاوة على ذلك صمّمت القبّة الوسطى لتكون أعلى من بقيّة القباب، وهو تقليد معماري تركي عثماني كثير

---

(1) ميسانا، ص154.

الاستخدام في مساجد أناضوليا واستنبول[1]، ونلاحظ ارتفاع القبّة الوسطى كذلك في جامع الدروج.

ومن أجل الاستفادة من المعلومات المتاحة، واستخدامها في المقارنة رتبنا المعلومات المطلوبة في القائمتين رقم (5) ورقم (6).

في نهاية هذا الفصل، توضح القائمتان أن قباب جامع الخروبة هي أكبر القباب في مجموعة الجوامع المتعدّدة القباب المتماثلة، وهذه القباب تشير بوضوح إلى التقدم التقني المعماري والإنشائي، والتحدي الذي أظهره المعماريون والبناؤون المحليّون، وهذا يشير إلى أن القسم المسقوف بتسع قباب شيّد في القرن الثامن عشر وربما في القرن التاسع عشر، هذا الرأي يدعمه الأسلوب الزخرفي الذي اتبع في الزخرفة الجصيّة في منطقة المحراب (شكل: 41)، كما نشاهد في كثير من الأبنية الدينية والمدنية في تونس، التي شيّدت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والزخرفة الغنيّة التي تغطي سطح الشرفة الخشبية المعلّقة (شكل: 63)، تتكوّن من عناصر نباتية وعنصر المزهرية (المحبس) الزخرفي، وهي التي تذكرنا بنفس الزخرفة التي استخدمت في الأبنية الدينية والمدنية في تونس في هذه الفترة.

إن وجود نفس الزخرفة والعناصر الزخرفية، في البلدين تونس وليبيا، في هذه الفترة يشير إلى أن جامع الخروبة (القسم المسقوف بتسع قباب) شيّد ليس قبل القرن السابع عشر أو الثامن عشر.

والمئذنة بدورها تعطينا دلالة أكثر على هذا الافتراض، وتحديد تاريخ بناء هذا القسم، فمئذنة جامع الخروبّة هي صنو لكل من مئذنة جامع درغوت وسيدي سالم المشّاط ومحمود خانزدار [تكملة التحليل بعد القائمتين ص240].

(أنظر القائمة رقم (5) والقائمة رقم (6) التاليتين:

---

(1) عبد الله كوران، أمثلة من هذه الجوامع، أولوجامي في بورصة، شكل: 103، جامع أورخان غازي في بورصة، شكل: 104 و105، ومسجد غازي ميهلل في أدرنة، شكل: 87 ـ 89، ومسجد يلدرم، في بورصة، شكل 144 و145، والمسجد القديم في أدرنة، شكل: 167 ـ 169، وص137.

القائمة رقم (5)

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بتسع قباب متماثلة وأخرى متباينة

(قائمة المقارنة)

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	قطر القبة	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
1 ـ الناقة[1]	صفر داي	م.ق طرابلس	19.ـ متر 19.ـ متر	42 قبة + 7 أقبية	2.10 متر	مثلثات كروية	1610[2]	أ. 43	
2 ـ محمود خازندار	محمود خازندار	م.ق طرابلس	7.50 متر في 7.30 متر	4 قباب	3.50 متر	مثلثات كروية	1680[3]	أ. 20	
3 ـ القبطان	حسين القبطان	زاوية الدهماني طرابلس	16 متر في 8 متر	4 قباب + 2 قبو	3.75 متر	حنايا ركنية	1687[4]	أ. 21	

(1) هدم جامع الناقة سنة 1510، أثناء الاحتلال الإسباني، وأعيد بناؤه في سنة 1610.

(2) اللوحة التذكارية على المدخل الرئيسي تحمل اسم الؤسس صفر داي.

(3) اللوحة التذكارية على المدخل الرئيسي، واللوحة على مدخل الضريح تعطي اسم المؤسّس وتاريخ التأسيس.

(4) فيروه: **الحوليات**، ص257 و258 وملاحظة رقم (1) ص299.

القائمة رقم (5) تكملة

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	قطر القبة	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
4 ـ سيدي سالم المشّاط	رمضان بن عثمان رايس	م.ق طرابلس	10.40 متر في 7.30 متر	6 قباب	3.25 متر	مثلثات كروية	1670	أ. 29	
5 ـ شائب العين	محمد الإمام	م.ق طرابلس	19 متر في 19 متر[1]	16 قبة	3.70 متر	مثلثات كروية	1699[2]	أ. 38	
6 ـ خليل (دورار)	خليل باشا الأرناؤوطي	الظهرة طرابلس	17 متر في 13 متر	12 قبة	3.70 متر	حنايا ركنية	1708[3]	أ. 37	
7 ـ القرمانلي	أحمد باشا القرمانلي	م.ق طرابلس	23 متر في 23 متر[4]	25 قبة	3.50 متر	مثلثات كروية	1738[5]	أ. 41	له ثلاث شرفات معلّقة

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبّة يحتمل تنقصها الدقة.

(1) ميسانا، ص180 يعطي هذه الأبعاد.

(2) النائب: **المنهل**، ص261، فيروه: **الحوليات**، ص332 ـ يذكر ابن غلبون أن مصطفى قاربطاق تونسي قام بالإشراف على بناء جامع محمد شائب العين، الزاوي: **معجم**، ص91.

(3) فيروه: **الحوليات**، ص332، النائب: **المنهل**، ص278، عزيز سامح، ص140.

(4) ميسانا، ص184.

(5) اللوحة التذكارية على المدخل الرئيسي، وتلك اللوحة فوق مدخل المئذنة تعطينا تاريخ التأسيس واسم المؤسّس.

القائمة رقم (5) تكملة

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بتسع قباب متماثلة وأخرى متباينة (قائمة المقارنة)

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	قطر القبة	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
8 ـ قرجي	مصطفى قرجي	م.ق طرابلس	18.ـ متر في 18.ـ متر	16 قبة	3.50 متر	مثلثات كروية	1834[1]	أ. 39	له ثلاث شرفات معلّقة
9 ـ الخروبة	؟	م.ق طرابلس[2]	16.ـ متر في 16.ـ متر	9 قباب	4.60 متر	حنايا ركنية	ق.17 ـ 18	أ. 31	متكوّن من قسمين
10 ـ الزغاغنة	؟	أوجلة	8.80 متر في 8.80 متر	9 قباب	2.30 متر	مثلثات كروية	ق. 19[3]	أ. 32	
11 ـ السُبْخة	؟	أوجلة	12.60 متر في 4.60 متر	10 قباب	2.20 متر	مثلثات كروية	ق. 19[4]	أ. 36.	
12 ـ إبن غلبون	محمد بن خليل بن غلبون	مصراته	9.50 متر في 8.88 متر	9 قباب	2.60 متر	حنايا ركنية	ق.18 ـ 1763	د. 1	توفي المؤسس في 1763

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبة يحتمل تنقصها الدقة.

(1) ميسانا، ص195.

(2) المرجع السابق، ص153 ـ 157.

(3) سكارين، ص85 وشكل: 20.

(4) المرجع السابق، ص86 وشكل: 21.

القائمة رقم (6)

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بتسع قباب متماثلة وأخرى متباينة

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	قطر القبة	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
1 ـ سيقاط	أبو الحسن السيقاطي	جنزور	9.ـ متر في 9.ـ متر	9 قباب	2.60 متر	مثلثات كروية	المسجد الأصلي قبل سنة 1029ف	أ. 33	
2 ـ الدروج	إسماعيل بن يربوع	م.ق طرابلس	12.ـ متر في 12.ـ متر	9 قباب	3.50 متر	مثلثات كروية	المسجد الأصلي قبل سنة 1521ف	أ. 30	يتكوّن من قسمين قديم وجديد
3 ـ السراي الحمراء	مراد آغا	م.ق طرابلس	9.ـ متر في 9.ـ متر	9 قباب	2.60 متر	مثلثات كروية	1551 ـ 1553	أ. 34	داخل قلعة طرابلس
4 ـ الخروبة	؟	م.ق طرابلس	16.ـ متر في 16.ـ متر	9 قباب	4.60 متر	حنايا ركنية	ق. 17 ـ ق. 18	أ. 31	
5 ـ الزغاغنة	؟	أوجلة	8.80 متر في 8.80 متر	9 قباب	2.30 متر	مثلثات كروية	ق. 19	أ. 32	

القائمة رقم (6) تكملة

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	قطر القبة	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
6 ـ عثمان بوقلاز	رشيد باشا	بنغازي	ـ. 24 متر في ـ. 20 متر	9 تخطيط مركزي قباب متباينة	مختلفة الأقطار	مثلثات كروية	1883 ـ 1893	ج. 72	
7 ـ العتيق	طاهر باشا	بنغاري	ـ. 20 متر في ـ. 17 متر	9 تخطيط مركزي قباب متباينة	مختلفة الأقطار	مثلثات كروية	1893 ـ 1904	ج. 73	

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبة يحتمل تنقصها الدقة.

المئذنة الأولى (درغوت) بناها اسكندر باشا سنة 1604ف[1]، وأصابتها أضرار في الحرب العالمية الثانية، وأعيد بناء قسمها الأعلى سنة 1947[2]. والمئذنة الثانية (المشاط) ترجع إلى 1670، والمئذنة الثالثة (محمود خازندار) تعود إلى سنة 1680.

في نهاية القرن السابع عشر بدأت المآذن المثمّنة في الظهور في كل من جامع محمد باشا شائب العين 1699، أحمد القرمانلي 1738، ومصطفى قرجي 1834 (شكل: 4) وهذه المآذن متماثلة في الشكل والارتفاع والمعالجة المعمارية والزخرفية[3]. جامع درنة شيّده محمود[4] بيك ابن محمد القرمانلي في سنة 1101هـ ـ 1689ف[5]، زوّد كذلك بمئذنة ضخمة وقصيرة[6]، ولا تنتمي إلى نوع المآذن التي ذكرناها.

(هناك مآذن أخرى مثمّنة كلها شيّدت في القرن التاسع عشر، وسنتناولها في الفصول التالية).

هذه الأمثلة من المآذن المثمّنة توضح الاتجاه الجديد نحو التغيير والذوق فيما يخص شكل المآذن[7].

---

(1) فيروه: **الحوليات**، ص57 ملاحظة رقم 3 (هذه المعلومات مأخوذة من الحوليّات باللغة الفرنسية، الذي نشر سنة 1927. وهذه المعلومة لم تكن في الحوليّات الذي نشر في سنة 1973، وترجمه الوافي، وهي الترجمة التي استخدمتها في هذا الكتاب.

(2) أولجن، ص87 و91.

(3) مئذنة جامع خليل باشا (دورار) في طرابلس، الذي شيّد سنة 1708 له مئذنة اسطوانية ذات شكل فريد. إنها تبدو كبرج مراقبة أو منارة لإرشاد السفن. هذا البناء ربما شيّده والي ولاية طرابلس الغرب وهو عزت باشا في سنة 1879 ـ 1880، أنظر الزاوي: **ولاة طرابلس الغرب**، ص270.

(4) الزاوي: **معجم**، ص312.

(5) الزاوي: **معجم**، ص312 (مؤسس الجامع كان حاكماً لمنطقة درنة في الفترة ما بين 1670 ـ 1690، أنظر كذلك: **The Libyan Review Magazine,** no. 7, July 1960, pp. 28, 29.

(6) ميسانا، ص206.

(7) هناك مساجد أخرى شيّدت في نهاية القرن التاسع عشر لها مآذن مثمّنة، مثل جامع السنوسيّة (حالياً عمر المختار) وجامع ميزران، وجامع المغاربة وهم بطرابلس، وجامع الباشا بالخمس.

وهكذا يتّضح أن المآذن الأسطوانية الشكل استخدمت في المساجد التي ترجع إلى القرن السابع عشر، ثم ظهر مثل فريد من هذه المآذن، وهي مئذنة جامع المجيدية، الذي شيّد سنة 1858ف (شكل: 53)، وهي أسطوانية الشكل ولكنها قصيرة جداً وضخمة إلى حد ما.

عليه فالمئذنة الأسطوانية الشكل في جامع الخروبة يجب إرجاعها إلى نهاية القرن السابع عشر أو بداية القرن الثامن عشر إضافة إلى بيت الصلاة المسقوف بتسع قباب والشرفة الخشبية المعلّقة والمنبر والمحراب، وعلينا أن نعترف بأن تاريخ إنشاء جامع الخروبة مجهول، والاسم الوحيد المرتبط والمتصل بهذا الجامع، هو إسماعيل خوجه، وحسب المصادر التاريخية فإن إسماعيل خوجة كان إماماً لجامع الخروبة[1]، قبل أن يعيّن داياً لولاية طرابلس الغرب في شوّال سنة 1122هـ ـ 1710ف، وشغل إسماعيل خوجه هذا المنصب لفترة قصيرة (نحو شهرين)[2].

وفي الوقت الحالي لا توجد لوحة تذكارية للجامع لتساعدنا على نسبة الجامع إلى فترة معيّنة، وإلى شخصيّة محدّدة، ولكن من المحتمل أن إعادة بناء الجامع وتوسعته، التي أشرنا إليها منذ قليل، ترتبط بإسماعيل خوجه، الذي ربما قام بها، أو على الأقل بدأها أثناء شغله لمنصب الداي[3]، أو بعد ذلك بقليل.

سادساً: مصدر الإلهام لهذا النوع من المساجد والخلاصة:

فيما يتعلق بمصدر الإلهام لهذا النوع من المساجد المسقوفة بقباب

---

(1) النائب: **المنهل**، ص283، ابن غلبون: **التذكار**، ص207.

(2) فيروه: **الحوليات**، ص346 ـ 348 هامش رقم (1).

(3) يشير ميسانا إلى أن القسم المسقوف بالأقبية البرميليّة الواقع في الجانب الشمالي الغربي من جامع الخروبة كان قد أضيف في فترة لاحقة ص155 و156 (وقد أوضحنا بدورنا أن هذا الجزء هو جامع الخروبة الأصلي القديم، ثم أضيف القسم الثاني المسقوف بتسع قباب في الفترة العثمانية.

متماثلة، علينا أن نشير إلى مجموعة من المباني، التي لها نفس هذا التصميم والتسقيف، والتي تسبق تاريخياً أي مثل من الأمثلة الليبية، ومن بين هذه الأمثلة:

1 ـ مسجد بلخ (أو مسجد طريق)، يرجع إلى النصف الأول من القرن التاسع الإفرنجي[1].

2 ـ مسجد النبي جريس في الموصل، ينسب أيضاً إلى القرن التاسع الإفرنجي[2].

3 ـ مشهد الشريف طباطبا بالقاهرة، شيّد في الفترة ما بين 943 ـ 950 إفرنجي[3].

4 ـ جامع بيب مردوم (ST. El - Cristo de la Luz) في طليطلة، شيّد سنة 999 إفرنجي[4].

5 ـ مسجد ديجران في الحضرة، يرجع إلى سنة 1000 إفرنجي[5].

6 ـ المشهد ـ المسجد المسمّى سبع وسبعين ولي في أسوان، ينسب إلى نهاية القرن العاشر، أو بداية القرن الحادي عشر الإفرنجي[6].

7 ـ جامع الخرز بالقرب من بخارى، ينسب أيضاً إلى القرن الحادي عشر الإفرنجي[7].

---

(1) Lisa Golombek, «Abbasid Mosque at Balkh», **Oriental Art,** new series, XV, 1969, pp.173 - 189, FIG. on p.174, for the date of the Mosque, SEE p.187.

(2) المرجع السابق، ص188 شكل: 33.

(3) المرجع السابق، ص188 شكل: 34، Creswell, **M.A.E.,** I, 1952, p.5. 11.

(4) Oleg Grabar, «The earliest Islamic commemorative structures», **Ars Orientalis,** VI, p.II, Lisa Golombek, p.188, FIG. 35.

(5) Golombek, p.188.

(6) Creswell, M.A.E., I, 1952, pp.144, 145, FIG.71.

(7) Esin Emel, «Al - Qubba Al - Turkiyya», **Atti Del Terzo Congresso Di Studi Arabi E Islamic, Ravello, 1 - 6 Settembere, 1966, Naples, 1967, p.303, pl.8, ILL, 7.**

8 ـ مسجد الفيالة بالقاهرة، يرجع إلى الفترة الفاطمية 972 ـ 1171ف[1].

9 ـ أسكي جامي (المسجد القديم) في أدرنة، شيّد في الفترة ما بين 1404 ـ 1414ف[2].

هذه الأمثلة تبيّن لنا الانتشار الواسع لهذا النوع من التخطيط الأرضي وطريقة التسقيف في هذه الأبنية.

وسبق أن ناقشنا في الفصل الخامس، المخصّص لدراسة المساجد المسقوفة بست قباب، فأشرنا إلى أن المسجد المشهد القبلي (أو بلال)، في منطقة الشلال في مصر، مسقوف بست قباب، وأشرنا إلى أنه ينسب إلى أعمال أمير الجيوش بدر الجمالي 469 ـ 474هـ (1077 ـ 1081ف)[3].

وذكرنا كذلك أن هذه المنطقة في مصر بها مجموعة كبيرة جداً من الأضرحة المسقوفة بقباب، وكذلك المشاهد المسقوفة كل منها بعدد من القباب، وإن هذه الأضرحة والمشاهد تذكرنا، في تخطيطها وطريقة تسقيفها وبنائها بالأضرحة، والمساجد الليبية المتعدّدة القباب، ثلاث من الأبنية التي ذكرناها تقع في مصر: واحد في أسوان، واثنان في القاهرة، وكلّها تنسب إلى الفترة الفاطمية، بين القرن العاشر والثاني عشر الإفرنجي، فهل هذا يعطينا مؤشراً إلى مصدر الإلهام والتأثير؟.

أما فيما يتعلق بالجوامع، التي تسقفها قباب غير متماثلة (أو تلك ذات التخطيط المركزي)، فإن مصدر الإلهام والتأثير فيها واضح جداً، ويمكن تحديد مصدره أنه قادم من أناضوليا.

وقد أشرنا في الفصل الثالث إلى بناء المسجد ذي القبة الواحدة في زاوية

---

(1) جرابار، ص10و ينقل عن المقريزي: **خطط**، ج2، ص289ز

(2) Behcet Unsal, Turkish **Islamic Architecture In Seljuk and Ottoman Times, 1071 - 1923,** (London: New York, 1973), pp.20, 21 FIG, 4 Kuran pp.154. 155.

(3) Creswell, **M.A.E.**, I, 1952, pp.150, 151, FIGS. 74, 76.

عموّرة (1721) في جنزور، وكذلك مسجد عموّرة محمد فلمنك (1760)، هي أقدم الأنواع المؤرخة التي لها قباب كبيرة، قطر كل منها نحو 7.5 أمتار، وجامع سيّالة شيّد في 1327هـ ـ 1908، وجامع الميلادي يمكن نسبته إلى القرن الثامن عشر تسقفهما قبتان كبيرتان، وأكبر قبة في اي مسجد ليبي هي قبّة جامع الباشا في مدينة الخمس، الذي شيّد كذلك في نهاية القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين، قطر هذه القبّة نحو 11.70 متر، وجامع سيدي المرغني شيّد في 1820 له قبّة كبيرة قطرها نحو 8.5 متر.

وجامع عثمان بوقلاز، وجامع العتيق في مدينة بنغازي يرجعان إلى نهاية القرن التاسع عشر، وهي نفس الفترة التي شيّدت فيها المساجد السابقة، وهما من نوع المساجد ذات التخطيط المركزي.

إن الإحساس بالضخامة والتعقيد المعماري الإنشائي واضح جداً في كلا المسجدين، وإن التركيز على المنطقة الوسطى من بيت الصلاة باستخدام قبّة كبيرة مهيمنة، وقباب أخرى صغيرة غير متماثلة، تعطي قيمة دراماتيكية معقدة إلى المبنى كما هو الحال في المساجد العثمانية السلطانية[1]، التي شيّدت في أناضوليا واستنبول[2].

ونرى صدى لهذا التصميم والتخطيط المعماري لهذه الجوامع السلطانية ينتشر في مناطق مختلفة وكثيرة في الجزائر[3]، وتونس[4]،

---

(1) Kuran, p.138.

(2) إن جامع فتح باشا في ديار بكر، وجامع الشيخ زاده في استنبول هما النموذجان المبكران للمساجد ذات التخطيط المركزي.

(3) توجد في الجزائر جوامع ذات تخطيط مركزي مثل جامع سفير 1534، وعلي بتسنين 1623، وجامع بيشيرية 1660، وسيدي عبد الرحمن 1696، وجامع السيادة 1760، وجامع كتشاوة 1794.

(4) توجد في تونس مساجد ذات تخطيط مركزي، منها جامع سيدي محرز في مدينة تونس، وجامع أصغر حجماً في جربة، والقسم الأساسي في تربة البايات صمّمت على هيئة مسجد من نوع المساجد السلطانية.

وليبيا[1]، ومصر[2]، والتي توضح مصدر التأثير والإلهام.

وتاريخ المساجد الليبية ذات التخطيط المركزي (أو المحاولات التي تسعى إلى إيجاد فراغ داخلي موحد)، يشير أيضاً إلى أن ا لمهارة والخبرة، في فنون البناء والتشييد في مثل هذه المساجد ذات التخطيط المركزي، قد وضعت في محك التجربة في مصر في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وفي الجزائر في القرن السابع عشر، وفي تونس في نهاية القرن السابع عشر، وفي ليبيا في نهاية القرن التاسع عشر، على أن وجود المساجد ذات التخطيط المركزي في ليبيا يعكس رغبة المعماريّين، وبناة المساجد الليبية في استخدام تصميمات مختلفة، لكي يتمشّى أسلوبهم ومنهجهم البنائي الإنشائي مع الطراز العثماني العالمي السائد في ذلك الوقت.

وتبنّي الأسلوب العثماني للمساجد ذات التخطيط المركزي لم يكن متأثراً فقط بالأسلوب العثماني، ولكن يعكس أيضاً أسلوباً وقيمة للمعمار المحلي، ذلك أنه على الرغم من الحقيقة، التي توضح أن تفاصيل هذه المساجد الإنشائيّة والمعمارية، هي أسلوب محلي كان موجوداً ومتجذراً قبل الفترة العثمانية، ولكن بناء هذه المساجد ذات التخطيط المركزي في ليبيا وذات القباب الكبيرة يشير أيضاً إلى الملامح الزخرفية والفنيّة للعمارة التركية العثمانية التي أثّرت في المعمار الإسلامي في ليبيا.

---

(1) جامع عثمان بوقلاز والعتيق أمثلة من المساجد ذات التخطيط المركزي. وفي مدينة هون بليبيا هناك مسجد له خمسة قباب، الوسطى أكبرها وأكثرها ارتفاعاً، والمحاور أربعة لها أسقف مسطحة.

(2) في مصر مساجد ذات تخطيط مركزي، منها جامع محمد علي بالقلعة 1830، محمد بك أبو الذهب 1774، الملكة صفية 1610، وخوجة سنان 1571، وجامع سليمان باشا 1528. وكلها تقع في القاهرة.

7

مساجد ذات وحدات فراغية
مسقوفة بأكثر من تسع قباب

تاريخ معمار المسجد في ليبيا
في العهد العثماني والقرمانلي
1551 - 1911
نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية

أغلب جوامع هذه المجموعة موثّقة ومعروف أسماء مؤسّسيها وتاريخ التأسيس، أما من الناحية المعمارية والفنية والجمالية، فأغلبها لها قاعات صلاة معمدة، وتحمل نفس القيم المعمارية، التي تحملها الجوامع والمساجد التي تناولناها في الفصول السابقة.

اما جامع محمد شائب العين، وجامع أحمد القرمانلي، وجامع مصطفى قرجي، فهي تحمل بعض التجديدات الفنيّة والمعماريّة، التي لم يسبق أن ظهرت في معمار المسجد الليبي، وهذه المفردات الجديدة هي التي سنناقشها بالتفصيل ونتبع أصولها وجذورها في الصفحات التالية، وفي مواضعها المناسبة، عليه فسيتم التركيز في هذا الفصل على مصدر وأصل وكيفيّة تطور هذه التصميمات، والأشكال المعمارية، وخاصة فيما يتعلق بعدد الصحون في المسجد الواحد، والأروقة المحيطة ببيت الصلاة من الخارج، ووجود شرفات معلّقة على مستوى الدور الأوّل تحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات.

ودراسة هذه التجديدات في معمار المسجد الليبي، التي سنركز عليها هي استمرار وتكملة ومتابعة لبعض الدراسات، التي قام بها الباحثان الإيطاليان،

سلفاتوري أوريجما(1)، وغاسبري ميسانا(2)، علماً بأنهما لم يتطرقا إلى كثيرمن المعلومات الجديدة التي سنتطرق إليها في هذا الخصوص، وإن مناقشتهما فيما يخص التحليلات الفنيّة والمعمارية، سيشار إليها عند مناقشتنا لمصدر الإلهام لهذا النوع من الجوامع، ذات التخطيط والمكونات المعمارية المتميّزة والزخارف الفنية.

أولاً: المسقط الأفقي والتقسيمات الفراغية:

المساجد المتعددة القباب، من هذه الفئة تختلف في الحجم، وعدد القباب والتقسيمات الفراغية الداخلية، مساجد هذه الفئة هي من نوعين: إما لها قاعات صلاة مستطيلة أو مربعة، مسقوفة بعدد كبير من القباب (جدول «أ» مسقط 35 ـ 41، جدول «ب» مسقط 42 ـ 44). فالمساجد المربعة هي أصغر حجماً من تلك ذات القاعات المستطيلة، غير أن كل المساجد، من كلا النوعين، هي مساجد جامعة. المساقط الأفقية لهذه الجوامع تختلف من مبنى لآخر، وإن وجدت استثناءات سيتم الإشارة إليها.

ومن بين المساجد التي لها قاعات صلاة مستطيلة ثلاثة مساجد تسقفها عشر قباب، كما توجد مساجد ذات قاعات مربعة لها مساقط أفقية من نوع خاص، كل قاعة صلاة فيها مقسّمة إلى ستة عشرة وحدة فراغية (جدول «أ» مسقط 35، 36، و38 ـ و40). وبقية المساجد في مجموعة المساجد، المسقوفة بأكثر من تسع قباب، تفتقر إلى النسق للمساقط الأرضية في كلا النوعين.

الفراغ الداخلي في هذه الجوامع ينقسم إلى وحدات، تتراوح بين عشر،

---

(1) Salvatore Arigemma, «la Moschea di Ahmad Qaramanli In Tripoli», Dedalo II. anno 7 (casa editrice d'arte bestetti I Tumminelli, Milano: Roma. 1926, 1927) pp. 492 - 513, Salvatore Aurigemma. «la Moschea di Gurgi in Tripoli». Africa Itallia-ana: I, anno 6, no. 4 (Rome acura del ministero delle colonie, Roma, 1928), pp. 257 - 285.

(2) ميسانا، ص179 ـ 183.

إلى اثنتين وأربعين فراغاً كل منها مسقوفة بقبّة (جامع الناقة مسقوف باثنتين وأربعين قبّة وسبعة أقبية برميليّة).

ويختلف قطر كل قبة من هذه القباب بهذه المساجد من 2.20 متر إلى نحو 3.70 متر (القائمة رقم (7) 1 ـ 12).

وهكذا يتضح أن الفراغ، في هذه القاعات المعمدة، مجزأ بسبب وجود الكثير من الأعمدة والدعامات، التي تحمل وتسند السقف، كما أن المكوّنات المعمارية الأخرى المكمّلة لمبنى الجامع ذات نظام معماري متقارب.

وهناك ثلاثة مساجد تتشابه في مسقطها، وتحيط ببيت الصلاة فيها شرفات معلّقة على مستوى الدور الأول، وهي جامع محمد شائب العين، وأحمد القرمانلي، ومصطفى قرجي، وبيت الصلاة في الجوامع الثلاثة مربع أبعاده 19 متر في 19 متر في شائب العين، و23 متر في 23 متر في أحمد القرمانلي، و18 متر في 18 متر في قرجي. الفراغ الداخلي في جامعي شائب العين وقرجي مقسّم إلى ست عشرة وحدة فراغية لوجود تسعة أعمدة، مرتبّة في ثلاثة صفوف (3 × 3)، التي تحمل عقود وقباب بيت الصلاة. في حين أن الفراغ الداخلي في بيت الصلاة في جامع القرمانلي مقسّم إلى خمس وعشرين وحدة فراغية، بسبب وجود ست عشرة عموداً، مرتبة في أربعة صفوف (4 × 4)، التي تحمل عقود وقباب بيت الصلاة. (جدول «أ» مسقط 38، 39، و41).

ومن الأشياء التي استحدثت في تخطيط هذه الجوامع الثلاثة أنها زودت بثلاث شرفات تحيط ببيت الصلاة من كل الجهات، عدا جدار القبلة، وعلى مستوى الدور الأول. هذه الأشكال والمفردات والتكوينات المعمارية لم يسبق استخدامها في أي مسجد ليبي.

ومن العناصر المعمارية المستحدثة في جامع شائب العين، أن قاعة الصلاة الأساسيّة يكتنفها جزءان، واحد على الضلع الشمالي الشرقي والآخر

على الضلع الجنوبي الغربي. الجزء الواقع على الجانب الجنوبي الغربي مقسّم إلى أربعة أقسام غير متساوية، مسقوفة بقبو برميلي طولي، تدعمه ثلاثة عقود. بينما القسم الواقع على الجانب الشمالي الشرقي يتكوّن من رواقين مسقوفين بأقبية برميليّة متقاطعة، محمولة على صف من ثلاثة أعمدة مستقلة، ودعامات ساندة ملتصقة بالجدران. الفراغ الداخلي لهذا القسم مقسّم إلى ثمان وحدات فراغية مسقوفة بثمانية أقبية برميلية متقاطعة، تحملها عشرة عقود، محمولة على ثلاثة أعمدة مستقلة، واقعة على مسافات متساوية، ودعامات ساندة ملتصقة بالجدران.

وهذان القسمان يتصلان ببيت الصلاة الأساسي من خلال ستة عقود لها فتحات واسعة ثلاثة من كل جانب.

يحيط ببيت الصلاة ثلاث شرفات معلقة، واحدة من كل جانب، عدا جهة القبلة، من الشمال الشرقي، والجنوبي الغربي، يحملان اثنتين من هذه الشرفات الثلاث، والشرفة الثالثة الواقعة الجانب الشمالي الغربي (المقابل لجدار القبلة) يحملها رواق وبائكة لها عقود ترتكز على ثمانية أعمدة مستقلة، وسقف هذا الرواق خشبي مسطح، كما أن أسقف هذه الشرفات الثلاثة مسطحة ومن الخشب أيضاً.

يصل الإنسان إلى هذه الشرفات من خلال مدخل خاص بها، يقع في الزاوية الشماليّة الغربيّة من بيت الصلاة، من جهة الصحن الشمالي الغربي، يؤدي المدخل إلى سلم يقودنا إلى الشرفات الثلاثة، التي تطل على بيت الصلاة، من خلال اثني عشر عقداً ذات فتحات كبيرة واسعة، أربعة عقود من كل جانب.

وبيت الصلاة في جامع القرمانلي محاط بأروقة من ثلاث جهات، تقع فوقها الشرفات الثلاث المعلّقة على مستوى الدور الأول. وترتيبها الإنشائي والبنائي يماثل الترتيب المتبع في جامع شائب العين. الاختلاف يكمن فقط في

عدد العقود التي تشرف على قاعة الصلاة الرئيسية، هي خمسة عشر عقداً في جامع القرمانلي، وإثنا عشرة في جامع شائب العين.

الجامع الثالث، المماثل للجامعين السابقين، هو جامع مصطفى قرجي. (وتحديداً، جامع شائب العين) التقسيمات الفراغية في كلا المسجدين متماثلة، وكذلك الأعمدة الحاملة لعقود القباب. وتصميم قاعة الصلاة هي مثل تصميم قاعة الصلاة (الأساسيّة) في جامع شائب العين. أما فيما يخص الأروقة والصحون المتعدّدة، المحيطة ببيت الصلاة فإن مسجدي القرمانلي وقرجي متشابهان. الاختلاف الوحيد يكمن في وجود رواق وبائكة على الجانب الجنوبي، في جامع القرمانلي، في حين يوجد جدار يحدد هذا الرواق على هذا الجانب في قرجي. وهذا راجع إلى أن الجامع ملاصق لأبنية مدنية من هذا الجانب.

ثانياً: الملامح المعمارية:

1 ـ بيت الصلاة:

أ ـ الجدران والعقود:

تصميم الهيكل البنائي لبيت الصلاة، الذي تمتاز به مساجد المجموعات السابقة، هو نفسه الذي يميّز المساجد الكبيرة المسقوفة بأكثر من تسع قباب يتكوّن الهيكل البنائي لبيت الصلاة من عقود وأعمدة مستقلة، ودعامات ساندة ملتصقة بالجدران الأربعة لبيت الصلاة، وهذه التشكيلة من الأعمدة والدعامات الساندة، والعقود التي تحملها، كلها تحمل السقف ذا القباب. وتشيّد الجدران كجزء من العقود، وهي التي تحدّد بيت الصلاة، وتبرز العقود بنحو 30 سم عن سطح الجدار من الجانب الداخلي لبيت الصلاة، كما هو الحال في مساجد المجموعات السابقة.

الهيكل البنائي لبيت الصلاة في كل من جامع شائب العين والقرمانلي

وقرجي، والتي أسقفها ذات ارتفاع شاهق ومهيب، تدعمه شبكة من القضبان الحديدية، التي تربط كل الأعمدة والدعامات الساندة الملتصقة بالجدران، على مستوى الوسائد التي تعلو تيجان الأعمدة (شكل 19).

ب ـ القبة ومنطقة الانتقال:

تتكوّن مناطق الانتقال، في قباب أغلب هذه المساجد، من مثلثات كروية، في حين استخدمت حنايا ركنية في قباب جامع درنة، وجامع خليل باشا الأرناؤوطي. بينما لم تزود قباب مسجد أوجلة لا بحنايا ركنية، ولا مثلثات كروية، ويرجع ذلك لطبيعة تكوينها وشكلها المخروطي، وتصميمها الفريد. وباستثناء عدد قليل من المساجد، فالقباب في كل المساجد، التي تقع في درنة، وزليطن، ومصراته، وسوق الخميس، وطرابلس، تكون نصف دائرية. وزودت بعض القباب في جامع القرمانلي وقرجي برقاب، وفي حالة جامع قرجي، به أربع قباب متميّزة، محمولة على رقاب مطولة، تسقف مناطق المنبر والمحراب ودكة المبلغ والمنطقة المجاورة لها، من أجل إيجاد تماثل وتوازن في قباب الجامع، وتأكيد محور المدخلين مع المحراب والمنبر. ونجد التماثل أيضاً في جامع القرمانلي، وتأكيد محور المدخل الرئيسي والمحراب (شكل: 4).

وقبة منطقة المحراب، والقبة فوق دكة المبلغ، في جامع القرمانلي مضلعتان من الخارج. فقبة المحراب لها اثنان وثلاثون ضلعاً، وتلك التي تغطي منطقة دكة المبلغ لها ستة عشرة ضلعاً، وتذكرنا هاتان القبتان المضلعتان بالقباب التي نشاهدها في العمارة الإسلامية في تونس، وخاصة بجامع القيروان.

وحظيت القباب الأكثر ارتفاعاً، في هذين الجامعين، بعناية كبيرة في التصميم والشكل والارتفاع والزخرفة. وزخرفت بزخارف جصيّة ملونة ومتنوعة، غاية في الجمال والذوق والتنسيق.

كسيت من الداخل بزخارف هندسية، وعناصر نباتية منفذة في الجص

بدرجة أقل كثافة زخرفت الاثنتا عشر قبة في جامع قرجي في مراكزها كذلك بزخارف نباتية وهندسية، منفذة في الجص وبألوان مختلفة. في حين أن بقية قباب جامع القرمانلي زخرفت في وسطها بزخارف بسيطة منفذة كذلك في الجص. كما زخرفت كافة بطون العقود، في كلا المسجدين، بزخارف هندسية متداخلة، من مربعات وأشكال ثمانية الأضلاع (شكل: 10، 22، 23، و63). بينما في جامع محمد شائب العين، الذي يعتبر النموذج الأول، الذي على غراره شيّد جامع القرمانلي، وجامع قرجي، لا توجد فيه قباب محمولة على رقاب ولم تحظ بأية زخارف.

ج ـ المحاريب والمنابر:

يمكن حصر المحاريب في هذه المساجد الكبيرة في ثلاثة أنواع:

الأول: المساجد التي زوّدت بمحاريب بسيطة التكوين والزخرفة، وهي الجامع القديم بواحة أوجلة، وجامع عبد الله بن أبي سرح، وجامع قبيلة السبخة، وهما كذلك بواحة أوجلة، وجامع الناقة بطرابلس، ومسجد الشيخ أحمد بن محمد بن جحا بالخمس، ومسجد الشيخ عبد الواحد الدوكالي بمسلاته، وجامع الجمعة بمصراته.

محاريب هذه الجوامع لها عقود نصف دائرية، وبسيطة التصميم وخالية من الزخرفة.

الثانية: تشمل محاريب جامع محمد شائب العين، وجامع درغوت وجامع خليل باشا (دورار) (شكل: 37 و38)، فهي أكبر حجماً وأكثر ارتفاعاً، وعقودها نصف دائرية، محمولة على أعمدة مستقلة وبها بعض الزخارف البسيطة.

والثالثة: تشمل محاريب جامع درنة، وجامع سيدي عبد السلام الأسمر القديم بزليطن، وجامع القرمانلي وجامع قرجي بطرابلس، وعقود هذه المحاريب من نوع حذوة الفرس، محمولة على أعمدة مستقلة. أحيطت هذه

المحاريب بأطر عريضة وبارزة وتذكرنا بتلك المحاريب الواقعة في الجوامع التي شيّدت في العصر الحفصي والعصر العثماني في تونس، واستمر نفس التصميم في بعض المحاريب بجوامع تونس التي شيّدت في خمسينات القرن العشرين، كما أوضحنا ذلك في الفصل الثالث من هذا الكتاب (شكل: 41 و42) (أنظر الفصل التاسع المخصص للزخرفة). ولكون هذه الجوامع هي مساجد جامعة فقد زودت بمنابر من الحجر والبعض من الخشب، وفي بعض الحالات شيّدت المنابر من الرخام الملوّن والمطعم (شكل: 42).

2 ـ عناصر معمارية وأخرى مكملة من غير بيت الصلاة:

أ ـ الردهة:

لا أحد من هذه الجوامع الكبيرة له ردهة أو رواق صغير يتقدمه.

ب ـ الصحن:

تختلف الصحون في هذه المساجد من واحد لآخر. تتكوّن المجموعة المعمارية، لجامع عبد الله بن أبي سرح بأوجلة، من قاعة صلاة، ومجموعة من الأضرحة المسقوفة بقباب، ومصلى يحيطها سور خارجي، أغلب المساحة داخل السور مستعملة كمقبرة مفتوحة. زود مسجد قبيلة السبخة بأوجلة بصحن به زاوية، ومئذنة بسيطة من نوع المئذنة ـ السلّم.

وجامع درغوت، وشائب العين، وخليل باشا، والقرمانلي، وقرجي، زوّدت بصحون متشابهة، تحيط ببيت الصلاة من جانبين أو ثلاثة جوانب (سنسلط الضوء أكثر على هذا الموضوع بعد قليل).

وجامع الناقة هو الجامع الوحيد، الذي يتكوّن في تصميمه العام من مسجد تقليدي (بيت صلاة مسقوف، وصحن مكشوف) وأبعاد الصحن تساوي تقريباً أبعاد بيت الصلاة. يحيط بالصحن رواق من الجهات الأربعة. أسقف هذه الأروقة مختلفة، بعضها له أقبية برميلية متقاطعة، والبعض له سقف مسطح. وهو في كل تفاصيله، ومكوناته وترتيبه، يذكرنا أيضاً بالجوامع الإسلامية

الأولى، ذات التخطيط التقليدي، كما يذكرنا أيضاً ببعض الجوامع العثمانية، التي تتكوّن من قاعة صلاة، وصحن مكشوف، في وسطه نافورة.

وملاحظة أخرى علينا ذكرها، هي أن صحن هذا الجامع وضعه مقلوب. ذلك إن صحنه لا يربط بين الشارع وبيت الصلاة، كما هو الحال في المساجد التقليدية. وهذا راجع إلى التغييرات التي طرأت على محيط الجامع، فجعلت صحن الجامع منعزلاً، ولا يؤدي وظيفته الأساسيّة، وهي كونه حلقة وصل وربط بين المحيط والشوارع وبين بيت الصلاة.

ج ـ المآذن:

زودت المساجد المسقوفة بأكثر من تسع قباب بالأنواع الثلاثة المعروفة في مآذن معمار المسجد الليبي. استخدمت المئذنة ـ السلّم في مسجد قبيلة السبخة، ومسجد قبيلة سرحانة، ومسجد سيدي عبد الله بن أبي سرح، وجامع أوجلة القديم، وكلّها تقع في واحة أوجلة، وجامع الجمعة بمصراته، وجامع الشيخ عبد الواحد الدوكالي بمسلاته.

وزودت الجوامع التالية بمآذن أسطوانية الشكل، وهي: خليل الأرناؤوط ودرغوت باشا، وكلاهما في طرابلس، وسيدي عبد السلام الأسمر القديم بزليطن.

والمئذنة المغربية الطراز ذات القطاع المربع زود بها جامع الناقة بطرابلس. وزوّدت الجوامع التالية بمآذن ثمانية الأضلاع، وهي: محمد شائب العين، وأحمد القرمانلي، ومصطفى قرجي، وجامع درنة.

وهكذا يتضح أنه حتى في شكل المئذنة، يبرز جامع شائب العين، والقرمانلي، وقرجي، ملامح معمارية لم يألفها معمار المسجد الليبي من قبل[1]، وتذكرنا بمثيلاتها في معمار المسجد التونسي، والتي تسبق تاريخياً

---

(1) المرجع السابق، ص204 ـ 207.

الأمثلة الليبية. ومئذنة جامع قرجي ذات تصميم معماري غير مألوف، من حيث تزويدها بشرفتين لا في المسجد الليبي ولا التونسي، تسند شرفتها السفلى ثمانية كوابيل، والعلوية ستة عشر كابولي، متمشياً مع عدد أضلاع كل شرفة.

ثالثاً: الملامح الزخرفية:

أغلب المساجد المشمولة في هذه الفئة من المساجد بسيطة وخالية من الزخارف بصفة عامة، وهي استمرار لنفس التقاليد المعمارية التي امتازت بها المساجد السابقة، ولكن هناك بعض الاستثناءات التي أدخلت تقليداً معمارياً وفنياً وزخرفياً، وأنواعاً جديدة من المواد المستخدمة في الزخرفة. وأهم هذه المنشآت المعمارية التي حظيت بنصيب وافر من الزخرفة، هي جامع درغوت، وشائب العين، والقرمانلي، وقرجي. (ومن أجل تحليل وفهم تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي فقد خصّصنا الفصل التاسع لمناقشة الموضوع).

رابعاً: أمثلة وأنواع هذه المساجد:

إن تاريخ بناء كل من جامع عبد الله بن أبي سرح، ومسجد قبيلة سرحانه، ومسجد أوجلة القديم، والتي تقع كلها في واحات أوجلة غير معروف، غير أنه من الواضح أن هذه المساجد أقدم تاريخياً من بقية المساجد. فأميليو سكارين[1]، وغاسبري ميسانا[2] يرجعان هذه المساجد إلى القرن الثاني عشر الإفرنجي، وربما أقدم من ذلك، في حين يرجعان مسجد قبيلة السبخة[3] إلى القرن التاسع عشر[4]. وهذا المسجد يقع أيضاً في أوجلة (جدول «أ» مسقط 35 و36 ـ والقائمة رقم (7) 1 ـ 3 و11).

---

(1) Emilio Scarin, le Oasi cirenaiche del 29 parllelo, (Florence G.E. Sansoni - Editore, 1937 (XV), pp. 84 - 87, 90, 91, FIGS. 19, 23, 26, 27.

(2) ميسانا، ص83 ـ 85، سكارين، ص87، شكل: 23.

(3) ميسانا، ص290 رقم 3، سكارين، ص86، شكل: 21.

(4) ميسانا، ص290، رقم 3.

1 - جامع درغوت باشا (نحو 1556)[1]، طرابلس.

2 - جامع الناقة أعيد بناؤه سنة (1610) من قبل الوالي التركي صفر داي[2]، طرابلس.

3 - جامع محمد باشا شائب العين، (1699) طرابلس[3].

4 - جامع خليل باشا الأرناؤوطي، منطقة الظهرة بطرابلس (1708)[4].

5 - جامع أحمد القرمانلي (1738) طرابلس[5].

6 - جامع مصطفى قرجي (1834) طرابلس[6].

7 - جامع سيدي عبد السلام الأسمر بزليطن (ق 17 أو 18ف)[7] (مزيد من التحليل بعد قليل).

8 - جامع درنة (أو جامع البي) بمدينة درنة شيّده محمد بن محمود القرمانلي (حاكم درنة) سنة 1689[8]. تقع مدينة درنة على بعد 1300 ك.م. شرق مدينة طرابلس، ويبيّن وجود هذا الجامع مدى اتساع استخدام هذا النوع من التخطيط المعماري وطريقة التسقيف. وهذا الجامع هو الوحيد في منطقة برقة.

---

(1) Alisaim Ulgen, «Trablusgarpta Turgut Reis Mimari Manzumasi», Vakfilar Dergisi, III (Ankara, 1962) pp.87 - 91.

(2) محمد كامل البنا «جامع الناقة» الفجر الجديد عدد رقم 923، طرابلس 19 أغسطس (هانيبال) 1975. يذكر الكاتب ان بعض القباب قد دمرت في الحرب العالمية الثانية، أحمد البطراوي، «جامع الناقة» الأسبوع الثقافي جريدة أسبوعية، طرابلس 9 رمضان 1393 (1973).

(3) فوقية عبد العال «جامع شائب العين» الفجر الجديد، عدد رقم 656 طرابلس، 10 أكتوبر (التمور) 1974.

(4) فيروه، الحوليّات، ص332.

(5) فوقية عبد العال «جامع أحمد باشا» الفجر الجديد، عدد رقم 651 و652 طرابلس 1974، نجم الدين غالب الكيب، مدينة طرابلس عبر التاريخ 1835، (القاهرة، دار الجيل 1970) ص88 - 90.

(6) فوقية عبد العال، «جامع قرجي» الفجر الجديد، عدد رقم 654 و655، طرابلس، 1974.

(7) الزاوي: معجم، ص164.

(8) فوقية عبد العال «جامع درنة» الفجر الجديد، عدد رقم 658، طرابلس 13 أكتوبر (التمور)، 1974.

كسيت جدران الضريح بجامع القرمانلي الداخلية ببلاطات من القاشاني المزخرفة بعناصر زخرفية مختلفة وبألوان متعدّدة. يمكن الوصول إلى الضريح من خلال مدخلين، يفتح أحدهما على شارع سوق المشير، والآخر على الصحن الشماليّ الشرقيّ.

والضريح الملاصق لجامع قرجي مربّع ومسقوف بقبّة لها زخارف جصيّة في غاية الروعة والجمال والدقة. جدران الضريح تكسوها بلاطات من القاشاني المتعدّدة الألوان والتصاميم الزخرفية، كما يزخرفها العديد من التشكيلات الزخرفية الجصيّة.

وجامع القرمانلي وجامع قرجي هما الوحيدان اللّذان يحتويان على مدرستين. وتشييد عدد من الأبنية الدينية في مجمع واحد (يطلق عليه في تركيا: كلية) كان أسلوباً شائعاً في تقاليد العمارة التركية العثمانية. تقع المدرسة في جامع القرمانلي، وهي من دورين، في الزاوية الشمالية الغربية من المجمع. يحيط بصحنها المكشوف رواق من كل جانب، على مستوى الدورين، بثلاثة عقود على الضلعين الطوليين، وبعقدين على الضلعين القصيرين.

وبهذه المدرسة 35 غرفة (خلوة)، وحمّام، ومراحيض، ومطبخ، ومسجد أوقات صغير ملحق بالمدرسة. كل غرفة مسقوفة بقبو برميلي، بينما الأروقة، على مستوى الدور الارضي، مسقوفة بأقبية برميلية متقاطعة. الأروقة على مستوى الدور الأول ذات سقف مسطح. يمكن الوصول إلى المدرسة من خلال المدخل الوحيد، الذي يقع في الصحن الشمالي الغربي من الجامع، وملاصق للمدخل المؤدي إلى الشرفات الثلاث المحيطة ببيت الصلاة على مستوى الدور الأول.

المدرسة الملحقة بجامع قرجي من دور واحد، تقع في الركن الجنوبي الشرقي من مبنى الجامع، صحنها مربّع محاط برواق من كل جانب، بثلاثة عقود على كل جانب، محمولة على أعمدة رخامية، وهي من نفس أعمدة بيت

الصلاة، وتلك التي تحيط ببيت الصلاة من الخارج. تحتوي المدرسة على ست عشرة غرفة (خلوة) ومراحيض، ومطبخ، وحمّام. الغرف مسقوفة بأقبية برميلية، وكذلك أروقة المدرسة وقباب صغيرة في الزوايا الأربع من صحن المدرسة، بها زخارف جصية ملونة في غاية الروعة. وهذا التصميم المعماري بهذه المدرسة نراه سابقاً في مدرسة عثمان الساقزلي، التي شيّدت سنة 1064هـ ـ 1653ف. (جدول «أ» مسقط 39 ـ جدول «ج» مسقط 65).

يمكن الوصول إلى المدرسة والضريح من خلال مدخلين، يقع أحدهما في الصحن الشمالي الشرقي للجامع. والآخر يقع في صحن الجامع الواقع على الجانب الجنوبي الغربي، والذي يقع في صحن الجامع الواقع على الجانب الجنوبي الغربي، والذي يؤدي إلى المقبرة المفتوحة.

(ومساجد هذه المجموعة رتبناها وصنفناها في القائمة رقم (7) ورقم (8) في نهاية هذا الفصل).

خامساً: قضايا: المؤسّسون، الفترة التاريخية، التأثيرات المعمارية:

من بين الجوامع، المسقوفة بأكثر من تسع قباب، مساجد واحات أوجلة، وهي أقدم المساجد النائية في ليبيا، منها جامع سيدي عبد الله بن أبي سرح، ومسجد قبيلة سرحانة، وجامع أوجلة القديم. وتعكس الأبنية الحالية لهذه المساجد تقليداً معمارياً وبنائياً يسبق الفترة العثمانية في هذه المنطقة. وهناك مسجد مشابه يحمل اسم قبيلة السبخة يعتقد انه يرجع إلى القرن التاسع عشر.

أما جامع سيدي عبد السلام الأسمر القديم بزليطن، الذي أقيم تخليداً للشيخ والعالم والصوفي عبد السلام الأسمر، فهو غير مؤرخ، ولكن يمكن إرجاعه ببساطة إلى الفترة العثمانية. البناء الحالي يتكوّن من قاعتين للصلاة، كل منها مسقوفة بثمانية قباب، وكتّاب، وزاوية، وضريح، ومئذنة أسطوانية الشكل (شكل: 51).

وقسمي بيت الصلاة شيدا في فترتين مختلفتين، يتضح ذلك من خلال

منسوب الأرضية في كلا القسمين. قباب القسم الغربي أكثر ارتفاعاً من قباب القسم الشرقي وأرضيته. والمسجد منسوب إلى سيدي عبد السلام الأسمر، الذي ولد في اليوم الثاني من ربيع الأول سنة 880هـ ـ 1475ف[1]، وحسب ما أشار إليه الشيخ الطاهر الزاوي، إن عبد السلام الأسمر شيّد في حياته زاوية تتكوّن من بضعة غرف[2]. بينما الضريح والقسمان المكونان لبيت الصلاة، والمئذنة جميعها شيّدت بعد وفاة الشيخ، عندما زاد عدد تلاميذ ومريدي هذا الشيخ وأصبح للزاوية دخل كبير وكثر وقفها[3].

وكنتيجة لهذا التطور والازدهار الاقتصادي شيّدت هذه الأقسام في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وبعضها ربما شيّد في نهاية القرن التاسع عشر. علاوة على ذلك يحتمل أن ضريح الشيخ أعيد بناؤه في فترة لاحقة لوفاته. الرحالة كابتن ليوفرانسيس ليون، الذي زار زليطن في يوم الأحد التاسع عشر من شهر مارس (النوار) سنة 1820، يؤكد وجود المسجد بقبابه المطليّة باللون الأبيض، والضريح والمئذنة الأسطوانية[4].

سادساً: مصدر الإلهام لهذا النوع من المساجد والخلاصة:

هذا القسم من هذا الفصل خصصناه لمعرفة مصدر الإلهام للمساجد ذات الشرفات المعلّقة، والأروقة المحيطة ببيت الصلاة، والصحون المتعدّدة (راجع الفصول: الثالث والرابع والخامس: قسم سادساً من أجل المناقشة وتحليل النظريات المتعلقة).

بيَّنا في بداية الفصل أن كلاً من جامع شائب العين والقرمانلي وقرجي

(1) الزاوي: أعلام، ص169 ـ 172.
(2) الزاوي: معجم، ص164.
(3) الزاوي: نفس المرجع، ص164 و165.
(4) Geo Francis Lyon, A Narrative of travels in northern Africa in the years 1818, 1819, and 1820 (London, John Murry, 1821), p.335.

تحمل توجهات وإبداعات وملامح معمارية جديدة لم يسبق أن عرفها معمار المسجد الليبي من قبل، ومن هذه الملامح والتصميمات المستحدثة: تعدد الصحون، ووجود أروقة تحيط ببيت الصلاة من الخارج، وشرفات معلّقة على مستوى الدور الأول، والتي هي في شكلها المعماري البنائي في معمار المسجد الليبي، لم يسبق أن عرفت فيه. عليه من الضروري تتبع مصدر هذه الملامح والأشكال المعمارية في معمار المسجد الليبي.

أول الجوامع التي بها صحنان مكشوفان، ورواقان يحيطان ببيت الصلاة من الخارج، وثلاث شرفات معلقة، على مستوى الدور الأول، هو جامع شائب العين، الذي أكمل بناؤه سنة 1699.

يرى غاسبري ميسانا، وهو أول من تناول تحليل وجود الشرفات المعلّقة في الجامع، يرى أن هذه الشرفات لم تكن من ضمن مكوّنات الجامع الأصلي[1]. وحسب تحليلاته المعمارية أن المبنى لم يزود بشرفات على مستوى الدور الأول، وأنها أضيفت في فترة لاحقة، كنتيجة لإضافة القسمين الملحقين الواقعين على الجانبين الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي، وأُلحق هذان القسمان المضافان ببيت الصلاة نتيجة ازدياد عدد المصلين[2]. ويرتكز نقاش وتحليل ميسانا بهذا الخصوص على أن المبنى به عدة اختلافات معمارية في القسمين المضافين. ومنها القسم المضاف على الجانب الشمالي الشرقي، يتكوّن من رواقين في كلا المستويين، الأرضي والأول، في حين يتكوّن القسم المضاف، على الجانب الجنوبي الغربي، من دور واحد على المستويين، الارضي والأول. وسقف القسمين المضافين كذلك مختلف، ومن نوعين مختلفين. القسم الذي يتكوّن من رواقين سقفه أقبية برميلية متقاطعة.

والقسم المضاف الذي يتكوّن من رواق واحد، سقفه قبو برميلي، تدعمه

(1) ميسانا، ص180.

(2) ميسانا، ص180 و181.

مجموعة من العقود، على مستوى الدور الأرضي، وسقف مسطح على مستوى الدول الأول[1].

ويضيف ميسانا أنه من غير المعروف فيما إذا كان القسمان المضافان قد أضيفا قبل تشييد جامع أحمد القرمانلي أو بعد التشييد الذي، تمّ في سنة 1738، هذا الجامع الأخير بدوره يحتوي على ثلاث شرفات معلّقة محمولة على ثلاثة أروقة تحيط ببيت الصلاة كما تحيطه ثلاثة صحون[2].

وعند تتبعنا لخلفية ومصدر هذه الأنواع، من الشرفات المعلّقة على مستوى الدور الأول، فإنه من الضروري أن نشير إلى تاريخ اشتمال بعض الجوامع على شرفات معلّقة في ولايات شمال أفريقيا العثمانية. فالشرفات المعلّقة في داخل بيت الصلاة توجد في كثير من الجوامع التركية، ويبدو أن ذلك شيء شائع خاصة في مساجد استنبول، ونشاهد ذلك خاصة في كل من:

1 - جامع زال محمد باشا 1551[3].

2 - جامع كاره أحمد 1555[4].

3 - جامع سكوللو 1571[5].

4 - جامع بيالة باشا 1573[6].

---

(1) نفس المرجع.

(2) المرجع نفسه.

(3) Albert Gabriel, «les Mosquees de constantinopoli» Syria: Revue d'art orientale et d'archeologie, III (Paris: Libraire Paul Geuthner, 1926), pp.388, 389, FIG.22.

(4) نفس المرجع، ص393، شكل: 27.

(5) نفس المرجع، ص393، شكل: 20.

Godfey Goodwin, A History of Ottoman architecture, London, Thames and Hudson, 1971 FIG. 254 Oktay Aslanapa, Turkish art and architecture, (New York, Praeger publishers, 1971), FIG. 160.

(6) Gabriel, p.386, FIG. 20, Goodwin, p.277, FIG 264.

5 ـ جامع محرمة 1600[1].

6 ـ جامع رستم 1600[2].

7 ـ جامع السلطان أحمد 1603 ـ 1617[3].

8 ـ جامع يني والدي 1614 ـ 1663[4].

9 ـ جامع حكيم أوغلان 1734[5].

وفي تونس هناك بعض المساجد التي بها شرفات معلّقة ومنها:

10 ـ جامع حمودة باشا 1655[6] بمدينة تونس.

11 ـ الجامع الجديد 1716[7] بمدينة تونس.

وفي الجزائر استخدمت الشرفات المعلّقة في داخل بيت مثل:

12 ـ جامع بيشيرية 1660[8].

13 ـ جامع السيادة 1765 ـ 1791[9].

14 ـ جامع كيتشاوة 1794[10].

15 ـ جامع القصبة 1818[11].

16 ـ جامع سفير 1826[12].

---

(1) Gabriel, p.388, FIG. 21, Aslanapa, FIG, 170.

(2) Goodwin, pp.250, 251, FIGS. 240, 241, Gabriel, p.390, FIG. 24, Aslanapa. FIG, 175.

(3) Goodwin, p.343, FIGS. 341, 346.

(4) Gabriel, p.301, FIG.16, Goodwin, FIGS. 339, 340.

(5) Gabriel, p.397, FIG. 30.

(6) Georges Marcais, l'Architecture Musulmane d'occident: Tunisie, Algerie, Maroc, Espagne et Sicile (Paris, arts et metiers graphiques, 1954) pp.462, 463, FIG. 265.

(7) المرجع السابق، ص463 و464 وشكل: 266.

(8) نفس المرجع، ص427، 428 و430.

(9) نفس المرجع، ص428.

(10) نفس المرجع، ص428 و429، شكل: 249.

(11) نفس المرجع، ص431، شكل على ص429.

(12) نفس المرجع، ص431 و432.

في الأمثلة الجزائرية الشرفات مبنيّة من الحجر، وتشبه مثيلاتها في تركيا، ومع ذلك فهناك اختلاف بنائي وإنشائي ومعماري بين ما ذكرناه حول هذه الجوامع في تركيا والجزائر وتونس، وبين الأمثلة الليبية. الشرفات المعلّقة في الجوامع التركية، وتلك التي توجد في مساجد تونس والجزائر هي من داخل قاعات الصلاة ومحمولة على أعمدة وعقود، وتلك التي في تونس محمولة على عوارض مستقيمة ومرتكزة على أعمدة خشبية.

أما الأمثلة الليبية في شائب العين، والقرمانلي، وقرجي، وكذلك في جامع عثمان بوقلاز، شيّدت الشرفات فيها كممرات أو أروقة تحيط ببيت الصلاة من الخارج، من ثلاثة جهات على مستوى الدور الأول. وتشرف على بيت الصلاة من خلال عقود من الجهات الثلاثة.

الشرفات في جامع القرمانلي وقرجي محمولة على أروقة، ذات بواكي تتكوّن من عقود مرتكزة على أعمدة، عدا الشرفة الواقعة على الجانب الجنوبي الغربي من جامع قرجي، فهي محمولة على جدار بدلاً من رواق وبائكة. ونفس التصميم في جامع شائب العين نشاهده في جامع عثمان بوقلاز في بنغازي، وشرفاته الواقعة على الجانب الشمالي الشرقي، والجنوبي الغربي، محمولة على أبنية ملاصقة، والجامع العتيق في بنغازي له شرفة واحدة على الجانب الشمالي الغربي على مستوى الدور الأول محمولة على رواق وبائكة مرتكزة على أعمدة.

والشكل المعماري المستحدث أيضاً في معمار المسجد الليبي، هو وجود صحن على أكثر من جانب من بيت الصلاة، يطلق بعض مؤرخي الفنون مثل المستشرق هنري سلادين[1]، وجورج مارسيه[2]، وسلفاتوري أورجيما[3]، على المساجد المتعدّدة الصحون، بأنها «مساجد حنفية» ويبدو أن هؤلاء

(1) Henri Saladin, Tunis et Kairauan, (Paris, libraire Renourd, H. Lauren editeur, 1908) pp. 58 - 60.

(2) George Marcais, Manuel d'art musulman: l'architecture, II (Paris editions, Auguste, Picard, 1927) pp. 848, 855.

(3) Aurigemma, Lamoschea di Ahmad Qaramanli in Tripoli, p.494, Aurigemma, Lamoschea di Gurgi in Tripoli, p.263.

المؤرخين يعتبرون المساجد التي شيدت في المناطق التي تسيطر عليها الإدارة التركية، الذين هم أحناف يجب أن يحاط بيت الصلاة فيها بعدّة صحون، وتكون لها مآذن ثمانية الأضلاع[1]. والحقيقة هي أن المذاهب الإسلامية ليست لها صلة، لا من حيث نوع المسجد، ولا بعدد مكوناته المعمارية، ولا بنوع المئذنة[2].

ونشاهد تعدد الصحون في عدد من الجوامع التونسية، مثل جامع القصبة[3] (1233ف)، وجامع الهوا[4] (منتصف القرن الثالث عشر الإفرنجي)، وجامع الحلق[5] (1375ف)، وجامع باب الأقواس[6] (بداية القرن الخامس عشر الإفرنجي). وهكذا نصل إلى أن مساجد لها أكثر من صحن معروفة قبل العهد العثماني، وبناء على ذلك فإن هذا النوع من المساجد لا يجب أن يربط بالتأثير التركي.

أول مسجد ليبي زوّد بأكثر من صحن على أكثر من جهة هو جامع درغوت، وأول مسجد له أكثر من صحن، وثلاث شرفات معلقة على مستوى الدور الأول، هو جامع محمد شائب العين، الذي تبعه بناء كل من جامع القرمانلي وقرجي.

وفي المسجدين الأخيرين شيّدت الصحون، والأروقة، والشرفات المعلّقة، المحيطة ببيت الصلاة من ثلاث جهات، أصلاً مع بناء مكوّنات الجامع ككتلة واحدة، ولكن من غير الواضح متى شيّدت الشرفات المحيطة في جامع شائب العين. وهكذا نصل أيضاً إلى انه من غير الواضح أن هذه الشرفات

---

(1) ميسانا، ص185.

(2) نفس المرجع، ص185 و186.

(3) Abd Elaziz Daoulatli, Tunis sous les hafsids, (Tunis, institut nationale d'archeologie d'art, 1976) pp. 176 - 187, FIG. 24.

(4) المرجع السابق، ص43.

(5) George Marcais, l'Architecture Musulmane d'occident, pp.459, 460, FIG. 261.

(6) نفس المرجع، ص461و شكل: 261.

المعلّقة شيدت قبل أو بعد بناء جامع القرمانلي. وفي حالة شرفات جامع قرجي (1834) فقد شيّدت متأثرة بشرفات جامع القرمانلي (1738).

أما مصدر الأروقة المتعددة، التي تحيط ببيت الصلاة من الخارج، فهي تونس، حيث شيّدت عدة مساجد في العصر الحفصي، مزوّدة بهذا العنصر المعماري. نشاهد ذلك في جامع القصبة (1233ف)[1]، وجامع باب الأقواس (بداية القرن الخامس عشر الإفرنجي)[2]، وهي أقدم الأمثلة، التي بها أروقة معمّدة. جامع القصبة له رواق معمّد واحد، على الجانب الشمالي الغربي، ورواق معمّد آخر، على الجانب الشمالي. في حين زود جامع باب الأقواس برواق معمّد واحد يقع على الجانب الشماليّ الشرقيّ.

شيّدت في تونس عدة مساجد في الفترة العثمانية، التي لها أروقة معمّدة، تحيط ببيت الصلاة من الخارج. ومن هذه الأمثلة جامع يوسف داي (1616) له رواق واحد على الجانب الشمالي الغربي[3]، والجامع الجديد (1716) له رواق واحد على الجانب الشماليّ الشرقيّ[4]، وهناك أمثلة أخرى منها جامع حمودة باشا[5]، وجامع سيدي محرز (1675)[6]، ويوسف صاحب الطابع (1812)[7]. الأمثلة الأخيرة لها ثلاثة أروقة معمّدة تحيط ببيت الصلاة من الخارج (القائمة رقم (8) 1، 4، 15، 22، 18، 21، و30 على التوالي).

وفي مدينة استنبول هناك أمثلة مبكرة من المساجد، التي زوّدت بأروقة معمّدة تحيط ببيت الصلاة. وتحوي المساجد التركية المبكرة، كقاعدة عامة، رواقاً معمداً يتقدم المدخل.

---

(1) Daoulatli, FIG. 24.

(2) George Marcais, IBID.

(3) نفس المرجع، ص461 و462 وشكل: 263.

(4) نفس المرجع، ص463 و464، شكل: 266.

(5) نفس المرجع، ص462 و463 وشكل 265.

(6) المرجع نفسه، ص463.

(7) المرجع نفسه، ص464، شكل: 267.

واستخدم هذا المكون المعماري في فترة مبكرة من تاريخ تطور المسجد التركي، ابتداءً من فترة البيليكات (1256 ـ 1484ف)، ومنها مسجد أقسار، في مدينة كرامان، ومسجد الوجامي، في مدينة بيريا، التي شيّدت في بداية القرن الرابع عشر الإفرنجي[1]. وهذان الجامعان هما من النوع المعمّد (الذي تحمل سقفه الكثير من الأعمدة).

والمميز للمسجد التركي ذي الوحدة الفراغية الواحدة، المسقوفة بقبّة، كذلك المسجد المتعدّد الوحدات الفراغية، والمسقوف بعدد من القباب، أن جميعها لها رواق معمّد يقوم مقام الردهة المسقوفة التي تتقدم واجهة المسجد التي بها المدخل هذا الرواق عادة ما يسقف، إما بأقبية برميلية، أو أقبية مشطوفة الجوانب القصيرة، وإما بقباب أو بخليط من هذه الأشكال المعمارية. ومن الأمثلة الموضحة لذلك، جامع علاء الدين بي في بورصة (نحو 1335ف)[2]، ومسجد حاجي أوزبك في مدينة أزنيك (1333ف)[3]، وهما من أقدم المساجد التي زودت برواق معمّد يتقدم المدخل على واجهة الجامع.

وعلى العموم فهذا الملمح المعماري أصبح منتشراً وشائعاً في معمار المسجد التركي العثماني، منذ أن تكونت الأمبراطورية العثمانية.

وأول مسجد أحيط بثلاثة أروقة معمّدة، تحيط ببيت الصلاة المسقوف بقباب من الخارج، هو جامع بيالة باشا باستنبول الذي شيّد في سنة 1573ف[4]، هذه الأروقة مسقوفة بأقبية برميلية متقاطعة. ونشاهد ذلك أيضاً في جامع رستم باشا (1600ف)، الذي فيه الرواقان الجانبيان لا يتقدمان ليصلا إلى نهاية جدار

---

(1) Behcet Unsal, Turkish Islamic architecture: Seljuk to Ottomans (London, Academy editions, 1973) p.19 FIGS. 3 - A, 5 - B.

(2) Aptullah Kuran, the Mosque in early ottoman architecture, (London, Chicago: the university of Chicago press, 1968), p.32. Figs. 1 - 5.

(3) نفس المرجع، ص24 وشكل: 6 ـ 8.

(4) Gabriel, pp. 385, 386, FIG. 20.

القبلة. زوّد هذا الجامع على الواجهة الشمالية برواقين معمدين متتاليين[1] ومتوازيين، وارتفاعهما مختلف فالرواق الذي يلي الجدار مباشرة هو أكثر ارتفاعاً.

ومن بين الجوامع التي زودت بأروقة، تحيط ببيت الصلاة من الخارج، جامع قلج علي باشا، الذي شيّد سنة 1580[2]، وهناك مسجدان آخران لهما ثلاثة أروقة معمّدة تحيطهما من الخارج، هما جامع خوجة سنان في القاهرة[3] الذي شيّد سنة 1571[4]، وجامع محمد بك أبو الذهب، يقع أيضاً في القاهرة، والذي شيّد سنة 1774[5].

(القائمة رقم (8)، 9، 13، 8، و26 على التوالي).

الخلاصة:

وفي نهاية هذه التحليلات المعمارية نصل إلى أن ملامح ومفردات معمارية جديدة، بدأت تظهر في معمار المسجد الليبي، ومنها وجود الأروقة المعمّدة التي تحيط ببيت الصلاة، وكذلك الشرفات المعلقة، ابتداءً من نهاية القرن السابع عشر، واستمرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي تعكس تقليداً معمارياً وبنائياً عثمانياً، ربما تسرب إلى ليبيا عبر معمار المسجد التونسي والجزائري. المساجد الليبية التي تحمل هذه العناصر المعمارية الجديدة، شيّدت في الفترة التي كانت فيها العلاقات السياسيّة جيدة بين الولايات العثمانية في شمال أفريقيا.

يشير ابن غلبون، مؤرخ النصف الأول من القرن الثامن عشر، إلى أن محمد شائب العين شيّد جامعه على يد ثقته التونسي المسمى مصطفى

(1) نفس المرجع، ص389 و390، شكل: 23، Unsal, p.18 - D.
(2) نفس المرجع، ص376 ـ 378.
(3) Edmond Pauty, «l'Architecture au caire depuis la conqette Ottomane», bulletin de l'institut Francais d'archeolog ie orientale, XXXVI, Cairo, 1937, FIG. 1937, FIG. 16, Goodwin, FIG. 307.
(4) الأروقة في جامع تشنيللي ذات سقف مسطح، Pauty, FIG. 17.
(5) نفس المرجع، شكل: 18، Goodwin, p.312.

قاربطاق[1]. ولا نعرف شيئاً آخر عن هذا المعماري التونسي. وعلى الرغم من غموض هذه الجملة، التي أشار إليها ابن غلبون، إلا أنها تعطينا مؤشراً إلى مصدر التأثير التونسي لهذه الملامح، والعناصر المعمارية الجديدة على معمار المسجد الليبي.

أشار الباحث الإيطالي سلفاتوري أو ريجما كذلك إلى أن جامعي القرمانلي وقرجي، قد شيدا من قبل بنّائين تونسيّين[2]. وأضاف غاسبري ميسانا أن البنّائين والمزخرفين قدموا إما من تونس أو الجزائر[3].

وعلينا أن نتذكر أيضاً أن بعضاً من المهاجرين الأندلسيّين والمطرودين من الأندلس، بعد قرار ملك إسبانيا الجائر الذي اتخذه سنة 1609ف، بشأن طرد كل العرب المسلمين المتبقين في الأندلس، بعد سقوط الحكم العربي فيها، استقر بعض هؤلاء المهاجرين والمطرودين من الأندلس في ليبيا، وإن مهارة البنّائين والمزخرفين منهم يمكن ملاحظتها على بعض الأبنية التي شيّدت في القرنين السابع عشر والثامن عشر[4].

وفي عهد كل من حسين بن علي تركي (1705 ـ 1735)، وأحمد القرمانلي (1711 ـ 1745) كانت هناك علاقات وروابط سياسيّة جيدة بين تونس وليبيا، لأن البلدين استقلا عن الدولة العثمانية. وعليه يتوقع الإنسان أن بعض المهندسين، والبنائين، والمزخرفين، والحرفين التونسيّين، قد أرسلوا لطرابلس لتشييد جامع أحمد القرمانلي وزخرفته[5]، وبعض أنواع البلاطات الخزفية، ذات الزخارف المتعدّدة الألوان، وكذلك اللوحات الخزفية، والمستخدمة في تكسية جدران

---

(1) ابن غلبون: التذكار، ص200.

(2) Aurigemma, Lamoschea di Ahmad Qaramanli in Tripoli, p.506, Aurigemma, La-moscha di Gurgi in Tripoli, p.285.

(3) ميسانا، ص186.

(4) Aurigemma, Lamoschea di Ahmad Qaramanli, pp. 506, 507 - Aurigemma, La-moschea di Guri, p.510.

(5) تؤخذ من الأصل تحت الرقم (69) ص212.

ضريح وجامع القرمانلي وبيت الصلاة، من المرجح أنها صنعت في مصانع الخزف التونسية[1].

وهذا شيء مؤكد في جامع مصطفى قرجي. كثير من اللوحات والبلاطات الخزفية، التي تكسو جدران الضريح وبيت الصلاة، هي من إنتاج أفران الخزف التونسية[2].

(مزيد من التفاصيل بهذا الخصوص في الفصل التاسع من هذا الكتاب المتعلق بتطور الزخرفة في معمار المسجد الليبي).

وعلينا أن نشير إلى أن ليبيا، في الفترة ما بين سنتي 1631 و1672، خضعت لحكم واليين تركيّين قويّين، هما محمد وعثمان الساقزلي، وكلاهما من أصل يوناني. وشهدت ليبيا في هذه الفترة تقدماً اقتصادياً وتجارياً وفنياً، واستقراراً سياسياً.

وحسب ما ذكره الطبيب الأسير جيرارد، الذي ألّف كتاباً أثناء أسره في طرابلس، والمؤرخ في سنة 1685، أن مدينة طرابلس شيّدت بها الكثير من الأبنية الحربية والمدنية والدينية. وقد كسيت جدران كثير من القصور والبيوت الفخمة في طرابلس وضواحيها بالبلاطات واللوحات الخزفية، ذات الزخارف الملونة، والتي زخرفت أسقفها أيضاً بالألوان والزخارف الزاهية[3]، ولذلك يبدو أن البنائين المحليّين، في القرن السابع عشر كانوا قادرين على بناء وزخرفة الأبنية المختلفة الدينية والمدنية[4].

ومن سوء الحظ أن المادة التاريخية والكتابية والأدبية، التي تساعد على الوصول إلى الحقائق العلمية، المتعلقة بالفن والعمارة الإسلامية في هذه الفترة،

---

(1) نفس المرجع.

(2) Aurigemma, Lamoschea di Gurgi, pp.284, 285.

(3) نفس المرجع. ينقل عن الطبيب الأسير جيرارد.

(4) Aurigemma, Lamoschea di Ahmad Qaramanli, pp.512, 513, Aurigemma, Lamoschea di Gurgi, p.259.

قليلة جداً، وإن ثلاثة أسماء معروفة حتى الآن، هي التي ترتبط بمعمار المسجد الليبي، منها مصطفى قاربطاق، الذي يتعلق بتشييد جامع شائب العين. والحاج محمد بن علي مراد الشريف، واللبيب السيد القشتالي والمرتبطين ببناء جامع أحمد القرمانلي، فتوقيع الأسطى الشريف موجود على السقف الخشبي الملوّن للشرفات المعلقة[1]، واسم وتوقيع القشتالي يوجد من ضمن الكتابة المنحوتة في الجص التي تلف حول بيت الصلاة[2].

ومن سوء الحظ لا يعرف شيء عن هذه الأسماء الثلاثة. ومن أجل الوصول بسرعة وسهولة ويسر، إلى المعلومات الضرورية عن هذه المساجد، التي لها صحون متكرّرة، وأروقة معمّدة، وشرفات معلقة، تحيط ببيت الصلاة، على مستوى الدور الأول، قد دوناها حسب تسلسلها التاريخي في القائمة رقم (7) ورقم (8) في نهاية هذا الفصل.

---

(1) Muhammed S. Warfelli, «The Old city of Tripoli», art and archeology research papers, Tripoli, department of antiquites, 1976, p.12.

(2) نفس المرجع.

القائمة رقم (7)

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأكثر من تسع قباب

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
1 ـ عبد الله بن أبى سرح	؟	أوجلة	ـ	10 قباب	ـ	القبة مثل القمع	قبل القرن 12ف	أ. 36	
2 ـ المسجد القديم بأوجلة	؟	أوجلة	ـ	25 قبة	ـ	القبة مثل القمع	قبل القرن 12ف	ـ	
3 ـ مسجد سرحانة	قبيلة سرحانة	أوجلة	9.20 متر في 4.60 متر	10 قباب	ـ	القبة مثل القمع	؟	ـ	
4 ـ درغوت	درغوت باشا	م.ق طرابلس	الأوسط 18 × 15 متر الجناحان 7 × 12 متر	32 قبة	3.20 متر 3.50 متر	مثلثات كروية	1556	ب. 42	الترميم وإعادة البناء في سنة 1604 و1947
5 ـ الناقة	صفر داي	م.ق طرابلس	ـ.19 متر في ـ.19 متر	42 قبة + 7 أقبية	2.10 متر	مثلثات كروية	1610	ب. 43	

القائمة رقم (7) تكملة

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
6 ـ درنة	محمد بن محمود القرمانلي	درنة	26.ـ متر في 25.ـ متر	42 قبة	3.ـ متر	حنايا ركنية	1689	ب. 44	يُعرف بجامع البي
7 ـ شائب العين	محمد الإمام	م. ق طرابلس	19.ـ متر في 19 متر	16 قبة	3.70 متر	مثلثات كروية	1699	أ. 38	

ملاحظة/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبة يحتمل تنقصها الدقة.

القائمة رقم (7) تكلمة

مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأكثر من تسع قباب

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
8 ـ خليل (دورار)	خليل باشا الأرناؤوطي	الظهرة طرابلس	17 متر في 13 متر	12 قبة	3.30 متر	حنايا ركنية	1708	أ. 39	
9 ـ القرمانلي	أحمد باشا القرمانلي	م. ق. طرابلس	23 متر في 23 متر	25 قبة	3.50 متر	مثلثات كروية	1738	أ. 41	
10 ـ قرجي	مصطفى قرجي	م. ق. طرابلس	18 متر في 18 متر	16 قبة	3.50 متر	مثلثات كروية	1834	أ. 39	
11 ـ السُبْخة	قبيلة السُبْخة	أوجلة	12.60 متر في 4.60 متر	10 قباب	2.20 متر	مثلثات كروية	ق. 19	أ. 36	
12 ـ سيدي عبد السلام الأسمر	المريدون أتباع الشيخ	زليطن	18 متر في 16.50متر	16 قبة	3.60 متر	مثلثات كروية	ق. 17 ـ ق. 18	أ. 40	توفي سيدي عبد اللام الأسمر في 1574

القائمة رقم (7) تكملة

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	عدد القباب والأقبية البرميلية	القطر	منطقة الانتقال	التاريخ	الجدول	ملاحظات
13 ـ جامع الجمعة	المريدون أتباع الشيخ الزروق	مصراته	16 متر في 11 متر	17 قبة + 1 قبو طولي	2.25 متر	حنايا ركنية	ق. 16	د. 2	
14 ـ بن جحا	الشيخ أحمد محمد بن جحا	الخمس	13.50 متر في 7.50 متر	10 قباب + سطح مسقف	3.00 متر	مثلثات كروية	ق. 17	د. 9	
15 ـ الشيخ الدوكالي	الشيخ عبد الواحد الدوكالي	مسلاته	12 متر في 11 متر	16 قبة	2.50 متر	مثلثات كروية	ق. 16 ـ ق. 17	د. 5	

ملاحظات/ أبعاد بيت الصلاة وقطر القبة يحتمل تنقصها الدقة.

القائمة رقم (8)

المساجد الليبية المحاطة بصحون وأروقة وشرفات معلّقة والمساجد التي تشاركها هذه الملامح في تركيا، الجزائر، تونس، ومصر.

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	التاريخ	نوع السقف	عدد الصحون	عدد الأروقة الخارجية	عدد الشرفات المعلقة على مستوى الدور الأول		الملاحظات
1 ـ القصبة	أبو زكريا الأول	تونس	1233ف	أقبية برميلية متقاطعة	2	2	ـ		
2 ـ الهوا	الأميرة عطف زوجة أبو زكريا	تونس	منتصف ق. 13ف	أقبية برميلية متقاطعة	3	ـ	ـ		
3 ـ الحلق	؟	تونس	1375	أقبية برميلية	3	ـ	ـ		
4 ـ باب الأقواس	؟	تونس	بداية ق. 15ف	أقبية برميلية متقاطعة	2	1	ـ		
5 ـ زال محمد باشا	محمد باشا	استنبول	1551	قبة مركزية	ـ	1	ـ		
6 ـ أحمد باشا	كاره أحمد	استنبول	1555	قبة مركزية	ـ	ـ	3		
7 ـ سوكوللو	محمد باشا سوكوللو	استنبول	1571	قبة مركزية	1	ـ	2		

القائمة رقم (8) تكملة (أ)

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	التاريخ	نوع السقف	عدد الصحون	عدد الأروقة الخارجية	عدد الشرفات المعلّقة على مستوى الدور الأول		الملاحظات
8 ـ خوجة سنان	سنان باشا	القاهرة	1571	قبة مركزية	-	3	-		
9 ـ بيالة	بيالة باشا	استنبول	1573	6 قباب	-	3	2		
10 ـ عزب كابو	؟	استنبول	1577	قبة مركزية	-	-	3		
11 ـ الجرّاح	الجرّاح باشا	استنبول	1594	قبة مركزية	1	-	3		
12 ـ محرمة	محرمة سلطان	استنبول	1600	قبة مركزية	1	-	3		
13 ـ رستم	رستم باشا	استنبول	1600	قبة مركزية	-	2	2		الأروقة على الجانب الشمالي
14 ـ سلطان أحمد	سلطان أحمد	استنبول	1609	قبة مركزية	1	-	3		

القائمة رقم (8) تكلمة (ب)

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	التاريخ	نوع السقف	عدد الصحون	عدد الأروقة الخارجية	عدد الشرفات المعلّقة على مستوى الدور الأول		الملاحظات
15 ـ يوسف داي	يوسف داي	تونس	1616	أقبية برميلية متقاطعة	3	1	ـ		الرواق على الجانب الشمالي
16 ـ بتسنين	علي بسينينو	الجزائر	1622	قبة مركزية	ـ	ـ	2		
17 ـ تشينيللي	؟	استنبول	1640	قبة مركزية	ـ	3	ـ		الأروقة لها سقف خشبي مسطح
18 ـ حمّودة	حمّودة باشا	تونس	1655	أقبية برميلية + أقبية برميلية متقاطعة	3	3	3		الشرفات من الخشب
19 ـ ينـي فالدي	؟	استنبول	1614 ـ 1663	قبة مركزية	1	ـ	3		
20 ـ بيشريّة	؟	الجزائر	1660	قبة مركزية	ـ	ـ	3		
21 ـ سيدي محرز	؟	تونس	1675	قبة مركزية	3	3	ـ		

القائمة رقم (8) تكملة (ج)

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	التاريخ	نوع السقف	عدد الصحون	عدد الأروقة الخارجية	عدد الشرفات المعلّقة على مستوى الدور الأول		الملاحظات
22 ـ شائب العين	محمد الإمام	م.ق طرابلس	1699	16 قبة	2	2	3		
23 ـ الجديد	حسين علي باشا	تونس	1716	أقبية برميلية + أقبية برميلية متقاطعة	1	1	3	الصحن الثاني مشترك مع المدوسة	الشرفات المعلّقة من الخشب
24 ـ حكيم أوغلون	علي باشا	استنبول	1734	قبة مركزية	-	1	3		
25 ـ القرمانلي	أحمد باشا القرمانلي	م.ق. طرابلس	1738	25 قبة	3	3	3		
26 ـ أبو الذهب	محمد بيك أبو الذهب	القاهرة	1774	تخطيط مركزي	-	3	-		
27 ـ السيادة	محمد باشا	الجزائر	1765 ـ 1791	تخطيط مركزي	-	-	3		
28 ـ للاروني	؟	تلمسان	1791	تخطيط مركزي	-	-	3		

القائمة رقم (8) تكلمة (د)

إسم المسجد	المؤسس	الموقع	التاريخ	نوع السقف	عدد الصحون	عدد الأروقة الخارجية	عدد الشرفات المعلّقة على مستوى الدور الأول		الملاحظات
29 ـ كتشاوة	حسن باشا	الجزائر	1794	قباب	ـ	ـ	3		
30 ـ صاحب الطابع	يوسف صاحب الطابع	تونس	1812	قباب + أقبية برميلية	3	3	ـ		
31 ـ القصبة	حسين بي	الجزائر	1818	أقبية برميلية متقاطعة	ـ	1	3		
32 ـ سفير	حسين داي	الجزائر	1826	قبة مركزية	ـ	ـ	3		
33 ـ قرجي	مصطفى قرجي	م. ق. طرابلس	1834	16 قبة	2	3	3		
34 ـ عثمان بوقلاز	رشيد باشا	بنغازي	1883 ـ 1893	قبة مركزية تخطيط مركزي	1	1	3		
35 ـ العتيق	طاهر باشا	بنغازي	1893 ـ 1904	قبة مركزية تخطيط مركزي	1	1	1		

8

المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة
بأقبية برميلية أو أسقف مسطحة

تاريخ معمار المسجد في ليبيـا
في العهد العثماني والقرمانلي
1551 - 1911
نشـأة ونمو وتطـور أنمـاط المسـاجد الليبيـة

اتبع في تسقيف هذه المجموعات من المساجد طرق مختلفة، عن تلك المساجد، التي تمّت دراستها في الفصول السابقة، ومن خلال قيامنا بهذه الدراسة اتضح أن معمار المسجد الليبي، في الفترة العثمانية الأولى (1551 ـ 1711)، وفي الفترة القرمانلية (1711 ـ 1835)، كان يتكوّن إما من وحدة فراغية مسقوفة بقبة واحدة، أو قاعة صلاة متعددة الوحدات الفراغية، مسقوفة بكثير من القباب تبعاً لعدد الوحدات الفراغية ولمساحة بيت الصلاة.

ولكن في الفترة العثمانية الثانية (1835 ـ 1911)، اختلف الأمر، ويمكن اعتبارها فترة تنوع في تخطيط المسجد الليبي وطرق تسقيفه. ومع أن بيت الصلاة بقي مقسّماً إلى وحدات فراغية، بسبب الدعامات والأعمدة، التي تحمل العقود والسقف، إلا أنها كذلك بقيت مجزأة الفراغ الداخلي، سواء المسقوفة بقباب، أو أقبية برميلية، وفي حالات قليلة، مسقوفة بخليط من الأقبية البرميلية والقباب.

وعلينا أن نذكر أن هناك أمثلة محدّدة من المساجد، التي شيّدت في الفترة العثمانية الأولى، التي استخدم في تسقيفها خليط من القباب والأقبية البرميلية، ومنها جامع الناقة، الذي أعيد بناؤه سنة 1610، وجامع سيدي محفوظ في غريان شيّد سنة 1683.

وهناك نوع آخر من المساجد، التي صمّمت على أساس التخطيط المركزي، التي استخدم في تسقيفها خليط من القباب الصغيرة والكبيرة، والقباب البيضية الشكل، وقبة مركزية تغطي أغلب مساحة بيت الصلاة، ومنها جامع بوقلاز (1883 ـ 1893)، والجامع العتيق (1893 ـ 1904)، كلاهما في بنغازي. ومثال آخر استخدمت في تسقيفه قبّة واحدة كبيرة قطرها نحو اثني عشرة متراً (جدول «ب» مسقط 45، 43، و54 ـ جدول «ج» مسقط 57، 72، 73).

وحين النظر إلى المساقط الأرضية، ونظام التسقيف لقاعة الصلاة لهذه المساجد المسقوفة بأقبية برميلية، التي شيّدت في الفترة العثمانية الثانية، هي في الحقيقة إحياء لتقليد معماري خاص بمعمار المسجد الليبي في الفترات التي تسبق الفترة العثمانية، والمساجد التي لها أسقف عبارة عن خليط من القباب والأقبية البرميليّة، هي كذلك استمرار لأسلوب معماري متبع في نظام التسقيف لمساجد شيّدت في الفترتين العثمانية الأولى والثانية. وفي الوقت نفسه فإن الجوامع، ذات التخطيط المركزي، تقدم لنا أسلوباً جديداً في معمار المسجد الليبي. أما المساجد ذات الأسقف المسطحة فهو تقليد معماري يميّز كثيراً من المساجد في كل الفترات قبل وأثناء الفترة العثمانية وبدون انقطاع.

أما فيما يتعلق ببقيّة المكونات للمسجد، من غير بيت الصلاة، فالتقليد البنائي للمسجد الليبي، المشيّد قبل وأثناء الفترة العثمانية، استمر بدون تغير. الاختلاف الوحيد هو أن المآذن الأسطوانيّة والمثمّنة الشكل بدأت في الانتشار، وظهرت في معمار المسجد الليبي في الفترة العثمانية.

ومن الملاحظ أيضاً أن ظهور واستخدام أساليب متنوعة من تخطيط المساجد في نفس الوقت، في الفترة العثمانية الثانية، بيَّن الانخفاض التدريجي في شعبية استخدام القبيبات في تسقيف المساجد، ذات الوحدات الفراغية المتعدّدة، ومن جانب يبدو أن هذا الاتجاه يرجع إلى الرغبة في تشييد مساجد ذات تخطيطات مختلفة وأسقف متنوعة الأشكال، ومن جانب آخر فإن بنائي

المساجد الليبية تراكمت لديهم خبرة مكثّفة ومتقدمة في فن البناء والتشييد، مكنتهم من تشييد مساجد ذات تخطيطات متنوعة.

وعلينا أن نلاحظ أيضاً أنه بسبب التدهور الاقتصادي[1] لولاية طرابلس الغرب، في هذه الفترة، فإن أغلب الولاة في ليبيا، في الفترة العثمانية الثانية، كانوا غير قادرين على القيام بتشييد أبنية ذات صبغة مدنية ودينية بمستوى رفيع ومهيب. وعلى الرغم من هذا التدهور الاقتصادي إلا أن هناك أمثلة قليلة من الجوامع ذات التخطيط المركزي قد شيّدت في ليبيا في هذه الفترة مثل جامع عثمان بوقلاز والجامع العتيق في بنغازي، وثالث في مدينة الخمس، وهو جامع الباشا، الذي سقف بقبّة ضخمة تعتبر أكبر القباب في المساجد اليبية، وأغلب المساجد، التي شيّدت في هذه الفترة مولت من قبل مواطنين ليبيّين كانوا غالباً أعضاء في جمعيات وهيئات دينية، وطرق صوفيّة، مثل القادرية والسلامية والعيساوية والسنوسيّة[2].

أولاً: المسقط الأفقي والتقسيمات الفراغية:

هناك مجموعة من المساجد الصغيرة المسقوفة بأقبية برميلية، قاعة الصلاة فيها مستطيلة (أبعادها نحو 5.50 متر في 7.50 متر). الفراغ الداخلي مقسّم إلى جزئين بواسطة عمودين، وكل فراغ مسقوف بقبو برميل. والقبوان وضعا متوازيين مع جدار القبلة.

وهناك مساجد أخرى كبيرة ومهيبة، مثل جامع مراد آغا في تاجوراء أبعاد

(1) Salvatore Aurigemma, «La Moschea di Gurgi in Tripoli», Africa Italiana, I, anno, 6 no.4, Rome: Acura del Ministor delle colonie, 1928, pp.282, 284.
(وعلى الرغم من التدهور الاقتصادي فإن جامع قرجي شيّد في هذه الفترة، وهو أكثر الجوامع الليبيّة زخرفة وتنوعاً في استخدام مادتها.

(2) جامع السنوسيّة (حالياً عمر المختار) بناه الحاج أبو القاسم العيساوي، والحاج أحمد قرجي سنة 1306هـ، ويتبع المؤسسان من الواضح الطريقة الصوفيّة السنوسيّة، أنظر كذلك:
Evan Pritchard and Edward Evan, The Sanusi of Cyrenaica (Oxford, 1973), p.24, 25.

قاعة الصلاة فيه (نحو 40 متر في 32 متر). الفراغ الداخلي فيها مقسّم إلى ثلاث وستين وحدة فراغية، بسبب وجود ثمانية وأربعين عموداً، موضوعة على مسافات منتظمة، وفي ثمانية صفوف، كل صف فيه ستة أعمدة، لتحمل العقود والأقبية البرميليّة.

وضعت هذه الأقبية البرميليّة بطريقة غير عادية (سيتم مناقشة أسبابها وظروفها في نهاية هذا الفصل). ومجموعة ثالثة من المساجد ذات قاعات صلاة معمّدة تختلف في الحجم وعدد الأعمدة التي تقسّم الفراغ الداخلي، وكذلك عدد الوحدات الفراغية، التي لها أسقف خليط من القباب والأقبية البرميلية.

وفئة أخرى من المساجد، تختلف قاعات الصلاة فيها من حيث الحجم، وعدد الوحدات الفراغية، ولها أسقف مسطحة، وعادة تكون محمولة على بواكي، تبنى متوازية مع جدار القبلة، وعليه فالأروقة والفراغات الداخلية تكون كذلك متوازية مع جدار القبلة.

ثانياً: الملامح المعمارية:

1 ـ بيت الصلاة:

أ ـ الجدران والعقود:

يتكوّن الهيكل البنائي، لقاعات الصلاة في هذه المساجد، من عقود محمولة على أعمدة، أو دعامات، ودعامات مساندة ملتصقة بالجدران. تبنى جدران بيت الصلاة في العقود، التي تبرز عن الجدران بنحو 30 سم من الداخل، والعقود في كل هذه المساجد نصف دائرية، ما عدا العقود في جامع مراد آغا فهي من نوع حذوة الفرس. تحتم القوانين المعمارية والإنشائية في المساجد الصغيرة، أن يبنى عقدان أو ثلاثة عقود، على الضلعين الطوليين، وعقدان على الضلعين القصيرين لحمل السقف ذي الأقبية البرميلية ولتتحمل الضغط (الرفس) المعماري الذي يسببه القبوان، وخاصة على الضلعين الطوليين.

وبناء الجدران في داخل العقود التي تحيط ببيت الصلاة، وبروز هذه العقود على سطح الجدران من الداخل ينتج عنه وجود دخلات أو حنايا مستطيلة، تبدو كما لو أن هناك بائكة.

هذا التصميم يجعل من هذه المساجد لا تختلف عن تلك المساجد، ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأقبية، وكذلك المساجد ذات الأسقف المسطحة لها نفس الترتيب للعقود من الداخل.

ب ـ القبة ومنطقة الانتقال:

المساجد التي يتكوّن سقفها من أقبية برميلية وقباب لا تختلف عن المساجد التي تمت دراستها والمسقوفة بقباب، لا من حيث الشكل، أو المعالجة المعمارية، وخاصة في مناطق الانتقال التي تتكوّن من مثلثات كروية أو حنايا ركنية.

ج ـ المحاريب والمنابر:

توضع المحاريب في وسط جدار القبلة، الذي هو أحد الجدارين الطوليين من بيت الصلاة. في حين وضع المحراب في جامع مراد آغا بتاجوراء، وجامع محفوظ بغريان (أزيل منذ مدة)، في الضلعين القصيرين. محاريب جامع مراد آغا، والمجيدية، وزميت، والدامر وبن حسين، والسنوسيّة (عمر المختار حالياً)، لها عقود من نوع حذوة الفرس محمولة على عامودين ملتصقين. أما بقيّة المحاريب فلها عقود نصف دائرية.

أما المنابر فإن بعضها صنع من الخشب، وهذه نراها في كل من جامع المجيديّة، ومراد آغا، السنوسيّة، ومسجد زاوية الباقول بالريانية، والتي تتكوّن من ثلاثة درجات، وجامع زميت بمنطقة قرقارش بطرابلس فقد زود بمنبر من الخشب، كذلك زود مسجد الشيخ محمد عبد العزيز بمصراته بمنبر خشبي بسيط يتكوّن من ثلاث درجات، ومسجد الشيخ إبراهيم محجوب يتكوّن منبره الخشبي من أربعة درجات، ومسجد الشيخ فتح الله بمصراته يتكوّن منبره الخشبي من أربع درجات.

وهكذا يتضح أن أغلب المساجد من هذه الفئة لها منابر خشبية بسيطة وخالية من الزخرفة.

2 ـ عناصر معمارية أخرى مكمّلة من غير بيت الصلاة:

أ ـ الردهة

مسجد بن سليمان، الذي يقع في المدينة القديمة بطرابلس، بمنطقة القبة، وعلى بعد نحو 350 متر غرب جامع سيدي سالم المشّاط، لم يزود لا بردهة، ولا بصحن بين الشارع وبيت الصلاة، ومسجد الكراري بالمدينة القديمة بطرابلس زود بردهة تشغلها الحنفيات والمطهرة وثلاث درجات تستعمل للأذان (جدول «أ» مسقط 9 ـ وجدول «ب» مسقط 49).

ب ـ الصحن:

زود كل من جامع زميت، والمجيديّة، والسنوسيّة (حالياً عمر المختار)، والدامر بن حسين بصحون، كل منها له رواقان، أحدهما تشغله الحنفيات والمطهرة والمراحيض. في حين زوّد جامع مراد آغا ـ بصحن بدون أروقة.

وتقع حنفيات الوضوء، والمراحيض، والمطهرة، في حجرة تقع على الجانب الشمالي الغربي من الصحن. ومسجد إبراهيم المحجوب بمصراته لم يزود لا بردهة ولا بصحن ويمكن الدخول مباشرة إلى بيت الصلاة، أو من خلال الزاوية الملاصقة له (جدول «د» مسقط (4)).

وزاوية المنتصر بمصراته تحتوي على مسجد مسقوف بثلاثة أقبية برميليّة متوازية مع جدار القبلة. صحن الزاوية مشترك مع المسجد، ومسجد الشيخ فتح الله أبو رأس ببني وليد لم يزود لا بردهة ولا بصحن مكشوف. ومسجد الشيخ فتح الله بمصراته لم يزود لا بردهة ولا بصحن مكشوف، وكذلك الحال بالنسبة إلى مسجد الشيخ صالح بن حمودة بمصراته. في حين زوّد مسجد السور بمصراته بصحن مكشوف، وكذلك الحال بالنسبة إلى مسجد الساعدية بمصراته، الذي صحنه المشكوف محاط برواق تتقدمه ثلاثة عقود على الجانب

الشمالي الغربي، ورواق على الجانب الشمالي تشغله الميضأة والزاوية وحجرة تخزين الألواح. وزوّد مسجد الجمعة بزليطن بصحن مكشوف به رواق تشغله الميضأة. ومسجد قبيلة أولاد أبي حسين بالريابنة زوّد بصحن، كما زوّد جامع العين القديم بصحن وهو يقع كذلك ببلدة الريابنة (جدول «د» مسقط رقم 8، 16، 10، 14، 13، 12، 6، 18، و19 على التوالي).

ج ـ المئذنة:

كل أنواع المآذن التي زوّدت بها المساجد، التي درسناها في الفصول السابقة، نراها في هذه المجموعة. جامع المجيديّة بشارع الزاوية بطرابلس زوّد بمئذنة أسطوانية لها شرفة واحدة. المئذنة في هيئتها وشكلها المعماري هي أحياء لهذا النوع من المآذن التي زوّد بها جامع درغوت[1]، وجامع سيدي سالم المشّاط[2]، ومحمود خازندار، والخروبة وكلها بالمدينة القديمة بطرابلس (شكل: 53).

وزوّد مسجد الشيخ فتح الله في مصراته بمئذنة حديثة، لها شرفتان، وهي أسطوانية الشكل، وارتفاعها نحو 16 متر وزوّد مسجد الشيخ صالح بن حمودة بمئذنة من نوع المئذنة ـ السلّم، ومسجد الجمعة بزليطن زوّد بمئذنة من نوع المئذنة ـ السلّم، كما زود بمئذنة حديثة سنة 1967 أسطوانية الشكل ارتفاعها نحو 17 متراً. وزود مسجد أحمد الباز بزليطن بمئذنة أسطوانية حديثة ارتفاعها نحو 25 متراً.

والمآذن ذات القطاع المربع، التي نطلق عليها المآذن المغربية الطراز، نشاهدها في جامع مراد آغا بتاجوراء، التي شيّدت في الستينات من القرن العشرين[3]، وهي في تخطيطها وهيئتها، وتصميمها، وتنظيمها المعماري،

---

(1) Ali Mustafa Ramadan, Reflections upon Islamic architeture in Libya (Tripoli: Tunis the Arabic house for book, 1975) pp. 31, 82.

(2) المرجع السابق، ص44، 45، 66، و67.

(3) محمود الصديق أبو حامد: «جامع مراد آغا في تاجوراء» مجلة الرواد، السنة الرابعة، =

متأثرة بمئذنة جامع القيروان وهي صنو لها تقريباً. (شكل: 49). أما المآذن المثمّنة الشكل فنشاهدها في جامع السنوسيّة بشارع عمر المختار بطرابلس، التي تذكرنا بمآذن جامع شائب العين، وأحمد القرمانلي، ومصطفى قرجي، وجامع المغاربة، وجامع ميزران[1]، الذي شيّد سنة 1880[2].

أما المآذن البسيطة الشكل، بأنواعها الثلاثة، فنراها في جامع بن سليمان، وهو سلم من الخشب، يقع في داخل بيت الصلاة، يقودنا إلى البرج الصغير، الذي يقع على الزاوية الشمالية الشرقية من بيت الصلاة. كما نشاهدها في جامع وزاوية بن حسين بزاوية الدهماني بطرابلس، وبزاوية الباقول بالريانة. والمئذنة ـ السلّم شائعة الاستخدام في المساجد، التي شيّدت في مناطق الجبل الغربي، ومناطق مصراته، وزليطن، وسوق الخميس، والخمس، والمناطق الغربية من طرابلس، وكذلك الجنوبية، والشرقية من ليبيا وفي الواحات.

ثالثاً: الملامح الزخرفية:

يمكن تقسيم الزخرفة في معمار المسجد الليبي، حسب المناطق الأساسية والمختلفة في البلاد، وهي المنطقة الساحليّة، التي تمتد نحو ألفي كيلو متر، ومنطقة جبال نفوسة، والمدن والقرى الصغيرة والواحات، التي تمتد من المنطقة الساحلية في اتجاه الجنوب حيث إقليمي فزان وبرقة[3].

الزخرفة التي نشاهدها في معمار المسجد الليبي، المسقوف بأقبية برميلية، أو أقبية برميلية مع قباب، أو بسقف مسطح، هي زخرفة بسيطة،

= عدد رقم 7، أغسطس (هانيبال) 1968، ص56، فوقية عبد العال: «جامع مراد آغا» جريدة الفجر الجديد، رقم 644، أغسطس (هانيبال) 26، 1974.

(1) علي مصطفى رمضان المرجع السابق، ص23 المئذنة الوسطى على ص83.

(2) محمود كامل البنا: «جامع ميزران» جريدة الفجر الجديد، عدد رقم 821، 23 أبريل (الطير) 1975، الزاوي: معجم، ص305.

(3) Antony Hutt amd Guy Partherbridge, Islamic art and architecture in Libya: Vernacular architecture, exhibition catalogue, London: 1976, p.32.

بل إن بعضها خالٍ من الزخرفة. أغلب مساجد هذه الفئة خشنة البناء، (تتكوّن غالباً من الطين والحجر الدبش والملاط، وهي المادة الغالبة في البناء).

الزخرفة في المناطق الساحلية تتكوّن من حليات زخرفية منحوتة نحتاً خفيفاً، وكذلك زخرفة مطلية، وفي بعض الأحيان تستخدم الزخارف الجصية، ولوحات رخامية، وبلاطات من القاشاني الملوّن. هذا التقليد الزخرفي يميّز مجموعة كبيرة من المساجد من مختلف الأنواع.

تقتصر الزخرفة في المساجد المسقوفة بأقبية برميلية، مثل جامع المجيديّة، وزميت، على منطقة المحراب، والمنبر، والأعمدة وتيجانها، التي تحمل السقف (شكل: 30 و36)، بينما تشمل الزخرفة في جامع السنوسيّة، حنية المحراب، التي كسيت بلوحة من القاشاني، كما كسيت طاقية حنية المحراب، التي صمّمت على شكل الصدفة، بزخارف جصيّة. وهناك مجموعات من بلاطات القاشاني تتكوّن كل واحدة من أربع بلاطات تحمل كتابة كوفية باللون الأزرق الهافت، ووضعت هذه المجموعات في كوشات العقود، التي تتكوّن من البواكي، التي تحمل السقف ومثل هذه البلاطات تزخرف جدران ـ مناطق محدّدة ـ جامع درغوت باشا، وإسماعيل بن يربوع، ومحمود خازندار (شكل: 37)، ومحراب جامع مراد آغا له زخارف جصيّة ملونة ولوحات رخامية[1].

وبما أن منطقة جبال نفوسة منعزلة نوعاً ما فتطورت فيها الزخرفة من تقليد فني يمتاز به المعمار الديني. فكل الزوايا والمساجد، التي تقع في هذه المنطقة الجغرافية هي بسيطة. والعناصر الزخرفية المستعملة في المعمار الديني هي زخرفة الكف المفتوح، والكتابة البسيطة المختلفة بالزخارف النباتية،

---

(1) Renato Bartoccini, «la Moschea di Murad Agha in Tajura, Tripolitania», architectura e arte decorative, I, anno 3, Roma, 1923, p.344.

والتصميمات المحزوزة المجردة والمعتمدة على الكتابة، وتنفذ كلها من الملاط[1] (شكل: 33).

أما المساجد التي تقع في واحات المنطقة الجنوبية (فزان) والمنطقة الشرقية (برقة) من ليبيا فهي أكثر بساطة من حيث الزخرفة والبناء، من مساجد منطقة جبال نفوسة. أغلب المساجد تكسى بطبقة من الجير الأبيض باستمرار، والعنصر الزخرفي الغالب هو المثلث، الذي نراه على المآذن، والمداخل وأركان المباني الدينية والمدنية[2]، وأحياناً نشاهد شرفات تتكوّن من المثلث المتكرّر، توضع فوق حافة جدار القبلة، لتحدّد مكان المحراب واتجاه القبلة[3].

رابعاً: أمثلة وأنواع هذه المساجد:

أوضحنا منذ قليل إن هذه المجموعة من المساجد هي ثلاثة أنواع:

المجموعة الأولى: التي لها أسقف من أقبية برميلية متماثلة، وأول هذه المجموعة:

1 - جامع مراد آغا بتاجوراء: وهو من النوع المعمد ويعتبر فريداً في حجمه وتصميمه في معمار المسجد الليبي، شيّده مراد آغا، أول والٍ تركي على ليبيا سنة 690هـ - 1553[4]. (أنظر التحليل المعماري والخلفية التاريخية التي سنذكرها عن هذا الجامع بعد قليل).

2 - جامع زميت: بمنطقة قرقارش، شيّده الحاج مصطفى زميت سنة 1887[5].

---

(1) المرجع السابق، ص32 و47.

(2) المرجع نفسه، ص33، Emillio Scarin, le Oasi del Fezzan, 1934, (X11), p.98, FIGS. 65 - 69 and pp.109, 110, 140.

(3) Antony Hutt, p.56.

(4) أبو حامد، ص52 - 342. Partoccini, pp.339 - 342.

(5) قائمة المساجد ومؤسسيها التي أعدتها مصلحة الآثار وإدارة الأوقاف تعطينا التاريخ وهو 1304هـ - 1887ف. بعض المصادر تعطي التاريخ خطأ، وهو 1204هـ - 1790ف يجب التنويه عنه.

3 ـ جامع الدامر بن حسين: بمنطقة زاوية الدهماني بطرابلس، أعيد بناؤه على يد الحاج علي بن حسين في سنة 1307هـ ـ 1889ف[1].

4 ـ مسجد الكراري (يعرف أيضاً باسم جامع القروش): بالمدينة القديمة بطرابلس، وهو غير مؤرخ، إلا أنه حسب الأقوال المتداولة شيّد من قبل شخص تركي يسمى الكراري[2]، الذي لا يعرف عنه شيئاً.

5 ـ المسجد الملحق بزاوية الباقول بالرياينة (1799ف).

6 ـ جامع المجيديّة: بشارع الزاوية بالقرب من جامع مولاي محمد، شيّد سنة 1275هـ ـ 1858ف[3]، ونظراً لتشييده في عهد السلطان عبد المجيد (1839 ـ 1861) فسمي بجامع المجيديّة، وحسب اللوحة التذكارية فوق المدخل وكذلك شواهد القبور المكتوبة تشير إلى أن مؤسّس الجامع هو ضابط تركي اسمه الحاج محمد خيري في سنة 1275هـ ـ 1858[4].

هذا الجامع يمكن استخدامه كمثل للمساجد ذات الأسقف البرميلية، التي ظهر استخدامها في الفترة العثمانية الثانية (جدول «ب» مسقط 55)، يتكوّن جامع المجيدية من بيت صلاة مسقوف بقبوين برميلين متوازيين مع جدار القبلة، وحجرة كبيرة تحوي الميضأة، وضريح، ومخزن، ومئذنة أسطوانية تقع على الجانب الشمالي الغربي من الصحن المكشوف، ويحيط بمبنى الجامع شوارع من كل جانب.

---

(1) ذكر اسم المؤسس الذي أعاد تشييد الجامع في القائمة، أنظر الهامش السابق.

(2) الجامع له عمود واحد يقع على محور المحراب.

(3) اللوحة التذكارية على المدخل الرئيسي تعطي اسم المؤسس وتاريخ البناء. أنظر كتاب الميزانية الاحتياطية، ص13.

(4) شواهد القبور في الضريح تحمل التواريخ التالية:
1276هـ، 1267هـ، 1278هـ، 1278، أحدها يحمل اللقب الوظيفي العسكري الذي تقلده المؤسّس بكباش ومحمد خيري أفندي وتاريخ 1278هـ ـ 1861ف الذي يشير إلى وفاة مؤسّس الجامع في هذه السنة.

بيت الصلاة مستطيل صغير الحجم، أبعاده نحو 5 متر في 6.50 وسقفه محمول على ثلاثة عقود مرتكزة على عمودين، وهذه البائكة تقسّم بيت الصلاة إلى وحدتين فراغيتين متساويتين، (شكل: 30) كل منها يغطيها قبو برميلي متوازي مع جدار القبلة.

وفي مثل هذا الجامع فإن القوانين البنائية والمعمارية تحتم أن تبنى عقود في الجدارين الطوليين لتدعم الجدران، ولكي تتحمل الرفس المعماري، الذي يحدثه القبوان البرميليان على الجانبين الطوليين.

عليه فإنه من الضروري بناء هذه البائكة الملتصقة في كل جدار، والمكونة من ثلاثة عقود، وتبدو هذه العقود كبائكة كاذبة تبرز عن سطح الجدار بنحو 30 سم، هذا التنظيم المعماري لا يشاهد على الجانبين القصيرين من بيت الصلاة، ويقع المنبر في وسط جدار القبلة على محور واحد مع مدخل بيت الصلاة، زوّد بيت الصلاة بشباكين للتهوية والإنارة في كل جدار، عدا جدار القبلة.

وفي الواقع فإن الترتيب المعماري الداخلي، والهيكل البنائي لبيت الصلاة في هذه المساجد هو نسخة مما نشاهده في بقيّة المساجد التي تناولناها في الفصول السابقة، ويعكس هذا تقليداً معمارياً ميز كل أنواع العمارة الدينية، وخاصة معمار المسجد الليبي.

والعمودان بتاجيهما هما نموذجان من الأعمدة والتيجان التي صارت شائعة الاستخدام في بداية القرن الثامن عشر واستمرت فيما بعد، وخاصة في الأبنية الدينية والمدنية التي شيدت في عهد الدولة القرمانلية، والدولة الحسينيّة المعاصرة لها في تونس.

حنية محراب جامع المجيديّة لها عقد حذوة الفرس، محمول على عمودين مندمجين، لهما تاجان يذكران بتيجان الأعمدة التي عرفت في الدولة الحفصيّة، والمحراب في شكله العام هو استمرار لأشكال المحاريب التي عرفت في العهد الحفصي في تونس.

يشبه المنبر الخشبي في هذا المسجد، في الشكل والتصميم إلى درجة كبيرة جداً، منبر جامع الخروبة (شكل: 47) الذي هو من الحجر ولكن التشابه بينهما يثير الانتباه والدهشة.

الرواق الذي يتقدم واجهة مدخل بيت الصلاة في جامع المجيديّة، وهو من نوع «Portico in antis»[1] أي مدخل يتقدمه رواق بعمودين، يقع على الواجهة الشمالية الغربية، وهو المثل الوحيد من نوعه في معمار المسجد الليبي، ويؤدي وظيفة ردهة ومنطقة انتقالية، كما انه يسمح بالمرور إلى الحجرة التي تحوي الميضأة والمراحيض والضريح الواقعة في الجانب الجنوبي الغربي من مبنى بيت الصلاة، يوجد ضريح مقبى صغير في هذا الرواق بارتفاع نحو متر عن سطح أرضية الرواق[2]، وحجرة الضريح لها سقف مسطح، وبها أربعة قبور بها شواهد ذات كتابات، تشير إلى أن المقبرة هي للمؤسس وبعض أفراد أسرته.

ومئذنة الجامع الأسطوانية لها سلّم داخلي (31 درجة) يؤدي إلى شرفتها الدائرية، يغطي القسم الأعلى الصغير من المئذنة شكل قمع ثماني الأضلاع يتوّج المئذنة مصنوع من الخشب، وهذا الملمح المعماري يميّز كل المآذن، الأسطوانية والمثمّنة الشكل.

تكمن أهمية جامع المجيدية في انه يمثل عودة لتقليدين معماريين قديمين، أحدهما استخدام الأقبية البرميلية في هذه الفترة (القرن التاسع عشر)، والثانية تشييد المئذنة الأسطوانية، التي شاع استخدامها في العديد من المساجد التي تعود إلى بداية الفترة العثمانية، وبعد فترة طويلة من الانقطاع.

علاوة على ذلك فإن تشييد هذا الجامع يرينا اتجاهاً جديداً في معمار

---

(1) الرواق الذي يتقدم واجهة ومدخل بيت الصلاة في جامع المجيديّة يذكر بترتيب مماثل في جامع أبي فتاتة في سوسة بتونس.

(2) يبدو أن الضريح المقبى الصغير كان موجوداً قبل بناء هذا الجامع.

المسجد الليبي في القرن التاسع عشر، واختلاطاً للأساليب والطرز المعمارية التي امتاز بها معمار المسجد الليبي في هذه الفترة، وتلك التي شيّدت في الفترة اللاحقة وهي القرن العشرين.

كما يوضح المبنى التأثير العثماني ومنها المئذنة الأسطوانية الشكل، والكتابة التركية في اللوحة التذكارية، وشواهد القبور، ووجود الطغراء السلطانية (توقيع السلطان عبد المجيد) على اللوحة التذكارية فوق المدخل الرئيسي المطل على الشارع، كل ذلك يوضح التأثير والحضور العثماني، والذوق والرمز الإداري الرسمي في هذه الولاية العثمانية.

يشبه جامع الحاج مصطفى زميت الذي شيّد سنة 1887، إلى درجة كبيرة جامع المجيديّة فيما يتعلق بتنسيق وتخطيط بيت الصلاة. جامع زميت زود بمئذنة مربعة الشكل، (ربما يرجع ذلك لأن مؤسس الجامع كمواطن ليبي ما زال مرتبطاً بالتقليد المعماري القديم في بناء المسجد (جدول «ج» مسقط 56).

والمثال الثالث من المساجد التي سقفت بأقبية برميلية هو المسجد الذي أسسه الحاج علي بن حسين (1307هـ ـ 1887ف)[1]، في منطقة زاوية الدهماني بطرابلس، يتكوّن بيت الصلاة من وحدتين فراغيتين مستطيلتين، يغطي كلا منهما قبو برميلي، القبوان متوازيان مع جدار القبلة، وصحن له رواقان، أحدهما تشغله الميضأة، والمراحيض، والمطهرة، ومخزن، وزاوية، وكتّاب، ومئذنة (المئذنة ـ السلّم)، وثلاثة حوانيت تفتح على الشارع من الجانب الشمالي (جدول «ج» مسقط 57).

استخدمت المساجد الصغيرة المسقوفة بأقبية برميليّة في معمار المدارس والزوايا، ومن ذلك زاوية الباقول (أو زاوية العالم)، تتكوّن من المسجد الصغير، والزاوية التي شيّدت سنة 1214هـ ـ 1799ف[2] (شكل: 34)، تقع في

(1) قائمة المساجد تعطي التاريخ واسم المؤسّس.

(2) الزاوي: **أعلام**، ص160 و308، الزاوي: **معجم**: ص156 و164، اسم المؤسّس وتاريخ =

بلدة الريانية، التي تبعد عن طرابلس بنحو مائة وستين كيلو متر جنوب غرب طرابلس[1] (جدول «ج» مسقط 71)، وتشرف الزاوية على سهل الجفارة، ونظراً لوقوعها على وادي الباقول فسميّت باسمه تبعاً لذلك[2]، كما أنها تعرف كذلك بزاوية العالم على اسم مؤسسها، وهو الشيخ سيدي محمد ابن أحمد بن عبد النبي البوسيفي المعروف باسم العالم، واعتماداً على ما دوّن في مخطوط محفوظ في مكتبة الزاوية[3]، بدأ الشيخ محمد العالم بناء الزاوية سنة 1214هـ ـ 1799ف (شكل: 34).

ولهذه الزاوية أهمية معمارية في هذه المنطقة من سلسلة جبال نفوسة، في إنها تعكس تقليد معمار المدارس والزوايا المشيّدة في المنطقة الساحلية، المجموعة المعمارية تتكوّن من المسجد الصغير، وكتّاب، واثنتين وعشرين خلوة، صحن مكشوف محاط بأروقة من الجهات الأربعة، وضريح مقبى ملاصقاً لجدار القبلة (شكل: 15)، وحجرة ضيافة والمئذنة ـ السلّم.

وكل مكونات وعناصر الزاوية مسقوفة بأقبية برميلية منخفضة، عدا غرفة الضيافة التي لها سقف مسطح جديد من الاسمنت المسلح، وهذا التسقيف هو الغالب في منطقة جبال نفوسة.

بيت الصلاة بالزاوية يتكوّن من هيكل بنائي تتوسطه أربعة أعمدة ودعامة، تحمل هذه البائكة التي عقودها مدبّبة متدرجة، سقف المسجد، هذه الأعمدة والدعامات تقسّم الفراغ الداخلي إلى قسمين متساويين، كل منهما مسقوف بقبو برميلي (شكل: 33).

= البناء مدوّنة في مخطوط غير مؤرخ بعنوان دلائل الخيرات، من ضمن مجموعة الكتب والمخطوطات في مكتبة الزاوية. هذه المعلومات مدوّنة على الصفحة الأخيرة في تاريخ لاحق.

(1) الزاوي: **معجم**، ص159، 146، الزاوي: **أعلام**، ص160 و308.

(2) الزاوي: **معجم**، 159.

(3) زرت الزاوية وقمت بعمل كروكي (مخطّط أرضي) في أغسطس (هانيبال) 1976.

ومن أجل مقاومة الرفس المعماري على الجانبين الطوليين فقد زوّد بخمس دعاماتساندة ملتصقة على كل جانب، والتي تبدو كأنها بائكة كاذبة ذات عقود مسدودة بارزة عن سطح الجدار بنحو 50 سم، بعض الأعمدة لها تيجان عبارة عن قواعد لأعمدة مأخوذة من بقايا العمارة البيزنطية أو الرومانية.

هناك ضريحان مسقوفان بقبتين يقعان على بعد سبعمائة متر جنوب مبنى الزاوية، مقبور في أحدهما الشيخ العالم، والضريح الثاني مقبور فيه السيد أحمد ابن سويف[1].

ومن الناحية الوظيفيّة والمعمارية، يشبه مبنى الزاوية أي مدرسة أو زاوية من المدارس أو الزوايا الواقعة على الشريط الساحلي في منطقة طرابلس الغرب، وخاصة التي تقع في منطقة جنزور[2]، وهذا يوضح تأثير معمار المناطق الساحلية على بناء المدارس والزوايا في منطقة جبال نفوسة، لأن كل المدارس والزوايا في المناطق الساحلية تسبق تاريخياً مثيلاتها في جبال نفوسة.

ولكن في المقابل فإن تأثير التقليد المعماري، المتعلق بطريقة التسقيف بالأقبية البرميليّة المستعملة في العمارة المدنيّة والدينية، انتقل من جبال نفوسة إلى الشريط الساحلي، ذلك أن طريقة التسقيف بالأقبية البرميلية هي الأكثر استخداماً على طول جبال الأطلس الممتد من جبال الجزائر والجبال الممتدة منها في تونس ومنطقة طرابلس الغرب.

وتتركز مجموعة من المساجد المسقوفة بأقبية برميلية في منطقة مصراته، والمناطق المجاورة لها، ومن هذه المساجد:

---

(1) الإمام وراعي الزاوية أحمد عبد الحفيظ التقاز البوسيفي هو الذي أعطى هذه المعلومات عن الزاوية. الشيخ سيدي العالم بدأ تشييد الزاوية 1214هـ ـ 1799 وتمّ البناء على يد ابنه علي في مدّة عشرين سنة.

(2) زاوية بن حسين، والمشاط، وعمورة، ومدرسة عثمان الساقزلي، وزاوية سيدي علي الفرجاني، أمثلة لهذه الحالة.

7 ـ مسجد السور بمصراته، مسقوف بأربعة أقبية متعامدة على جدار القبلة، ويعود إلى القرن التاسع عشر (جدول «د» مسقط 13).

8 ـ مسجد الساعديّة بمصراته، مسقوف بثلاثة أقبية متوازية مع جدار القبلة، ويعود إلى القرن التاسع عشر (جدول «د» مسقط 12).

9 ـ مسجد الشيخ فتح الله بمصراته، مسقوف بخمسة أقبية متعامدة على جدار القبلة، ويعود إلى القرن السابع عشر (جدول «د» مسقط 10).

10 ـ مسجد الشيخ محمد بن عبد العزيز بمصراته، مسقوف بثمانية أقبية متعامدة على جدار القبلة، ويعود إلى القرن التاسع عشر.

11 ـ مسجد الشيخ إبراهيم المحجوب بمصراته، مسقوف بخمسة أقبية متعامدة على جدار القبلة، ويعود إلى القرن الثامن عشر.

12 ـ مسجد زاوية المنتصر بمصراته، مسقوف بثلاثة أقبية متوازية مع جدار القبلة، ويعود إلى القرن الثامن عشر.

13 ـ مسجد الشيخ صالح بن حمودة بمصراته، مسقوف بأربعة أقبية متوازية مع جدار القبلة، ويعود إلى القرن السابع عشر.

14 ـ مسجد الجمعة بزليطن، مسقوف بثلاثة أقبية متوازية مع جدار القبلة، ويعود إلى القرن الثامن عشر.

15 ـ مسجد الشيخ فتح الله بوراس ببني وليد، مسقوف بثلاثة أقبية برميلية متوازية مع جدار القبلة، ويعود إلى القرن السادس عشر، بعضها أقبية برميلية متقاطعة وبتصميم متميّز.

16 ـ مسجد المسطاري بدرنة مسقوف بثلاثة أقبية متعامدة على جدار القبلة، ويعود إلى القرن السادس عشر.

17 ـ جامع العين القديم بالرياينة، مسقوف بستة أقبية متوازية مع جدار القبلة، ويعود على الأرجح إلى القرن التاسع عشر. (جدول «د» مسقط 3، 4، 8، 14، 6، 16، 11، و19 على التوالي).

المجموعة الثانية: وهذه المجموعة من المساجد المتعددة الوحدات الفراغية، التي لها أسقف عبارة عن خليط من القباب المتماثلة والأقبية البرميليّة المتماثلة أيضاً. . . ومنها:

18 ـ جامع محفوظ بغريان شيّد سنة 1093هـ ـ 1683ف[1]، يتكوّن سقفه من عشرين قبو برميلي، تتوسطها خمس قباب، صفت على محور المدخل والمحراب (أزيل منذ مدة).

19 ـ جامع السنوسيّة الذي يقع بشارع عمر المختار بطرابلس، شيّده الحاج أبو القاسم العيساوي، والحاج أحمد قرجي في سنة 1306هـ ـ 1888ف[2]، سقفه يتكوّن من أربعة أقبية برميليّة متوازية مع جدار القبلة، وأربع قباب تقع على الجانب الجنوبي الغربي من بيت الصلاة، مكوّنة لرواق متعامد على جدار القبلة (الجدول «ب» مسقط 45 و46 على التوالي).

20 ـ جامع بن سليمان بالمدينة القديمة بطرابلس له سقف يتكون من قبتين، كل قبة لها ثمانية جوانب، ويكتنف كل قبّة قبوان برميليان، وكل الأقبية متعامدة على جدار القبلة، ومما يدعو إلى الدهشة والإعجاب تصميم السقف بهذه الكيفية، وكذلك ارتكاز السقف كله على عمود واحد في وسط بيت الصلاة، العمود يحمل ستة عقود مرتبة على النحو التالي:

العمود يحمل في الحقيقة عقدين متوازيين مع جدار القبلة، هذان العقدان يتقاطعان مع عقدين آخرين يتجهان بتعامد على جدار القبلة، وهكذا يتضح إن السقف قسّم، بواسطة هذه العقود المتداخلة، إلى ستة أقسام، أربعة منها تسقفها أقبية برميليّة، واثنين تسقفهما قبتان مثمّنتا الجوانب، كل منهما محمولة على منطقة انتقال تتكون من حنايا ركنية.

---

(1) ميسانا، ص97 ملاحظة رقم (1) وشكل: 9. (هدم هذا الجامع وأعيد بناؤه على تخطيط مخالف، وقمت بزيارة الجامع الذي هو تحت الإنشاء في أغسطس (هانيبال) 1976.

(2) إسميّ المؤسّسين وتاريخ التأسيس مدوّن في قائمة المساجد (أنظر هامش رقم 2 على ص287).

وعلينا أن نشير هنا أيضاً إلى أن هذا التصميم البنائي المعماري لهذا السقف يذكرنا (نصف التصميم فقط) بتصميم سقف جامع حورية (الميلادي)، والضريح الصغير للشيخ محمد الماعزي الملاصق لمسجد ابن الطبيب بالمدينة القديمة بطرابلس وهو غير مؤرخ[1]، (اللوحة التذكارية طمست حروفها جراء الطلاء المتكرر وأصبح من الصعب قراءتها).

وكذلك بتصميم ضريح سيدي عبد الوهاب القيسي الملاصق للمسجد، (جدول «أ» مسقط 9 و13).

21 ـ جامع ابن موسى (ابن مقيل):

يقع الجامع في شارع كوشة الصفار بالمدينة القديمة بطرابلس، يتكوّن سقفه الحالي من قبوين برميليّين متعامدين على جدار القبلة، وقبتين وضعتا على الجانب الجنوبي الغربي من بيت الصلاة، ومتعامدتين على جدار القبلة، القبوان البرميليان المتعامدان يقطعهما بالعرض عقدان عرضيان يقسمانهما إلى أربعة أقسام، ويذكرنا جامع ابن موسى في تخطيطه العام بنفس الترتيب الموجود في بيت الصلاة في جامع السنوسيّة ويرجع تشييد هذا الجامع إلى نهاية القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر[2]، وكما أشرنا إلى ذلك في الفصل السادس، فالمسجد ربما كان مسقوفاً بست قباب[3] (جدول «ب» مسقط 54).

---

(1) مسجد بن سليمان بالمدينة القديمة بطرابلس، ربما يكون ذلك الجامع، الذي ذكره العياشي، الذي زار جامعاً يسمى جامع الحاج إبراهيم، يقع بالقرب من ضريح سيدي سالم المشّاط. أنظر:
أبو سالم عبد الله محمد العياشي (1628 ـ 1679)، رحلة الشيخ الإمام أبو سالم العياشي، الجزء الأول، ص 61، أنظر كذلك: ابن غلبون: التذكار، ص181، يذكر أن محمود خازندار شيّد نحو خمسة مساجد، بعضها في طرابلس، وبعضها خارجها. ابن غلبون يذكر اسم جامع ابن سليمان من بين الخمسة مساجد التي شيّدها. هذا ربما يتمشّى مع المسجد الحالي المعروف بجامع بن سليمان في المدينة القديمة بطرابلس، الذي لا يبعد كثيراً عن جامع سيدي سالم المشّاط.

(2) أنظر الفصل الخامس من هذا الكتاب، هوامش 1 على ص199 و1 و2 و4 على ص204 والمناقشة التي ذكرناها عن هذا المسجد في هذا الفصل.

(3) علي مصطفى رمضان، ص99 (واجهة المسجد).

22 ـ جامع قبيلة أولاد أبي حسين بالريانية:

له تصميم فريد إذ يتكوّن بيت الصلاة من أقبية برميلية متوازية مع جدار القبلة، وأربعة قباب في الأركان الأربعة تحملها عقود، والقباب والأقبية البرميليّة محمولة على عقود متوازية مع جدار القبلة، وهي التي تحمل كذلك القباب الأربعة من جانب واحد (جدول «د» مسقط رقم 18).

المجموعة الثالثة: وهي التي تتكوّن من المساجد التي لها أسقف مسطحة، قاعات الصلاة فيها مستطيلة، تختلف أبعادها من مسجد لآخر، وأسقفها محمولة على بواكي، عادة ما تكون متوازية مع جدار القبلة، وأحياناً متعامدة على ومتوازية مع جدار القبلة في آن واحد، وتتقاطع مع بعضها البعض، هذه البواكي مرتكزة على أعمدة أو دعامات.

المساجد التي لها بواكي وأروقة متوازية مع جدار القبلة، تشمل المساجد(1) التالية: مرادة(2)، السنوسيّة الواقع في واحات أوجلة(3)، المسجد المركزي في لبه في واحات جالو(4)، وجامع تواسك في وادي الشاطئ(5)، الذي شيّد لتخليد ذكرى صوفي وهو سيدي عبد السلام الأسمر، الذي توفي في سنة 981هـ ـ 1574ف، وجامع براك في منطقة العقيل(6)، والمسجد القديم بمنطقة الجديد بسبها(7)، والجامع المركزي بمنطقة الجديد بسبها(8)، ومسجد ادسير بمرزق(9)، والمسجد الواقع ضمن مبنى زاوية سيدي علي الفرجاني

---

(1) من أجل إعطاء أمثلة شاملة لهذا النوع من المساجد، شملنا بعض المساجد التي شيّدت قبل الفترة العثمانية.

(2) Emilio Scarin, le Oasi Cirenaiche del 29 Parallelo (Florence, G.C. Sanoni, 1937, XV) pp. 42, 43, FIG. 13.

(3) المرجع السابق، ص88 و89 وشكل: 24.

(4) المرجع نفسه، ص108 و109 وشكل: 32.

(5) Emilio Scarin, le Oasi del Fezzan, pp.97, 98, FIG. 62.

(6) المرجع السابق، شكل: 70.

(7) المرجع نفسه، ص103، شكل: 78.

(8) نفس المرجع، ص104، شكل: 79.

(9) المرجع نفسه، ص139، شكل: 107.

بمنطقة ساحل الأحامد، الذي شيّد في نحو 1115هـ ـ 1703[(1)]، وتوجد عدة مساجد في بنغازي ذات أسقف مسطحة مثل مسجد الدراوي[(2)]، والقاضي[(3)]، وجامع العقيب[(4)] (القائمة رقم (10)).

ومن المساجد التي بها بواكي وأروقة تجري متوازية مع، ومتعامدة على جدار القبلة في آن واحد، هي جامع براك القصر (أو الحطش) في براك، الذي كان بناؤه الأول في نحو 1300ف[(5)]، وبراك الزاوية ببراك[(6)]، وجامع مدينة مرزق، الذي شيّد في الفترة العثمانية[(7)].

وتنظيم السقف في المساجد ذات السقف المسطح والمحمول على بواكي متقاطعة يذكرنا بالمساجد المتعددة الوحدات الفراغية والمسقوفة بقباب كثيرة، أو بأقبية برميليّة التي تتركز في المنطقة الغربيّة من ليبيا (القائمة رقم (11) 1 ـ 4).

وهناك تنوع آخر من هذه المساجد ذات الأسقف المسطحة ألا وهي المساجد ذات بيوت الصلاة غير المعمدة (أو التي ليس لها بواكي لتحمل السقف) فهي عبارة عن بيوت صلاة ضيّقة وصغيرة الحجم، وهي مساجد أوقات، ومنها مسجد الزاوية ببراك[(8)]، والمسجد الصغير (في الجامع المشهد) في منطقة قراقرة[(9)]، والمسجد الصغير بمنطقة الجديد بسبها[(10)] (القائمة رقم (11) 5 ـ 7).

---

(1) الزاوي: **معجم**، ص166 و167، الزاوي: **أعلام**، ص194.
(2) ميسانا، ص218.
(3) المرجع السابق، 217 و218.
(4) نفس المرجع.
(5) Emilio Scarin, le Oasi Cirenaiche.
(6) سكارين، نفس المرجع، ص54، شكل 27.
(7) المرجع نفسه، ص137 وشكل: 105.
(8) المرجع نفسه، ص54 وشكل: 28.
(9) المرجع نفسه، ص100، 101، شكل: 75.
(10) المرجع نفسه، ص104 وشكل: 78.

يتكون السقف المسطح من طبقة من جذوع النخيل، وأعواد الجريد، والطين المضغوط والملاط[1]، كما أن الخشب يستخدم أحياناً في التسقيف في بعض المساجد التي تشيّد في الريف، والمناطق الحضرية.

وعند الدخول إلى هذه المساجد فإن شكلها الداخلي يعطي المشاهد انطباعاً مختلفاً، ذلك أن جذوع النخيل، وأعواد الجريد والحوامل الخشبية تؤكد حركة الفراغ الداخلي، وذلك بخلقها لإيقاع منتظم، وخاصة في الجوامع التي لها بواكي متوازية مع جدار القبلة، التي تزيد من التوسع الفراغي لقاعة الصلاة[2].

أما فيما يتعلق بالمكونات المعمارية الأخرى من غير بيت الصلاة فهذه المساجد لا تختلف عن غيرها من المساجد السابقة، فهي تزود بصحن محاط بجدران منخفضة، وفي أغلب الحالات يزود الصحن برواقين مسقوفين بنفس طريقة التسقيف في بيت الصلاة، أحد هذين الرواقين تشغله الميضأة والمراحيض والمطهرة، وفي بعض الحالات الأخرى تشيّد حجرة ملاصقة للمسجد لاستعمالها للضيافة أو زاوية.

تكوّن المآذن في مساجد منطقة فزان مجموعة مميّزة، بعضها زودت بمآذن أسطوانية، أو ذات قطاع مربع، تستدق كلما علت إلى قمتها، مثل مئذنة مسجد مرادة، وأوباري، جامع مرزق، ويمكن الوصول إليها عن طريق سلم خارج الصحن، غير أن المئذنة البسيطة (المئذنة ـ السلّم) هي الملمح المعماري السائد في مساجد منطقة فزان[3].

(وللوصول بسرعة وسهولة ويسر إلى معرفة المعلومات الضرورية، حول الأنواع الثلاثة من المساجد، التي استعرضناها بالدراسة والتحليل، قمنا

---

(1) Antony Hutt, p.33.

(2) Aptulla Kuran, p.148.

(3) Antony Hutt, p.56.

بتصنيفها وترتيبها في القوائم رقم (9) و(10) و(11) في نهاية هذا الفصل.

خامساً: قضايا: المؤسسون، الفترة التاريخية، التأثيرات المعمارية:

جامع مراد آغا في تاجوراء هو أول وأكبر المساجد التي شيّدت في الفترة العثمانية في ليبيا، كما أنه أكبر المساجد المسقوفة بأقبية برميليّة في ليبيا، ويمثل أهمية كبرى في تاريخ تطور معمار المسجد في ليبيا بصفة عامة، وعليه دعنا نفحص بعض تفاصيل تأثير المعمار الإسلامي التونسي بصفة عامة ومعمار المسجد التونسي بصفة خاصة على هذا الجامع، الذي شيّده أول والٍ تركي يتولى إدارة هذه الولاية، في الفترة ما بين سنة 1551 ـ 1553ف[1].

ونظراً لتخطيط وتصميم هذا الجامع الفريد في نوعه في معمار المسجد الليبي، فهو ما زال موضوعاً للنقاش والتحليل بين العلماء، والمهتمين بالآثار الإسلامية في ليبيا[2]، خاصة فيما يتعلق بظروف تشييده، ووظيفة هذا المبنى في مراحله الأولى.

وأهم الدراسات عن هذا المبنى تلك الدراسة التي قام بها ريناتو بارتوشيني[3]، والتي تضمنت نصاً مأخوذاً من مخطوط[4] قديم يرجع إلى سنة 1685، يذكر أن البناء أقيم في البداية ليكون قلعة[5]، ويضيف بارتوشيني أن نحو ثلاثمائة أسير مسيحي هم الذين شيّدوا المسجد، ثم أطلق سراحهم بعد إتمام البناء[6].

---

(1) أنظر الهوامش رقم 1 على ص291.

(2) الأمثلة على ذلك سلفاتوري أوريجما، وغاسبري ميسانا، وريناتو بارتوشيني.

(3) أنظر هامش رقم 1 على ص308.

(4) مؤلف المخطوط غير معروف، ولكن ينسب إلى الطبيب الأسير جيرارد، الذي مكث أسيراً لعدّة سنوات في ولاية طرابلس الغرب والمخطوط مؤرخ في سنة 1685ف.

(5) بارتوشيني، ص342.

(6) نفس المرجع، ص345 و346.

ميسانا بدوره أعطى تحليلاً معمارياً لكي يثبت صحة هذه النظرية، وصحة النص التاريخي الوارد في المخطوط[1]، ويخلص ميسانا إلى أن الأسرى المسيحيين كانوا يعملون تحت إشراف مهندس معماري مغربي، لأن العقود بالمبنى هي من نوع حذوة الفرس، التي امتازت به العمارة الإسلامية بالمغرب الإسلامي[2].

وقبل تناول المبنى بالوصف والتحليل علينا استعراض الظروف التاريخية المحيطة بتشيّد المبنى نفسه، تبيّن المصادر التاريخية أن صراعاً حدث بين أميرين حفصيّين وهما رشيد وأحمد، على إثره إلتجأ الأخير إلى تاجوراء مع بعض مؤيديه، وأعطاهم خير الدين بارباروسا موافقته للإقامة في تاجوراء شرق طرابلس بنحو 20 ك.م التي كانت أحد مراكز النشاط البحري التركي منذ سنة 1531ف[3]، وكان مراد آغا متعاوناً مع خير الدين بربروسا في النشاط البحري وصار حاكماً لمنطقة تاجوراء سنة 1539ف، والتي منها كان يقوم بغارات وهجمات على مدينة طرابلس التي كانت تحت سيطرة فرسان القديس يوحنا.

وفي سنة 1551[4] عيّن مراد كأول حاكم تركي على طرابلس، وفي ذلك الوقت بدأ مراد بتشييد جامعه وفي تخطيطه العام ونوع عقوده، فإن المسجد متأثر بتخطيط المساجد التونسية المعمدة، ويبدو أن الإشراف، الذي أشار إليه ميسانا، عُهد به إلى أحد اللاجئين التونسيّين، الذين استقروا في تاجوراء، وافترض أن من بينهم بعض المهندسين والمعماريين والبنائين التونسيّين، وكذلك بعض الأسرى المسيحيّين الذين ساعدوا في تشييد الجامع (جدول «ب» مسقط 47).

ومهما يكن الأمر نستطيع أن نقول بكل ثقة أن جامع مراد آغا هو على

---

(1) Feraud, Annales, p.55.

(2) المرجع السابق، ص212.

(3) Jamil Abun - Nasr, A History of the Maghrib, 2 ND. ED. (London, N. York, Cambridge university press, 1975), p.193.

(4) بارتوشيني، ص339.

غرار الجوامع التونسية المعمّدة، ويذكرنا خاصة بجامع القصبة، الذي شيّد في سنة 1235ف[1]، ويتكوّن سقف هذا الجامع من اثنتين وستين وحدة فراغية مسقوفة بأقبية برميليّة متقاطعة، وقبّة تغطي منطقة المحراب.

جامع القصبة وجامع مراد يدعم السقف في كل منها ثمانية وأربعون عموداً، تقسم فراغه الداخلي إلى ثلاث وستين وحدة فراغية.

وهناك عدة جوامع شيّدت في تونس في العصر الحفصي تشبه جامع مراد آغا في تاجوراء، ومنها جامع الهواء[2].

وعلينا أن نشير أيضاً إلى احتمال آخر يتعلق بعملية التأثير، وهو أن جامع العمروص القديم (علي العريفي)، الواقع في منطقة سوق الجمعة، التي تقع غرب تاجوراء بنحو خمسة عشر كيلو متر، ربما كان النموذج الذي على غراره شيّد جامع تاجوراء (جدول «ب» مسقط 53 ـ شكل: 1)، فكلا المسجدين لهما سقف يتكوّن من الأقبية البرميليّة الموازية والمتعامدة على جدار القبلة، والمحمولة على عقود، نصف دائرية في جامع سوق الجمعة، ومدبّبة من نوع حذوة الفرس في جامع تاجوراء، وجامع العمروص صغير الحجم مقارنة بحجم جامع مراد آغا بتاجوراء.

وما يثير الانتباه حقاً، هو أن الجامع الأخير يعتبر المثل الوحيد في كل البلاد، من حيث الحجم وطريقة تقاطع البواكي المتوازية مع، والمتعامدة على جدار القبلة، (البواكي الثمانية التي تسير متوازية مع جدار القبلة هي في الحقيقة لا تسند السقف، خمسة من العقود في كل بائكة ما عدا العقدان اللذان يقعان في النهايتين من البائكة) لا تلامس الأقبية البرميليّة الخمسة المتعامدة على جدار القبلة، والتي تسقف طولياً مساحة المسجد الممتدة بين جدار القبلة والجدار المقابل له.

---

(1) Abdelaziz Daoulati, Tunis sous les Hafsides, (Tunis: institut national d'archeologie et d'art, 1976) pp.176 - 198, FIG. 24.

(2) نفس المرجع، ص198 ـ 200و ص43.

وهكذا تترك البواكي فراغات على هيئة نصف دائرة، ونتيجة لذلك تظهر البواكي، التي تسير متوازية مع جدار القبلة، كما لو أنها عقود ساندة طائرة، صمّمت لزيادة استقرار المبنى وليست لحمل السقف[1]، شبيهة بتلك العقود الساندة الطائرة في جامع قرطبة، وهنا تكمن في الحقيقة أهمية التصميم في هذا الجامع، والذي حسب علمي انه بدون مثل سابق في تصميمه، فيما يتعلق بتقاطع البواكي بهذا الشكل، في كل مساجد ليبيا.

سادساً: مصدر الإلهام لهذا النوع من المساجد والخلاصة:

مع أن جامع مراد آغا كان المسجد الأول، الذي تم تشييده في الفترة العثمانية، إلا أنه يمثل استمراراً وحلقة مكمّلة لتقليد الجوامع الحفصيّة، الذي رأيناه في الجوامع الحفصيّة في تونس، وجامع مراد هو خليط واضح لمعمار وزخرفة المسجد التركي التونسي الذي استمر لمدة أكثر من أربعة قرون يتعلق بالتأثير المغربي، وخاصة التأثير التونسي، باستخدام نوع معيّن من الزخرفة والأشكال المعمارية، التي تشمل عقود حذوة الفرس، والمئذنة ذات الشكل والقطاع المربع، وحنية المحراب التي لها عقود نوع حذوة الفرس.

وهناك نقطة أخرى يجب مناقشتها وعرضها لتوضيح التأثير التركي العثماني، وهي أن النظام الإداري المحلي في ليبيا، وهو انعكاس لنفس النظام الإداري التركي العثماني في استنبول، فالراعي الأوّل للفنون والعمارة هو السلطان، هذا بدوره يعكس ممارسة عثمانية، وبتعبير آخر فالسلطان العثماني وأفراد عائلته، وكذلك موظفوهم الكبار، شيّدوا المساجد والأبنية الدينية، وضخامة وعظمة ومقدار الزخرفة في هذه الأبنية يعكس المكانة الإدارية والوظيفيّة وغنى المشيّدين، وممثلي السلطان (وهم ولاة الولايات العثمانية) ومساعدوهم الكبار في الولاية التركية العثمانية اتبعوا نفس المنوال.

---

(1) بارتوشيني، ص340 و341، شكل: على ص343 و345.

وبما أن مراد آغا كان أوّل والٍ تركي عثماني على إيالة طرابلس الغرب فقد شيّد جامعاً مهيباً لم تشهده ليبيا قبل الفترة العثمانية، مع أن أول مثل واضح يتمشّى مع التقليد المعماري، المتعلق ببناء المساجد المهيبة، التي شيّدت في ليبيا من قبل الولاة، وكذلك الشكل المعماري للمسجد، هو جامع درغوت باشا، الذي شيّد سنة 1556ف، وأنه كان أول مسجد في سلسلة من المساجد والجوامع، ذات الوحدات الفراغية المتعددة والمسقوفة بقباب كثيرة، التي استمرت في الظهور في معمار المسجد الليبي إلى سنة 1834، وهي السنة التي شيّد فيها جامع مصطفى قرجي.

ومهما يكن فإن المساجد الصغيرة المسقوفة بأقبية برميليّة، التي درسناها في هذا الفصل، هي إحياء لتقليد معماري في بناء المساجد الذي ميّز تلك المساجد التي تقع في جبال نفوسه والشريط الساحلي قبل العهد العثماني، والمساجد التي لها أسقف خليط من القباب والأقبية البرميليّة هي أنواع جديدة من معمار المسجد الليبي، التي كانت اندماجاً بين تقليدين معماريّين مختلفين، وهما التسقيف بالقباب، والتسقيف بالأقبية البرميليّة، ظهر هذا الطراز الجديد في الفترة العثمانية بحسب وجود المساجد المؤرخة، في حين أن الجوامع ذات الأسقف المسطحة المشمولة في هذا الفصل، تشكل استمراراً لتقليد محلي في معمار المسجد الليبي بدون أي تغيير أو انقطاع يذكر.

ولكون هذا الفصل هو الأخير، في تصنيف المساجد الليبيّة، فإنه من المناسب والمفيد أن نعطي خلاصة مختصرة جداً، وعلى الرغم من تداخل هذه الأنواع من المساجد، إلا أننا توصلنا إلى قناعة بأن معمار المسجد الليبي مرّ بصفة عامة بثلاث مراحل من التطور، ففي الفترة التي تسبق استيلاء الأتراك على ليبيا، نلاحظ أن بيت الصلاة يقسم إلى وحدات فراغية تسقفها أقبية برميليّة.

وفي نهاية القرن السادس عشر، وفي القرن السابع عشر، والثامن عشر

استمر تصميم بيت الصلاة في المسجد الليّبي في تقسيمه داخلياً إلى وحدات فراغية متساوية، ولكن الآن أصبح يسقف بقباب كثيرة، وفي الفترة العثمانية الثانية (1835 ـ 1911) فإن بيوت الصلاة في الجوامع تتكوّن أساساً من وحدات فراغية مسقوفة، إما بأقبية برميليّة، أو خليط من الأقبية البرميليّة والقباب، وفي حالات قليلة فإن بعض الجوامع صمّمت على غرار الجوامع السلطانية العثمانية ذات التخطيط المركزي، ومنها أمثلة في بنغازي ومدينة الخمس، وأخيراً فالمساجد ذات الأسقف المسطحة فهي الغالبة في معمار المسجد الليّبي في واحات فزان وبرقة في الفترة السابقة للعهد العثماني واستمرت بدون انقطاع في الفترة العثمانية.

القائمة رقم (9)

المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأقبية برميلية أو أقبية برميلية وقباب

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	أنواع التسقيف			التاريخ	الجدول	الملاحظات
				أقبية	أقبية + قباب	مسطّح			
1 ـ مراد آغا	مراد آغا	تاجوراء	40.ـ متر في 32.ـ متر	23 قبو	ـ	ـ	1553 ـ 1565	ب. 47	أكبر المساجد في ليبيا
2 ـ زاويـة الباقول	محمد العالم	الريانة	8.ـ متر في 5.ـ متر	2 قبوان	ـ	ـ	1799	ج. 71	بجبل نفوسة
3 ـ سـيـدي محفوظ	؟	غريان	ـ	ـ	20 قبو + 5 قباب	ـ	1682	ب. 45	أزيل
4 ـ المجيديّة	محمد خيري	طرابلس	6.50 متر في 5.00 متر	2 قبوان	ـ	ـ	1858	ب. 55	المؤسس ضابط في الجيش
5 ـ زُميّط	مصطفى زميّط	طرابلس	6.50 متر في 5.00 متر	2 قبوان	ـ	ـ	1887	ج. 56	له زيادة بسقف مسطّح
6 ـ السنوسيّة (عمر المختار)	الحاج أبو القاسم العيساوي والحاج أحمد قرجي	طرابلس	ـ	ـ	4 أقبية + 4 قباب	ـ	1888	ب. 46	
7 ـ مسـجـد السور	الأهالي	مصراته	20.30 متر في 20.10 متر	4 أقبية	ـ	ـ	ق. 19	د. 13	في محلّة رأس التونة

القائمة رقم (9) تكملة (أ)

المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأقبية برميلية أو أقبية برميلية وقباب

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	أنواع التسقيف			التاريخ	الجدول	الملاحظات
				أقبية	أقبية + قباب	مسطّح			
8 ـ الدامر	علي بن حسين	زاوية الدهماني طرابلس	6.50 متر في ـ.5 متر	2 قبوان	-	-	1889	ج. 57	
9 ـ الكراري	الكراري رجل تركي	م.ق طرابلس	ـ.6 متر في ـ.5 متر	2 قبوان	-	-	ق. 17	ب. 49	القبوان مشطوفا الجانبين القصيرين
10 - بـن سليمان	؟	م.ق طرابلس	ـ.5 متر في ـ.5 متر	-	4 أقبية + 2 قبتان	-	ق. 17	أ. 9	
11 - ابـن مـوسى (ابـن مقيل)	عبد الله المكني	م.ق طرابلس	11.70 متر في 8.60 متر	-	4أقبية + 2 قبتان	-	نهاية ق. 16 بداية ق. 17	ب. 54	شُمل كذلك مع المساجد ذات الست قباب

القائمة رقم (9) تكملة (ب)

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	أنواع التسقيف			التاريخ	الجدول	الملاحظات
				أقبية	أقبية + قباب	مسطح			
12 ـ الناقة	صفرداي	م. ق طرابلس	ـ.19 متر في ـ.19 متر	-	7 أقبية + 42 قبة	-	1610	ب. 43	شمل كذلك مع المساجد ذات القباب المتعددة
13 ـ الساعدية	الأهالي	محلة رأس عمار مصراته	8.50 متر في 8.50 متر	3 أقبية	-	-	ق. 19	د. 12	
14 ـ الشيخ فتح الله	الأهالي	محلة الرميلة مصراته	12.60 متر في 9.90 متر	5 أقبية	-	-	ق. 17	د. 10	به زاوية وضريح

القائمة رقم (9) تكملة (ج)

المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأقبية برميلية أو أقبية برميلية وقباب

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	أنواع التسقيف			التاريخ	الجدول	الملاحظات
				أقبية	أقبية + قباب	مسطّح			
15 - المسطاري	رمضان والنعاس المسوري حسين هابيل وسليمان الحزم	حي المغار درنة	ـ.10 متر في ـ.7 متر	3 أقبية	-	-	ق. 16	د. 11	ومن المؤسّسين محمد الخجخاج
16 ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز	الشيخ محمد بن عبد العزيز	مصراته	15.80 متر في 10.50 متر	8 أقبية	-	-	ق. 19	د. 3	درس بالأزهر الشريف
17 ـ الشيخ إبراهيم المحجوب	تلاميذ الشيخ	محلة المحجوب مصراته	16.80 متر في 13.80 متر	5 أقبية	-	-	ق. 18	د. 4	أبعاد بيت الصلاة غير منتظمة

القائمة رقم (9) تكملة (د)

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	أنواع التسقيف			التاريخ	الجدول	الملاحظات
				أقبية	أقبية + قباب	مسطّح			
18 ـ زاوية المنتصر	الشيخ أبو القاسم المنتصر	مصراته	8ـ. متر في 7.50 متر	3 أقبية	ـ	ـ	ق. 18	د. 8	مسجد وزاوية وضريح
19 ـ الشيخ صالح بن حمّودة	الشيخ صالح بن حمّودة	مصراته	12ـ. متر في 10.50 متر	4 أقبية	ـ	ـ	ق. 17	د. 14	صالح بن حمّودة بن عبد السلام الأسمر
20 ـ مسجد الجمعة	الأهالي	قبيلة الفواتير زليطن	9.50 متر في 9ـ. متر	3 أقبية	ـ	ـ	ق. 18	د. 6	
21 ـ الشيخ فتح الله بوراس	الشيخ فتح الله بوراس	بني وليد	8.20 متر في 7ـ. متر	3 أقبية	ـ	ـ	ق. 16	د. 16	وأقبية برميلية متقاطعة

القائمة رقم (9) تكملة (هـ)

المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأقبية برميلية أو أقبية برميلية وقباب

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	أنواع التسقيف			التاريخ	الجدول	الملاحظات
				أقبية	أقبية + قباب	مسطّح			
22 ـ قبيلة أولاد أبي حسين	الأهالي	الرياينة	12.ـ متر في 7.ـ متر	ـ	3 أقبية 4 قباب	ـ	ق. 19	د. 18	السقف له تصميم فريد
23 ـ مسجد قبيلة العين القديم	الأهالي	الرياينة	14.ـ متر في 11.50 متر	6 أقبية	ـ	ـ	ق. 19	د. 19	يطلق عليه إسم جامع الحاج علي المقبور بداخله

القائمة (10)

المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأسقف مسطّحة (بواكي وأروقة متوازية مع جدار القبلة)

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	نوع التسقيف	أروقة وبواكي متوازية	أروقة وبواكي متعامدة	التاريخ	الجدول	الملاحظات
1 ـ مرادة	؟	مرادة	ـ.16 متر في ـ.7 متر	مسطّح	√	×	ق. 19	-	
2 ـ السنوسيّة	أتباع الطريقة	أوجلة	ـ.30 متر في ـ.12 متر	مسطّح	√	×	ق. 19	-	
3 ـ المسجد المركزي بلبّة	؟	جالو	ـ.13 متر في 6.80 متر	مسطّح	√	×	؟	-	
4 ـ تواسك	أتباع الطريقة	وادي الشاطئ	ـ.11 متر في 6.80 متر	مسطّح	√	×	ق. 17 ـ ق. 18	-	
5 ـ براك	؟	وادي الأجال (وادي الحياة)	ـ.14 متر في 6.40 متر	مسطّح	√	×	؟	-	
6 ـ المسجد القديم بمنطقة الجديد	؟	سبها	6.30 متر في 5.30 متر	مسطّح	√	×	؟		
7 ـ مسجد الجديد المركزي	؟	سبها	ـ.11 متر في 4.40 متر	مسطّح	√	×	؟	-	

ملاحظة/ الأبعاد والمقاسات عن اميليو سكارين.

القائمة رقم (10) تكملة (أ)

المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأسقف مسطّحة (بواكي متوازية مع جدار القبلة)

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	نوع التسقيف	أروقة وبواكي متوازية	أروقة وبواكي متعامدة	التاريخ	الجدول	الملاحظات
8 ـ أدسير	؟	مرزق	8.60 متر في 5.80 متر	مسطّح	√	×	؟	ـ	
9 ـ زاوية سيدي علي الفرجاني	طريقة صوفية	ساحل الأحامد محلة كعام	10.ـ متر في 9.25 متر	مسطّح	(3) أروقة متوازية	×	1703	ج. 68	زاوية ومسجد وضريح
10 ـ القاضي	؟	بنغازي	ـ	مسطّح	(3) أروقة متوازية	×	ـ	ج. 59	
11 ـ العقيب	إبراهيم بن يعقوب	بنغازي	ـ	مسطّح	(5) أروقة متوازية	×	1820	ج. 58	أُعيد بناؤه في 1880 من قبل محمد جربوع
12 ـ الدراوي	؟	بنغازي	10.ـ متر في 10.ـ متر	مسطّح	(2) رواقان متوازيان	×	بداية ق. 19	ج. 64	يذكر ميسانا أنه كان مسقوفاً بست قباب
13 ـ الشيخ يوسف	؟	ترهونة	8.50 متر في 8.30 متر	مسطّح	×	(3) أروقة متعامدة	ق. 19	د. 15	زاوية وبيت الصلاة وخلاوي
14 ـ هدية	طاهر باشا	بنغازي	12.ـ متر في 12.ـ	مسطّح	(3) أروقة متوازية	×	1893 ـ 1903	د. 17	المؤسّس والي الولاية

القائمة رقم (11)

مساجد ذات سقف مسطّح تحملها بواكي متقاطعة ـ وتلك المساجد التي أسقفها بدون أعمدة

إسم الجامع	المؤسس	الموقع	أبعاد بيت الصلاة	نوع التسقيف	أروقة وبواكي متوازية	أروقة وبواكي متعامدة	التاريخ	الجدول	الملاحظات
1 ـ براك القصر أو براك الحطش	؟	براك	24.ـ متر في 7.ـ متر	مسطّح	√	-	ق. 13ق	ج. 61	
2 ـ براك الزاوية	؟	براك	10.25 متر في 7.25 متر	مسطّح	√	-	؟	-	
3 ـ المسجد الجامع	حاكم تركي	مرزق	20.ـ متر في 18.ـ متر	مسطّح	√	-	قبل 1820	ج. 60	
4 ـ الحناشي	؟	مرزق	10.40 متر في 4.80 متر	مسطّح	√	-	؟	ج. 63	
5 ـ الزاوية	؟	براك	7.40 متر في 3.ـ متر	مسطّح	-	√	؟	-	
6 ـ قراقرة	؟	قراقرة	6.ـ متر في 2.80 متر	مسطّح	-	√	؟	-	
7 ـ المسجد الصغير	؟	سبها	8.ـ متر في 4.25 متر	مسطّح	-	√	؟	-	

ملاحظة/ الأبعاد والمقاسات عن إميليو سكارين.

9

الزخرفة في معمار المسجد الليبي

أشرنا في الفصول السابقة إلى أن التقليد المعماري، الذي اتبعه معماريّو المسجد الليّبي، هو بناء مسجد بسيط خالٍ من الزخرفة، ونلاحظ هذه الظاهرة في أغلب المساجد، التي شيّدت سواء قبل الفترة العثمانية، أو في أثنائها، غير أن هناك بعض المساجد التي حظيت بنصيب من الزخرفة منذ فترة مبكرة، ومنها مسجد مدينة سلطان، ومسجد مدينة أجدابيا، اللّذان تم اكتشافهما في هاتين المدينتين الأثريتين، يرجع هذان المسجدان إلى العصر الفاطمي، وفي هذين المسجدين وجدت زخارف حجرية محفورة، وكتابات كوفية محفورة في الحجر، تمثل بعض الكلمات، وإنها كانت جزءاً من شريط كتابي يزخرف جدران هذين المسجدين، كما وجدت زخارف جصيّة محفورة ذات عناصر زخرفية نباتية.

تتمشّى هذه الزخارف، وأنواع الكتابات، مع نفس الأسلوب الزخرفي، الذي يشاهد في زخارف بعض المساجد الفاطمية الباقية في كل من مصر وتونس.

وهناك بعض المساجد في سلسلة جبال نفوسة، نالت قدراً من الزخرفة البسيطة، مثل بعض الكتابات البارزة على خلفية نباتية بارزة ومتشابكة معها، ورسوم تجريديّة، وتهشيرات وعناصر هندسية، وعنصر الكف الزخرفي المطبوع

على الملاط والجبس[1]، وصار عنصر المثلث الزخرفي من خصائص الزخرفة في العمارة المدنية والدينية في الأقاليم الواقعة جنوب الشريط الساحلي، وخاصة إقليمي فزان وبرقة، والواحات المنتشرة فيهما.

ويشاهد هذا العنصر المعماري الزخرفي على واجهات وأركان المآذن، وعلى مداخل وزوايا المباني. هذه هي أغلب العناصر الزخرفيّة الشائعة الاستخدام في معمار المسجد الليبي في الفترات السابقة للمرحلة العثمانية، واستمرت كذلك في هذه المرحلة نفسها، وما زالت مستمرة حتى الآن.

وابتداءً من النصف الثاني من القرن السادس عشر بدأت عناصر زخرفية جديدة تدخل ضمن البرنامج الزخرفي في معمار المسجد الليّبي، في بعض المناطق الساحلية، واستخدام مواد جديدة التي لم تعرف من قبل في معمار المسجد الليّبي.

أفردنا هذا الفصل لتحليل ودراسة تطور الزخرفة في معمار المسجد الليّبي بصفة عامة، والمنفذة على الحجر والرخام، وعلى المداخل الحجرية والرخامية وأُطرها، وكذلك على أُطر الشبابيك والنوافذ، وعلى المحاريب والمنابر، والأسقف والدكّك الخشبية ذات الزخارف المحفورة والملوّنة والمدهونة، وعلى الزخارف الجصيّة، وعلى البلاطات واللوحات الخزفية المتعدّدة الألوان، وسيكون التركيز أكثر على زخارف البلاطات واللوحات الخزفيّة.

الزخارف الحجرية والرخامية:

نوهنا في الفصول السابقة أن هناك بعض المساجد، التي شيّدت في القرن السادس عشر والسابع عشر، قد حظيت بعناية زخرفية، متمثّلة في وجود بعض الزخارف البسيطة، مثل استخدام عنصر الوريدة البارزة في كوشات العقود،

---

(1) Antony Hutt and Guy Pertherbridge. Islamic art and architecture in Libya: Vernacular architecture. (Exhibition catalogue, London. 1976), p.32.

والتي تصاحبها أحياناً مجموعة أخرى من الوريدات الصغيرة، محفورة في الأطر التي تحدد مداخل الجوامع، ومداخل بيت الصلاة، وفي بعض الحالات التي يضاف إليها عنصر الهلال الزخرفي المتوّج لقمم عقود المداخل، وفي حالات أخرى تكسى كوشات العقود ببلاطات من القاشاني، ذات اللون الواحد أو المتعددة الألوان.

وفي أمثلة أخرى تكون زخارف المحاريب انعكاساً لنفس التصميم والزخرفة لمدخل بيت الصلاة الذي يقع على محور واحد مع المحراب.

وفي نهاية القرن السابع عشر تكرّر عنصر الوريدة المنحوتة ببروز كثيراً، وشغل مساحات أكثر على المداخل ومن أمثل ذلك ما نشاهده على مداخل جامع محمد شائب العين بطرابلس (1699)، فهو أول مثل من المعمار الديني، الذي زود بثمانية مداخل، غنيّة بالزخارف المنحوتة، إثنان منها من الرخام، والباقية من الحجر الرملي هذه المداخل لها تصاميم زخرفية متشابهة، تتكوّن من وريدات وعناصر نباتية، وعادة ما نشاهد أعداداً فردية من الوريدات المحفورة والبارزة، والتي تتراوح بين ثلاث وريدات إلى إحدى عشرة وريدة منحوتة في كل مدخل، وتنظم بتماثل على فتحة العقد بواقع وريدة على كل صنجة من صنجات العقد، وتختلف هذه الوريدات المنحوتة في التصميم والحجم والشكل والعمق والبروز، وفي عدد الوريقات (البتلات) المكوّنة لها.

وفي حالات كثيرة يتوّج عنصر الهلال صنجة مفتاح العقد المنحوت نحتاً خفيفاً، وتحوي بعض كوشات العقود من اثنتين إلى ثمان وريدات، في حين أن بعضها تشغلها زخرفة نباتيّة منحوتة نحتاً خفيفاً وبشكل عام توجد في القسم الأعلى من المدخل، فوق مستوى وسادتي عقد المدخل (أي فتحة العقدة وما فوقها)، عدد من الوريدات مرتبة ترتيباً تماثلياً، على غرار الترتيب الزخرفي لفتحة العقد وكوشتي العقد، تتراوح هذه الوريدات من سبع إلى خمسة عشر وريدة.

ومن ضمن مداخل هذا الجامع، هناك اثنان لها زخارف نباتية على فتحة العقد، وكذلك كوشتيّ العقد وصدغيه، والتصميم الزخرفي على المدخل المقابل للمحراب نراه منعكساً إلى حد كبير على تصميم وزخرفة المحراب (شكل: 38 و57).

هذا الغنى الزخرفي على الحجر والرخام لم يعهده معمار المسجد الليبي من قبل، وفي هذا الصدد علينا أن نشير إلى العلاقة بين معمار المسجد الليبي، والأبنية المدنية، فهناك مجموعة من مداخل البيوت والقصور والحمّامات والفنادق المعاصرة، التي تقع في المدينة القديمة في طرابلس، لها تصاميم زخرفية متماثلة ومتشابهة، بعض هذه الأبنية ذات الصبغة المدنية درسها الباحث الإيطالي بيترو رومانيللي[1].

وعلينا أن نشير كذلك إلى أن هذه المداخل الغنية بالزخارف تعكس تقليداً معمارياً وزخرفياً وفنياً منتشراً في بلدان أخرى مطلة على البحر الأبيض المتوسط، وخاصة إيطاليا[2]، وفرنسا[3]، وإسبانيا ومالطا[4]، وتونس[5].

ويحوي جامع محمد شائب العين كذلك عناصر ومكوّنات معمارية أخرى غنيّة بالزخرفة على الحجر، ومنها مجنبتا المنبر فوق مستوى العقود والفتحات

(1) Pietro Romanelli, «Vicchie case Arabi di Tripoli: Architettura e arte decorative, I, anno 3 (Roma: Casa editrice d'arte besette e tumminelli, 1923), FIGS. 13 - 15 Ali Mustafa Ramadan, Reflections upon Islamic architecture in Libya (Tripoli: Tunis the arab house for book, 1975), pp. 31, 35, 56, 57, 116, 117.

(2) Charles B. Mcgrew, Italian Doorways, with preface by Garham Phillips Stevens (Cleveland: J. H. Jansen - publishers, 1929).

(3) Geoge Leighton Dahl, Portals - doorways and windows of France, with preface by George H. Edgell (New York: the Architectural book publishers, 1925).

(4) Quentin Hughes, the buildings of Malta 1530 - 1795 (London, 1956); SEE p.193 for the types of Limestones and the sites of the Quarries. the solid limestone is called in Libya Marble of Malta.

(5) P. Lisse, «Tradition, evolution, adaptation de la sculpture sur pierre dans le cap bon», Revue de l'insitut des belles lettres arabes, no. 73, 19E année (Tunis, 1956), pp. 81 - 92.

الثلاثة المتدرجة في الارتفاع، التي يرتكز عليها سلم المنبر فكل جانب من المنبر مقسم إلى (27) قسماً (9 × 3) رتبت على شكل معيّن، كل معين تشغله إما وريدة أو نجمة خماسيّة أو سداسيّة، أو عنصر الهلال الزخرفي منحوتة نحتاً بارزاً (شكل: 45).

وتيجان الأعمدة التسعة، التي تحمل سقف بيت الصلاة، زخرفت بأوراق الاكانتس (ورقة شوكة اليهود أو شوك الإبل) المنحوتة نحتاً خفيفاً[1]، كما أن كل عمود من أعمدة المنبر الستة زخرفت بأربع ورقات منحوتة تحت التاج مباشرة.

جامع الدروج:

المدخل الرئيس لهذا الجامع، الذي شيّد بداية قبل سنة 1512ف، وأضيف إليه قسم جديد في القرن السابع عشر والثامن عشر، مزخرف بزخارف نباتيّة منحوتة نحتاً خفيفاً، من نفس أسلوب الزخارف على أحد مداخل جامع شائب العين.

جامع أحمد القرمانلي:

كسيت كوشتا عقد المدخل ببلاطات من القاشاني الملوّن ونشاهد كذلك على مداخل هذا الجامع الرخامية والحجرية لبعض الزخارف المنحوتة نحتاً خفيفاً، وخاصة على مدخلي بيت الصلاة الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي، وعلى المدخل المؤدي إلى ساحة المراحيض[2]، كما نشاهد عنصر الهلال الزخرفي على المدخل الرئيسي المؤدي إلى الضريح الواقع في الصحن الشمالي الشرقي (شكل: 58)، ويبرز مفتاح العقد عن مستوى فتحة العقد، في مدخل

---

(1) Messana, p.155.

(2) Salvatore Aurigemma, La Moschea di Ahmad Qaramnli in Tripoli, Dedalo, II, anno 7 (Roma: Casa editrice d'arte besette e tumminelli, 1927), p.507. Ramadan, pp.118, 119.

الضريح والمدخلين اللّذين يكتنفان المدخل الرئيسي الواقع على الجانب الشمالي الغربي من بيت الصلاة، وهذه المداخل كلها من الرخام، وبروز مفتاح العقد يعطي التماثل مع بروز وسادتي فتحة العقد في كل منهما، وهذا التصميم والملمح المعماري الجديد يذكرنا بالمداخل التي تميّز العمارة الإيطالية، ويحد شريط جميع هذه المداخل بهذا الجامع، بعرض نحو 3 سم (تكحيلة) من الخزف، والتي تختلف في اللون من مدخل لآخر، وإضافة إلى ذلك فإن كوشات العقود لهذه المداخل مزخرفة بالفسيفساء الخزفيّة الملوّنة، والمحدّد بنفس الأسلوب الذي أشرنا إليه عن المداخل، وحدّدت المداخل من ثلاث جهات بأطر من بلاطات القاشاني الملوّنة النجمية الشكل.

المدخل الأوسط، الذي يقع على محور المحراب، له عقد حذوة الفرس، وله صنجات من الرخام الأبيض والأسود بالتبادل، وحدّدت كوشتا العقد بحليتين بارزتين مظفورتين، كما حدّد المدخل ببلاطات من القاشاني الملون.

هذا الترتيب الزخرفي، وهو استخدام أطر من الرخام أو الحجر للمداخل والنوافذ، ووضع لوحات خزفية ملوّنة، بين المداخل والنوافذ، نراه منعكساً أو متكرراً على جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج، ونشاهد مثل هذا الترتيب أيضاً على جدران بيت الصلاة في جامع مصطفى قرجي من الداخل والخارج.

وكما هو متبع غالباً في الجوامع الكبيرة، نرى الترتيب المعماري والزخرفي للمداخل منعكساً على منطقة المحراب (شكل: 58). ومحراب جامع أحمد القرمانلي له علاقة وطيدة بالتقليد الزخرفي في معمار المسجد التونسي، وكذلك بالمعمار الديني بصفة عامة.

شملت الدراسة التي قام بها سليمان مصطفى زبيس، عن المحاريب في العمارة الإسلامية بالمغرب العربي الإسلامي، كثيراً من المحاريب التونسية،

التي لها نفس الزخرفة والتصميم الذي عليه محراب جامع القرمانلي[1]، وهذه الدراسة لم تشمل المحاريب في الجوامع الليبية، بالإضافة إلى ذلك، فإن وجود محراب جامع القرمانلي، الفريد في تصميمه العام في معمار المسجد الليبي، يجعلنا أكثر إيماناً وقناعة لما أشرنا إليه في الفصل السابق، من أن هذا الجامع شيّده معماريون ومهندسون ومزخرفون تونسيون وكثير من العناصر الزخرفية فيه، وبدون مثل سابق لها في معمار المسجد الليبي.

وتشييد الجامع في سنة 1738 يشير إلى توجهات عدة مهمّة، فيما يخص الأسلوب الزخرفي، في معمار المسجد الليبي منها الاتجاه نحو بناء المساجد الكبيرة، ذات الطابع التذكاري، من حيث الضخامة والغنى الزخرفي، باستخدام مواد زخرفية متنوعة، وعدد المكونات المعمارية، ويشير هذا أيضاً إلى التقدم والازدهار الاقتصادي الذي عاشته الدولة القرمانلية، كما يدل أيضاً على الاستقرار السياسي في هذه الفترة.

كونت الدولة القرمانلية في هذه الفترة روابط قويّة، سياسيّة واجتماعية واقتصادية وتجارية مع تونس، وبعض البلدان الأوروبية كذلك، وبذلك بدأنا نلاحظ، منذ نهاية القرن السابع عشر، وخاصة في الفترة القرمانلية، تأثيرات الفن والعمارة الأوروبيّة، وخاصة المواضيع الزخرفية الأوروبية، في الفن والعمارة الإسلامية في ليبيا، ومن الأمثلة على ذلك، ما نشاهده في جامع القرمانلي على المداخل والعقود التي تسند سلّم المنبر وعقد المنبر نفسه، من زخرفة على شكل ورقة الأكانتس، مع العنصر الزخرفي المتمثل في الصدفة الموضوعة تحت عنصر الهلال الزخرفي وأكبر العقود والفتحات التي تسند سلّم المنبر لها عقد مستقيم يعلوه عنصر زخرفي متوّج على هيئة ورقة الأكانتس، وكل جانب من المنبر له حليّات زخرفية معمارية بارزة، وزخارف رخامية

(1) سليمان مصطفى زبيس «المحاريب في العمارة الدينية بالمغرب الإسلامي»، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، (عقد في تونس في الفترة ما بين 18 ـ 29 من مايو (الماء) 1963، القاهرة 1965) ص553 ـ 562، 36 شكل توضيحي، أنظر شكل: 14، 26، 30، و33.

مطعّمة، ذات طابع وذوق ونكهة أوروبية، عبارة عن توريق، وأوراق شوكة اليهود (الأكانتس) على خلفية من الرخام الأبيض.

تعلو قبّة صغيرة مقعد المنبر، لها أربعة أوراق منثنية تتجه أسفل وتسير مع حافة فتحات العقود الأربعة الحاملة لهذه القبّة، وتنتهي عند تيجان الأعمدة الأربعة الصغيرة التي تحمل العقود والقبّة، إثنان من الأعمدة الأربعة، الحاملة لعقد حنية المحراب، لها حليّات زخرفية بارزة من الرخام الأسود، موضوعة في القنوات الراسية لهذين العمودين.

وتزخرف الأعمدة الحاملة لقباب بيت الصلاة، وهي من الرخام الأبيض ومن قطعة واحدة، من النوع التوسكاني المستحدث(1)، حليّات زخرفية بارزة وغائرة في قواعدها، وتزخرف تيجانها كذلك حليّة زخرفية واحدة، وتكسو جدران بيت الصلاة في جامع القرمانلي بلاطات خزفيّة، بعضها ذات طابع واصل وذوق ونكهة أوروبيّة.

يكتنف اللوحة التذكارية، على المدخل الرئيسي للجامع، المطل على شارع سوق المشير، عنصران زخرفيان على هيئة الورقة اللولبيّة المنثنية(2)،

---

(1) Anthony Blunt, Sicilian Baroque, (New York, the Macmilan company, 1968).

يبدو أن العمارة الصقلية في عصر الباروك كانت مصدر التأثير على ما نلاحظه من تأثير عمارة عصر الباروك على معمار جامعي القرمانلي وقرجي، خاصة ما يتعلق بالأعمدة الرخامية، والمداخل، والتطعيم على الرخام. أسلوب التطعيم المتبع في منبر جامعي القرمانلي والقرجي يذكرنا بأمثلة مشابهة في بعض الأبنية الصقلية. أنظر شكل: 20، 21، 22، و100 من هذا المرجع.

وهناك مذبح مطعم بكنيسة سانت جوزيبي دي تياتيني، القرن السابع عشر، في باليرمو، وقواعد أعمدة مطعمة بالرخام الملوّن ومذبح من كنيسة سانت نيقولا، النصف الثاني من القرن السابع عشر بمدينة ميسانا، ومنبر مطعّم من كنيسة سانت كاترينا بمدينة باليرمو (1716 ـ 1726) أنظر شكل: 106 و107.

Anthony Blunt, Neo Politan Baroque and Rococo architecture (London, A. Zwemmerltd. 1975).

وتأثير الرخام المطعّم وفن معمار عصر الباروك والركوكو ربما جاء من جنوب إيطاليا. أمثلة من ذلك في كنيسة سيرتوزا دي سانت مارينو، وكنيسة نابولي شكل: 87 ـ 89، 100 في سانت دومينكو، ومذبح مرتفع بنابولي شكل: 106 و107، الرخام المطعّم هو ملمح شائع في هذه الأقاليم ـ استعمل أورجيما تعبير دوري حديث ص496.

(2) المرجع نفسه، ص506، شكل: على ص512.

والأسقف الخشبية للأروقة، التي تحيط بيت الصلاة، وكذلك أسقف الشرفات على مستوى الدور الأول، زخرفت بزخارف نباتيّة ملوّنة وعنصر المزهرية التي تحوي جامات زخرفيّة (ميداليات)، إحداها تشغلها زخرفة عنصر البيضة واللسان والرمح (انظر مزيداً من المناقشة الخاصة بالزخارف الخشبية بعد قليل).

ومثل هذا البرنامج الزخرفي في جامع القرمانلي، والمستقى في كثير من جوانبه من الفن الأوروبي (طراز الباروك والركوكو وتأثيراته) سنجده أيضاً في زخارف جامع مصطفى قرجي الذي شيّد سنة 1834، وهو عبارة عن صورة مصغرة من جامع الباشا من حيث التصميم والمشتملات، ولكنه أغنى منه زخرفة، والتي تعتبر الصيحة النهائية في معمار المسجد الليبي، والتي لم تتكرّر ثانية في أي برنامج زخرفي وضع لأي مسجد ليبي لاحق.

جامع قرجي:

والزخرفة الرخامية والحجرية في هذا الجامع تمثل عودة لتقليد معماري وزخرفي انتشر في القرن السابع عشر، ونشاهد هذه الزخرفة الرخاميّة المنحوتة على المدخلين الرئيسين المطلين على شارع الأكواش والزنقة الضيّقة، وعلى مدخل الضريح كلها عقود من نوع حذوة الفرس (شكل: 9 و60).

وهنا نشاهد لأول مرة، أن عقود المداخل الثلاثة تتكوّن فقط من ثلاث قطع، هما كوشتا العقد، ومفتاح العقد يمثل القطعة الثالثة، كل كوشة عقد بها عنصر الوريدة المنحوت نحتاً بارزاً، ومفتاح العقد له كذلك وريدة مشابهة ولكنها أصغر حجماً، وعنصر الهلال الزخرفي المنحوت محمول على عنصر زخرفي بارز على هيئة السحب[1]، ونفس تصميم هذه الوريدات نجده في قاعدة

(1) Dalu Jones, Islamic architectural decoration, A Lecture delivered in the world of Islam Festival, 1976.

في هذه المحاضرة أشارت دالو إلى أنه توجد تسجيلات تبيّن كم كان يكلف الرخام الملوّن والمطعّم، وكيف يستورد الرخام لاستخدامه في بناء جامع صاحب الطابع (1782 ـ 1814) في تونس، وأضافت أنه بالتأكيد توجد مثل هذه التسجيلات في طرابلس.

كل صدغ من صدغي عقد المدخل، وبالإضافة إلى ذلك يحيط بكل مدخل حليتان زخرفيتان متوازيتان بارزتان، وتكسو المساحة المحصورة بينهما بلاطات من القاشاني الملون وتحدد هذه المداخل الثلاث أطر من بلاطات القاشاني الملوّن (شكل: 42 و67).

ونشاهد في جامع مصطفى قرجي أشكالاً ومواد زخرفية جديدة، زخرفت المداخل الرخامية الثلاثة وكذلك تربيعات الشبابيك لبيت الصلاة بأشكال نباتية وأزهار منفذة بالرخام المطعم[1]، وتتكوّن الزخرفة من عنصر المزهرية، التي يخرج منها توريق ملتو، به أزهار وأوراق منفذة بطريقة التطعيم بالرخام الملوّن، انعكس هذا الترتيب أيضاً على عقد المحراب، أما أطر النوافذ من الرخام المطعم بعدة ألوان فهي عبارة عن إكليل الغار، الذي يتكوّن من ثلاثة أشرطة زخرفية ملتوية، ومصحوبة بأزهار وأوراق باللون الأسود والأحمر والبني.

ويعتبر منبر جامع قرجي إسوة بمنبر جامع القرمانلي، تحفة فنيّة رائعة من الزخارف الرخاميّة المطعمة، وقسمت مجنبتا المنبر إلى قطاعات، تفصلها حليّات زخرفية رخامية بارزة، تشغل هذه القطاعات زخارف نباتية وتوريقات ملتوية، وأزهار منفذة بالرخام المطعم، وتحمل في بعض تفاصيلها الزخرفية التأثيرات الأوروبيّة، ونشاهد كذلك أشكالاً غريبة عن الفن والعمارة الإسلامية في ليبيا، المتمثلة في الأعمدة، التي تحمل عقد المحراب، ذات القنوات الرأسية، والقبة التي تعلو مقعد المنبر وعقد المنبر بهذا الجامع.

الأعمدة الرخامية في بيت الصلاة، وفي صحن المدرسة الملحقة بالجامع، وتلك التي تحمل الشرفات المعلّقة، التي تحيط ببيت الصلاة جميعها من الطراز التوسكاني المستحدث[2]، تزخرفها حليّات غائرة وبارزة، من نوع

(1) هناك زخارف رخامية في العديد من الأبنية التونسية دينية ومدينة، مثل دار حسين وجامع صاحب الطابع وتربة البايات.

(2) Salvatore Aurigemma, La Moschea di Gurgi in Tripoli, p.262.

الموجة العدلة والموجة المرتدة، وتزخرف الجزء الأعلى، من بدن كل عمود قرب وسادة التاج، أربع وريدات بارزة منحوتة نحتاً خفيفاً، وتحت وسادة كل تاج عمود عنصر زخرفي، يعرف باسم البيضة واللسان والرمح، وهو بدون مثل سابق، له في معمار المسجد الليّبي[1] (شكل: 9)، وهذا يؤكد حضور التأثيرات الفنيّة والمعمار الأوروبي على الفن والعمارة الإسلامية في ليبيا، كما زخرفت كل وسادة في تاج العمود في جوانبها الأربعة، بعنصر الهلال الزخرفي المنحوت ببروز نحتاً خفيفاً.

وبعض البلاطات الزخرفية، التي تكسو جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج، وكذلك الضريح الملحق، هي صناعة أوروبيّة.

وزخرفت دكة المبلغ في هذا الجامع بزخارف متنوعة، وخاصة قاعدتها المثمنة الشكل، والمتدرجة في العمق والتي تبدو كأنها قبّة لها حلقتان زخرفيتان صمّمتا على هيئة أسنان المنشار (شكل: 65)، وهي أيضاً من تأثيرات الفن والزخرفة الأوروبية، هذا الغنى الزخرفي، الذي نفذ بكل أنواع المواد الزخرفية، يعكس الذوق الأوروبي السائد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وهذه العناصر المعمارية والزخرفية المستوردة، تمثل فقط جزءاً من البرنامج الزخرفي، الذي وضع لجامع مصطفى قرجي وجامع القرمانلي إضافة إلى هذه العناصر، هناك زخارف أخرى متنوعة ومنفذة في الجص، والكتابات والبلاطات واللوحات الخزفية والخشبية المنحوتة والمطلية والمحفورة والملونة بألوان مختلفة زاهية في دكة المبلغ والأسقف الخشبية، ونشاهد مثل هذه الزخارف في بعض البيوت والقصور، بالمدينة القديمة بطرابلس، التي شيّدت في كل من ليبيا وتونس في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر.

---

(1) المرجع السابق، شكل: 10.

الزخارف الخشبية:

ظهرت الزخرفة الخشبية المحفورة والمدهونة والمنقوشة في معمار المسجد الليبي، وكذلك المعمار المدني، بشكل أكثر انتشاراً في نهاية القرن السابع عشر[1]، زخرفت أطر الأبواب الخشبية بزخارف محفورة، وخاصة أبواب جامع محمد شائب العين، وبالذات باب المدخل المطل على شارع سوق الترك، وذلك الباب المحفوظ حالياً في المتحف الإسلامي بطرابلس، والذي كان أحد أبواب جامع شائب العين، والبابان متشابهان إلى درجة كبيرة، وقمّة الإبداع الزخرفي بكل معنى الكلمة.

يتكوّن الباب الذي ما زال في مكانه في الجامع، من ضلفتين، قسّمت كل واحدة منهما إلى ثلاثة قطاعات، أسفلها مربع تتوسطه زهرة عباد الشمس على خلفية مورقة، الأوسط تزخرفه ثلاث أشجار سرو رشيقة، على خلفية ذات توريق ملتوٍ مع أزهار، وصمّم القطاع الثالث (الأعلى) على هيئة أشبه بربع دائرة ليتوافق مع فتحة العقد، يتوسطه عنصر الهلال على خلفية ذات وردات صغيرة متعدّدة، كل منها لها خمس بتلات.

الأطر المتدرجة في البروز عن سطح الباب، التي تحدد هذه القطاعات الستة، زخرفت بوريدات صغيرة، والزخرفة في أجزاء الباب هي زخرفة بارزة بروزاً خفيفاً، كما هو الحال في صدغي المدخل الرخامي نفسه[2].

أما الباب الخشبي، المحفوظ في المتحف الإسلامي (حالياً في متاحف القلعة) بطرابلس، له تصميم مماثل للباب السابق[3]، ينحصر الفرق بين الاثنين في أن القطاع الأوسط، في كل ضلفة تشغله شجرة سرو واحدة، محاطة بتوريقين ملتفين بأوراق وزهور، وتباين آخر بين البابين، هو أن زخارف الباب المعروض في المتحف له زخارف منفذة بالنحت الأكثر بروزاً من زخارف الباب

---

(1) جامع محمود خازندار بطرابلس شيّد سنة 1680 به دكة خشبية بها زخارف مرسومة.

(2) علي مصطفى رمضان، المرجع السابق، ص21 و22.

(3) Antony Hutt and George Michell, p.15.

الثابت في مكانه، أما بقيّة أبواب جامع شائب العين الباقية، فهي خالية من الزخرفة عدا الأطر التي تحيط بالقطاعات المكونة للباب، الذي يوجد في المدخل المؤدي إلى الشرفات المعلقة على مستوى الدور الأول، فهي ذات زخارف بسيطة، والقطاعان العلويان بهما زخرفة بسيطة عبارة عن مربعين متداخلين مع بعضهما.

دكة المبلغ في هذا الجامع بها زخارف في غاية الأهمية، السطح الأسفل منها (المقابل لأرضية بيت الصلاة) به زخرفة مرسومة بألوان زاهية مختلفة (شكل: 61)، وطراز هذه الرسوم يبيّن تأثير فن التصوير المعروف في نهاية عصر الباروك وبداية عصر الركوكو.

الزخرفة النباتية، التي تتوسط التصميم، محاطة بإطار ملتو، عبارة عن تكرار لورقة شوكة اليهود المطولة والمبسطة، ويعكس هذا النوع من الأطر الزخرفية طراز الباروك المتأخر، المختلط ببداية طراز الركوكو، لأن كل التصميم رسم بشكل تماثلي، وهذا من خصائص فن وطراز الباروك.

ونشاهد نفس الأسلوب الصناعي، الذي نفذت به أبواب جامع شائب العين، يتكرّر بعد مرور نحو أربعين سنة في الأبواب الخشبية الخمسة لمداخل بيت الصلاة في جامع أحمد القرمانلي.

هناك ثلاثة أبواب خشبية، ذات زخارف بارزة منحوتة، تقع على الجانب الشمالي الغربي من بيت الصلاة، الأوسط من هذه الأبواب يتكوّن من ضلفتين متماثلتين تماماً، كل منهما مقسّمة إلى ثلاثة قطاعات، الأسفل والعلوي يشغلهما عنصر المزهرية الزخرفي، ذات التوريق الملتوي الذي يملأ تماماً خلفيّة القطاع، أما القطاع الأوسط فيشغله موضوع زخرفي عبارة عن مبنى مسقوف بقبة[1]، (شكل: 58)، يعلوها هلال، وأربع أشجار سرو في الزوايا

---

(1) Aurigemma, La Moschea di Ahmad Qaramanli, pp.502, 504.
ويشير إلى أن المبنى ربما يكون مسجداً.

الأربعة، يملأ كوشتي العقد توريق، والأطر التي تحدد هذه القطاعات مزخرفة بتوريق ملتو مع أزهار وأوراق.

يكتنف المدخل الرئيسي لبيت الصلاة، الواقع على محور المحراب، مدخلان متماثلان، لهما بابان خشبيان زخرفا بمعينات بارزة، بها توريق وزهور وعنصر المزهرية الزخرفي، والأطر التي تحيط بهذه القطاعات تزخرفها زخارف نباتية.

والمدخل الواقع على الجانب الجنوبي الغربي، والآخر على الجانب الشمالي الشرقي من بيت الصلاة، لهما بابان خشبيان متماثلان في الزخرفة، كل ضلفة قسّمت إلى ثلاثة قطاعات، الأسفل تشغله جامة بيضيّة الشكل، تملأها زخارف نباتية، والقطاعين الأوسط والأعلى تشغلها مزهريات بتوريق[1].

والباب الخشبي للمدخل الكبير الرئيسي المطل على سوق المشير زخارفه مقتصرة على عناصر زخرفية هندسية.

توضح زخرفة هذه الابواب الاتجاه الجديد نحو استخدام العناصر الزخرفيّة النباتية القريبة من الطبيعة، التي لم تستخدم في معمار المسجد الليبي قبل الفترة العثمانية.

السقف الخشبي للرواق الواقع، على الجانب الشمالي الغربي من بيت الصلاة لجامع القرمانلي، به زخارف مختلفة تتكوّن من عناصر نباتية، وأشرطة متداخلة تملأ طرفي هذا السقف الخشبي.

وزخارف السقف الخشبي للشرفة، التي تحيط ببيت الصلاة على مستوى الدور الأول، من الجانب الشمالي الغربي، متنوعة ومتميزة.

كل مربع يحتوي على أربع مزهريات، واحدة في كل ركن، يخرج منها

(1) نفس المرجع، شكل: على ص507.

عناصر زخرفية نباتية، ممزوجة بأزهار التوليب والقرنفل، تنتشر في اتجاه مركز المربع لتملأ كل الارضية[1].

والزخرفة الموجودة في مركز الجامة هي في وضع معكوس، وتوجد نجمة سداسيّة، محاطة بإطار زخرفي بارز في نفس السقف، وأطرافها الستة تشغلها أزهار كبيرة، في مركز النجمة السداسيّة زهرة كبيرة بارزة ومحاطة بشريط زخرفي معروف في الفن الكلاسيكي، عبارة عن عنصر البيضة واللسان والرمح.

دكة المبلغ بجامع أحمد القرمانلي، هي تحفة رائعة من الزخرفة المرسومة والمحزوز والمحفورة على الخشب، لا تفوقها زخرفة سوى دكة المبلغ في جامع قرجي، تقع داخل بيت الصلاة، بعد القسم الأعلى من القاعدة يبرز قليلاً عن الجزء الأسفل منه، أرضية الدكة محمولة على هذين المربعين (شكل: 64)، والجزء البارز من الدكة محمول على مساند (كوابيل) قطاعها على شكل نصف عقد مقرنص.

زخرفت جدران المنصة المربعة، من الداخل والخارج، ببواكي كاذبة، عقودها من نفس نوع العقود المقرنصة، كل بائكة من هذه البواكي الزخرفية محمولة على عمودين، إن وجود هذه العقود، كعنصر زخرفي يوضح تأثير الفن والعمارة الإسلامية بالمغرب الإسلامي والأندلسي على معمار المسجد الليبي في هذه الفترة، وخاصة ما نشاهده في الزخرفة الجصيّة في تونس، هذا الأسلوب الزخرفي، في كل من جامع القرمانلي وجامع قرجي، هو نفس الأسلوب المتبع في زخرفة كثير من الأبنية الدينية والمدنية التونسية، التي شيّدت في الفترة ما بين القرن السادس عشر والتاسع عشر[2].

سطح الدكة بجامع القرمانلي الذي يقابل أرضية المسجد، سطح متدرج

---

(1) المرجع نفسه، ص510.

(2) Jacques Revault, XVI et XVII, FIGS. 144 the upperone Jaques Revautl, XVIII et XIX, FIG. 5, 29, 57, 83, 84, 89, 92, 93, 95, 105, 107, 122, 128.

به زخارف هندسية مرسومة باللون البني، وهذه الزخرفة ملمح زخرفي شائع على الخشب والجص في أبنية أخرى كثيرة، التي شيّدت في نفس الفترة المذكورة أعلاه[1].

وأخيراً فإن بعض العوارض والحوامل الخشبية، في سقف الأروقة والشرفات، التي تحيط ببيت الصلاة، زخرفت كذلك بزخارف نباتية.

دكة المبلغ في جامع قرجي تشبه كثيراً دكة المبلغ بجامع الباشا، من حيث التصميم والحجم والزخرفة المتمثلة في البواكي الزخرفية، ولكنها في الجامع الأول بها مزهريات، ذات أوراق وزهور، بواقع واحدة في وسط كل عقد من عقود البائكة[2] (شكل: 65).

وهناك اختلاف آخر، بين الدكتين، هو أن سطح دكة المبلغ في جامع قرجي أكثر غنى زخرفياً، وأكثر تدرجاً حتى ليبدو كأنه قبّة، وله نتوءات وتنوعات زخرفية، منها حلقات مثمّنة الشكل من السقف المتدرج السطح، مكوّنة لنجمة ذات ثمانية أطراف، بعض العناصر الزخرفية بهذه الدكة متمثّلة في استخدام عنصر أسنان المنشار الزخرفي، مما يوضح تأثير الفن الأوروبي الحديث، وزخرفت الأركان الأربعة من قاعدة الدكة بعنصر المزهرية الزخرفي.

توجد دكتان خشبيتان شبيهتان بالدكتين المذكورتين أعلاه، في كل من جامعي الخروبة والدروج (راجع الفصل السادس)، وهاتان الدكتان (شكل: 62 و63) توضحان نشأة وتطور الزخرفة الخشبية في القرن الثامن عشر.

أشرنا في الفصلين الثاني والسادس من هذا الكتاب، أن القسم القديم، في جامع الدروج، هو بناء يرجع إلى الفترة السابقة للعهد العثماني (قبل 1521)، ولكن مكونات معمارية أخرى قد أضيفت في القرنين السابع عشر

---

(1) Aurigemma, La Moshea di Ahmad Qaramanli, p.509.

(2) Aurigemma, La Moschea di Gurgi, pp.276, 277, FIGS. 18, 19.

والثامن عشر. تاريخ إنشاء جامع الخروبة غير واضح التاريخ، ولكن بعد التحليل والمقارنات المعمارية والفنيّة، والاعتماد على بعض المصادر التاريخية، وربطها ببعض الشخصيات السياسية والقيادية أرجعنا تاريخه إلى ما قبل العصر العثماني، بالنسبة إلى الجزء القديم، وإلى القرن الثامن عشر بالنسبة إلى القسم المسقوف بتسع قباب. ودكتا المبلغ، بجامعي الخروبة والدروج، متشابهتان لدرجة كبيرة، من حيث الشكل والزخرفة. سطح الدكة، المقابل لأرضية المسجد، متدرج في الارتفاع، وهذا يذكرنا بتصميم الأسقف الخشبية، فالجزء الأوسط من الدكة هو ثماني الأضلاع، الناتج عن تدرج السطح يترك في الزوايا الأربعة شكلاً مثلث الأضلاع (شكل: 62 و63).

القسم الأوسط المثمن في دكة المبلغ في جامع الدروج له قسمان رئيسيان في الوسط أربع مزهريات تربط بينها التوريقات، القسم الذي يليه له أرضية حمراء، عليها رسمت مزهريتان، يخرج منهما توريق من ورق العنب.

وهناك مزهريات أخرى، وتوريقات عنب توجد في الزوايا (شكل: 62).

أما القسم الأوسط في دكة جامع الخروبة لا يوجد به عنصر المزهرية، ولكن شغل بتوريقات ملتوية تملأ كل المساحة، والتي تحيط بالدوائر المتعدّدة حول الجامة الوسطى، ورسمت بالجزء البارز من الدكة مزهرية كبيرة، لها أغصان ملتوية وأوراق (شكل: 63)، ورسم المزهريات والزهور والورود يمثل تأثير الذوق الفرنسي أو الإيطالي في هذه الفترة.

استخدام البلاطات واللوحات الخزفية في الزخرفة:

بدأ استخدام البلاطات واللوحات الخزفية، في زخرفة المعمار الديني والمدني في ليبيا، في الفترة العثمانية. غير أن هذا لا يعني عدم وجود بعض الأمثلة القليلة من البلاطات الخزفية التي استخدمت هنا وهناك في زخرفة مبنى السراي الحمراء بطرابلس، ويمكن إرجاع هذه البلاطات إلى الفترة السابقة

للفترة العثمانية، وبعض هذه الأمثلة هي بلاطات من نوع ذات زخارف بارزة وغائرة في آن واحد، أو بلاطات خزفية مطلية (مزججة) مع وجود احتمال أن بعضها ربما يكون تقليداً حديثاً لتلك الأنواع. أما اللوحات الخزفية المعروفة في الأبنية الليبية فيمكن تصنيفها على النحو التالي:

1 - لوحات خزفيّة يتكوّن تصميمها الأساسي من عنصر المزهرية، التي يخرج منها توريق ملتو على هيئة دوائر، يحمل أزهاراً وعناصر نباتية أخرى تملأ خلفية اللوحة بالكامل، إما أن تكون على هيئة عقد حذوة الفرس[1]، أو شكلاًمستطيلاً أو مربعاً[2].

2 - ونوع آخر من اللوحات الخزفية به كتابة نسخية تملأ خلفية عقد من نوع حذوة الفرس، قسمه الأعلى به رسم بناء بقبة[3].

3 - وفي حالة ثالثة اللوحة الخزفية لها تصميم على هيئة عقد حذوة الفرس، قسمه الأعلى يشغله مبنى، وقسمه الأسفل به رسم عقد توأمين مفصصين يملأهما توريق وأزهار[4].

4 - وفي بعض الأمثلة تتوسطه مزهرية[5] يخرج منها توريق وطائران متقابلان[6].

5 - وهناك لوحة خزفية ذات تصميم فريد، عبارة عن دوائر متداخلة، ذات فصوص متعدّدة، في داخلها مربّعان متداخلان في وسطهما رسم وريدة[7].

---

(1) Romanelli, FIG. 16 on p.206, Hutt. and Michell, p.27, Ramadan, pp. 94, 95.

(2) توجد أمثلة في جامع القرمانلي.

(3) Romanelli, p.207, FIG. 17.

(4) توجد أمثلة أخرى في جامع قرجي.

(5) Esin Atil, Ceramics from the World of Islam, (Washington: freer gallery of art, 1973), pp. 88, 191.

(6) Hutt and Michell, FIG. on p.13.

(7) علي مصطفى رمضان، مرجع سابق، ص74 لوحة على ص 75.

6 - وأخيراً هناك لوحة بها تصميم جميل، يتكوّن من عقدين توأمين، نوع حذوة الفرس، بها مزهرية وتوريق[1].

إن دراسة كل أنواع البلاطات واللوحات الخزفية، التي تغطي جدران جامعي القرمانلي وقرجي، هو موضوع خارج عن نطاق هذه الدراسة، التي تعتبر دراسة محدودة عن الموضوع ضمن حدود الكتاب. وعليه سيكون التركيز على دراسة بعض الأمثلة القليلة، وبالذات معرفة مصدر ومكان صناعتها. وفي غياب الوثائق، أو عدم تمكننا من العثور عليها ومعرفتها، التي تتعلق باستيراد البلاطات واللوحات الخزفية من الخارج، فإنه من الضروري الاعتماد على تحليل العناصر الزخرفية للبلاطات واللوحات الخزفية لتحديد مكان وأصل صناعتها.

أول جامع يشيّد في ليبيا، وفق برنامج زخرفي كامل، هو جامع أحمد القرمانلي، كسيت جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج بأصناف وأعداد كبيرة من البلاطات واللوحات الخزفية، وكسيت الأجزاء العليا من الجدران بزخارف جصيّة. ونظراً لتعدّد العناصر الزخرفية في هذا المبنى فإنه بحق يعدّ متحفاً لبلاطات القاشاني، التي ترجع إلى القرن الثامن عشر. مصادر هذه الأنواع المختلفة من البلاطات متعدّدة، منها مصانع الخزف التركية في كوتاهيه تيكفورسراي[2]، وعدة مراكز لصناعة الخزف الأوروبية، منها إسبانيا[3]، البرتغال، إيطاليا[4]، وهولندة[5]، وتونس.

وعلى الرغم من تعدّد أصناف وأشكال وتصاميم هذه البلاطات الخزفية، فإنها جمعت ورتبت بطريقة جذابة[6]، ويشاهد مثل هذا التنظيم في كثير من

---

(1) المرجع السابق، ص94، شكل: على ص95.

(2) John Cars Well, Kutahya Tiles, p.11, Arthur Lane, Later Islamic pottery, p.56.

(3) Anne Berendsen and others, tiles, pp.69, 70.

(4) نفس المرجع، ص128 و126.

(5) المرجع نفسه.

(6) محمد سالم الورفلي، ص12.

الأبنية التونسية، التي شيّدت في هذه الفترة[1] (شكل: 66). ومن بين اللوحات الخزفية، التي شكلت وجمعت وأحيطت بأطر ضيقة عبارة عن قطع خزفية سوداء اللون، كما توجد عدة أمثلة، من اللوحات الخزفية، بها مزهرية بتوريق ملتوٍ يملأ خلفية اللوحة تكسو سطح الجدار الخارجي والداخلي لبيت الصلاة (شكل: 67).

وهناك لوحتان خزفيتان، في الجدار الجوبي الغربي لبيت الصلاة، في جامع القرمانلي من الخارج، تحوي كل لوحة مزهرية رشيقة التصميم، بتوريق ملتوٍ وأزهار داخل إطار مستطيل عبارة عن شريط ضيّق من البلاطات الخزفية بلون أسود.

واستخدام عنصر المزهرية في الزخرفة كان وما زال موضوعاً منتشراً في فنون حوض البحر المتوسط، ونفذ هذا الموضوع الزخرفي على كثير من المواد المستخدمة في الزخرفة، مثل الحجر الجير[2]، والرخام[3]، والجبس والملاط[4]، والخشب[5]، وبالتصوير[6]. ومّما تجدر ملاحظته، أن عنصر المزهرية الزخرفي هو موضوع مستقى من الفن الروماني والبيزنطي. ومنذ القرن السادس عشر وما بعده، ثم إعادة ترجمة هذا الموضوع الزخرفي كجزء من إعادة اكتشاف الماضي الكلاسيكي[7]، في عصر النهضة، وظهر صداه في عمارة وفن الفترة المبكرة والمتأخرة من عصر النهضة في إيطاليا[8]،

---

(1) Aurigemma, la Moschea di Ahmad Qaramanli, p.510.

(2) Creswell, E.M.A., I. PT. II, 1969, PLS. 121,123,126 - 138, and 134.

(3) Revault, (II, 1971) FIGS., 1, 2, 11.

(4) المرجع السابق، شكل: 47 و82.

(5) Aurigemma, Ibid, FIG. on p.510.

(6) Richard Ettinghausen, Arab painting, (Cleveland the World publishing company, 1962) p.159.

(7) Metro Politan Museum, bulletin 1972, 1973, Object in V. 16. 32. 323.

(8) Alexander Speltz, the Styles of ornament, (New York, Dover publications, 1959) PL. 240 no 1, pp. 353, 354.

وإسبانيا[1]، وهولندا[2]، وفرنسا[3]، وألمانيا[4]، وإنجلترا[5]. واستمر هذا الموضوع الزخرفي في الفن والعمارة في عصر الباروك والركوكو.

ويمكن تتبع انعكاسات الفن والعمارة الأوروبية، وخاصة الفرنسية والإيطالية في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، في الفن والعمارة التركية، التي شيّدت في نفس الفترة، وظهر صداها في المقاطعات العثمانية.

وعلينا الآن أن نركز على تحليل العناصر الزخرفية المكونة لموضوع اللوحة الخزفية، ذات المزهرية بجامع القرمانلي، المزهرية بها توريقان ملتويان، وأزهار وأوراق، نفذت بأسلوب الزخرفة التركية العثمانية، على اعتبار أن التصميم العام به أشكال زخرفية مماثلة يمكن رؤيتها في كل الفنون الزخرفية التركية. أهم العناصر الزخرفية هي الأزهار والأوراق المشكلة على هيئة خنجر[6]، وزهرة اللالا[7]، وزهرة القرنفل[8]، وزهرة الزنبقة[9].

اللون الغالب على اللوحة هو اللون الترقوازي الأزرق، الذي استخدم في بدن المزهرية، والأزهار الدائرية الشكل، والتوريق ذي الساق المزدوج، والورقة التي تشبه الخنجر وعناصر نباتية أخرى تملأ خلفية اللوحة (شكل:

---

(1) المرجع السابق، لوحات 229 ـ 233.

(2) نفس المرجع، لوحة 252 رقم 1 لوحة 255 رقم 2.

(3) نفس المرجع، لوحة 216 رقم 3.

(4) نفس المرجع، ص393 و394 ولوحة 238 رقم 3.

(5) نفس المرجع، لوحة 265 رقم 5.

(6) Joseph Sautill, «La Decoration aux quatre de ceramiques Turque», (Faenza, 1953) pp.12 - 15, SEE PL. 4.

(7) المرجع السابق، لوحة 5.

Feyzullah Dayigil, «Istanbul cini Lerinde Lale», Vakfilar Dergisi (Ankara, 1938) part one pp.83 - 90 with 10 plates, and. p. II (Ankara, 1942) pp.223 - 232, 13 PLS containing 179 kinds of Tulip.

(8) Saustiel, PL. 6.

(9) المرجع السابق، لوحة 7.

67)، كما نشاهد لمسات من اللون الأصفر الداكن والهافت في مواقع مختلفة من اللوحة، وكذلك لمسات من اللون الأخضر. ولا توجد أي لمسات زخرفية باللون الأحمر الطماطمي، الذي امتازت به اللوحات والبلاطات الخزفية، التي صنعت في تركيا في القرن السادس عشر والسابع عشر.

عليه نخلص إلى أن الألوان السائدة على هذه اللوحة الخزفيّة، وغيرها من اللوحات بجامع أحمد القرمانلي (1738)، هي نفس الألوان والخصائص التي ميزت أغلب إنتاج مصانع تيكفورسراي وكوتاهيه في تركيا، في النصف الأول من القرن الثامن عشر.

وعلى الرغم من الطعم والذوق التركي المميز لهذه اللوحات إلا أن مكان صنعها غير محدد، ومن المحتمل أنها صناعة أوروبية[1]، نفذت تحت تأثير الفن التركي، على أنه من المحتمل أيضاً أن هذه اللوحات الخزفية أنتجت في تونس مستخدمين تصاميم أوروبيّة وتركية[2].

والبيت المسمى ببيت الربي نسيم (الواقع بشارع جامع بن سليمان) بطرابلس كسيت جدرانه بأنواع كثيرة من بلاطات القاشاني، بعضها ربما تكون صناعة أوروبية، والأخرى من صناعة شمال أفريقيا وتحديداً تونسية فيا يتعلق باللوحات التي بها رسم عقد من نوع حذوة الفرس[3]. ويحتفظ المتحف الإسلامي بطرابلس بلوحة من نفس النوع، بها موضوع المزهرية داخل عقد من نوع حذوة الفرس، على غرار اللوحات التي تكسي جدران بيت الربي نسيم. وقد نقلت هذه اللوحة من أحد البيوت القديمة بطرابلس[4].

---

(1) Romanelli, p. 207.

(2) Berendsen, p.42, Arthur Lane, A Guide to the collection of tiles, (London, Victoria and Albert museum 1939) p.20.

(3) Romanelli, FIG. 17.

(4) ربما أخذت هذه اللوحة من أحد المنازل القديمة بطرابلس، قد يكون ذلك البيت المسمّى ببيت الربي نسيم.

وتوجد في فندق الغدامسي (كان أصلاً مقراً للقنصلية الأمريكيّة بطرابلس) لوحة خزفية بها عقدان توأمان[1].

كثير من الأبنية التونسية الدينية والمدنية زخرفت بلوحات خزفية من نفس النوع أو شبيهة[2]. ومواقع أفران ومصانع الخزف، التي كانت تنتج هذه اللوحات الخزفية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، غير معروفة بالتحديد، على أن عدة أفران ومصانع مشهورة حالياً في صناعة الخزف، مثل مدينة نابل بجمهورية تونس منها مصنع الخراز، والمجدوب، والقديدي، وغيرها[3]، وهذه الأفران مشهورة ونشطة في إنتاج الخزف واللوحات الخزفية التي لها عنصر المزهرية، والذي صمّم وعولج بنفس الأسلوب الموجود على اللوحات الخزفيّة التي ذكرناها. وهذا يشير إلى استمرارية هذه الصناعة التقليديّة المزدهرة.

---

(1) علي مصطفى رمضان، لوحة على ص95. لوحة خزفية مماثلة لها عقدان توأمان توجد في متحف باردو بتونس.

(2) بعض أسماء الخزافين المشهورين، أو أصحاب مصانع الخزف الذين تظهر أسماؤهم على بعض اللوحات الخزفية هم:

أ ـ الخميري: يظهر هذا الاسم على لوحة خزفية مؤرخة في 1220هـ (1805 ـ 1807ف) في ضريح سيدي محرز بتونس، توجد اللوحة حالياً في الحجرة المستخدمة حالياً مكتباً أثناء زياراتي الميدانية سنة 1977.

ب ـ أسطى يوسف الخميري: يظهر هذا الاسم على لوحة خزفية مؤرخة في 1228هـ ـ 1813ف في بيت محسن بطرابلس.

ج ـ بوشنتوف: يظهر هذا الاسم على لوحة خزفية في جامع سيدي الصاحب بالقيروان مؤرخة في 1218هـ ـ 1804ف.

د ـ الحاج صالح الجزار (غير مؤكد) يظهر هذا الاسم على لوحة خزفية غير مؤرخة في قصر باردو بتونس.

هـ ـ محمد أحمد النعيمي (غير مؤكد) يظهر هذا الإسم على لوحة خزفية غير مؤرخة في متحف باردو بقسم الخزف بتونس.

و ـ الحاج مسعود السبع: يظهر هذا الاسم على لوحة خزفية غير مؤرخة في دار الستاري بتونس، كما يظهر الاسم على لوحة خزفية في ضريح سيدي علي عزوز بتونس، ولوحة ثالثة في جامع عبد الباقي الشربجي شيّد في سنة 1758 في الإسكندرية.

(3) مثل الخزاف فرج العبدي بنابل.

وتوجد لوحات، مماثلة لتلك اللوحات الخزفية في طرابلس، في مدينة تونس والقيروان والجزائر والإسكندرية والقاهرة، والتي ترجع إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، نشاهد في تونس أمثلة في دار عثمان[1]، وضريح سيدي محرز[2]، وضريح علي عزوز[3]، كما توجد أمثلة في دار بن عبد الله[4]، ودار المرابط[5]، ودار حسين[6]، وتربة البايات[7]، ودار البي[8].

وهناك أمثلة أخرى معروضة في القسم الجديد الخاص بالخزف في متحف باردو[9].

وأمثلة أخرى ما زالت في مواقعها تكسو جدران الأواوين الأربعة في مبنى المتحف التي تقع في الدور الأول من قصر باردو، الذي يحوي متحف باردو. كما توجد أمثلة أخرى في مدينة القيروان. وتوجد عدة أمثلة من هذه اللوحات الخزفية في مسجد وضريح سيدي الصاحب أبو دمعة البلوي[10]، وقصر البي

---

(1) بعض هذه المباني شيّدت في القرن السادس عشر، وبعضها قد حدثت فيها تجديدات وتغييرات وإصلاحات معمارية وكسيت ببلاطات ولوحات خزفية.

(2) في هذا الضريح توجد لوحتان بهما مبنى مقبى، واحدة في الممر والثانية في الحجرة المستخدمة حالياً مكتب إداري.

(3) توجد اللوحة في الإيوان المقابل لمدخل الضريح نفسه، وضريح سيدي علي عزوز شيّد في القرن الثامن عشر.

(4) شيّدت دار بن عبد الله في القرن الثامن عشر. هذا القصر حالياً (زيارة المؤلف في 1977) في حالة ترميم وإصلاحات وتعديلات لكي يصبح مقراً للمتحف الوطني التونسي للأزياء الوطنية.

(5) Revault, (I, 1967), FIG. 83.

(6) دار حسين شيّدت أصلاً في القرن الثاني عشر الإفرنجي، ولكنها جددت وزخرفت في القرن السابع عشر.

(7) تربة البايات هي المقبرة الخاصة بالأسرة الحسينيّة التي حكمت تونس من سنة 1705 إلى 1957.

(8) دار البي تستخدم حالياً لمكاتب الحكومة التونسية، شيّدت في البداية في الربع الأول من القرن السابع عشر. ومنذ ذلك الوقت توالت عليها إصلاحات وحدثت بها بعض التغييرات.

(9) قصر باردو (حالياً متحف باردو) كان أحد قصور الأمراء الحسينيّين، والقسم الذي يحوي المتحف الإسلامي أضيف في عهد حسين الثاني بن محمود.

(10) Maison Tunisienne de l'edition, Mosquees de Tunisie (Tunis 1973) SEE FIGS, on pp.115 - 118.

شيّد جامع سيدي الصاحب في سنة 1629، حدثت آخر الإصلاحات في القرن التاسع عشر.

أحمد (حالياً مبنى متحف باردو) في مدينة الجزائر به عدة أمثلة[1].

وتوجد عدة أمثلة في مواقعها في جامع الشربجي بالإسكندرية، الذي شيّد سنة 1758[2]. وهناك أربعة أمثلة أخرى من نفس النوع نقلت من البيت المسمّى ببيت نفيسة الجاسوسة إلى المتحف الإسلامي بالقاهرة[3].

وهناك كثير من الأبنية تكسو جدرانها أنواع من بلاطات الخزف واللوحات الخزفية بطرابلس، منها بيت عائلة القرمانلي، وعائلة قرجي، وعائلة محسن، وغيرها.

وتمثل اللوحة الخزفية في بيت محسن أهمية كبرى، ففي هذه اللوحة رسم مبنى وبضعة أسطر من الكتابة النسخية، وتاريخ صنعها وهو 1228هـ ـ 1813ف، وكذلك اسم الخزاف أو اسم صاحب مصنع الخزف، وهو أسطى يوسف الخميري[4]، اللوحة يشغلها رسم عقد من نوع حذوة الفرس، يشبه إلى درجة كبيرة نفس العقود في اللوحات التي ذكرناها سابقاً، ويشغل القسم الأعلى من اللوحة رسم قبّة تكتنفهامئذنتان ورايات.

وتشغل بقية العقد ست جامات مستطيلة الشكل. كل جامة بها سطر من الكتابة النسخية التي تقرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الدار أضاءت بهجة

وتجلت فرحاً للناظرين

كتب السعد على أبوابها

أدخلوها بسلام آمنين

---

(1) George Marcais, Algerie Medieval, pp. 125, 127.

(2) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ج1 (القاهرة 1946) ص327 و328 ـ الجزء الثاني، لوحة 156، شكل: 246.

(3) المرجع السابق.

(4) Romanelli, FIG. 17.

من عمل أسطى يوسف الخميري 1228[1].

يتضح من النص أن مثل هذه اللوحة توضع عادة على مدخل البيت في السقيفة (أو الدريبة كما تسمى في تونس) التي تؤدي إلى بهو البيت بحيث تكون في وضع مقابل لكل من يدخله. ومن المؤكد أن هذه اللوحة الموجودة في بيت محسن بطرابلس هي صناعة تونسية، لأن أمثلة أخرى صنو لها في كل شيء يمكن تحديد مواقعها في الأبنية التالية في تونس:

ضريح سيدي محرز به لوحة مشابهة بدون النص الكتابي، لها عقدان، توأمان يشغلان خلفية العقد من نوع حذوة الفرس، وتعطينا اسم الصانع أو صاحب المصنع وهو «الخميري»، وتاريخ الصنع 1220هـ (1805). وفي قسم الخزف بمتحف باردو هناك ثلاثة لوحات من نفس نوع لوحة بيت محسن بطرابلس، ولها نفس إسم الصانع «الخميري» وتحمل تاريخ 1216هـ (1801ف).

وفي متحف الفن الإفريقي بباريس هناك لوحة مشابهة، عليها تاريخ ناقص «122؟» والذي أرجعه المسؤولون بالمتحف إلى 1122هـ (1710)، والذي يجب أن يكون 1220هـ (1805) لأنها، موقعة من قبل الخزاف «الخميري»[2]، الذي كان يحترف صناعة الخزف في هذه الفترة، وإنتاجه منتشر في مواقع مختلفة، حسب اللوحات المؤرخة في بداية القرن التاسع عشر، وربما توجد أمثلة أخرى من نفس النوع ما زالت في مواقعها في بعض الأبنية بتونس.

---

(1) Dalu Jones, FIGS. 30 - 33 on p.11.

هذه اللوحات الثلاثة متماثلة تماماً مع اللوحة في بيت محسن بطرابلس (استلمت البروفيسورة برسيللا موشيك مقال دالو جونز في أبريل 1979، وسلمت إلى هذه المقالة للإطلاع عليها في يوم 10 أبريل 1979. في هذا الوقت أكملت وطبعت سبعة فصول من رسالتي. بالإضافة إلى ذلك كنت قد كتبت بحثاً عن نفس الموضوع في صيف 1977، وجزءاً من هذا البحث ضمنته في الفصل التاسع من أطروحة الدكتوراه عن تطور الزخرفة في معمار المسجد الليبي وفي بلدان شمال أفريقيا، مع العلم أن بحثي هذا لم ينشر في ذلك الوقت ولكنه نشر فيما بعد.

(2) أرجعت دالو جونز هذه اللوحة إلى سنة 1710، اعتماداً على المعلومات التي أعطاها متحف الفن الإفريقي في باريس. أنظر مقالها ص12، شكل: 34 وص28 شكل: 34.

كسيت جدران بيت الصلاة والضريح بجامع مصطفى قرجي بعدة أنواع من البلاطات واللوحات الخزفيّة، ورتبت بعناية كبيرة ومن بينها لوحات خزفية لها تصميم عقد من نوع حذوة الفرس، الذي تشغله عناصر زخرفية نباتية ومعمارية (شكل: 68)، وضعت على الجدران الخارجية من بيت الصلاة بين المداخل والنوافذ بالتبادل[1]، القسم الأعلى من العقد يشغله بناء تكتنفه من كل جانب مئذنتان متماثلتان، ومن المؤكد أن هذه اللوحات هي صناعة تونسية[2].

وتحديد هوية هذه اللوحات، من إنها صناعة تونسية، يدعمها وجود أعداد كبيرةمن نفس هذه اللوحات في كثير من الأبنية الدينية والمدنية بتونس. ولوحات مصطفى قرجي هي نفس ونوع وتصميم اللوحات الموقعة من قبل الخميري وغيره من الخزافين.

وهناك لوحات من نفس النوع في ضريح سيدي الصاحب بالقيروان، موقعة من قبل الخزاف «بو شنتوف» في سنة 1218هـ ـ 1804[3]، ولا يقل عددها عن تسع لوحات، وفي ضريح سيدي محرز بتونس ثلاث لوحات[4]، ولوحة بضريح سيدي علي عزوز بتونس[5]، وكسيت جدران تربة البايات بعدّة لوحات من نفس التصميم[6]، وهناك لوحتان من نفس النوع معروضتان في متحف باردو بتونس[7]، وقصر باردو نفسه به عدة لوحات وما زالت في مواقعها من

---

(1) Salvatore Aurigemma, Tripoli e la sue opere d'arte (Milan: Rome: Luigi Alfieri and co. no date) SEE text of plate no. 47.

(2) منذ حوالي ثلاثين سنة تمّت إصلاحات شاملة، وخاصة على الزخارف الجصيّة، واللوحات الخزفية بعضها استبدل بأخرى جديدة. البلاطات الجديدة صنعت في مصانع الخراز للخزف في نابل بتونس، بعض البلاطات تحمل توقيع الخزاف «الخراز».

(3) Aurigemma, La Moschea di Gurgi, p.285.

(4) واحدة من اللوحات الخزفية موقعة من قبل الخميري، في حين أن لوحات أخرى ذات أسلوب مخالف ومن صناعة خزافين آخرين.

(5) توجد لوحات أخرى مشابهة في دار الزواخي.

(6) تربة البايات بها ما لا يقل عن ثلاث لوحات مماثلة للوحات جامع قرجي.

(7) واحدة من هذه اللوحات الخزفية في متحف باردو بها رسم قبّة كبيرة وخمسة قباب أخرى صغيرة. وجامتان كل منهما بها رسم هلال وواحدة منها تحمل كتابة تقرأ: محمد أحمد النعيمي؟ (غير مؤكد).

القصر[1]، دار حسين التي تشغلها الآن مكاتب المعهد القومي للفنون والآثار في تونس، تحوي كثيراً من الأمثلة ما زالت في مواقعها في صحن وقاعات القصر[2]، كما أن بيت الجلولي بتونس به عدد من نفس نوع هذه اللوحات الخزفية[3].

وتوجد لوحتان في الضريح الملحق بجامع محمد بك أبو الذهب في القاهرة، ولوحتان معروضتان في المتحف الإسلامي بالقاهرة[4].

وهذه الأمثلة المتواجدة في مصر لا بد وأنها صنعت في تونس، أو أنها صنعت في القاهرة من قبل خزافين تونسيّين[5]. ووجود مثل هذه البلاطات واللوحات الخزفية في مصر يشير إلى تأثير وانتشار صناعة البلاطات واللوحات الخزفيّة في تونس.

وعلينا الآن أن نحاول فهم أسباب اختيار الخزافين لهذه العناصر الزخرفية، وتجسيدها على منتوجاتهم الخزفية، والذي ما زال غير مفهوم وواضح. ماذا يمثل المبنى المسقوف بقبّة، الذي يشغل القسم الأعلى من العقد؟ هل يمثل مبنى محدّد؟ هل العناصر المكوّنة للموضوع الزخرفي لها ارتباط معيّن في أذهان الخزافين؟

دعنا الآن نحلّل عناصر المبنى والموضوع التصويري. يتكوّن البناء من قبّة واحدة، وفي بعض اللوحات نشاهد مجموعة أخرى من القباب الصغيرة تحيط بالقبّة الكبيرة، التي غالباً ما تكتنفها مآذن بعدد متماثل من كلتا الجهتين، يتراوح عددها من أربع إلى عشر مآذن[6] وفي بعض الحالات الأخرى لم يزود

---

(1) توجد على الأقل ستة أمثلة في قصر باردو في الدور الأول، اثنان منها مؤرخة في 1218هـ ـ 1804. واحدة منها تحمل اسم الصانع ربما يقرأ الحاج صالح الجزار؟ (غير مؤكد).

(2) في البهو الكبير بدار حسين توجد لوحة مماثلة تماماً للوحات جامع قرجي.

(3) Revault, FIG. 56.

(4) Claude prost, PL. 11 no. 2 and p.43, note 1.

(5) نفس المرجع.

(6) لوحات جامع قرجي الخزفية بها رسم أربع مآذن في المبنى المرسوم، ومثل هذه =

المبنى بمآذن[1]. وفي أمثلة لم يزود المبنى بعدد من الدرجات[2]، وفي أمثلة أخرى توجد بائكة تتكوّن من خمسة إلى عشرة عقود فوقها قباب بحسب عدد العقود[3]. ويزوّد المبنى في كل الأمثلة برايات مرفرفة، وطائران متقابلان عند قمّة القبّة[4].

أما فيما يتعلق بما يمثله المبنى المسقوف بقبة، علينا أن نوجه انتباهنا أولاً إلى الكعبة المشرفة في مكة كمبنى يحتمل أن يكون هو الموضوع الزخرفي الذي قصد الخزاف تجسيده على اللوحات الخزفية، وفي هذا الصدد علينا أن نوجه انتباهنا إلى تلك الدراسة حول التصوير الديني على البلاطات الخزفيّة التركية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، التي تصور الكعبة والتي قام بدراستها المستشرق إردمان[5]، تصور هذه اللوحات الكعبة في داخل الحرم، مع وجود مداخل، ومآذن مشمولة، ومن هذه الملامح المعمارية التي ظهرت على لوحات الكعبة هي المآذن التي صورت كذلك على اللوحات الخزفيّة بشمال أفريقيا.

وموضوع آخر محتمل والمؤثر في لوحات شمال أفريقيا، هو مبنى مسجد الرسول بالمدينة المنورة، توجد لوحات تصويرية ورسوم لهذا المبنى توضح

= اللوحات توجد في متحف باردو عليها توقيع الخزاف الخميري. ولوحات ضريح سيدي علي عزوز بها عشرة مآذن، الكتابة في هذه اللوحة غير واضحة، بعضها يمكن قراءتها، منها: «عمل مسعود السبع لضريح الشيخ علي عزوز» (أنظر جاك ريفولت 2 ـ 1971) شكل: 104. ويظهر اسم هذا الخزاف على لوحة خزفية في جامع عبد الباقي الشربجي في الإسكندرية، (أنظر هامش 2 على ص347).

(1) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ج2، ص56.

(2) توجد في جامع قرجي بطرابلس وكذلك تربة البايات بتونس لوحات خزفية بها ما يشبه المئذنة ـ السلّم.

(3) Dalu Jones, FIG. 64.

(4) اللوحات الخزفية التي بها رسم طائرين متقابلين على قمة القبة توجد في عدة أمثلة مثل تلك التي في جامع قرجي وتربة البايات.

(5) Kurt Erdmann, «Kaabah Fliesen» Ars orientalis, III 1959, pp. 192 - 197 with 8 figures.

ضريح الرسول مع القبّة التي تعلوه وبيت الصلاة والجدار الذي يحيط بالحرم، زوّد مسجد الرسول بالمدينة بمآذن في فترة مبكرة سنة 88 ـ 91هـ (706 ـ 709ف)، عند قيام الخليفة الوليد بن عبد الملك بتجديد المسجد على يد واليه على الحجاز عمر بن عبد العزيز، وفي سنة 1483ف زوّد أشرف قايتباي الجامع بالمئذنة الخامسة، وقام السعوديون بإحداث بعض التغييرات والإصلاحات والتجديدات على المسجد، نتج عنها إزالة المئذنة الخامسة وأبقي على أربع مآذن فقط في الجامع، يتفق هذا العدد من المآذن مع عدد المآذن التي نشاهدها في اللوحات التي توجد في تونس[1]. إلا أنه لا يوجد تأثير مباشر للتجديدات، التي قام العهد السعودي على المسجد على تصميم مجموعة من المآذن في اللوحات الخزفية، لأن اللوحات الخزفية، تحت الدراسة، تسبق تاريخياً التجديدات التي قام بها السعوديون على المسجد في بداية القرن العشرين.

والقبّة التي تشغل أغلب ساحة الرسم ربما تمثل قبة ضريح الرسول، شيّد السلطان قلاوون الأشرفي قبة الضريح في سنة 1279ف[2]، أعيد بناؤها في عهد السلطان محمود بن عبد الحميد في سنة 1808[3]، وعلى العموم فالعناصر الموضحة للرسم في اللوحات الخزفية وهي عبارة عن قبّة، ودرج (والذي ربما يرمز إلى منبر الرسول)، مجموعة من المآذن، زهور، طيور، أشجار سرو، هذه العناصر لا تعطي نسخة مطابقة لضريح الرسول بالمدينة[4].

ولكن هذه المجموعة من المكونات ربما تشير، بطريق غير مباشر، إلى ضريح الرسول، هناك حديث متداول ومأثور يقارن الرسول فيه مسجده بالجنة نصه «بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»[5].

---

(1) توجد في متحف باردو وبعض الأبنية الأخرى لوحات خزفية يتكوّن الموضوع التصويري فيها من المبنى المسقوف بقبّة وأربع مآذن.

(2) علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة (جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، بدون تاريخ) ص115.

(3) المرجع السابق، ص 116.

(4) Dalu Jones, p.13.

(5) المرجع نفسه.

واحتمال آخر هو أن المبنى المقبّى ومآذنه ربما يجسد أحد الجوامع السلطانية العثمانية، خاصة جامع السلطان أحمد[1]، يستخدم الخطاطون المسلمون أحياناً الكتابة لخلق تصميمات معمارية مثل المساجد، عليه فإن المبنى المرسوم على اللوحات الخزفية ربما استوحاه الخزافون الذين كانوا ينسخون تصميماً من أحدى اللوحات الكتابية[2].

ويمكن أن نورد ترجمة أخرى للمبنى المقبى على اللوحات الخزفية، وهي أن وجود المنبر ربما يرمز إلى سلطة ملكية، لأنه من المعلوم أن وجود المنبر يرمز إلى السلطة، ويمكن تفسير ذلك من أن العهدين القرمانلي في ليبيا والحسيني في تونس، اللّذين صنعت في عهديهما أغلب هذه اللوحات الخزفية، أصبحتا مستقلتين عن الدولة العثمانية.

وأخيراً ربما يمثل هذا الموضوع التصويري في جملته محراباً مسطحاً[3]، والأهمية الدينية وراء هذا التمثيل يمكن تأكيدها أن أكثر جزء يعتنى بزخرفته في الجامع هو المحراب[4].

وباختصار شديد أراني أميل إلى أن المبنى المقبى، بمآذنه المرسومة على اللوحات الخزفيّة، والتي توجد في أعداد كبيرة من الأبنية الدينية والمدنية في ليبيا وتونس والجزائر ومصر، يمثل ضريح ومسجد الرسول بالمدينة، ومهما

---

(1) توجد في قصر باردو بتونس لوحات خزفية بها رسم ست مآذن ومثلها توجد في ضريح سيدي محرز.

(2) Malik Aksel, Religious pictures in Turkish art, (Istanbul, 1967), p.32, FIG. 7.
رسم جامع بست مآذن، وهو يشبه إلى درجة كبيرة جداً لما هو موجود في بعض اللوحات الخزفية. مثل هذه اللوحة الخزفية التي تشمل كتابة، والتي شكلت على هيئة جامع بست مآذن، لا بد وأن تكون معروفة لدى الخزافين والحرفيّين التونسيّين.

(3) Cluade prost, 43. يشير بروست إلى أن اللوحة تمثل محراباً مسطحاً.

(4) Geza Fehervari, «Tombstone or Mihrab? A Speculation» Islamic art in the metropolitan museum of art (New York, 1972, pp.241 - 254, with 8 figures.

يكن فإن وضع هذه اللوحات في الأضرحة والمساجد والبيوت والقصور يعطي الانطباع من أن الترجمة التي يعطيها الإنسان لهذه المناظر تعتمد على طبيعة المبنى ووظيفته الذي توضع فيه مثل هذه اللوحات الخزفيّة، كما تتضح من الكتابة التي تصاحب بعض التعابير والحكم التي تعطي الرضى الروحي والنفسي للإنسان لمصاحبتها وتمشيها مع البركة المستقاة من القرآن، وأحاديث الرسول، وأقوال الصحابة الأكرمين[1].

---

(1) Dalu Jones, p.14.

الخلاصة

شيّدت أغلب الأبنية الدينية القائمة حالياً، أو أعيد تشييدها في ليبيا في العهد العثماني، وأنها تقع في إقليم طرابلس الغرب، وخاصة في مدينة طرابلس والمناطق المحيطة والقريبة منها، وأصبح من المتعارف عليه، اعتماداً على المصادر التاريخية والأدبية، أن المدينة القديمة بطرابلس نفسها، التي تتركز فيه مجموعة كبيرة من الأبنية الدينية، قد دمرّت في فترات مختلفة. وكانت المدينة في حالة خراب شبه تام عندما دخلتها الجيوش التركية سنة 1551.

شرّع مراد آغا ثم درغوت باشا في إعادة إعمار الأبنية الدينية والمدنية كما نعرفها اليوم في المدينة القديمة بطرابلس. وهكذا نجزم أنه حتى تلك الأبنية الدينية غير المؤرخة شيّدت أو أعيد تشييدها في هذه الفترة.

أوضحت الدراسة المقارنة لتلك المساجد، التي ترجع إلى الفترات السابقة للفترة العثمانية، مع تلك التي أقيمت في الفترة العثمانية، أن معمار المسجد الليبي مرّ بتغيّيرات جذرية، خاصة فيما يتعلق بالتفاصيل الزخرفية والمواد الجديدة، التي دخلت في البرنامج الزخرفي للمسجد الليبي، وكذلك الجوانب المعمارية ونظام التسقيف.

ميزت المساجد ذات الأسقف المسطحة، وتلك الأقبية البرميلية، المساجد التي ترجع إلى الفترات السابقة للعهد العثماني، في حين صار

الأسلوب المهيمن في تسقيف المساجد بالقباب الكثيرة في معمار المسجد الليبي إبان الفترة التركية.

ونظراً لتنوع المساجد، وخاصة المسقوفة بقباب، من حيث الجوانب المعمارية والجمالية، وتقسيماتها الفراغية، ومساقطها الأفقية، قمنا بتصنيفها حسب مساقطها الأفقية الأرضية. فالمساجد الصغيرة والمسقوفة بقبّة، أو أربع قباب، أو ست أو تسع قباب هي مساجد بسيطة وأغلبها خال من الزخرفة والبهرجة المعمارية وأغلبها مساجد أوقات. وعلى الرغم من صغر أحجامها، وتواضع هيئتها وبساطة شكلها، إلا أن بعضها ما زال مرتبطاً بالتقليد القديم لمعمار المسجد، من حيث كونها تتكوّن من بيت صلاة مسقوف، وصحن مكشوف، محاط بجدران غير مرتفعة، وبرواق أو أكثر يشغل جوانب الصحن، ويستخدم لتسهيلات الوضوء، وإذا تعددت الأروقة يستخدم بعضها للصلاة أحياناً.

يتكوّن التصميم المعماري للمساجد الصغيرة، ذات الوحدات الفراغية المتعددة، والمسقوفة بعدد من القباب، حسب تقسيمها الفراغي الداخلي، من بيت صلاة مربع أو مستطيل الشكل تقسّمه الأعمدة، أو الدعامات الحاملة للسقف، إلى أربع أو ست أو تسع وحدات فراغية متساوية، كل منها مسقوفة بقبّة. الفراغ الداخلي في المسجد المسقوف بقبّة واحدة موحد وغير مجزأ، أما الأنواع الثلاثة الأخرى، التي يدعم السقف فيها عمود، أو اثنان، أو أربعة فلا يتأثر الفراغ الداخلي بها كثيراً. وكل مجموعة من هذه المساجد الصغيرة تمثل تنوعاً لنفس التخطيط البنائي والتصميم. الاختلافات لا تمس شكل وتصميم بيت الصلاة نفسه، بل في الترتيب العام للجامع، الذي يحوي، بالإضافة إلى بيت الصلاة، مكوّنات معمارية أخرى، والتي لكل منها دور وظيفي وجمالي يتعلّق بكتلة المبنى ككل.

يتكوّن الهيكل البنائي لبيت الصلاة من تركيبة من العقود، إما أربعة، أو ثمانية، أو اثني عشرة عقداً، أو أكثر من ذلك، والتي ترتكز على أعمدة أو

دعامات، مع دعاماتساندة ملتصقة بالجدران، وتكون جزءاً من الجدران. تبنى الجدران داخل هذه العقود، التي مع بعضها تحدد حيز بيت الصلاة، وتبرز العقود عن سطح الجدار بنحو 30 سم من الداخل.

هذا الترتيب الإنشائي المعماري يميّز معمار المسجد الليّبي في كل الفترات، سواء تلك التي شيّدت قبل أو بعد استيلاء الأتراك على ليبيا. ترتكز منطقة الانتقال في القبّة أو القباب، التي تسقف بيت الصلاة، دائماً على هذا الهيكل الإنشائي البنائي المتكون من العقود، وكذلك المثلثات الكروية، أو الحنايا الركنية، التي تحمل القبة.

ومن الملاحظ أيضاً أن بعض القباب، في هذه المساجد محمولة على رقاب تبدو مثمّنة الأضلاع من الداخل ومربعة من الخارج. وكقاعدة عامّة فالقباب كلها ذات القطاع نصف الدائري وذات أقطار مختلفة تتراوح بين 2.20 متر إلى 4.60 متر. كما يجب ملاحظة أن بعض المساجد، ذات الوحدة الفراغية الواحدة، يصل قطر القبة إلى ثمانية أمتار أو أكثر بقليل، وفي حالة واحدة (جامع الباشا في الخمس) وصل قطر القبّة إلى نحو اثني عشرة متراً. وتكون القبة في بعض الحالات مضلعة، وفي حالات أخرى تتكوّن القبة من ثمانية قطاعات تلتقي في مركز القبة لتصبح على شكل قمع.

المحاريب في هذه المساجد الصغيرة بسيطة التصميم والزخرفة، عقودها نصف دائرية، أو من نوع حذوة الفرس. ويخلق المحراب، في المساجد ذات الوحدات الفراغية الأربعة، مشكلة معمارية متعلقة بوظيفة وموقع المحراب، ناجمة عن النظام الإنشائي البنائي المتبع في هذه الفئة من المساجد، وهو استخدام عمود واحد في وسط بيت الصلاة، الذي تنتشر منه العقود الأربعة، يتجه كل واحد منها إلى وسط كل جدار من الجدران الأربعة، حيث تستقبلها دعامات ساندة ملتصقة.

وبما أن الموقع الطبيعي للمحراب يجب أن يكون وسط جدار القبلة، هذا

المكان تشغله الدعامة الساندة الملتصقة التي يرتكز عليها العقد المنتشر من العمود. حل المعماريون هذه المشكلة وذلك ببناء إطار ضخم بارز حول حنية المحراب، هذا الإطار هو من القوّة بمكان بحيث يستقبل العقد ويتحمل الرفس المعماري.

وأغلب هذه المساجد الصغيرة ذات الوحدة الفراغية المتكرّرة لم تزود بمنابر لكونها مساجد أوقات. أما ما يتعلّق بتزويد بيت الصلاة بردهة تقع بينه وبين الشارع، فالفراغ أو المساحة المتاحة للبناء وهي التي تحدد فيما إذا كان البناء سيزود بردهة أو بصحن صغير مكشوف.

وفي حالة تزويد بيت الصلاة بصحن، يزوّد أحد أضلاعه برواق مسقوف، بدوره تشغله الميضأة والمراحيض والمطهرة. ويزود الصحن في بعض الحالات برواقين، وفي هذه الحالة يستخدم الرواق الثاني للصلاة، وفي بعض الحالات الأخرى فالجانب الثالث من الصحن يشغله سلّم من عدة درجات، يؤدي إلى السطح، وإلى المئذنة الصغيرة، التي توجد أحياناً على ركن من أركان بيت الصلاة. هذا الترتيب البنائي في الصحن يميّز مجموعة كبيرة من المساجد التي شيّدت قبل وأثناء الفترة التركية العثمانية.

استخدم المعماريون نوعين من المآذن في هذه الفئة من المساجد، إما مربّعة أو من نوع المئذنة ـ السلّم. ميّز هذا النمط المعماري كثيراً من المساجد التي ترجع إلى ما قبل وأثناء الفترة العثمانية. على أنه من الملاحظ أن أبسط أنواع المآذن هي المئذنة ـ السلّم بأنواعها الثلاثة، وهو الملمح المعماري الغالب في معمار المسجد الليبي، في مناطق برقة وفزّان، ومناطق أخرى من المناطق الغربية في ليبيا.

نشاهد أحياناً مئذنة صغيرة قصيرة مربعة الشكل على ركن من أركان بيت الصلاة، ولا يتم الوصول إليها إلا عند الصعود فوق سطح الجامع، حيث يوجد مدخلها وسلّم داخلي يؤدي إلى قمتها، ولا يمكن الوصول إليها مباشرة من

مستوى الأرض، ولكن عن طريق سلّم يقع في صحن الجامع أو خارجه يؤدي إلى سطح الجامع، ومن ثم إلى مدخل المئذنة. أما المآذن ذات الشكل المثمّن والاسطواني فقد صارت من مكوّنات المسجد الليبي بعد دخول الأتراك واستيلائهم على ليبيا.

إن انتشار مجموعة كبيرة من هذه المساجد الصغيرة، في مدينة طرابلس. وضواحيها، والمناطق المجاورة لها، يشير إلى أن عدداً من العائلات، الذين امتهن أفرادها البناء، احتكروا هذا التقليد المعماري وتوارثوه بخصائصه البنائية والإنشائية والزخرفية، وتناقله أفرادها من جيل إلى جيل، في الفترة ما بين القرن السادس عشر والتاسع عشر.

أما فيما يتعلق بالمساجد الكبيرة، التي تستخدم كمساجد جامعة فإن الفراغ الداخلي فيها هو فراغ مشتّت ومجزأ، لأن بيت الصلاة يتكوّن من الكثير من الوحدات الفراغية المسقوفة بكثير من القباب، التي ترتكز على الأعمدة والدعامات التي تحمل مكوّنات السقف. ومشكلة تشتّت الفراغ الداخلي في بيت الصلاة شغلت بال المعماريّين في ليبيا، والواضح والمؤكد أن هؤلاء المعماريّين كانت لديهم الرغبة في حل مشكلة تجزأ الفراغ الداخلي في بيت الصلاة في المساجد الليبية.

هذه الرغبة شجعت المهندسين والمعماريّين الليبيّين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على القيام بتجارب إنشائية لتحدي تشييد مساجد ذات تخطيط مركزي وذات فراغ داخلي موّحد.

ولمعرفة أصل ومصدر المسجد الليبي، المتعدد الوحدات الفراغيّة المسقوفة بقباب كثيرة، أشار الباحث الإيطالي غاسبري ميسانا إلى أن الأضرحة ذات القباب تعتبر المصدر الذي ألهم معماريي المسجد الليبي لتسقيفها بقباب كثيرة وينكر ميسانا أي تأثير لتونس أو مصر أو أناضوليا.

غير أن تحليلنا ودراستنا المستفيضة، ذات البعد الأشمل والأوسع، تشير

إلى أن شعبية المساجد ذات القبة أو القبيبات في ليبيا كانت نتيجة لتأثير العمارة التركية، فالأبنية ذات القباب شيء شائع في العمارة التركية وخاصة في عمارة المساجد والجوامع.

وأصبحت المساجد ذات القبيبات هي الغالبة في معمار المسجد الليبي في الفترة ما بين النصف الثاني من القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، وهي فترة سيطرة الأتراك وفترة النفوذ السياسي والإداري والفني والمعماري التركي في هذا البلد.

وعندما تجمعت الخبرة والكفاءة الفنيّة لدى المعماريّين الليّبيين، وتراكم لديهم تراث معماري وإنشائي في العهد القرمانلي والعهد العثماني الثاني، لم يترددوا في استعمال أنواع وأساليب مختلفة في بناء المسجد الليبي، ومنها الحصول على فراغ داخلي موحد في بيت الصلاة.

ومن أمثلة هذه المحاولات المعمارية ما نراه في الجامع الملحق بزاوية عمورة بجنزور، وجامع عمورة محمد فلمنك بطرابلس، وجامع الميلادي وجامع سيّالة وجامع ميزران وجامع رشيد بدرنة وجامع الباشا بمدينة الخمس وجامع سيدي المرغني بطرابلس ما هي إلا أمثلة للحصول على فراغ موحد في بيت الصلاة. وحدث تطور أكثر نحو التعقيد البنائي والمعماري في معمار المسجد الليبي، هو ما نشاهده في المساجد ذات التخطيط المركزي، التي شيّدت في بنغازي في أواخر القرن التاسع عشر، والتي تشبه في تخطيطها الجوامع السلطانية في استنبول.

وفي مجال زخرفة المساجد والجوامع، وما تمثله من قيم جمالية، فإنه حتى العقد الأخير من القرن السابع عشر كان التقليد البنائي المتبع بصفة عامة في معمار المسجد الليبي، هو تشييد مسجد بسيط خالٍ من الزخرفة والبهرجة الفنيّة والمعمارية. وكان التركيز منصباً على الجوانب الوظيفيّة أكثر منها على الجوانب الجمالية والزخرفية. وكانت هذه من خصائص ومميّزات الفترات

السابقة للفترة العثمانية، واستمرت كذلك مُتَّبعة. في أغلب المساجد التي شيّدت في الفترة العثمانية.

والزخرفة التي تشاهدها في بعض مساجد الجبل الغربي محصورة في استخدام عناصر زخرفيّة بسيطة، مثل الكتابات البارزة والمنفذة بالجبس على أرضية مورقة، والرسوم المحزوزة والمجردة، وزخرفة الكف المفتوح المنفذة على الجبس أو الملاط. والمساجد التي تقع في واحات إقليمي فزّان وبرقة هي أكثر بساطة. والعنصر الزخرفي الشائع الاستخدام هو المثلث، الذي نراه على المآذن، والمداخل، وأركان المباني الدينية والمدنية، وأهم الأمثلة على ذلك الأبنية في مدينة غدامس وغيرها.

استخدمت كذلك صيغ مختلفة في المساجد التي تقع على الشريط الساحلي، تتكوّن من زخارف منحوتة بارزة أو محفورة، وخشب مرسوم ومدهون ومنقوش، وزخارف جصيّة ملوّنة، ورخامية وحجرية مطعمة، وبلاطات ولوحات خزفية ذات لون واحد أو متعددة الألوان.

الزخرفة في معمار المسجد الليبي، في القرنين السادس عشر والسابع عشر محصورة في منطقة المداخل والمحاريب والمنابر. وفي بعض الحالات نشاهد هلالاً منحوتاً نحتاً خفيفاً يتوّج عقود المداخل. وفي أمثلة أخرى تنعكس المعالجة الزخرفية للمدخل الرئيسي لبيت الصلاة على منطقة المحراب.

ونشاهد لأوّل مرة الغنى الزخرفي في جامع محمد شائب العين (1699) المتمثل في الزخارف المتماثلة على المحراب والمدخل المقابل له. للجامع ثمانية مداخل لها زخارف متشابهة ومتنوعة كذلك، تتكوّن من الأزهار والأوراق. وما يجب ذكره هنا هو الارتباط الوثيق بين المعمار الديني والمعمار المدني الذي صبغ هذه الفترة، وأن عدة مداخل ذات تصميم متماثل يمكن مشاهدتها في عدد من البيوت والقصور والحمامات والفنادق التي شيّدت بالمدينة القديمة بطرابلس.

وابتداءً من نهاية القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر، بدأنا نشاهد تأثير الفن والعمارة الأوروبيّة، وخاصة الصقلية والإيطالية، التي تعود إلى فترة طراز الباروك والركوكو على معمار وزخرفة المسجد الليبي. ونلاحظ ذلك، في جامع محمد شائب العين والقرمانلي وقرجي.

ودخلت أشكال زخرفية جديدة إلى معمار المسجد الليبي، منها زخرفة الخشب المرسوم والمحفور والمنحوت، وتطعيم الرخام والزخارف الجصيّة المحفورة والملوّنة، والبلاطات الخزفية المزجّجة والمتعددة الألوان. استخدمت مثل هذه الزخرفة كذلك في عدد كبير من البيوت والقصور المعاصرة في كل من تونس وطرابلس. أشرنا في الفصل الأخير أن بعض المعماريّين والمزخرفين التونسيين قاموا ببناء وزخرفة وتزيين بعض الأبنية الدينية والمدنية في ليبيا. ويمكننا القول أن هؤلاء البنائين والمزخرفين التونسيّين من المؤكد ساعدهم معماريون ومزخرفون وصناع ليبيون، الذين ربما تتلمذوا على أيدي الخبرات التونسية أو الجزائرية أو المغربية.

وأن كثيراً من البلاطات واللوحات الخزفية، التي تزين جدران تلك الجوامع والبيوت والقصور الليبية، هي بكل تأكيد صناعة تونسية. ويرجع هذا الغنى والتطور المعماري والزخرفي في الفن والعمارة الإسلامية في تونس وليبيا، في الفترة من القرن السابع عشر وإلى القرن التاسع عشر، إلى هجرة مجموعة جديدة من اللاجئين والمطرودين الأندلسيين، الذين استقروا في المدن الرئيسة بشمال أفريقيا، بعد طردهم من إسبانيا سنة 1609.

وباختصار شديد مرّ معمار المسجد الليبي بثلاثة مراحل من التطور. ففي الفترات السابقة للفترة العثمانية كان تخطيط بيت الصلاة في المسجد يتكوّن من وحدات فراغية مستطيلة مسقوفة إما بسقف مسطح، أو بأقبية برميلية الشكل. أما في الفترة العثمانية الأولى (1551 ـ 1711) والفترة القرمانلية (1711 ـ 1835) يتكون بيت الصلاة إما من وحدة فراغية واحدة تسقفها قبة، أو من عدة وحدات فراغية مسقوفة بقبيبات.

أما في الفترة العثمانية الثانية (1835 ـ 1911)، فقد امتازت المساجد بالتنوع في التخطيط والتصميم، بعضها يتكوّن من بيت صلاة به وحدات فراغية مسقوفة بأقبية برميلية، وبعضها الآخر يتكوّن من وحدات فراغية مستطيلة أو مربعة، ذات سقف يتكوّن من خليط من القباب والأقبية البرميلية. وفي هذه الفترة ظهر نوع جديد من تخطيطات المساجد، وهو الجامع ذو التخطيط المركزي، الذي يتكوّن فيه بيت الصلاة من وحدات فراغية غير متماثلة المساحة ومسقوف بقبة كبيرة وأخرى صغيرة غير متماثلة كذلك. وشيّدت في ليبيا بضعة أمثلة من المساجد يتكون فيها بيت الصلاة من وحدة فراغية واحدة مسقوفة بقبّة صخمة مثل مسجد زاوية القائد عمورة بجنزور، وجامع الميلادي، وجامع عمورة وجامع ميزران بطرابلس. وأكبر هذه القباب هي قبة جامع سيدي المرغني بطرابلس (قطرها نحو 8.50 متر) وأكبر القباب على الإطلاق هي قبة جامع الباشا بمدينة الخمس (قطرها نحو 11.75 متر). وشيّد في ليبيا مسجدان ذواتي تخطيط مركزي من نوع الجوامع السلطانية وهما جامع العتيق وجامع عثمان بوقلاز في مدينة بنغازي. وظهور أنواع مختلفة من تخطيطات المساجد في العهد العثماني الثاني يشير بوضوح إلى انخفاض شعبية بناء المساجد ذات الوحدات الفراغية المتكرّرة المتماثلة والمسقوفة بقبيبات متماثلة أيضاً.

وما يجب ملاحظته أيضاً، أن التقليد البنائي لمعمار المسجد الليبي ذي السقف المسطح، الذي ميز مساجد فزان وبرقة، استمر بدون انقطاع، وبدون تغير يذكر، في كل الفترات قبل وأثناء الفترة العثمانية.

أما العناصر والمكوّنات المعمارية الأخرى، المكمّلة لبناء المسجد، من غير بيت الصلاة، فقد بقيت مستقرة نسبياً في كل الفترات قبل وأثناء الفترة العثمانية. الاختلاف الوحيد ينحصر في استخدام المآذن الأسطوانية والمآذن المثمّنة الشكل فقط في معمار المسجد الليبي في الفترة العثمانية.

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

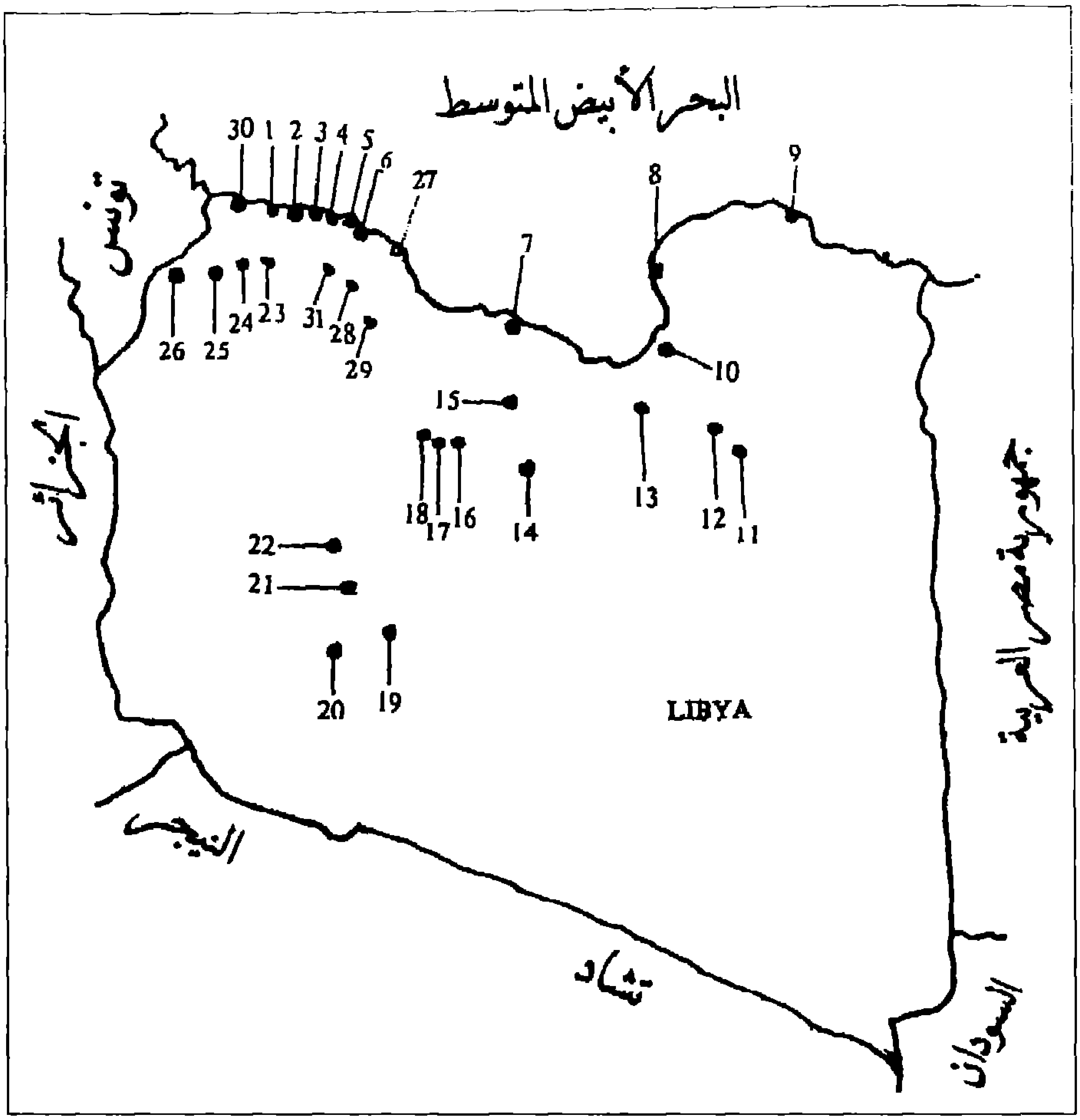

أهم مراكز تجمع المساجد المذكورة في الكتاب

1) جنزور .	2) طرابلس .	3) تاجوراء .	4) الخمس .
5) ساحل الأحامد .	6) زليطن .	7) سلطان .	8) بنغازي .
9) درنة .	10) اجدابية .	11) جالو .	12) أوجلة .
13) مرادة .	14) زلة .	15) تاقرفت .	16) هون .
17) ودان .	18) سوكنة .	19) زويلة .	20) مرزق .
21) سبها .	22) براك .	23) غريان .	24) الرياينة .
25) جادو .	26) نالوت .	27) مصراته .	28) ترهونة .
29) بني وليد .	30) الزاوية .	31) مسلاته .	

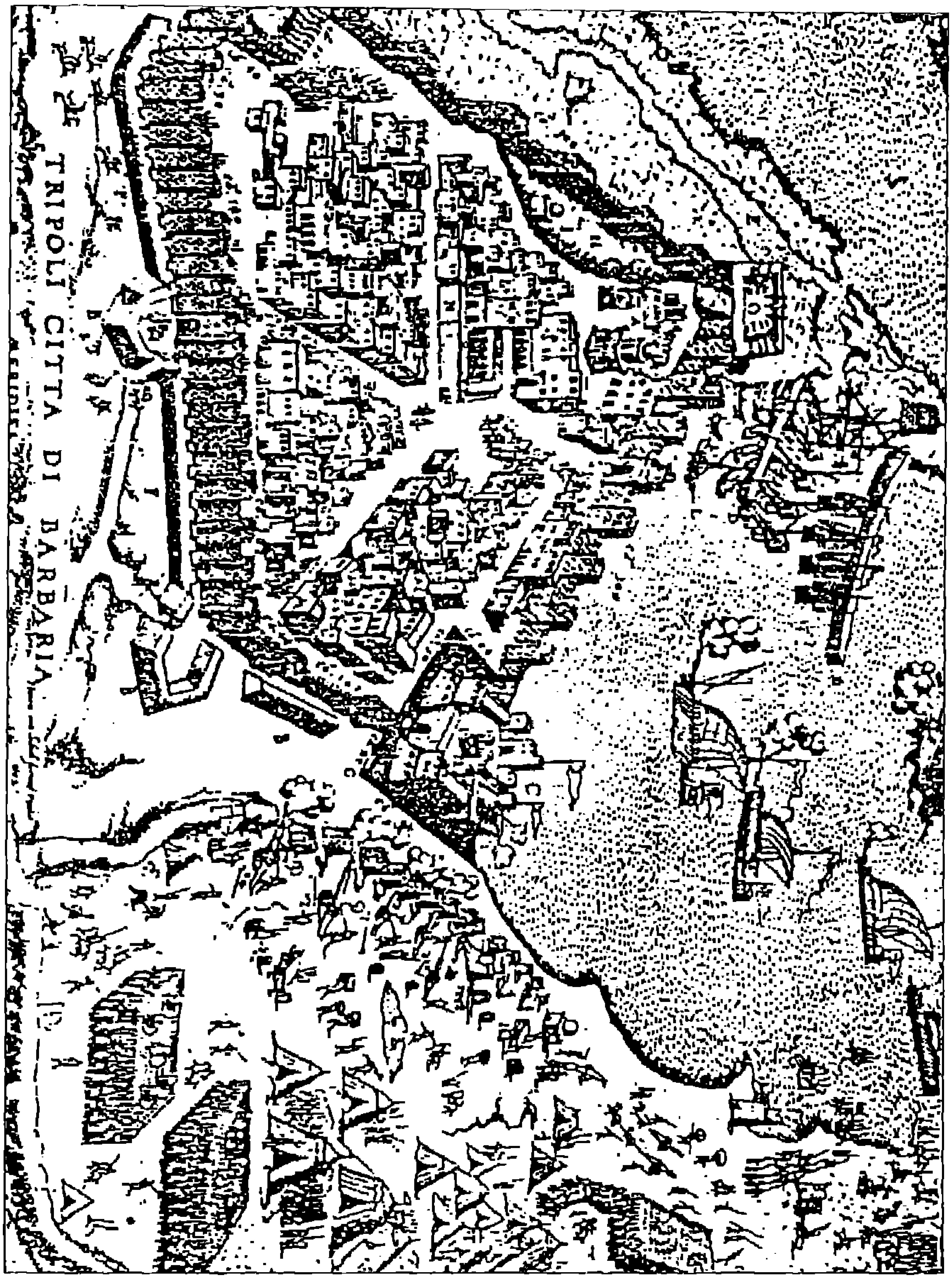

خارطة لمدينة طرابلس ترجع إلى سنة 1559م

باشاوات ودايات طرابلس من 1551 إلى 1711

مراد آغا	1551 ـ 1553	درغوت باشا	1553 ـ 1565
أولوغ علي باشا	1565 ـ 1569	جعفر باشا	1569 ـ 1581
رمضان باشا	1581 ـ 1584	مصطفى باشا	1584 ـ 1588
حسين باشا	1588 ـ 1595	إبراهيم باشا	1595 ـ 1600
اسكندر باشا	1600 ـ 1606	سليم باشا	1606 ـ 1611
صغر داي	1611 ـ 1615	علي باشا	1612 ـ 1614
حامد باشا	1614 ـ 1619	سليمان باشا	1619 ـ 1623
حسن باشا	1623 ـ 1629	مصطفى شريف داي	1629 ـ 1631
قاسم باشا	1631 ـ 1632	رمضان داي	1631
محمد الساقزلي باشا وداي	1632 ـ 1649	رباني باشا	1632 ـ 1633
عثمان الساقزلي باشا وداي	1649 ـ 1672	عثمان رايس داي	1672
بالي شاويش داي	1672 ـ 1675	خليل باشا	1675 ـ 1677
مصطفى البهلوان داي	1675	إبراهيم مصرلي أوغلي	1675 ـ 1676
إبراهيم شلابي أنابلي داي	1676	مصطفى الكبير داي	1677 ـ 1678
عثمان داي	1677 ـ 1678	الحاج محمد الحداد	1678 ـ 1679
خليل باشا	1677	حسن أبازة داي	1679 ـ 1683

يولك محمود داي	1683	الجزائري داي	1683 – 1684
الحاج عبد الله داي	1684 – 1687	إبراهيم التارزي داي	1687
محمد الإمام الكرادلي: داي وباشا	1687 – 1701	عثمان داي (القهوجي)	1701
مصطفى القربوللي داي	1701 – 1702	خليل داي الأرناؤوطي	1702 – 1709
إبراهيم علي داي	1709 – 1710	إسماعيل خوجة داي	1710 – 1711
حاج رجب داي	1711	محمد بن الجن داي	1711
محمود أبو مويس داي	1711		

المصدر/ كتاب طرابلس من 1510 إلى 1850 لمؤلفه كوستانزيه برنيا

العهد القرمانلي 1711 – 1835

أحمد باشا	1711 – 1745	محمد باشا	1745 – 1754
علي باشا	1754 – 1793	أحمد باشا	1795
يوسف باشا	1795 – 1832	علي باشا	1832 – 1835

ولاة العهد العثماني الثاني 1835 – 1911

مصطفى نجيب باشا	1835	محمد رئيف باشا	1835 – 1836
طاهر باشا	1836 – 1837	حسن باشا	1837 – 1838
عسكر باشا	1838 – 1842	محمد أمين باشا	1842 – 1847
محمد رجب (راغب) باشا	1847 – 1848	أحمد عزت باشا	1848 – 1852

مصطفى نوري باشا	1852 ـ 1855	عثمان باشا[1]	1855 ـ 1858
أحمد عزت باشا	1858 ـ 1867	محمود نديم باشا	1867
علي رضا باشا[2]	1867 ـ 1870	محمد حالات باشا[3]	1870 ـ 1871
محمد رشيد باشا	1871 ـ 1872	علي رضا باشا	1872 ـ 1874
سامح باشا	1874 ـ 1875	مصطفى عصيم باشا	1875 ـ 1878
علي كمالي باشا	1878	محمد صبري باشا	1878
محمود جلال الدين باشا	1878 ـ 1879	أحمد عزت باشا (للمرة الثانية)	1879 ـ 1880
محمد نظيف باشا	1880 ـ 1882	أحمد راسم باشا	1882 ـ 1883
نامق باشا	1883 ـ 1898	هاشم باشا	1898 ـ 1899
حافظ باشا	1899 ـ 1903	حسن حسني	1903 ـ 1906
رجب باشا	1906 ـ 1908	أحمد فوزي باشا	1908 ـ 1909
إبراهيم باشا	1909 ـ 1911	أحمد رشيد باشا (كاتب عام)	1911

نفس المصدر: كتاب طرابلس من 1510 إلى 1850 لمؤلفة كوستانزيه برنيا.

(1) قتل غومة في عهده.
(2) انشأ شارع العزيزية.
(3) أنشأ برج الساعة.

مسرد المصطلحات وشرحها

1 ـ آغا الانكشارية: الرئيس الأعلى لقوات الانكشارية.

2 ـ أوقاف: أنظر وقف الذي هو المفرد لهذه الكلمة.

3 ـ إمام: الشخص الذي يؤم المصلين في الصلاة.

4 ـ أسطوانة: عمود أو بناء مربّع مرتفع كان يعلوه بلال للأذان.

5 ـ أوجاك: مجموعة من الانكشارية (500 انكشاري) ومرادفة كذلك لكلمة إيالة.

6 ـ أودا (أوضة): مجموعة من الانكشارية (25 انكشاري) الاسم المتداول في ولايات شمال أفريقيا.

7 ـ أودا (أوضة باشي): رئيس مجموعة (25) انكشاري.

8 ـ أورطة: مجموعة من الانكشارية (100 انكشاري) يطلق عليها في ولايات شمال أفريقيا.

9 ـ إيالة: أكبر وحدة إدارية في الإمبراطورية العثمانية.

10 ـ إيوان: حنيّة مسقوفة ومفتوحة من جانب واحد مثل إيوان في مدرسة.

11 ـ باشا: يعطى لأعلى الموظفين الإداريّين في الدولة العثمانية.

12 ـ بلوك باشي: تصف قائد (100) من الانكشاريّين.

13 ـ بيلربي: والي الإيالة (والي الولاية) ـ والبيلربيليك: هي أوسع وحدة إدارية في الإمبراطورية العثمانية.

14 ـ حنفي: أحد المذاهب السنيّة الأربعة.

15 ـ خواجة: عادة ينطق «خوجة» وهو رئيس الكتبة في خدمة الحكومة.

16 ـ دكة: شرفة خشبية معلّقة (منصة) في بيت صلاة.

17 ـ داي: مأخوذة من الكلمة التركية داي بمعنى عم. يعطى هذا اللقب من قبل الانكشارية.

18 ـ ديوان: مجلس الدولة أو الولاية.

19 ـ دريبة: ممر أو ردهة بالقرب من الشارع في بيت من البيوت مرادفة لكلمة سقيفة.

20 ـ رعيّة: يقصد بها دافعي الضرائب في الإمبراطورية العثمانية.

21 ـ زاوية: تتكوّن من مسجد وحجرات (خلاوي) ومدرسة، غالباً ما تتبع الزاوية إحدى الطرق الصوفيّة، وبعض التسهيلات الأخرى لخدمة طلبة العلم والمشائخ والصوفيّين.

22 ـ كلية: مسجد وملحقاته التعليمية.

23 ـ كيتخذا: عادة ينطق (كيخيا) في ولايات شمال أفريقيا، نائب أو مساعد قائد قوات الإنكشارية.

24 ـ فرمان: مرسوم سلطاني.

25 ـ فندق: تعادل كلمة كرافان سراي، نزل أو مكان ضيافة التجار.

26 ـ قابودان باشا: أميرال البحر في الأسطول البحري التركي.

27 ـ مشهد: مكان به ضريح شهيد أو مجموعة من الشهداء.

28 ـ مصلى: مكان مخصّص للصلاة في المناسبات الدينية أو صلاة الجنازة.

29 ـ طغراء: الختم أو التوقيع السلطاني.

30 ـ طائفة: وهي رابطة البحارة (رابطة سفن الجهادية).

31 ـ سقيفة: مرادفة لكلمة «دريبة» ردهة تربط البيت بالشارع.

32 ـ سنجق: الوحدة الإدارية الأساسيّة في الإمبراطورية العثمانية (متصرفية).

33 ـ سيباهي: عضو في فرقة الخيّالة في الإمبراطورية العثمانية.

34 ـ شريف: لقب يعطى للمنحدرين من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم.

35 ـ صوفي: رجل دين زاهد معتنق لمذهب أو مدرسة من المدارس الصوفيّة.

36 ـ وقف: ما يحبسه الإنسان من أملاك لمصلحة خيرية ينتفع بها المسلمون، وتشرف عليه هيئة خيريّة تسمى «هيئة أو مصلحة الأوقاف».

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأساسيّة:

أ ـ المصادر العربية:

1 ـ بن حوقل (أبي القاسم النصيبي) كتاب صورة الأرض، تحقيق ج.هـ. درامرز، ليدن، 1938.

2 ـ ابن خراداذبه (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله) كتاب المسالك والممالك، ليدن 1889.

3 ـ ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) فتوح مصر، تحقيق تشارلز.س. توري، نيواهايفن، سلسلة الدراسات الشرقية الثالثة، جامعة ييل 1922.

4 ـ ابن عبد السلام الأسمر، (عبد السلام بن عثمان) كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، طرابلس مكتبة النجاح، (بدون تاريخ) المخطوط الأصلي يحمل تاريخ 1094هـ ـ 1682ف.

5 ـ ابن غلبون (محمد بن خليل) التذكار في من ملك طرابلس (طرابولوس) وما كان بها من الأخيار، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، ط2، طرابلس مكتبة النور 1967.

6 ـ ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي) كتاب الانتصار بواسطة عقد الأمصار، القاهرة، المطبعة ا لكبرى بولاق 1309هـ.

7 ـ البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب: المسالك والممالك، الجزائر 1857.

8 ـ التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) رحلة التجاني، مقدمة حسن حسني عبد الوهاب، تونس: المطبعة الرسميّة 1958.

9 ـ التمغروتي (أبو الحسن علي بن محمد) النفحات المسكية في السفارات التركية، باريس: بول كينثنر، 1929.

10 ـ الجربي (محمد أبو راس) مؤنس الأحبة في أخبار جربة، تحقيق محمد المرزوقي، وتقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس: المطبعة الرسمية، 1960.

11 ـ الحشائشي (محمد بن عثمان) جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تقديم علي مصطفى المصراتي، بيروت: دار لبنان، 1965.

12 ـ رفعت (إبراهيم باشا) مرآة الحرمين: الرحلة الحجازية والحج ومشاعره الدينية، القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1925.

13 ـ الزركشي (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس: المطبعة العتيقة، 1966.

14 ـ العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد) رحلة الشيخ الإمام أبي سالم العياشي، جزءان، فاس، المغرب، 1899.

15 ـ العبدري، (أبي عبد الله محمد بن محمد) رحلة العبدري: الرحلة المغربية: تحقيق محمد الفاسي (سلسلة الرحلات رقم 4، حجازية رقم 1)، الرباط، جامعة محمد الخامس 1968.

16 ـ المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد) أحسن التقاسيم في

معرفة الأقاليم، تحقيق م.ج.دي. غوجي، ط2، ليدن، بريل، 1906.

17 ـ المراكشي (عبد الواحد) المعجب في تاريخ أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العلاقي، القاهرة مطبعة الاستقامة، 1949.

18 ـ النائب (أحمد الأنصاري) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، جزءان، مكتبة الفرجاني (ج1 بدون تاريخ، ج2 سنة 1961).

19 ـ النائب (أحمد الأنصاري) نفحات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من الأعيان، تحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت، منشورات المكتب التجاري، 1963.

20 ـ السمهودي (أبي الحسن بن عبد الله) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، جزءان، مصر: مطبعة الآداب والمؤيد، 1326.

21 ـ السمهودي (أبي الحسن بن عبد الله) خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، مصر: دار الطباعة العامرة، 1868.

22 ـ صافي (حسن) طرابولوس غرب تاريخي، استنبول، 1929.

23 ـ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) كتاب البلدان، النجف، العراق، بدون تاريخ.

ب ـ المصادر الأوروبية:

1 - Africanus, Leo **History and description of Africa,** 3 vols. Trans. John Pory, ed, Robert Brown, New York, Burt Franklin, publishers, 1963.

1 - Asher, Bahij Al - Din B. Mustafa, **Tarabulus Gharb Tarikhi,** Istanbul (no date).

3 - Beechey, F.W. **Proceedings from the expeditions to explore the northern coast of Africa,** London: J. Murray, 1828.

4 - Cella, Poalodella, **Viaggio da Tripoli di Barberia all e frontiers occidentali dell egitto,** Genoa: tipografia di A. Pon the Mier, 1819.

5 - Denham, D., and H. Clarpperton, **Narrative of travels and discov-**

eries in northern and central Africa in the years 1822, 1823 and 1824, London: John Murray, 1826.

6 - Feraud, Charles, **Annales Tripolitaines,** trans. Muhammad A. Al - Wafi, Paris: 1937, Tripoli: Alferjani, 1973.

7 - Jerard, **histoire chronologique du royaume de Tripoly de Barbarie,** MS. dated 1685 bibliotheque nationale Paris, no. 1.119, 19.120.

8 - Leblick, Domingo Badia Y. **The Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria, and Turkey between the years 1803 and 1807,** 2 vols. Philadelphia: M. carey, 1816.

9 - Marmol, Caravajal Luis, **Description generale de l'Afrique,** trans-perrot d'ablancourt, 3 vols. Paris: 1969.

10 - Tully, Richard, **Narrative of ten years residence at Tripoli in Africa,** 2 ND. ED. London: Henry Calburn, 1817.

ثانياً: المراجع:

أ ـ كتب باللغة العربية:

1 ـ إدارة أوقاف القطر الطرابلسي، **كتاب الميزانية الاحتياطية لسنة 1919**، طرابلس مطبعة الحكومة 1919.

2 ـ إسماعيل (علي عمر) **انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا**، طرابلس: مكتبة الفرجاني، 1966.

3 ـ الباروني (عمر) **الإسباني وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، طرابلس: مطبعة ماجي، 1952.

4 ـ البرغوثي (عبد اللطيف محمود) **تاريخ ليبيا الإسلامي: من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني**، منشورات الجامعة الليبية، بيروت: دار صادر، 1972.

5 ـ حافظ (علي) **فصول من تاريخ المدينة المنورة**، جدّة: شركة المدينة المنوّرة للطباعة والنشر (بدون تاريخ).

6 ـ الخوجة (عبده محمد بن) **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، تونس: المطبعة التونسية 1939.

7 - الزاوي (الطاهر أحمد) **أعلام ليبيا**، طرابلس: مكتبة الفرجاني، 1961.

8 - الزاوي (الطاهر أحمد) **معجم البلدان الليبية**: طرابلس: مكتبة النور، 1968.

9 - الزاوي (الطاهر أحمد) **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، القاهرة: دار المعارف، 1954.

10 - الزاوي (الطاهر أحمد) **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**، ليبيا: محمد الرماح بشينة، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1970.

11 - عباس (إحسان) **تاريخ ليبيا**، بنغازي، دار ليبيا، بيروت: دار صادر، 1967.

12 - عبد الجواد (توفيق) **تاريخ العمارة والفنون الإسلامية**، 4 أجزاء، القاهرة مطبعة الانجلو المصرية، 1970.

13 - عبد الوهاب (حسن) **تاريخ المساجد الأثرية**، جزءان، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1946.

14 - الكيب (نجم الدين غالب) **مدينة طرابلس عبر التاريخ 1835**، القاهرة: دار الجيل، الفجالة، 1971.

15 - مختار (عمر أحمد) **النشاط الثقافي في ليبيا**، بيروت: دار الكتب، 1971.

16 - سالم (عبد العزيز السيد محمود) **المآذن المصرية**، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون الطباعة الأميرية، 1959.

17 - الشافعي (فريد محمود) **العمارة العربية في مصر الإسلامية: عصر الولاة**، القاهرة: الهيئة المصرية، 1970.

18 - **موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا**، ج1، 1982 - مصلحة الآثار - طرابلس.

19 - **موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا**، ج2، 1988 - مصلحة الآثار وجمعية الدعوة الإسلامية بطرابلس.

ب ـ كتب بلغات إفرنجية مختلفة:

1 - Abun-Nasr, Jamil M. **A History of the Magrib,** 2ND. ED. London: university press Cambridge, 1975.

2 - Aksel, Malik, **Religious pictures in Turkish art,** Istanbul, 1967.

3 - Aslanapa, Qktay, **Turkish art and architecture,** London, New York, prager publishers, 1971.

4 - Atil, Esin, **Ceramics from the World of Islam,** Washington: freer gallery of art, 1973.

5 - Bergna, Constanzio. **Tripoli Dal 1510 al 1850,** Trans. Khalifa M. Tillisi, Tripoli: Ferjani, 1969.

6 - Berendsen, Anne and others, **Tiles: A General history,** trans. Janet Seligman, N. York, A Studio book, the Viking. press, 1967.

7 - Blunt, Anthony, **Sicilian Baroque,** New York: the Macmillan company, 1968.

8 - Blunt. Anthony, **Neapolitan Baroque and Rococo architecture,** London: A. Zwemmer LTD., 1975.

9 - Carswell, John, **Kutahya Tiles and Pottery from the Armenian Cathedral** of ST. James, Jerusalem, oxford: 1972.

10 - Creswell, K.A.C., **Early Muslim architecture,** 2 vols. Oxford: at the Clarendon press. 1932. 1940, 1969.

11 - Creswell, K.A.C. **the Muslim architecture of Egypt,** 2 vols. Oxford: at. the Clarendon press. 1952. 1959.

12 - Dahl, George Leighton, **Portals Doorways and Windows of France,** preface by George H. Edgell. New York: the architectural book publishers, 1925.

13 - Daoulatli, Abdel Aziz, **Tunis sous les Hafside: Evlution Urbaine et activite architectural,** Tunis: Institut national d'acheologie et d'art, 1976.

14 - Dearden, Seton, a **Nest of corsairs: the Fighting Karamanlis of the Barbary coast,** London: John Murray, 1976.

15 - Ettenghausen, Richard, Arab painting, Cleveland: the World publishing company, 1962.

16 - Evans- Pritchard, E.E., **The Sanusi of Cyrenaica,** Oxford: at the Clarendon press, 1973.

17 - Fisher, Godfrey, **Barbary Legend: war, trade, piracy in North Africa,** 1410 - 1830, 1 ST. ED. Oxford, 1959.

18 - General board of Tourism and fairs, **Souvenirs from the Libyan Arab Republic,** Tripoli, 1976.

19 - Goodwin, Godfrey, a **History of Ottoman architecture,** London: Thomas and Hudson, 1971.

20 - Hill, Derek and L. Golvin **Islamic architecture in North Africa,** London, Faber And Faber, Limited, 1976.

21 - Hughes, Quentin, **the Buildings of Malta 1530 - 1795.** London: Alex Tiranti LTD., 1956.

22 - Inalcik, Halik, **the Ottoman Empire: the Classical age, 1300 - 1600,** trans. Norman Lizkawitz and Colin Imber, Washington, New York: praeger publishers, 1973.

23 - Kuran, Aptullah, **the Mosque in Early Ottoman architecture,** London: the university of Chicago press, 1968.

24 - Lane, Arthur, **Later Islamic pottery: Persia, Egypt, Syria, Turkey,** London: Faber and Faber, 1957.

25 - Lane, Arthur, **A Guide to the collection of tiles,** London: Victoria and Albert museum, 1939.

26 - **Mosquees de Tunisie,** maison Tunisienne de l'edition, Tunis, 1973.

27 - Marcais, Georges, **Algerie Medieval: Munuments et paysages historuque,** Paris, 1957.

28 - Marcais, Georges, **L'Architecture Musulmane d'occident Paris: Arts et metier graphiques, 1954, d'archeologie de geographie.**

29 - Marcais, Georges and Lucien Golvin, **la Grande Mosqee des FES,** Tunis: institut national d'archeologie et arts, 1960.

30 - Mcgrew, Charles **B., Italian doorways,** with preface by GraHam Philips, Stevens, Cleveland: J.H. Jansen publishers, 1929.

31 - Messana, Gaspare, **l'Architettura Musulmana della Libya,** trans. Ali Al-Sadik Hasanayn, Italy: Edizioni Del Grifo ne, 1972, Tripoli; Al-Nashir DR. Mustafa Al-Ajaili, 1973.

32 - Naji, Mahmud, **Tarabulus Gharb Tarikhi,** trans. Abdal-Salam Adhm and Muhammed al-Usta, manshurat al-Jamia Al-Libyya, Kuliyat Al-Adab, Beirut: matbaat Al-Gharib, 1970.

33 - Niazi, Kausar, **Role of Mosque,** Pakistan: Lahore, 1976.

34 - Primaudie, M. Elie Dela, **le Littoral de la Tripolitania, commerce, navigation, geographie comparee,** Paris: Arthus Bertand editeur 1866.

35 - Prost, Claude **Revetements ceramiques dans les monuments Musulmans de l'Egypte,** memoires de l'institut Francais d'archeologie orientale de Caire, tome 40, Cairo, 1917.

36 - Ramadan, Ali Mustafa, **Reflections upon Islamic architecture in Libya,** Tripoli, Tunis, the Arab house, 1975.

37 - Revault, Jacques, **Palais et demeures de Tunis XVI et XVII siecles,** Paris: Centre national de la recherche scientifique, 1967.

38 - Revault, Jacques, **palais et demeures de Tunis XVIII et XIX siecles, Paris, 1971.**

39 - Rivoira, G.T. **Muslem architecture: It's Origins and development,** trans. G.M.N. Rushforth and O.U.P. Humphrey Milford, London: Oxford UNI. press, 1918.

40 - Rossi, Ettori, **il Dominio Del Cavalieri Di Malta a Tripoli 1530 - 1551,** trans. Khalifa M. Tillisi, Tripoli: Muassat Al-Thakafa Al-Libyya, 1969.

41 - Saladin, Henri, **Tunis et Kairaun,** Paris: Librairie Renourd, H. Lauren editeur, 1908.

42 - Samih, Aziz, **Simali Afrika da Turkler,** trans. Abdal-Salam Adham, dar Lubnan, 1969.

43 - Sauvaget, j., **la Mosquee Omeyyade de Medine,** Paris: vonoest les editions d'art et d'histoire, 1947.

44 - Scarin, Emilio, **le Oasi del 29 parallelo,** Florence: G.D. sansoni editore, 1937 - XV.

45 - Scarin, Emilio, **le Oasi del Fezzan,** Bologna: Nicola Zanichelli editore, 1934 - X11.

46 - Show, Stanford Jay, **History of the Ottoman and modern Turkey,** London: Cambridge university press, 1976, vol.

47 - Speltz, Alexander, **the Styles of ornament:** New York: Dover publication, ING., 1959.

48 - Unsal, Behcet, **Turkish Islamic architecture: Seljuk to Ottoman 1071 - 1923,** London: Academy editions, 1973.

49 - Vogt-Goknil, Ulya, **Living Architecture: Ottoman,** New York: Grosset and Dunlap, 1968.

50 - Zbiss, Sliman Mustafa, **a Travers les monuments Musulman de Tunisie,** Tunis: maison de la culture, 1963.

51 - Zbiss, Sliman Mustafa, **les Coupoles Tunisiennes dans leur evolution, preface** de H.H. Abd Al-Wahhab, Tunis: institut national, d'archeologie et d'art, 1959.

52 - Zevi, Bruno, **Architecture as space,** trans. Milton Gendel, New York: Horizon press, 1974.

ثالثاً: المقالات والأبحاث والدراسات:

أ ـ باللغة العربية:

1 ـ أبو حامد (محمود الصديق) «جامع مراد آغا في تاجوراء»، مجلة الرواد، السنة الرابعة ورقم 7 أغسطس (هانيبال) 1968، ص56 ـ 60.

2 ـ البنا (محمد كامل) «مسجد مولاي محمد بطرابلس»، جريدة الفجر الجديد، رقم 803، أبريل (الطير) 1975.

3 ـ البنا (محمد كامل) «مسجد ميزران بطرابلس»، جريدة الفجر الجديد، بتاريخ 23/ 4/ 1975.

4 ـ البنا (محمد كامل) «مسجد الناقة بطرابلس»، جريدة الفجر الجديد، رقم 923، أغسطس (هانيبال) 1975.

5 ـ البتراوي (أحمد) «جامع الناقة» جريدة الأسبوع الثقافي، طرابلس 9 رمضان 1393هـ ـ 1973.

6 ـ التليسي (خليفة محمد) «طرابلس لدى الجغرافيين والرحالة العرب» جريدة الأسبوع الثقافي، رمضان 18 ـ 35 ـ 1394هـ.

7 ـ التليسي (خليفة محمد) «طرابلس في عهد مراد آغا ودرغوت» جريدة الأسبوع الثقافي، 19 شوال، 1394هـ.

8 ـ التليسي (خليفة محمد) «طرابلس كما تصفها رحلة العياشي ومخطوطة فرنسية لمؤلف مجهول» جريدة الأسبوع الثقافي، 17 شوّال، 1394هـ.

9 ـ التليسي (خليفة محمد) «طرابلس كما يصفها الرحالة المغربي أحمد بن ناصر الدرعي» جريدة الأسبوع الثقافي، الأول من ذي القعدة 1393هـ.

10 ـ التليسي (خليفة محمد) «طرابلس كما يصفها الرحالة الذين مروا بها في العهد القرمانلي «جريدة الأسبوع الثقافي»، 8 ذي القعدة، 1394هـ.

11 ـ التليسي (خليفة محمد) طرابلس في سنة 1765 «جريدة الأسبوع الثقافي»، 15 ذي القعدة، 1394هـ.

12 ـ التليسي (خليفة محمد) «طرابلس في العهد القرمانلي كما تبدو للرحالة الأجانب» جريدة الأسبوع الثقافي 22 ذي القعدة، 1394هـ.

13 ـ التليسي (خليفة محمد) «أول شاهدة أجنبية تكتب عن مدينة طرابلس، (مس ريتشارد توللي)» جريدة الأسبوع الثقافي، 29 ذي القعدة، 1394هـ.

14 ـ التليسي (خليفة محمد) «طرابلس كما يصفها الرحالة الأجانب في أواخر العهد القرمانلي» جريدة الأسبوع الثقافي، 6 ذي الحجة، 1394هـ.

15 ـ التليسي (خليفة محمد) «طرابلس كما يصفها الرحالة الإسباني علي بن العباسي» جريدة الأسبوع الثقافي، 13 ذي الحجة، 1394هـ.

16 ـ زبيس، (سليمان مصطفى) «المحاريب في العمارة الدينية بالمغرب الإسلامي» المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس 18 ـ 29 مايو (الماء) 1963، القاهرة 1965، ص553 ـ 572.

17 ـ عبد الوهاب (حسن حسني) «الآثار الفاطمية في البلاد العربية، تونس والقاهرة»، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس 18 ـ 29 مايو (الماء) 1963، القاهرة 1965، ص359 ـ 419.

18 ـ عبد العال (فوقية) «ملاحظة الكاتبة تردد ما كتبه التجاني وميسانا»، «جامع سيدي عبد الوهاب» جريدة الفجر الجديد، رقم 641، 23 ـ 9 ـ 1974.

19 ـ عبد العال (فوقية) «جامع الناقة» جريدة الفجر الجديد، رقم 638، 639، 19 ـ 21 ـ 9 ـ 1974.

20 ـ عبد العال (فوقية) «جامع درغوت باشا» جريدة الفجر الجديد، رقم 642، 24 ـ 9 ـ 1974.

21 ـ عبد العال (فوقية) «جامع درغوت باشا» جريدة الفجر الجديد، رقم 643، 25 ـ 9 ـ 1974.

22 ـ عبد العال (فوقية) «جامع سيدي سالم» جريدة الفجر الجديد، رقم 647، 30 ـ 9 ـ 1974.

23 ـ عبد العال (فوقية) «جامع محمود» جريدة الفجر الجديد، رقم 649، 2 ـ 10 ـ 1974.

24 ـ عبد العال (فوقية) «جامع محمود» جريدة الفجر الجديد، رقم 650، 3 ـ 10 ـ 1974.

25 ـ عبد العال (فوقية) «جامع أحمد باشا القرمانلي» جريدة الفجر الجديد، رقم 651، 5 ـ 10 ـ 1974.

26 ـ عبد العال (فوقية) «جامع أحمد باشا القرمانلي» جريدة الفجر الجديد، رقم 652، 6 ـ 10 ـ 1974.

27 ـ عبد العال (فوقية) «جامع قرجي» جريدة الفجر الجديد، رقم 654 ـ 655 ـ 8 ـ 9 ـ 10 ـ 1974.

28 ـ عبد العال (فوقية) «جامع محمد باشا شائب العين» جريدة الفجر الجديد، رقم 656 ـ 10 ـ 10 ـ 1974.

29 ـ عبد العال (فوقية) «جامع الخروبة» جريدة الفجر الجديد، رقم 657 ـ 12 ـ 10 ـ 1974.

30 ـ عبد العال (فوقية) «الجامع الكبير في درنة» جريدة الفجر الجديد، رقم 658 ـ 13 ـ 10 ـ 1974.

31 ـ عبد العال (فوقية) «جامع عثمان بوقلاز» جريدة الفجر الجديد، رقم 660 ـ 15 ـ 10 ـ 1974.

ب ـ باللغات الإفرنجية وغيرها:

1 - Aurigemma, Salvatore, «la Moschea di Ahmad Qaramanli in Tripoli», dedalo II, anno 7, Rome: Milan, casa editrice d'arte bestete e Tumminelli, 1926 - 1927, pp. 492 - 513.

2 - Aurigemma, Salvatore, «la Moschea di Gurgi in Tripoli», Africa Italiana, I, anno 6, no. 4, Rome: acura del Ministro Delle Colonie, 1928, pp. 257 - 285.

3 - Bartoccini, Renato, «la Moschea di Murad Agha in Tajura Tripolitania», architettura e arte decorative, I, anno 3, Rome: Milano, Casa editrice d'arte besette e Tumminelli, 1923, pp. 337 - 346.

4 - Cauvet, Commandant, «les Marabouts: petits Monuments Funeraires et Motifs du Nord de l'afrique», revue Africaine, LXIV, Algiers: Kraus reprint, 1923, pp.274 - 329, 448 - 522.

5 - Creswell, K.A.C. «the Evolution of the Minaret, with special reference to Egypt» the Burlington Magazine, XL, VIII, no. 276 March: no. 278 May; and no. 279 June, London 1926, pp.134 - 140, 252 - 258; 290 - 296.

6 - Dayigil, Feysullah, «Istanbul Cinilerinde», Vakfilar Dergisi, Ankara: 1938 and 1942, pp.83 - 90, 223 - 232.

7 - Emel, Esin, «Al-Qubbah Al-Turkiyya», Atti Del Terzo congresso di Studi Arabie e Islamici, Rovello, 1 - 6 Septembre 1966, Naples, 1967, pp.281 - 313.

8 - Fehervari, Geza, «Tombstone or Mihrab? a Speculation» Islamic art in the metropolitan Museum of art, New York: metropolitan Museum of art, 1972, pp.241 - 254.

9 - Gabriel, Albert, «les Mosquees de Constantinopli», Syrie: revue d'art Orientale et d'archeologie, VII, Paris: Librairie Paul Genthner, 1926, pp. 353 - 419.

10 - Golombek, Lisa, «Abbasid Mosque at Balkh», Oriental art, XV, New Series, 1969, pp. 173 - 189.

11 - Goodchild, Richard, «Madina Sultan: a Preliminary note», Libya antiqua, I, Tripoli: the Directorate general of antiquites, 1964, pp.99 - 106.

12 - Gottheil, Richard J.H., «the Origins and history of the minaret», Journal of the American Oriental society, XXX, ED. J. Richard J., and Hans Qertel, New Haven: the American Oriental society, 1909 - 1910, pp. 132 - 154.

13 - Grabar, Oleg, «the Earliest Islamic commemorative structures, «ars Orientalis, VI, Ann Arbor: university of Michigan, Smith Sonian publication, 1966, pp. 7 - 46.

14 - Hutt, Antony and George Michell, Islmic art and architecture in Libya, London, 1976, pp.5 - 31.

15 - Hutt, Antony and Guy Pertherbridge, Islamic art and architecture, Vernacular architecture exhibition catalogue, London, 1976, pp.32 - 59.

16 - Lezine, Alexandre, «Deux Ribats du Sahl Tunisiens», les cahiers de Tunisie, XV, Tunis: institut des hautes etudes, 1956, pp.279 - 288.

17 - Lisse, P., «Tradition, evolution, adaption de la sculpture sur pierre dans la cap bon«, no. 73, 19 annee, revue de l'institut des belles lettres Arabes, Tunis, 1956, pp.81 - 92.

18 - Mantran, R. «North Africa in the Sixteenth and eighteenth centuries», the Cambridge history of Islam, II, ED. P.M. Holt. Ann K.S. Lamberton, and Bernard Lewis, Cambridge: at the university press, 1970, pp.238 - 265.

19 - Mantran, R. «Karamanli» the Encyclopaedia of Islam, IV, FASC. 69 - 90, new edition 1975, pp.617 - 619.

20 - Martiny, Von Gunter, «Zum entwicklun geschi - chte der Osmanischen», ars Orientalis, IV. Ann Arbor: university of Michigan and Smithsonian publication, 1961, pp.107 - 112.

21 - Mustafa, Muhammed, «Excavations in Madinat Sultan» Libya antiqua, 111, 1V, Tripoli: the directorate general of antiquities, 1960, pp.145 - 154.

22 - Pauty, Edmond, «l'Architecture au Caire depuis la conquete ottomane», bulletin de l'insitut Francais d'archeologie Orientale, XXXVI, Cairo, 1936, 1937, pp.1 - 69.

23 - Raymond, André, «North Africa in the pre-colonial period», the Cambride history of Islam, II, ED.P.M. Holt, ann K.S. Lamberon and Bernard Lewis, Cambridge: at the university press, 1970, pp.266 - 298.

24 - Romanelli, petro, «Vecchie Case Arabi di Tripoli», Architettura e arte decorative, I, anno 3, Rome: Milano, casa editrice d'arte bestette e tumminelli, 1923, 1924, pp.193 - 211.

25 - Sadawiyya, Awd Mustafa, «conditions of Libya as described by Haj Abdusalam El-Ayyashi», Libya in history; historical conference, 16 - 20 March 1968, Benghazi: the university of Libya, 1968, pp.279 - 287.

26 - Saustiel, Joseph, «la Decoration aux quatre des ceramiques Turques», Faenza XXXIX, bollettino del museo internazionale delle ceramichein Faenza, Faenza, 1953, pp.12 - 16.

27 - Schacht, Joseph, «Ein archaischer Minaret-typ in Egypten and anatolien», ARS Islamica, II, PT. I, Ann Arbor: the university of Michigan publication, 1938, pp. 46 - 54.

28 - Schacht, Joseph, «Sur la diffusion des formes d'architectures religieuse Musulmane a travers le Sahara», travaux de l'institut de recherches Sahariennes, XI, Alger: E. Empert imprimeur, 1954, pp.11 - 27.

29 - Schacht, Joseph, «Further notes on the staircase minarets» ARS

Orientalis, IV-Ann Arbor: university of Michigan and Smith Sonian publication, 1961, pp.52 - 54.

30 - Shafei, Farid, «West Islamic influences on architecture in Egypt before the Turkish period», Jamiat Al-Kahirah Kulliyat Al-Adab, bulletin, XVI, PT. 2, Cairo, 1954, pp.1 - 49.

31 - Shaklug, Masud, «the Old Mosque of Ujlah», art and archaeology research papers, London: Tripoli, department of antiquities, April, 1976, pp.25 - 28.

32 - Soucek, Svat, «the Rise of the Barbarossas in Northe Africa», archivum ottomanicum, 111, 1971, pp.238 - 250.

33 - Ulgen, Ali Saim, «Trablusgarpta Turgut Reis Mimari Manzumesi», Vakiflar Dergisi, III Ankara, 1962, pp.87 - 92.

24 - Ward, Philip, «ancient Mosques of Tripoli», Libyan Review, March, 1968, pp.36 - 38.

35 - Warfelli, Muhammad Salim, «the Old city of Tripoli», art and archaeolgy research papers, London: Tripoli department of antiquities, April 1976, pp.2 - 18.

36 - Whitehouse, David, «Islamic art and architectur in Libya: Recent artchaeological investigations», exhibition catalogue, London, 1976, pp.60 - 71.

37 - Yetkin, Suut Kemal, the Evolution of architectural form in turkish Mosques 1300 - 1700 studia Islamica, XI, Paris: Larose 1959, pp.73 - 91.

38 - Ziadah, Nicola, «Libya from Leo Africanus to Al-Tamghruti» Libya in history, historical conferenc 16 - 23 March. Benghazi: university of Libya 1968, pp.249 - 277.

قائمة الصور التوضيحية

- (**شكل 1**) جامع العمروص، منظور، سوق الجمعة.
- (**شكل 2**) جامع سيقاط، منظر عام، جنزور.
- (**شكل 3**) جامع خليل باشا (دورار) منظور، الظهرة، طرابلس.
- (**شكل 4**) جامع أحمد القرمانلي، منظر للقباب والمئذنة، طرابلس.
- (**شكل 5**) مدرسة عثمان الساقزلي، القبتان المضلعتان فوق المسجد والضريح ـ طرابلس.
- (**شكل 6**) زاوية سيدي علي الفرجاني، قبة الضريح، ساحل الأحامد.
- (**شكل 7**) زاوية القائد عمورة، قبتا المسجد والضريح، جنزور.
- (**شكل 8**) جامع عمورة محمد فلمنك، قبة بيت الصلاة، طرابلس.
- (**شكل 9**) القبة المضلعة فوق ضريح مصطفى قرجي، طرابلس.
- (**شكل 10**) أحد قباب بيت الصلاة بجامع مصطفى قرجي توضح الزخارف الجصيّة الملوّنة طرابلس.
- (**شكل 11**) جامع درغوت، الزخارف الملوّنة في بيت الصلاة من الداخل ـ طرابلس.
- (**شكل 12**) جامع سيدي الكتاني، حنايا ركنية في قباب بيت الصلاة، طرابلس.
- (**شكل 13**) جامع محمود خازندار، مثلثات ركنية في قباب بيت الصلاة، طرابلس.
- (**شكل 14**) زاوية القائد عمورة، حنية ركنية في قبة بيت الصلاة.
- (**شكل 15**) زاوية العالم (الباقول) حنية ركنية في قبة الضريح ـ الرياينة.
- (**شكل 16**) جامع درغوت حنية ركنية في القبة الواقعة في الشمال الشرقي من بيت الصلاة ـ طرابلس.
- (**شكل 17**) ضريح الشيخ إسماعيل بن يربوع الواقع خلف جدار القبلة بجامع الدروج بطرابلس.
- (**شكل 18**) مدرسة عثمان الساقزلي، مثلث كروي ومثمّن منطقة الانتقال في قبّة المسجد، طرابلس.

- **(شكل 19)** جامع محمد شائب العين، عمود تتفرع منه أربعة أقواس، بيت الصلاة، طرابلس.
- **(شكل 20)** جامع خليل الأرناؤوطي (دورار)، منطقة انتقال في إحدى القباب ببيت الصلاة، طرابلس.
- **(شكل 21)** جامع أحمد القرمانلي، الزخارف الجصيّة في حجرة الضريح ـ طرابلس.
- **(شكل 22)** جامع مصطفى قرجي، الزخارف الجصيّة، بيت الصلاة وحنية ركنية ومثلث كروي، طرابلس.
- **(شكل 23)** جامع مصطفى قرجي، الزخارف الجصية في القبة فوق دكة المبلغ، طرابلس.
- **(شكل 24)** جامع عثمان بوقلاز، مثلث كروي في منطقة الانتقال في القبة الرئيسية ببيت الصلاة، بنغازي.
- **(شكل 25)** جامع سيدي الكتاني، منطقة الانتقال من الخارج لقباب الجامع، طرابلس.
- **(شكل 26)** جامع درغوت، منظر عام لبيت الصلاة من الداخل، طرابلس.
- **(شكل 27 أ)** جامع درنة الكبير، منظر عام لبيت الصلاة من الداخل، طرابلس.
- **(شكل 27 ب)** جامع درنة الكبير، منظر عام لبيت الصلاة من الخارج، طرابلس.
- **(شكل 28)** جامع حسين القبطان، جزء من بيت الصلاة من الداخل، طرابلس.
- **(شكل 29)** جامع عمورة محمد فلمنك، جزء من بيت الصلاة من الداخل، طرابلس.
- **(شكل 30)** جامع المجيديّة من الداخل العقود والأعمدة التي تدعم السقف، طرابلس.
- **(شكل31)** جامع سيقاط، بيت الصلاة من الداخل، جنزور.
- **(شكل 32)** الجامع القديم بجنزور من الداخل، المنبر والمحراب وجدار القبلة، جنزور.
- **(شكل 33)** زاوية العالم (الباقول)، باثكة تدعم سقف بيت الصلاة، الرياينة.
- **(شكل 34)** صفحة من مخطوط غير مؤرخ تعطي تاريخ بناء زاوية الباقول، واسم المؤسّس، الرياينة.
- **(شكل 35)** جامع الدراوي، باثكة تدعم سقف بيت الصلاة، بنغازي.
- **(شكل 36)** جامع زميت، باثكة تدعم سقف بيت الصلاة، طرابلس.
- **(شكل 37)** جامع درغوت، زخارف منطقة المحراب، طرابلس.
- **(شكل 38)** جامع محمد شائب العين، زخارف منطقة المحراب، طرابلس.
- **(شكل 39)** جامع عمورة محمد فلمنك، منطقة المحراب، طرابلس.

- **(شكل 40)** جامع الدراوي، المحراب والمنبر، بنغازي.
- **(شكل 41)** جامع الخروبة، الزخارف الجصيّة في منطقة المحراب.
- **(شكل 42)** جامع مصطفى قرجي، زخارف منطقة المحراب.
- **(شكل 43)** جامع سيدي الكتاني، المحراب القديم، ومحراب الاتجاه الصحيح، طرابلس.
- **(شكل 44)** جامع حسين القبطان، المحراب والمنبر، طرابلس.
- **(شكل 45)** جامع محمد شائب العين، زخارف المنبر، طرابلس.
- **(شكل 46)** زاوية عمورة، بيت الصلاة في المسجد الملحق بالزاوية، جنزور.
- **(شكل 47)** جامع الخرّوبة، المنبر، طرابلس.
- **(شكل 48)** جامع الدروج (إسماعيل بن يربوع) برج المئذنة، طرابلس.
- **(شكل 49)** جامع مراد آغا، المئذنة والضريح الملحق، تاجوراء.
- **(شكل 50 أ)** جامع الناقة، المئذنة طرابلس.
- **(شكل 50 ب)** جامع الناقة، قباب بيت الصلاة من الخارج طرابلس.
- **(شكل 51)** جامع سيدي عبد السلام الأسمر، منظر عام للقباب والمئذنة، زليطن.
- **(شكل 52)** زاوية عمورة، المئذنة ورواق بالصحن، جنزور.
- **(شكل 53)** جامع المجيديّة، الواجهة والمئذنة، طرابلس.
- **(شكل 54)** جامع عثمان بوقلاز، الواجهة والمئذنة بنغازي.
- **(شكل 55)** جامع الباشا، منظر عام للجامع والمئذنة، الخمس.
- **(شكل 56)** جامع درغوت، المدخل المؤدي إلى الحجرة الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من بيت الصلاة، طرابلس.
- **(شكل 57)** جامع محمد شائب العين، زخارف المدخل المواجه للمحراب، طرابلس.
- **(شكل 58)** جامع أحمد القرمانلي، زخارف المدخل المواجه للمحراب، طرابلس.
- **(شكل 59)** جامع حورية (الميلادي) المدخل، طرابلس.
- **(شكل 60)** جامع قرجي، زخارف المدخل الرئيسي، طرابلس.
- **(شكل 61)** جامع محمد شائب العين، زخارف دكة المبلغ.
- **(شكل 62)** جامع إسماعيل بن يربوع (الدروج)، زخارف دكة المبلغ، طرابلس.
- **(شكل 63)** جامع الخروبة، زخارف دكة المبلغ، طرابلس.
- **(شكل 64)** جامع أحمد القرمانلي، زخارف دكة المبلغ، طرابلس.
- **(شكل 65)** جامع مصطفى قرجي، زخارف دكة المبلغ، طرابلس.

- **(شكل 66)** جامع أحمد القرمانلي، زخارف الواجهة الشمالية الغربية لبيت الصلاة، طرابلس.
- **(شكل 67)** جامع أحمد القرمانلي، لوحة خزفية في الواجهة الشرقية من بيت الصلاة، طرابلس.
- **(شكل 68)** جامع مصطفى قرجي، زخارف الواجهة الشرقية من بيت الصلاة، طرابلس.
- **(شكل 69)** جامع مصطفى قرجي، قباب بيت الصلاة من الخارج ـ طرابلس.
- **(شكل 70)** جامع مصطفى قرجي، القبّة التي تعلو منطقة دكة المبلغ، طرابلس.
- **(شكل 71)** جامع مصطفى قرجي، القبة التي تعلو منطقة المنبر، طرابلس.
- **(شكل 72)** جامع سيدي سالم المشاط، الواجهة والمئذنة، طرابلس.

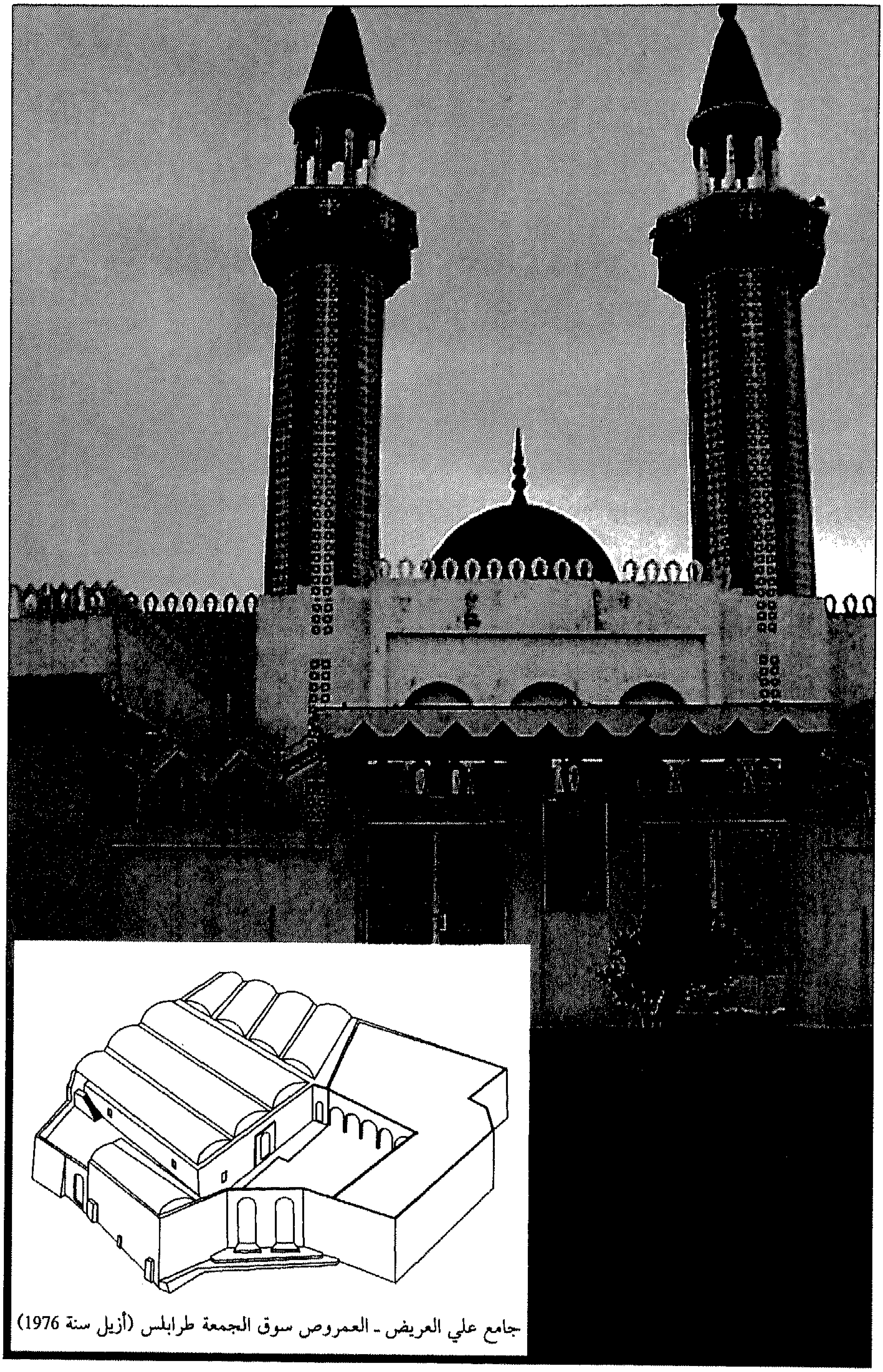

(شكل 1) جامع العمروص، منظور، سوق الجمعة.

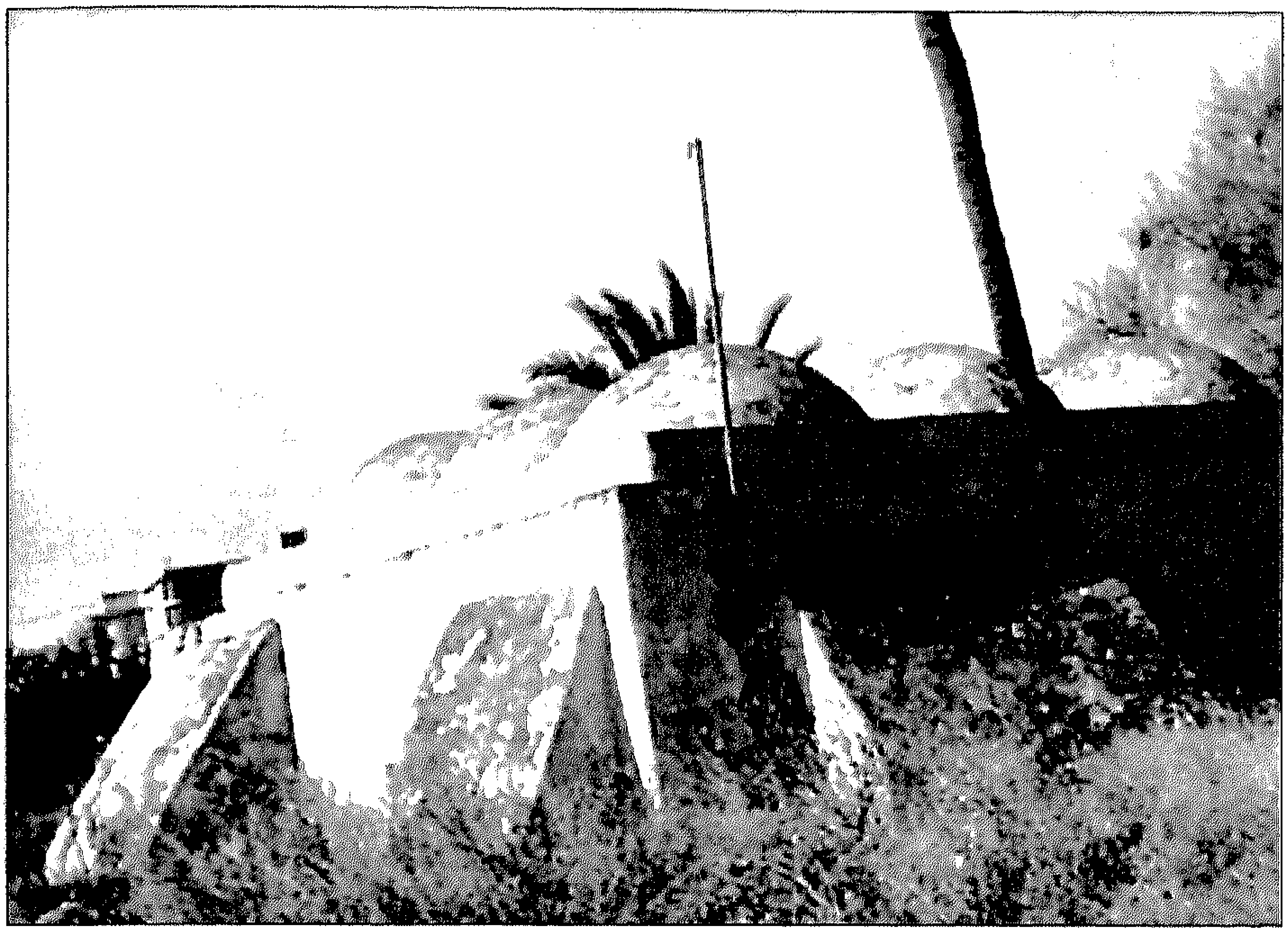

(شكل 2) جامع سيقاط، منظر عام، جنزور.

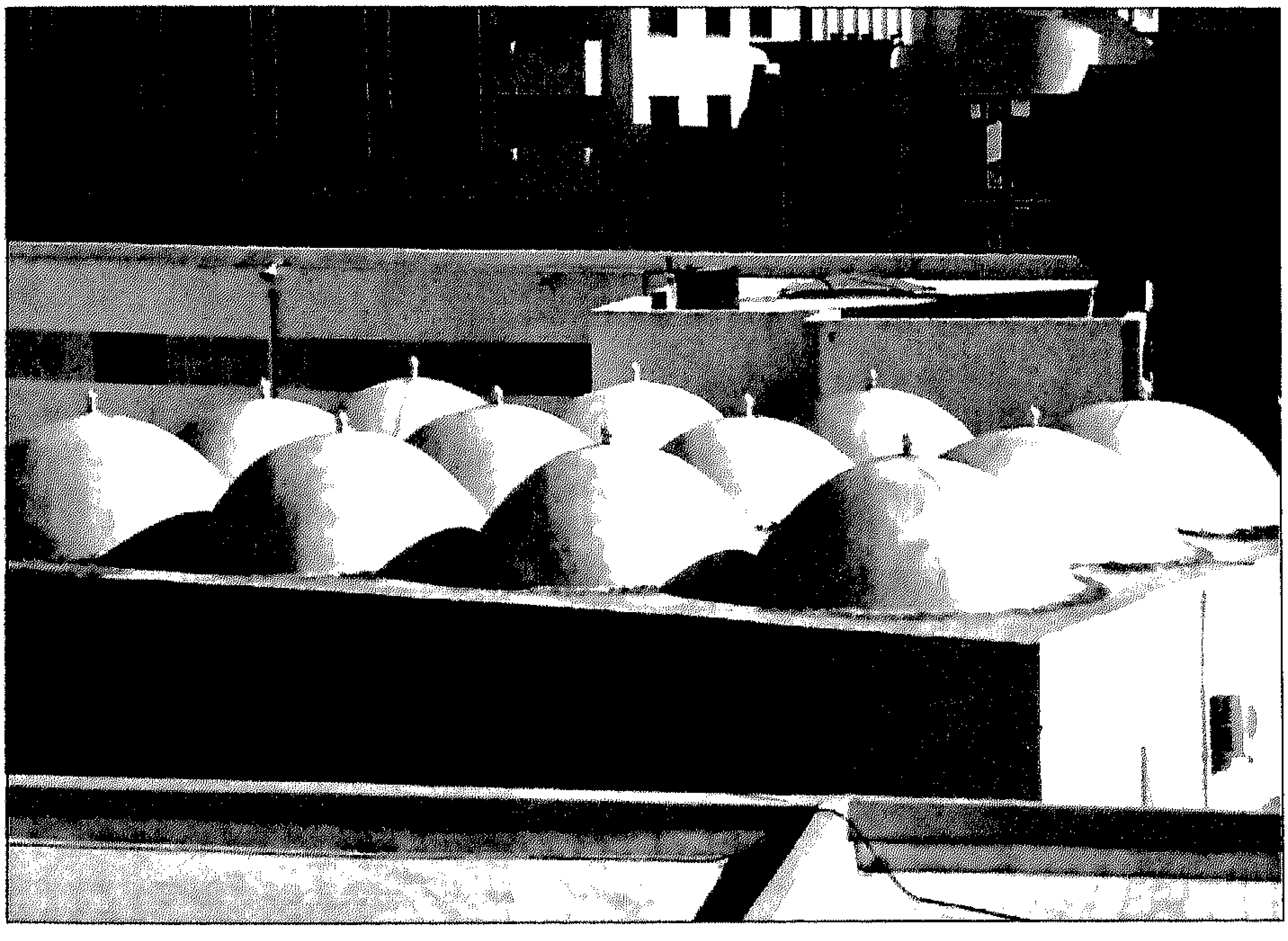

(شكل 3) جامع خليل باشا (دورار) منظور، الظهرة، طرابلس.

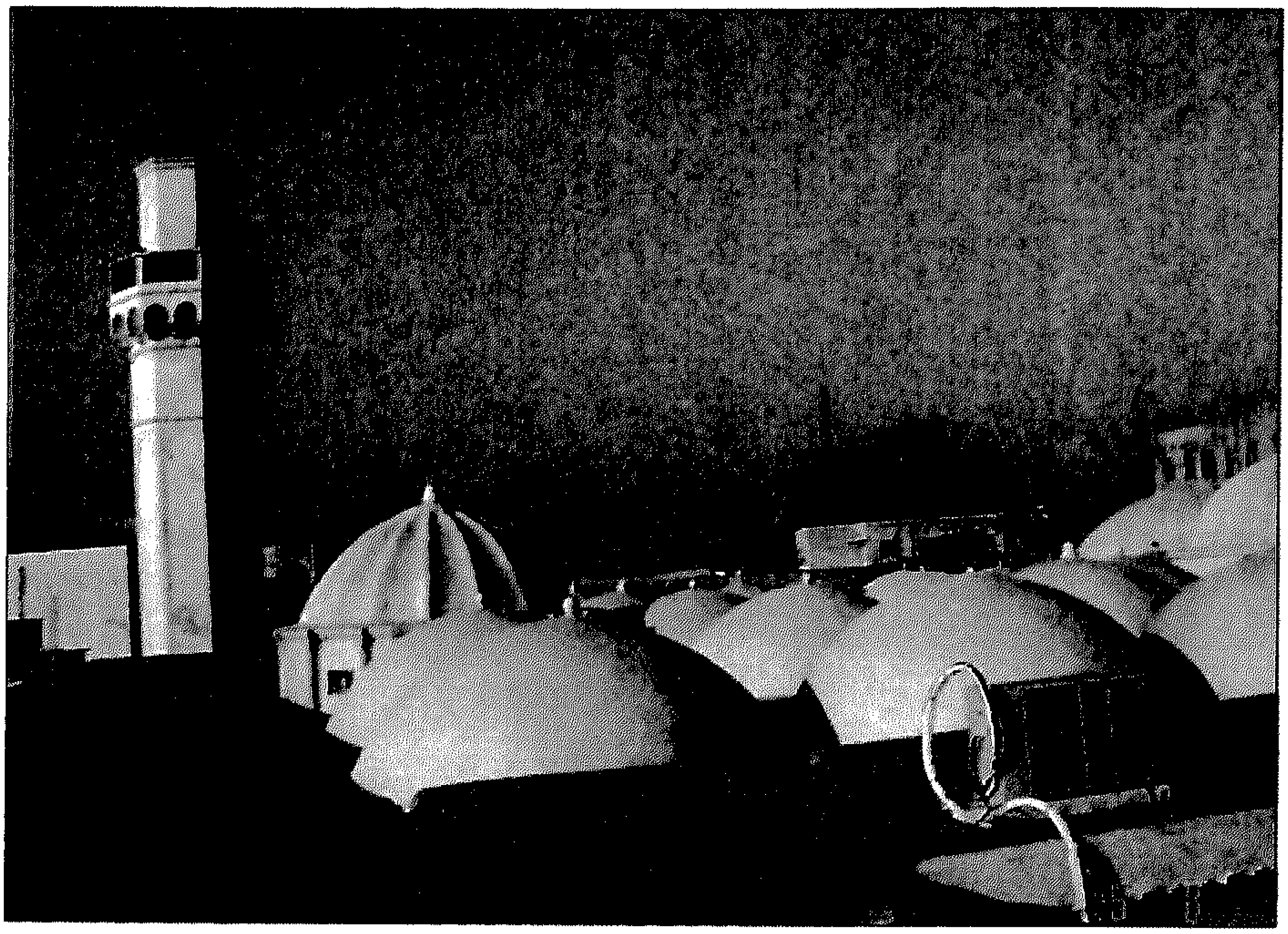

(شكل 4) جامع أحمد القرمانلي، منظر للقباب والمئذنة، طرابلس.

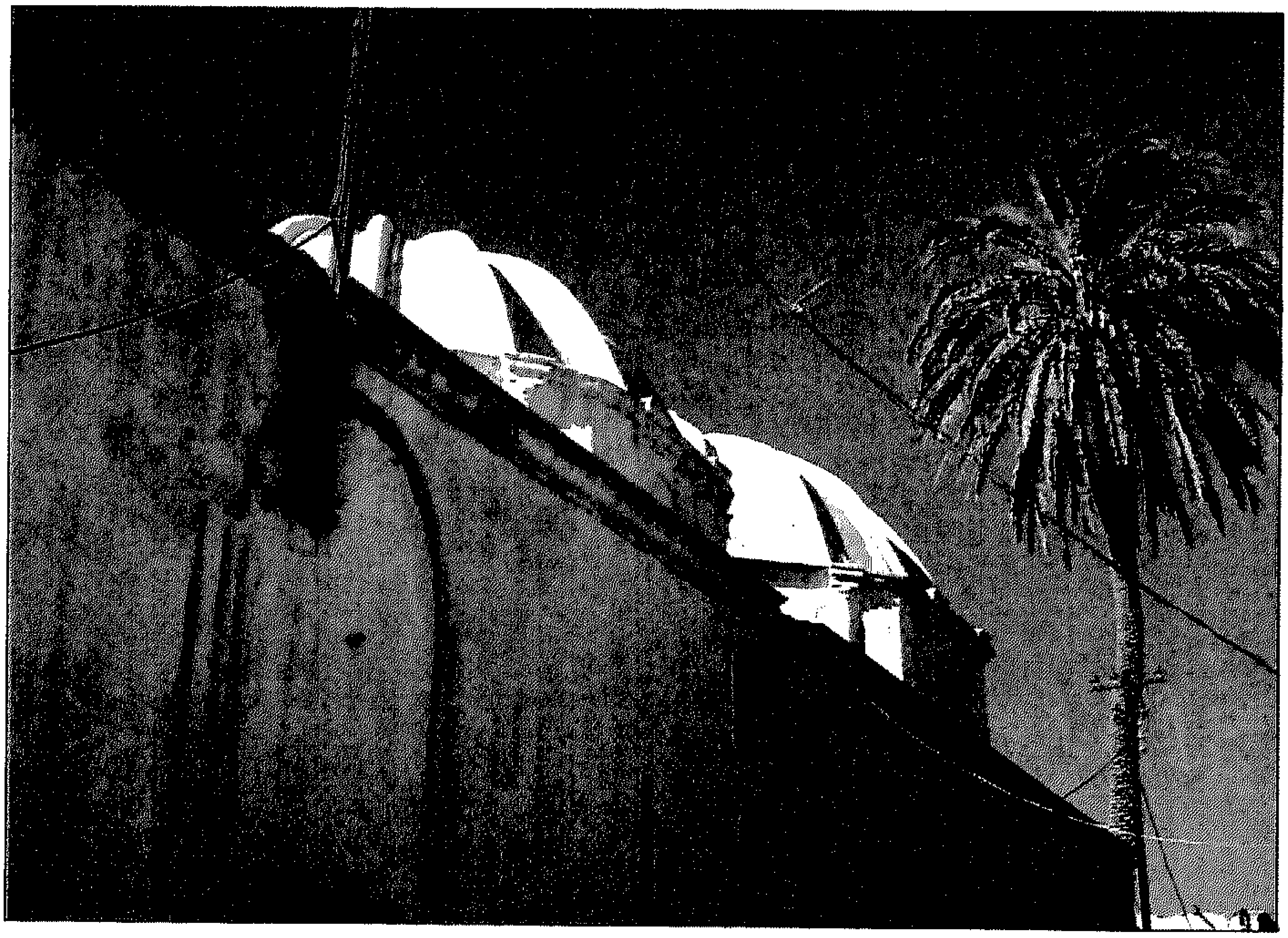

(شكل 5) مدرسة عثمان الساقزلي، القبتان المضلعتان فوق المسجد والضريح ـ طرابلس.

(شكل 6) زاوية سيدي علي الفرجاني، قبة الضريح، ساحل الأحامد.

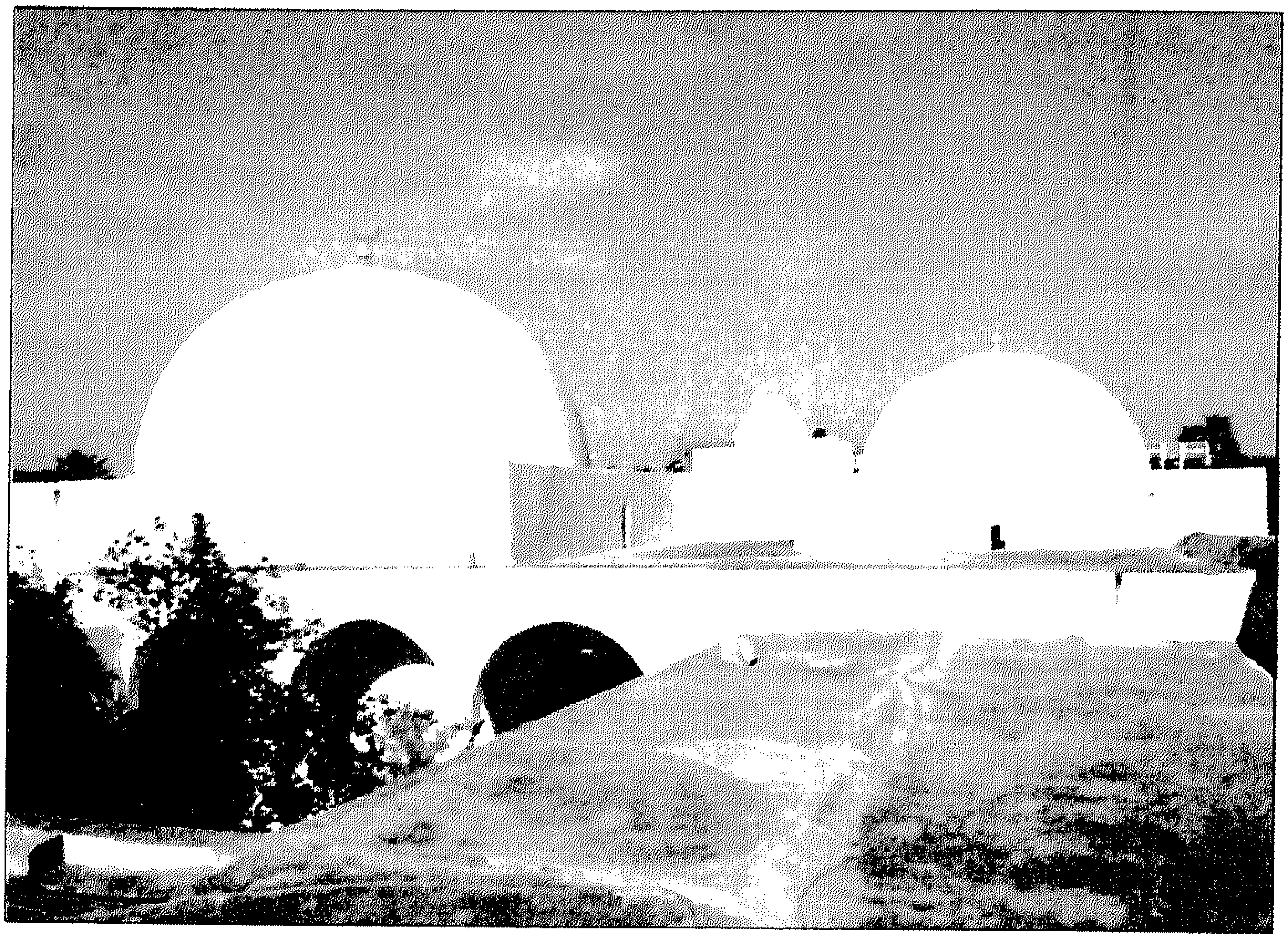

(شكل 7) زاوية القائد عمورة، قبتا المسجد والضريح، جنزور.

(شكل 8) جامع عمورة محمد فلمنك، قبة بيت الصلاة، طرابلس.

(شكل 9) القبة المضلعة فوق ضريح مصطفى قرجي، طرابلس.

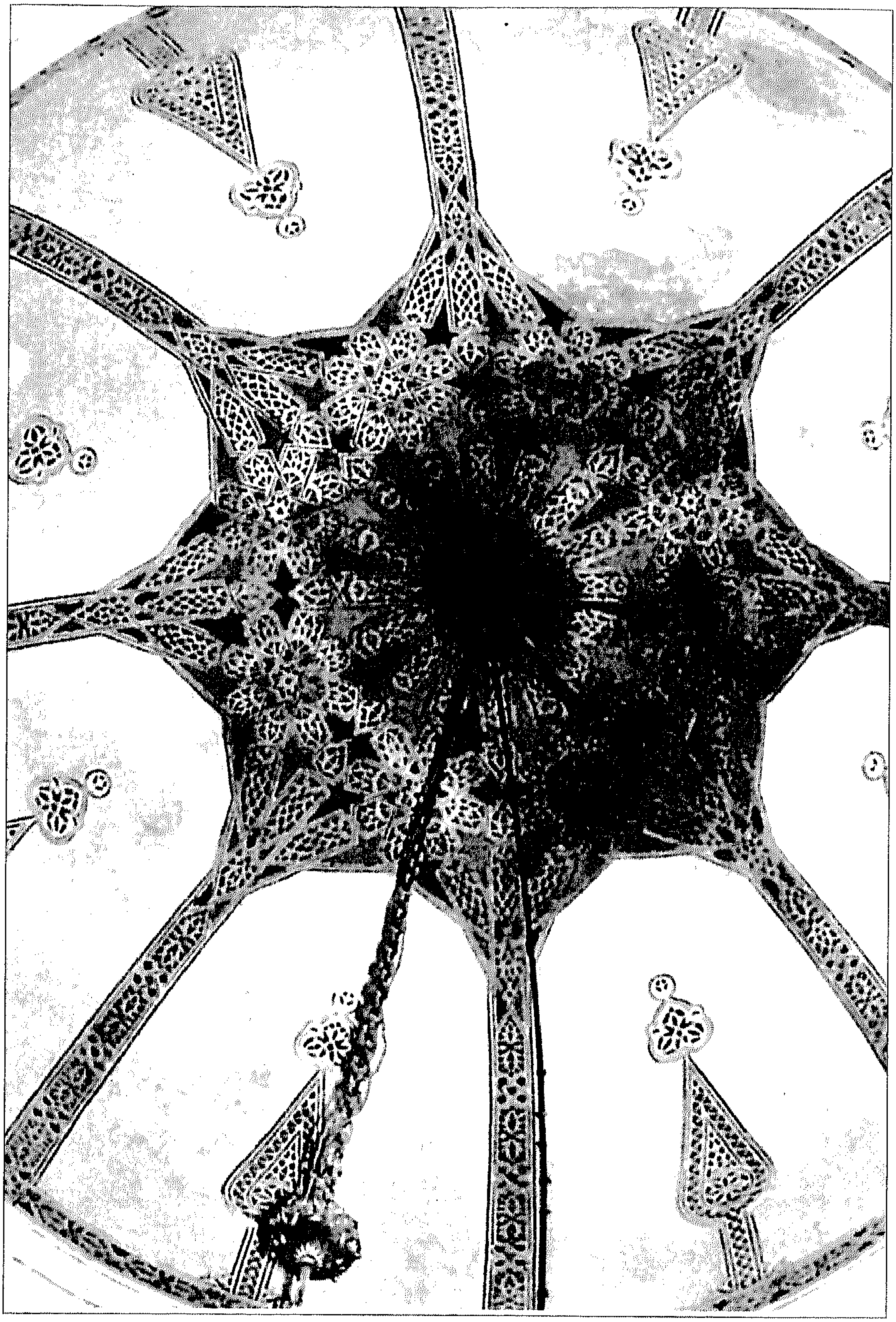

(شكل 10) أحد قباب بيت الصلاة بجامع مصطفى قرجي
توضح الزخارف الجصية الملوّنة طرابلس.

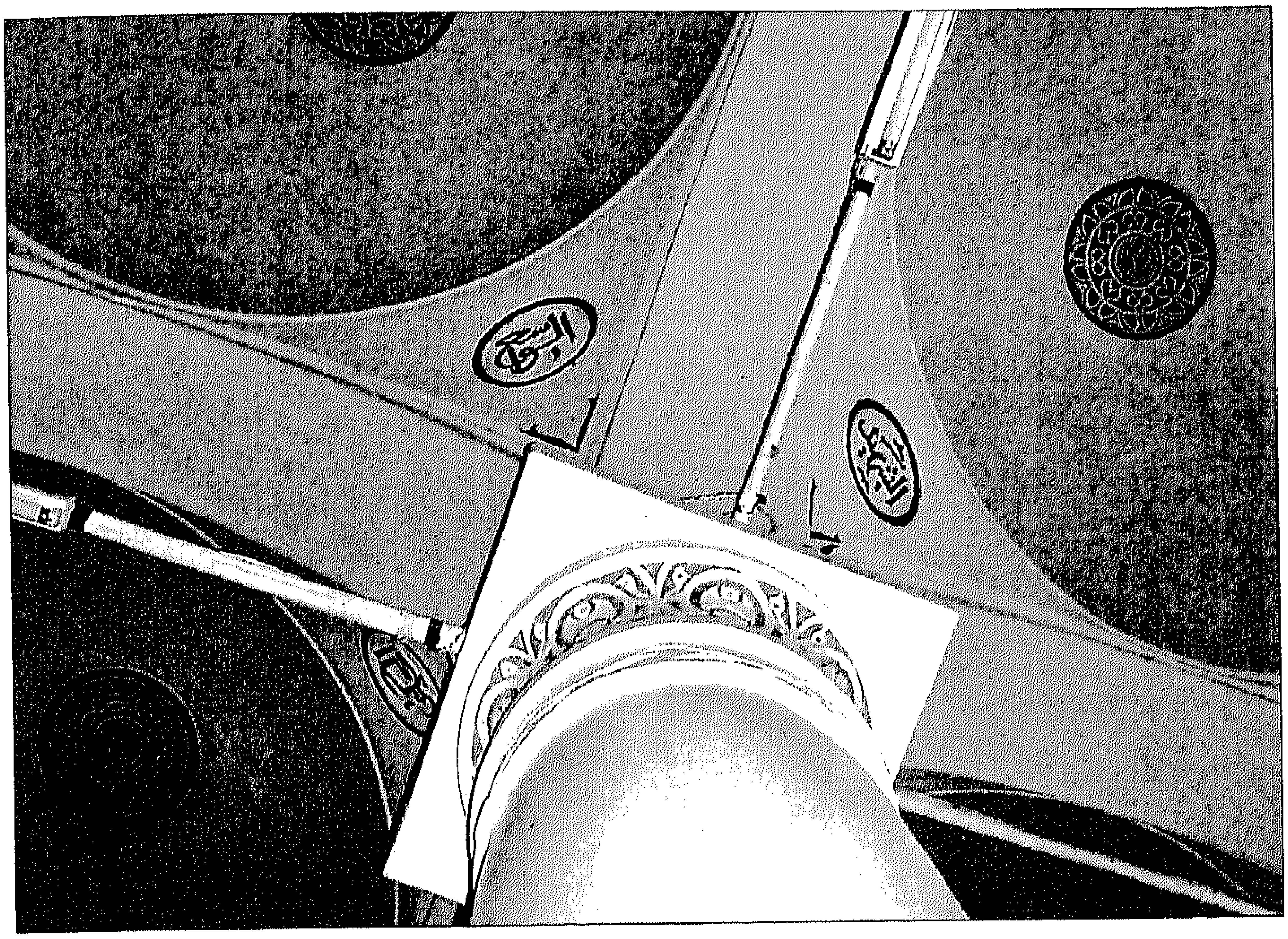

(شكل 11) جامع درغوت، الزخارف الملوّنة في بيت الصلاة من الداخل ـ طرابلس.

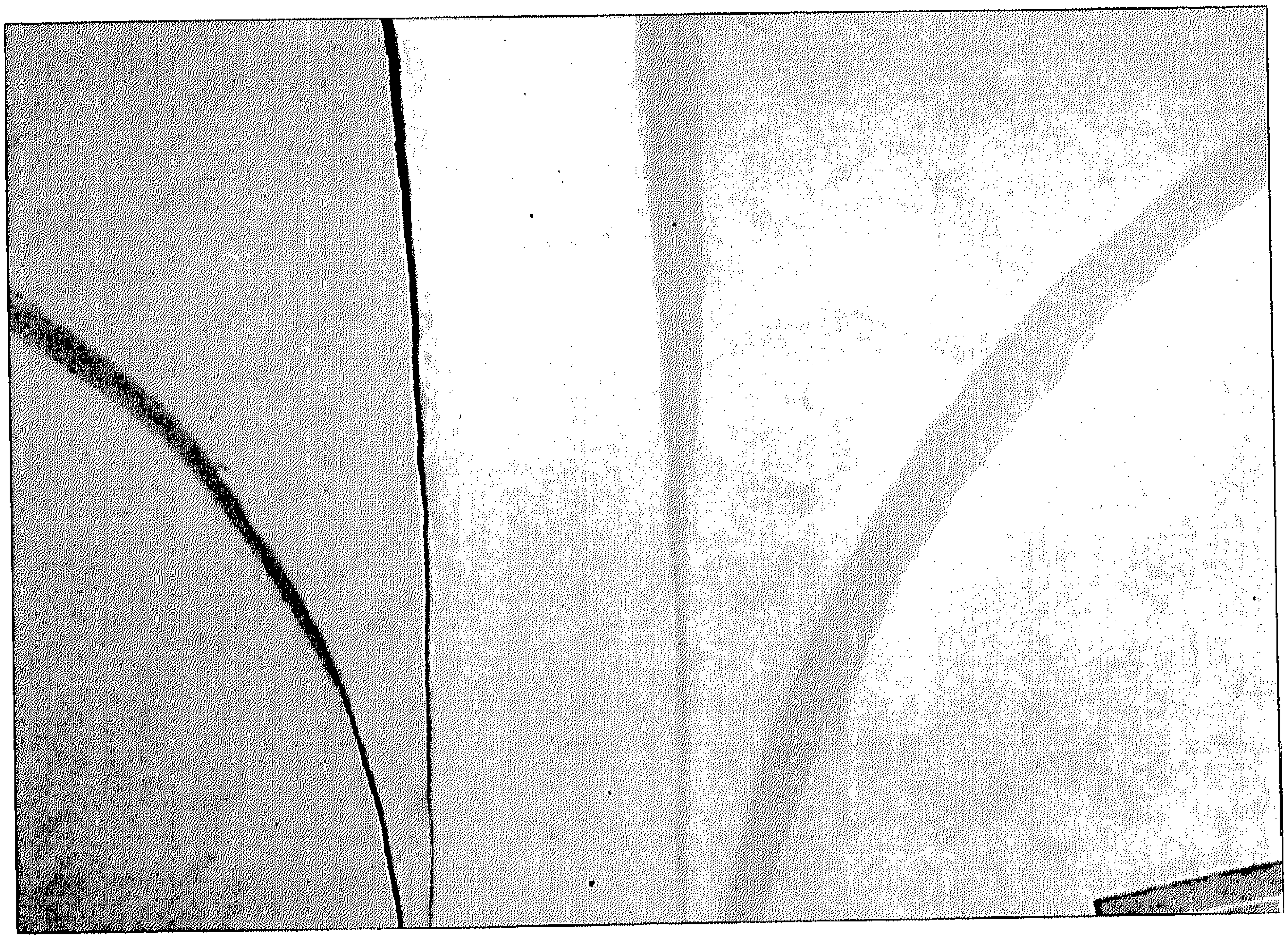

(شكل 12) جامع سيدي الكتاني، حنايا ركنية في قباب بيت الصلاة، طرابلس.

(شكل 13) جامع محمود خازندار، مثلثات ركنية في قباب بيت الصلاة، طرابلس

(شكل 14) زاوية القائد عمورة، حنية ركنية في قبة بيت الصلاة.

(شكل 15) زاوية العالم (الباقول) حنية ركنية في قبة الضريح ـ الريساينة.

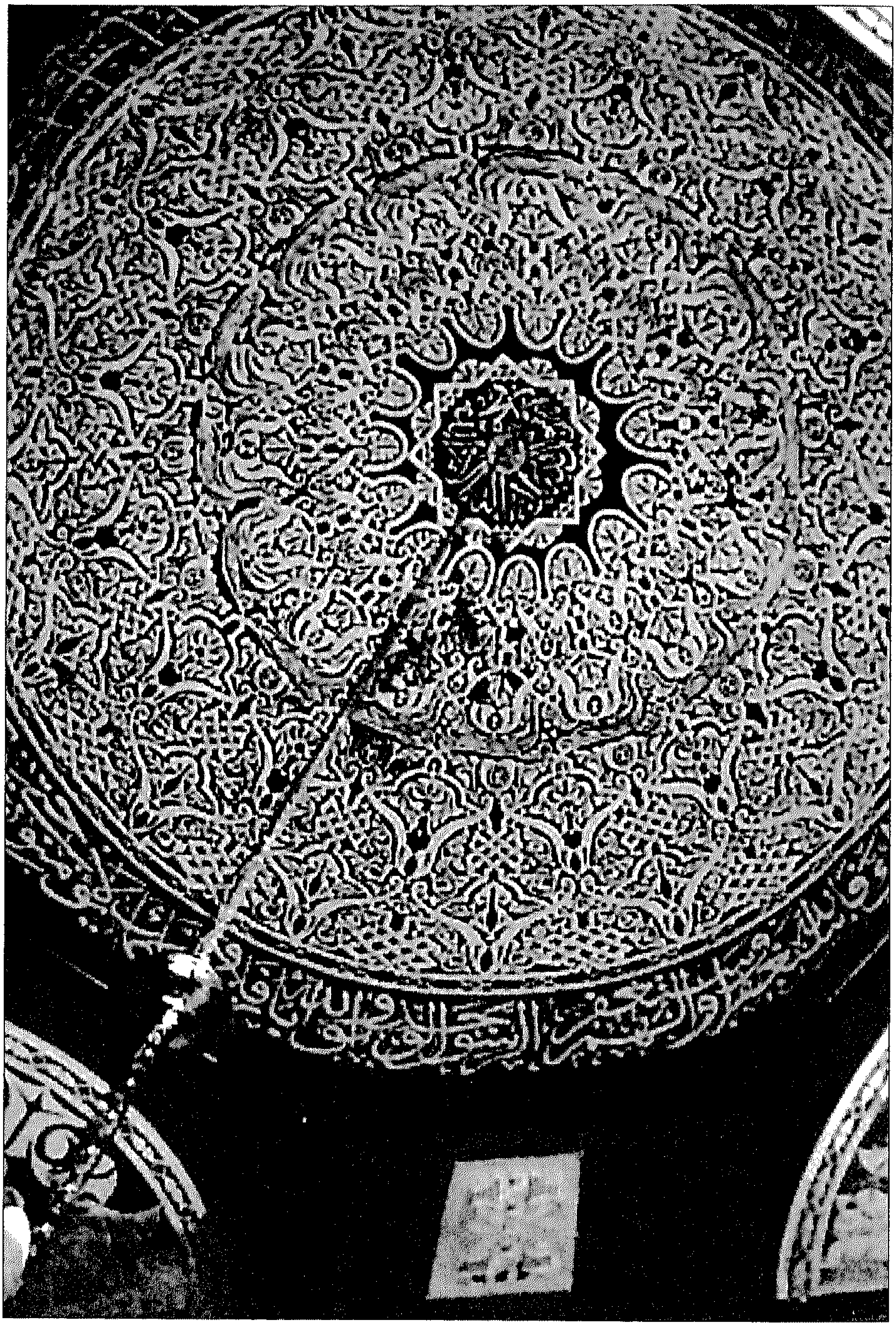

(شكل 16) جامع درغوت حنية ركنية في القبة الواقعة
في الشمال الشرقي من بيت الصلاة ـ طرابلس.

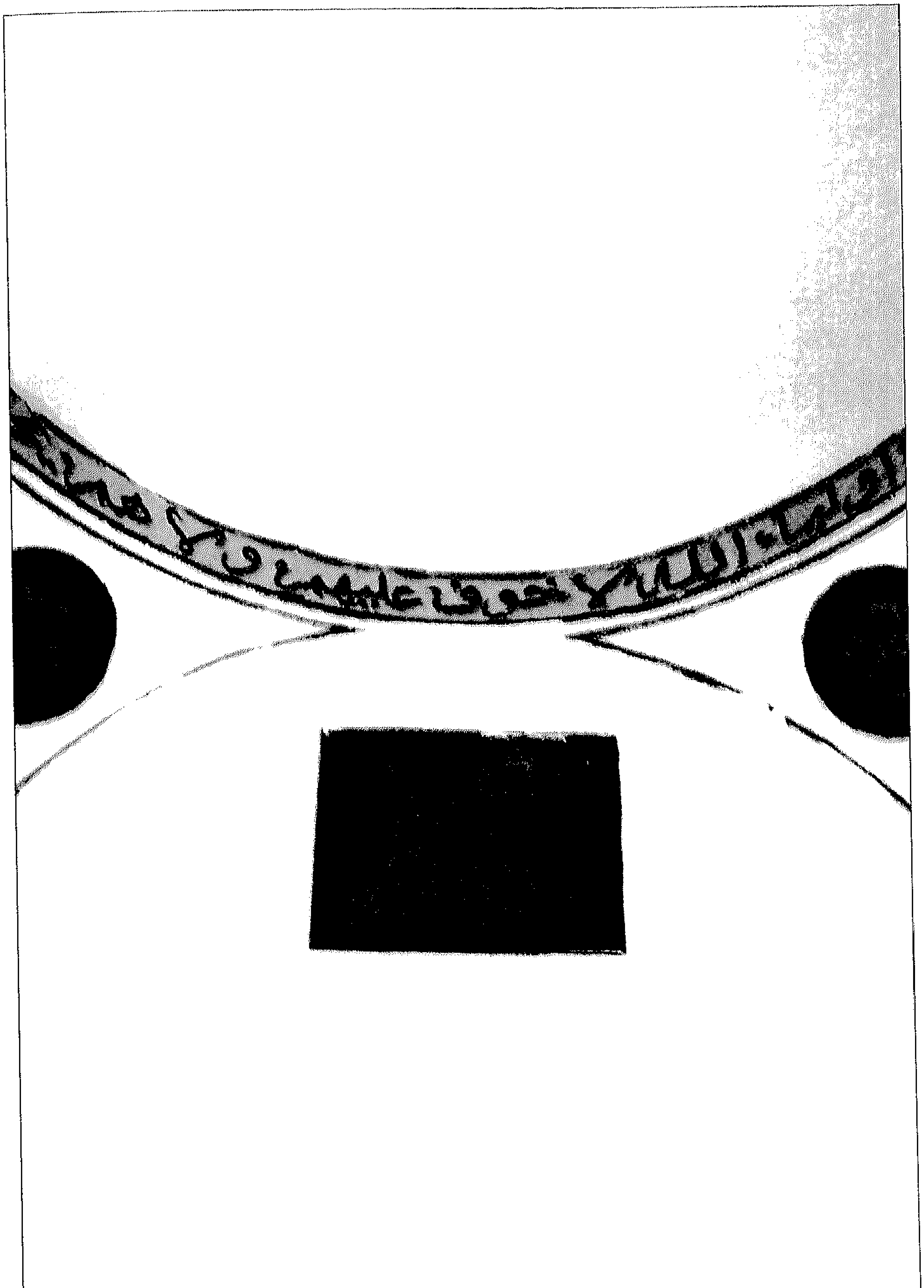

(شكل 17) ضريح الشيخ إسماعيل بن يربوع الواقع
خلف جدار القبلة بجامع الدروج بطرابلس.

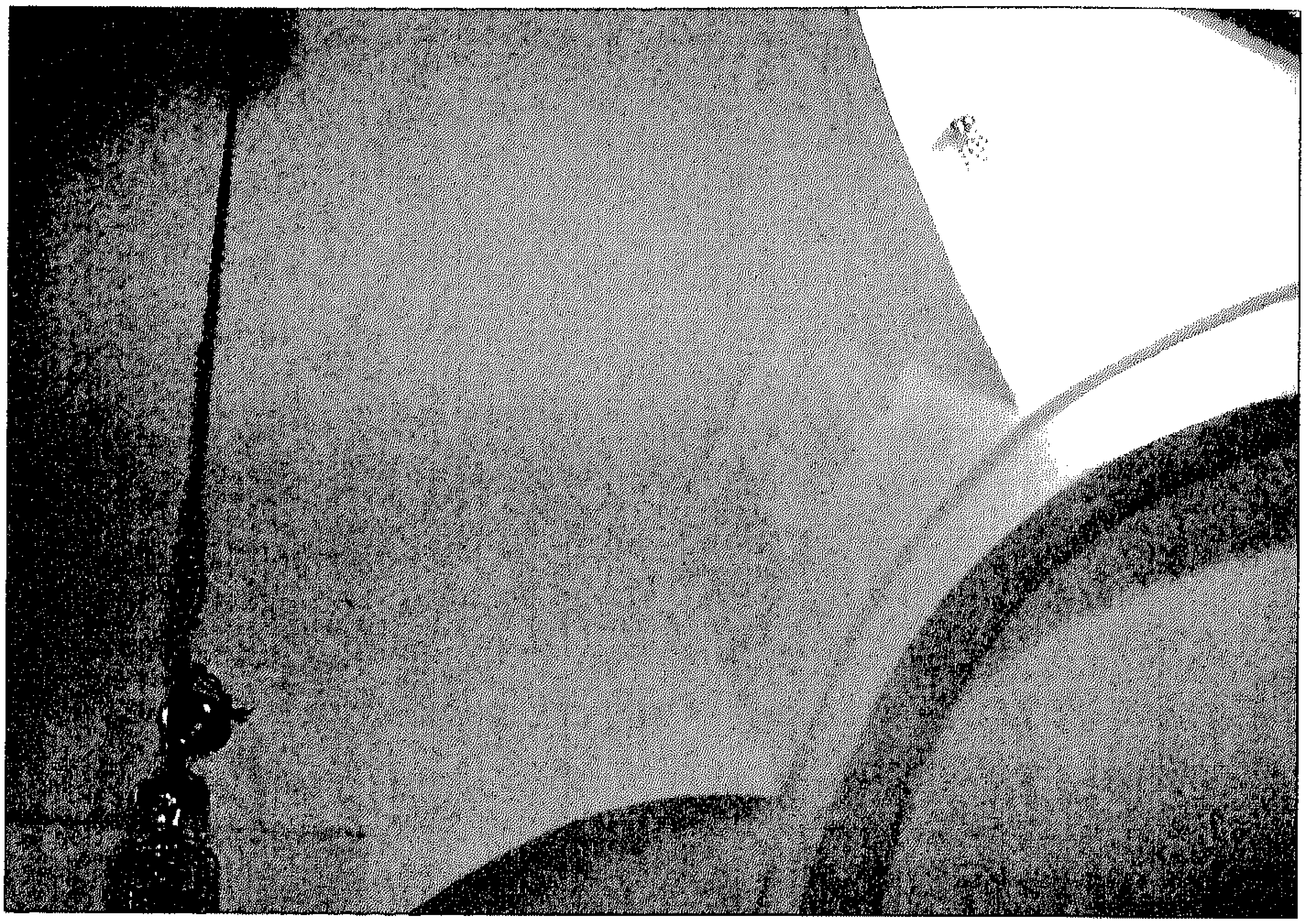

(شكل 18) مدرسة عمثان الساقزلي، مثلث كروي
ومثمن منطقة الانتقال في قبة المسجد، طرابلس.

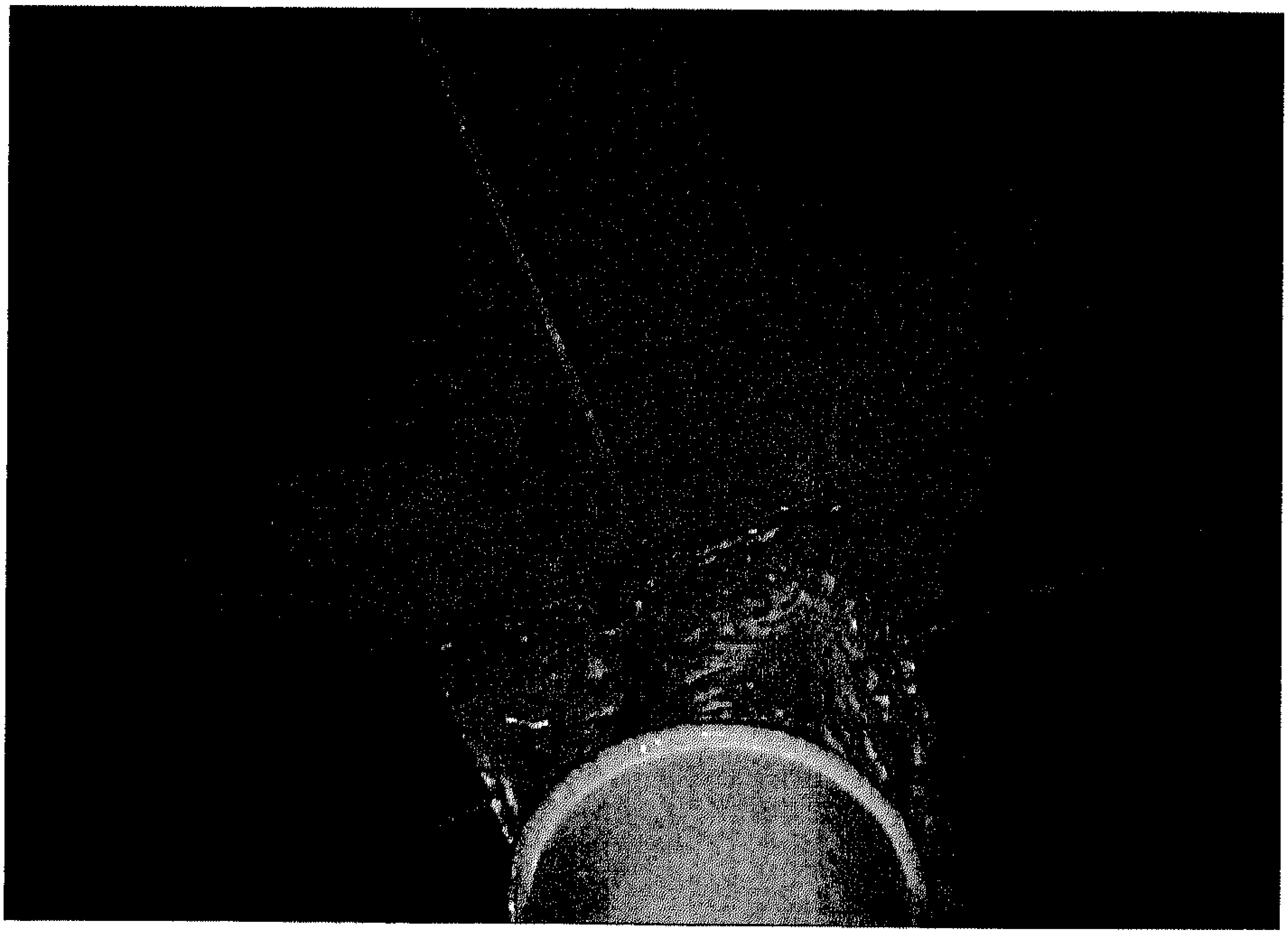

(شكل 19) جامع محمد شائب العين عمود تتفرع منه أربعة أقواس، بيت الصلاة، طرابلس.

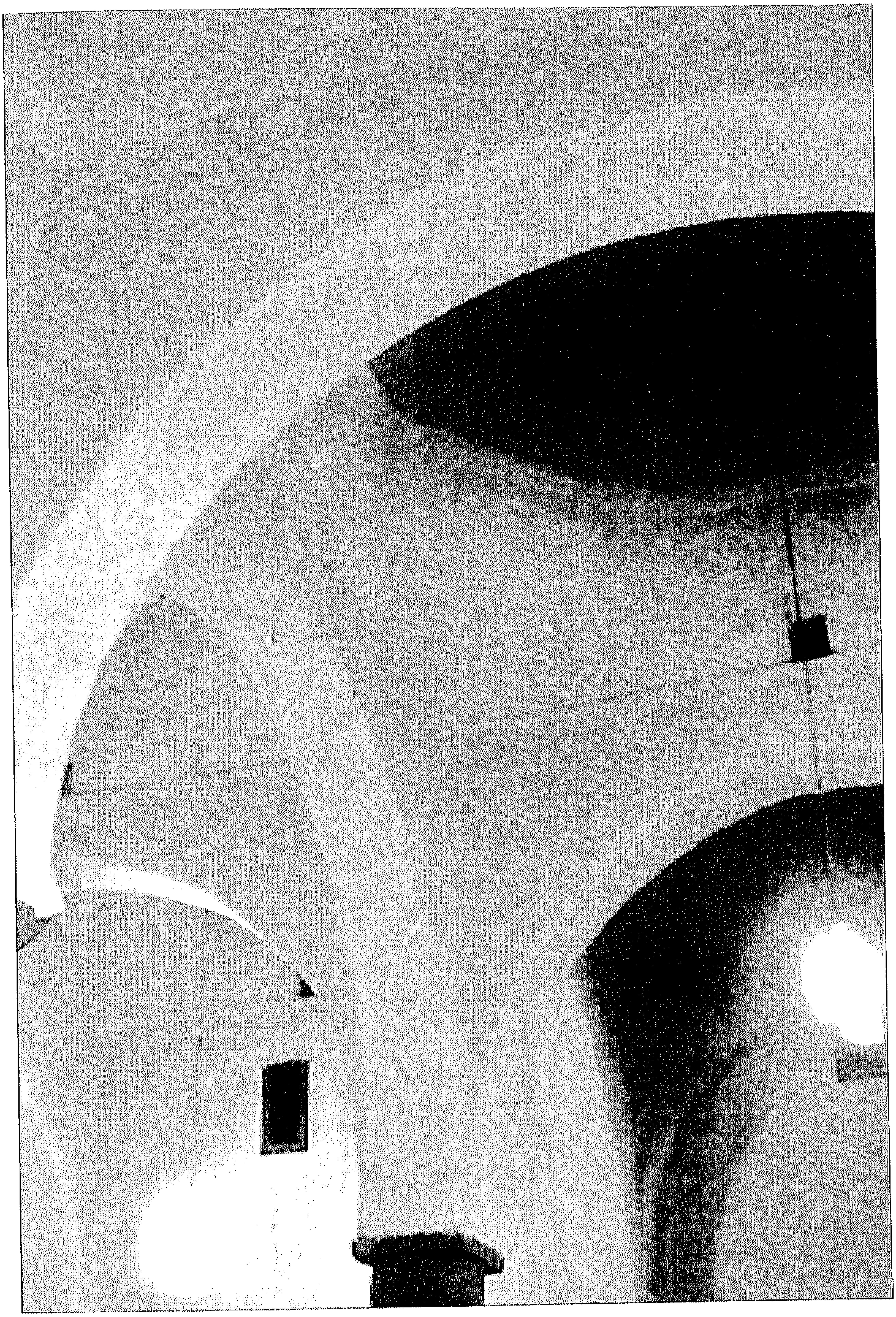

(شكل 20) جامع خليل الأرناؤوطي (دورار)
منطقة انتقال في إحدى القباب ببيت الصلاة، طرابلس.

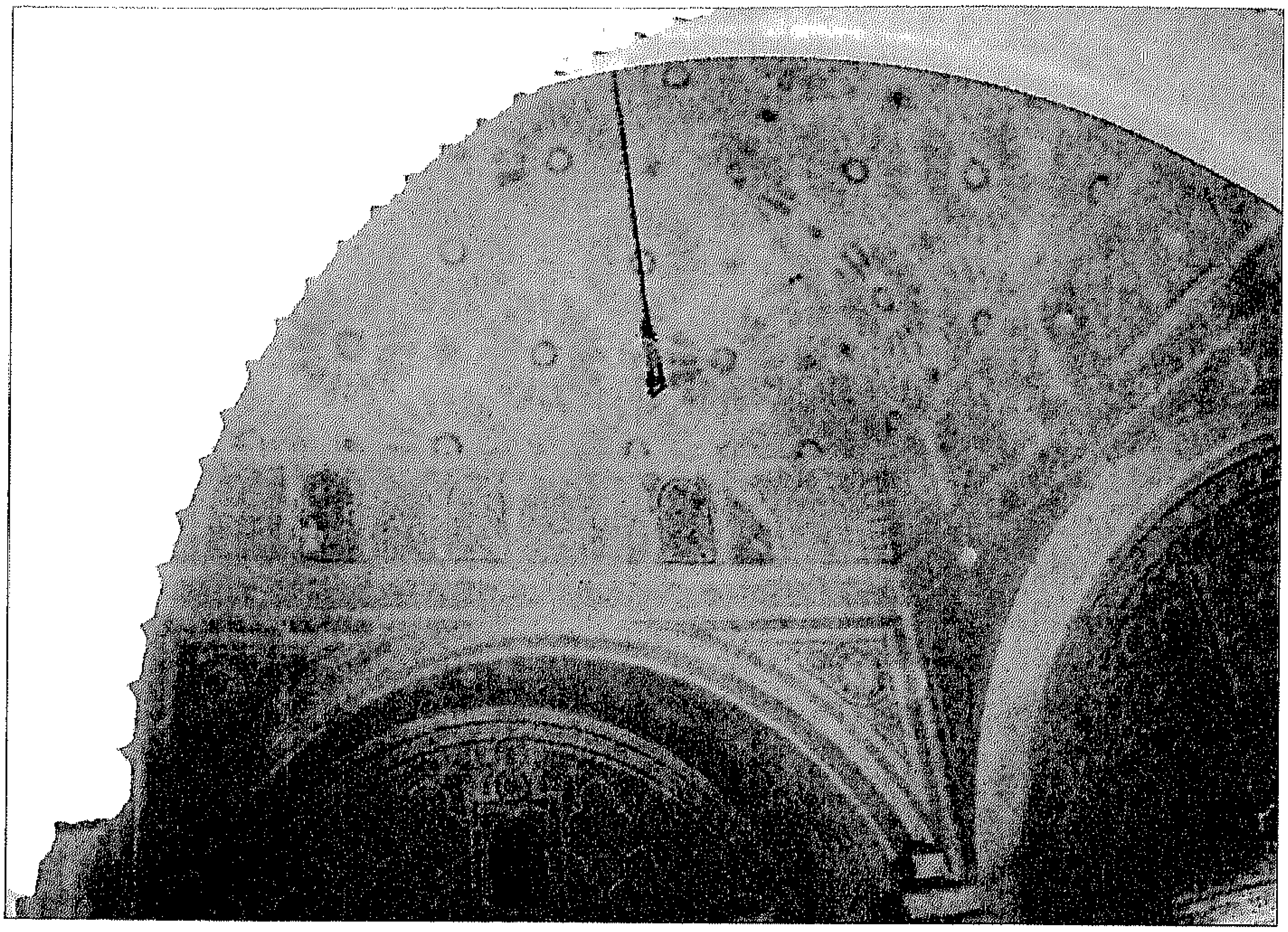

(شكل 21) جامع أحمد القرمانلي، الزخارف الجصيّة في حجرة الضريح ـ طرابلس.

(شكل 22) جامع مصطفى قرجي، الزخارف الجصيّة في بيت الصلاة وحنية ركنية، طرابلس.

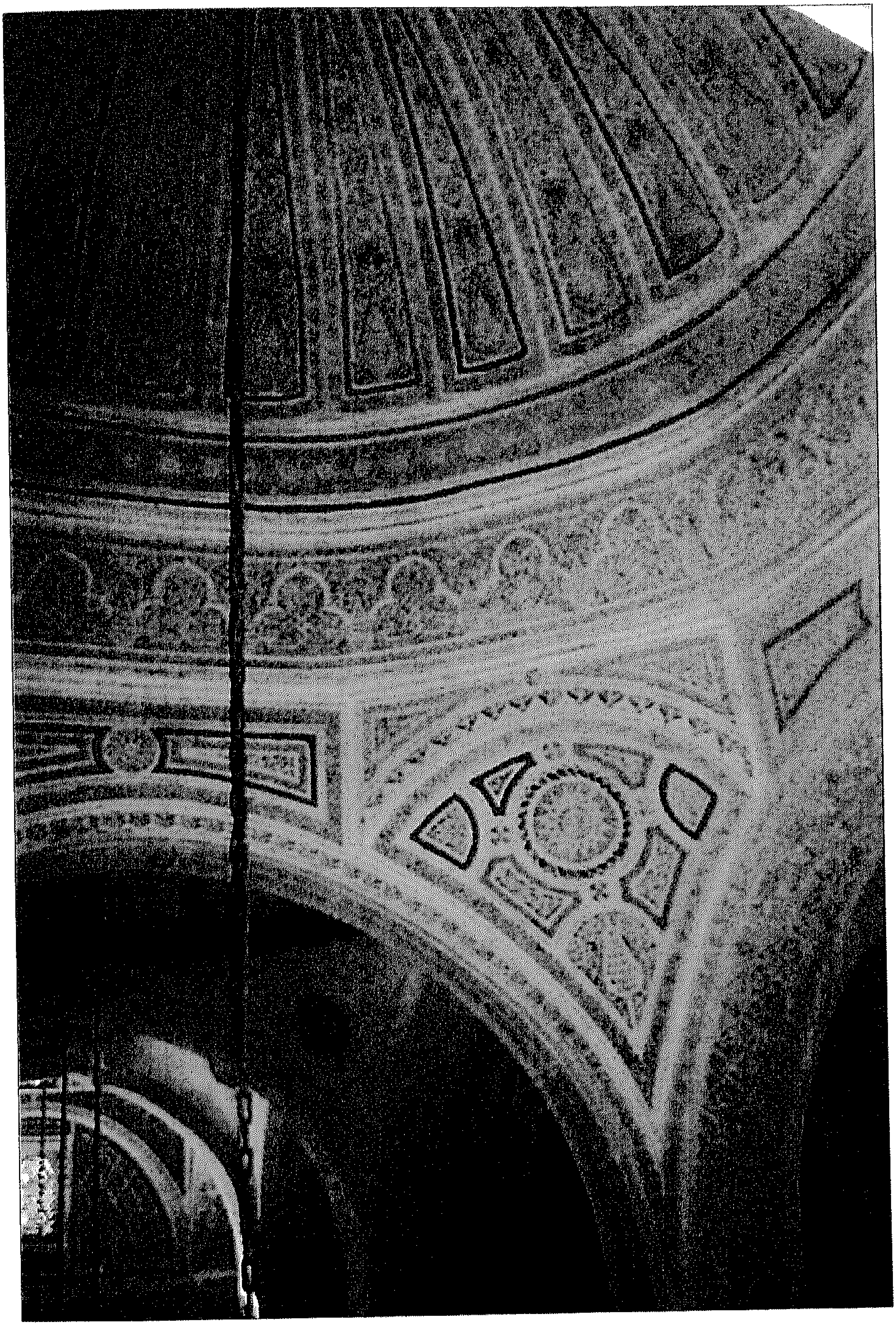

(شكل 23) جامع مصطفى قرجي، الزخارف الجصيّة،
في القبة فوق دكة المبلغ، طرابلس.

(شكل 24) جامع عثمان بوقلاز، مثلث كروي في منطقة الانتقال
في القبة الرئيسية ببيت الصلاة، بنغازي.

(شكل 25) جامع سيدي الكتاني، منطقة الانتقال من الخارج لقباب الجامع، طرابلس.

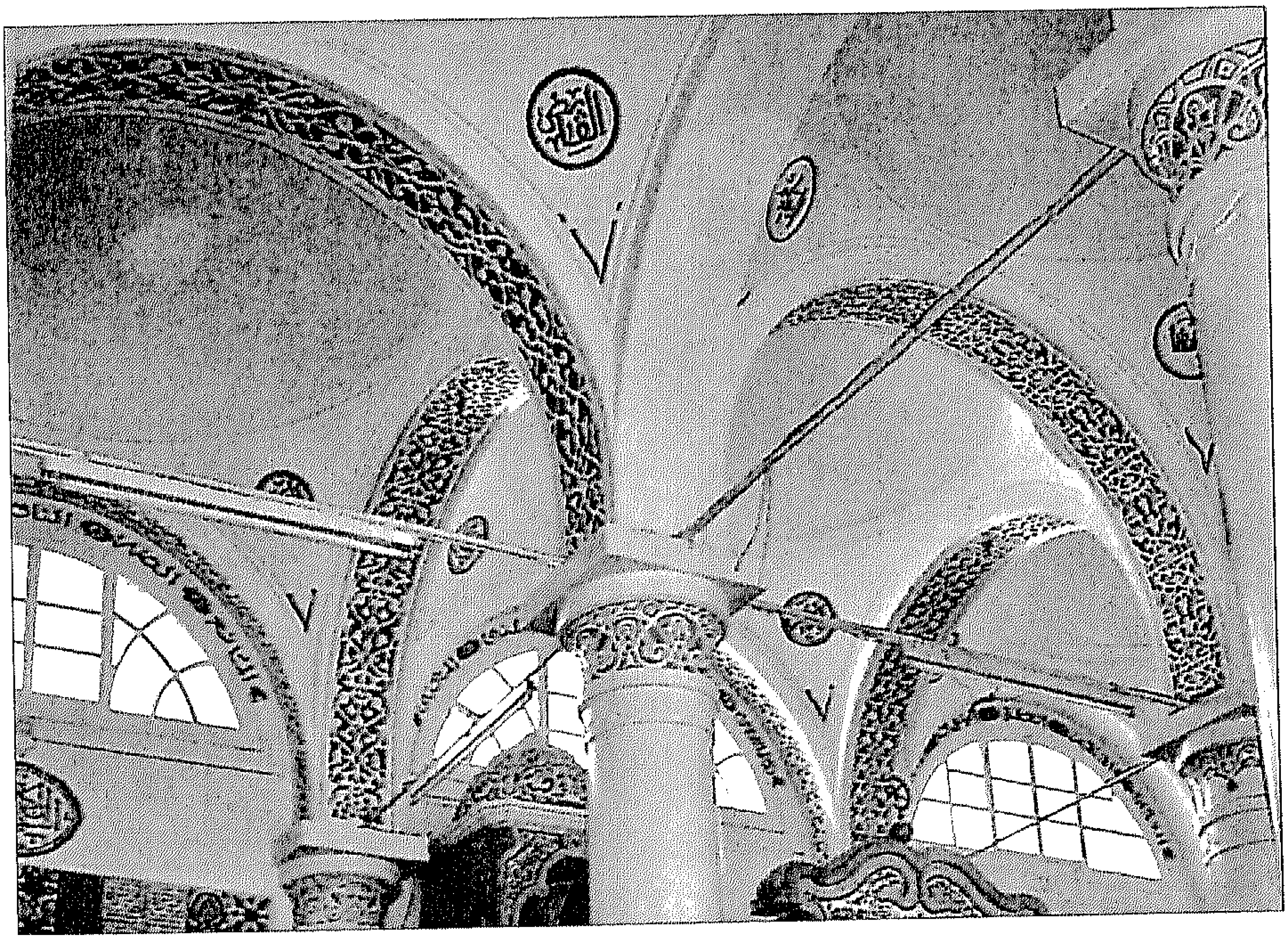

(شكل 26) جامع درغوت، منظر عام لبيت الصلاة من الداخل، طرابلس.

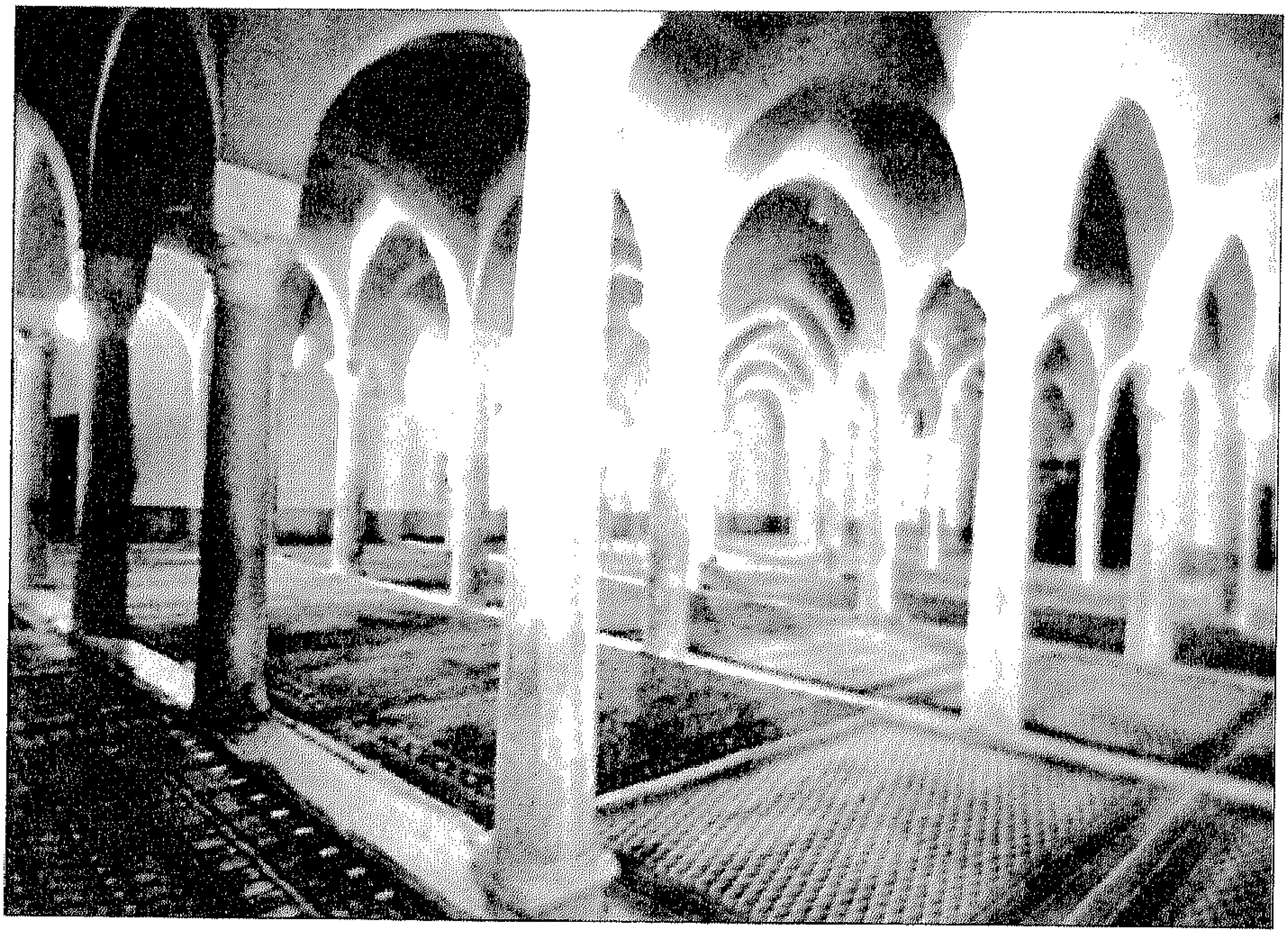

(شكل 27 أ) جامع درنة الكبير، منظر عام لبيت الصلاة من الداخل، درنة.

(شكل 27 ب) جامع درنة الكبير، منظر عام لبيت الصلاة من الخارج، درنة.

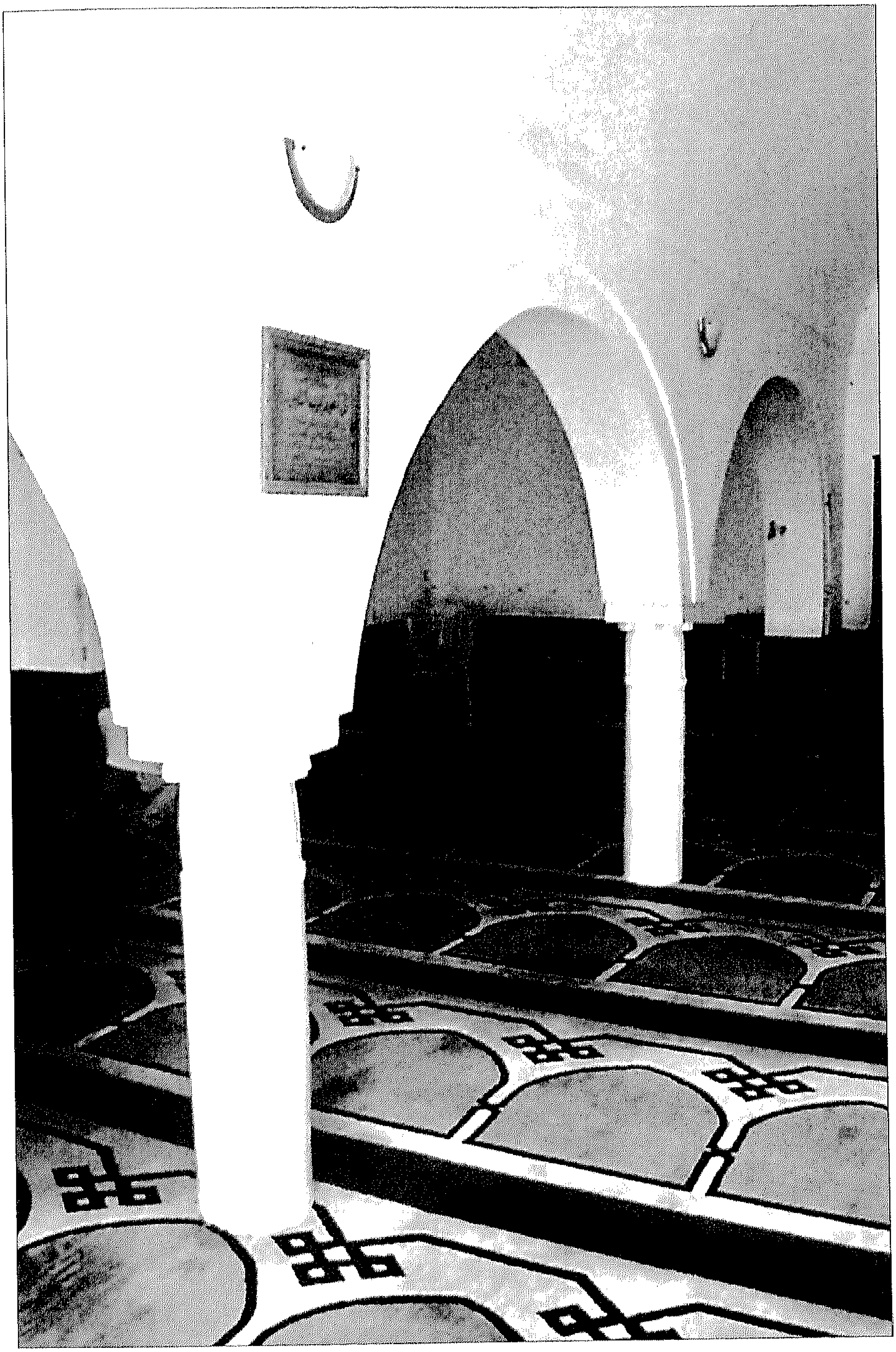

(شكل 28) جامع حسين القبطان، جزء من بيت الصلاة من الداخل، طرابلس.

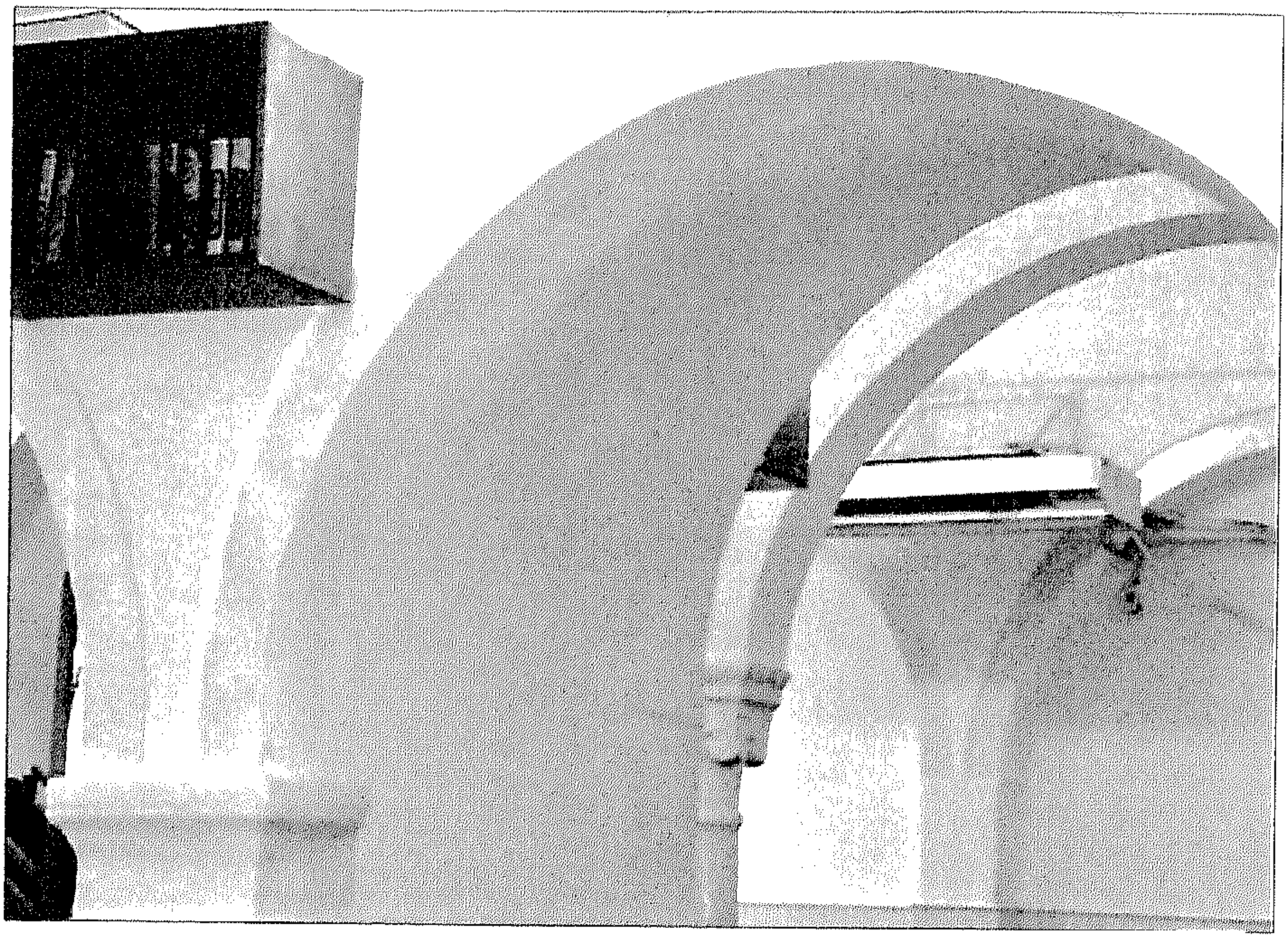

(شكل 29) جامع عمورة محمد فلمنك، جزء من بيت الصلاة من الداخل، طرابلس.

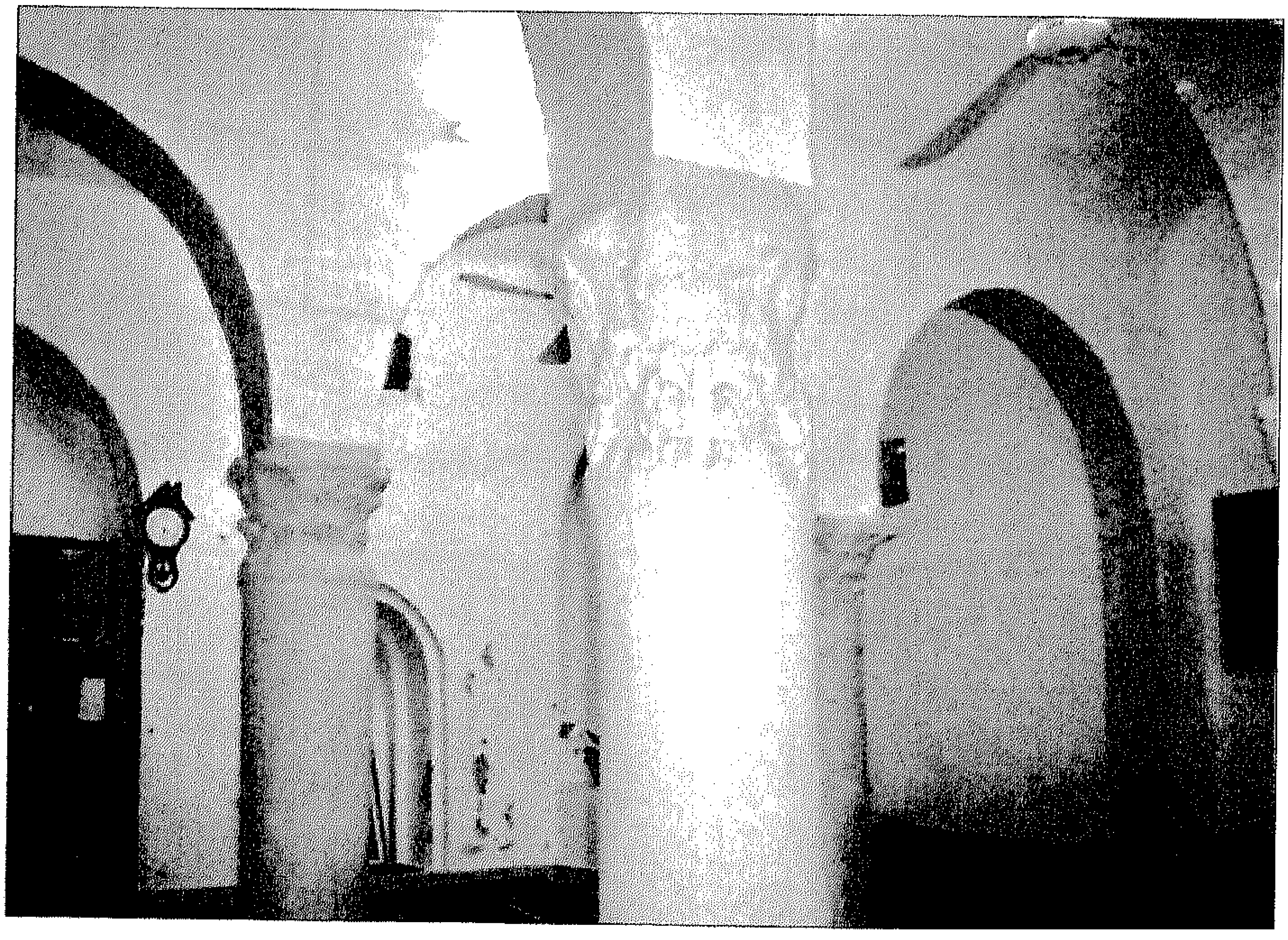

(شكل 30) الجامع القديم بجنزور من الداخل، المنبر والمحراب وجدار القبلة، جنزور.

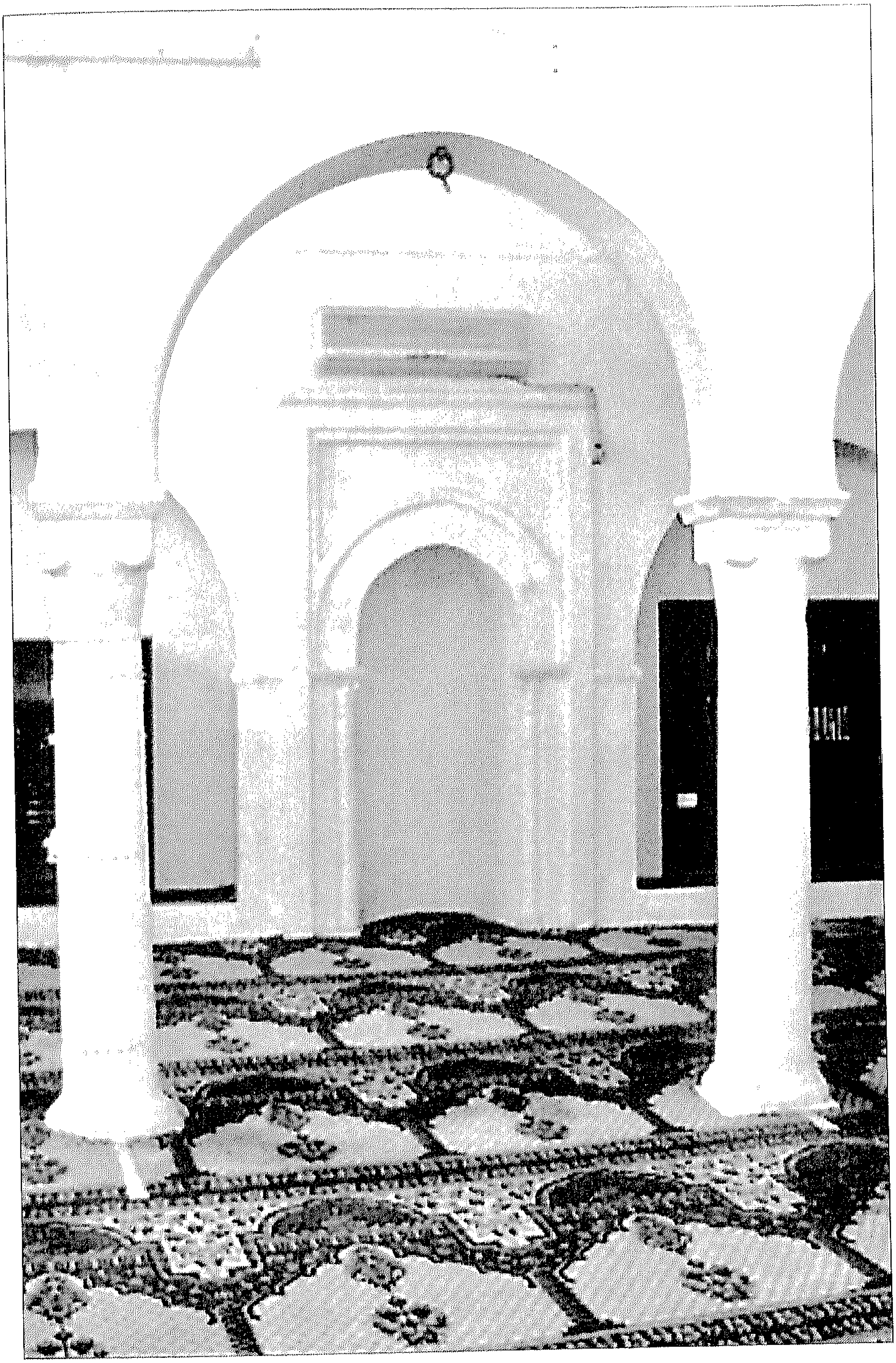

(شكل 31) جامع المجيديّة من الداخل العقود والأعمدة التي تدعم السقف، طرابلس.

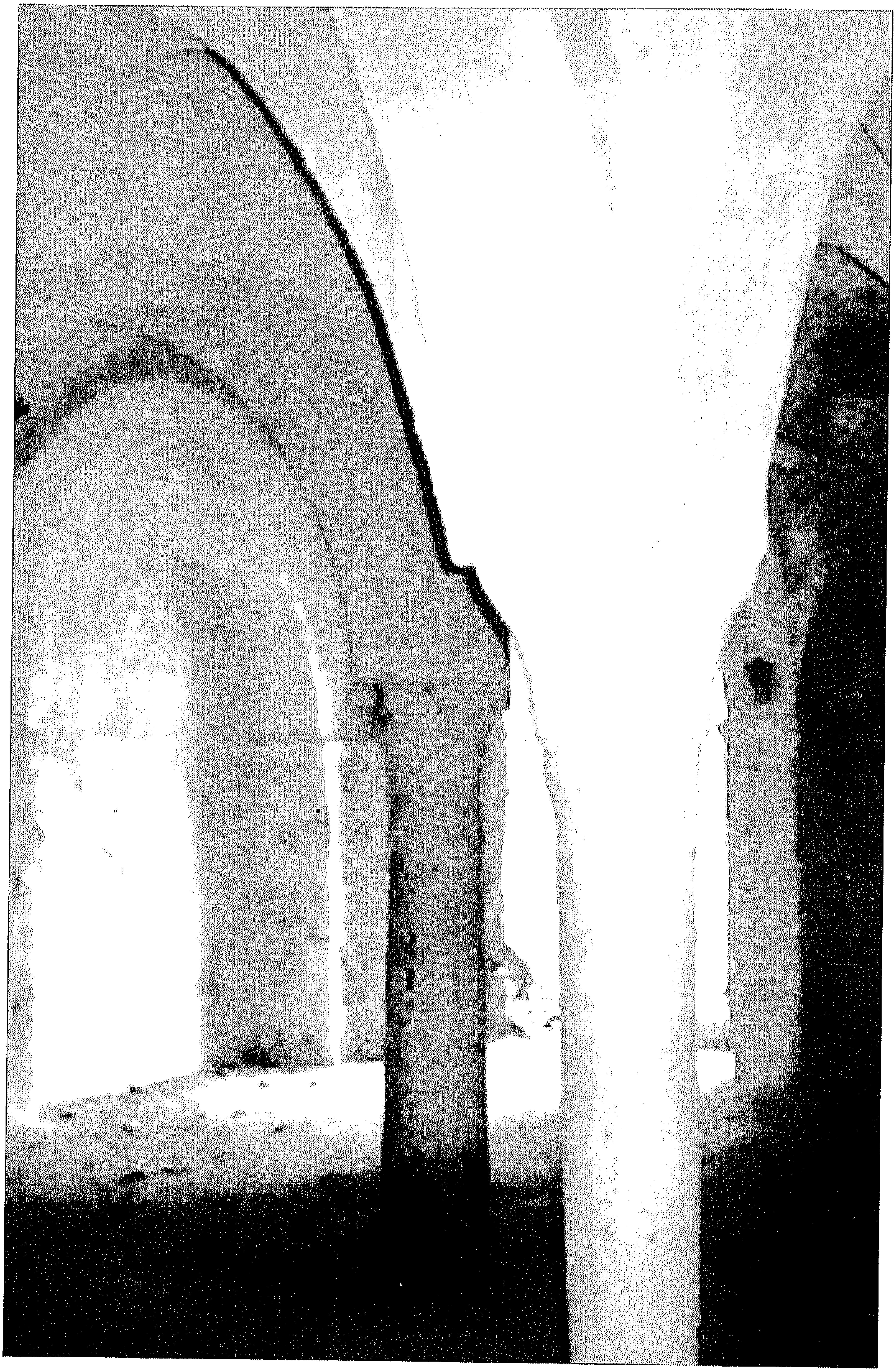

(شكل 32) جامع سيقاط، بيت الصلاة من الداخل، جنزور.

(شكل 33) زاوية العالم (الباقول)، بائكة تدعم سقف بيت الصلاة، الريايبنة.

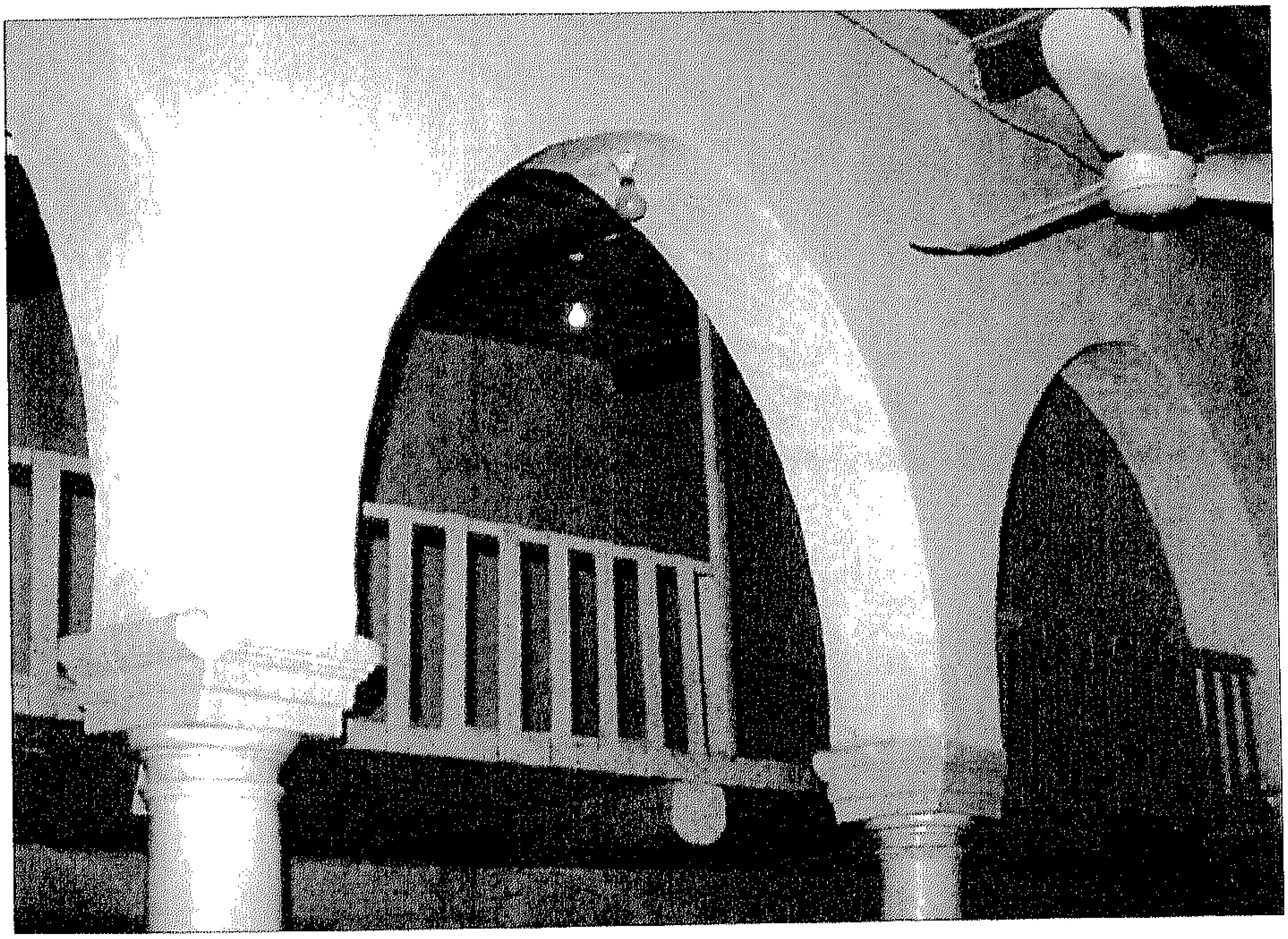

(شكل 34) جامع الدراوي، بائكة تدعم سقف بيت الصلاة، بنغازي.

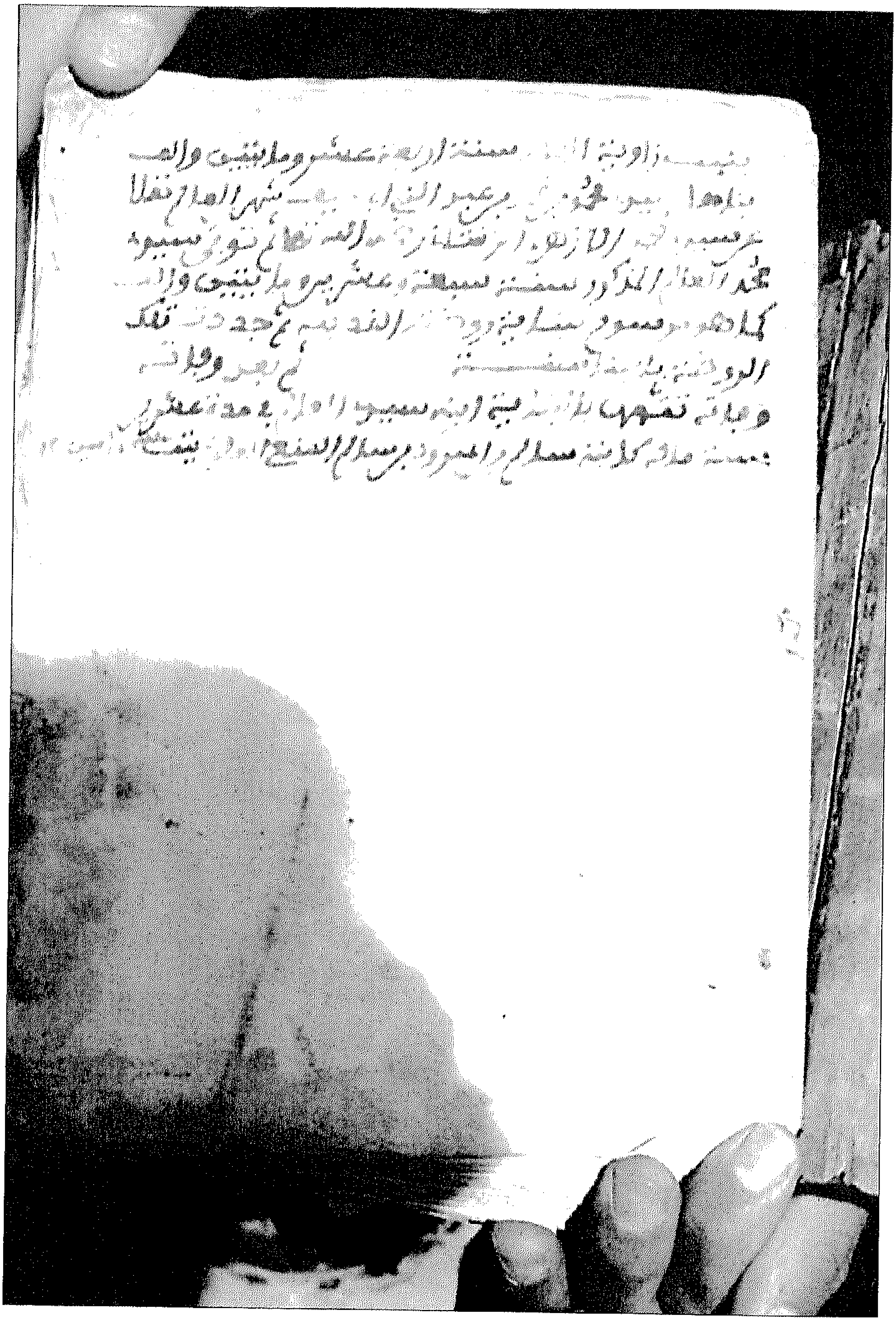

(شكل 35) صفحة من مخطوط غير مؤرخ تعطي
تاريخ بناء زاوية الباقول، واسم المؤسّس، الريابنة.

(شكل 36) جامع زميت، بائكة تدعم سقف بيت الصلاة، طرابلس.

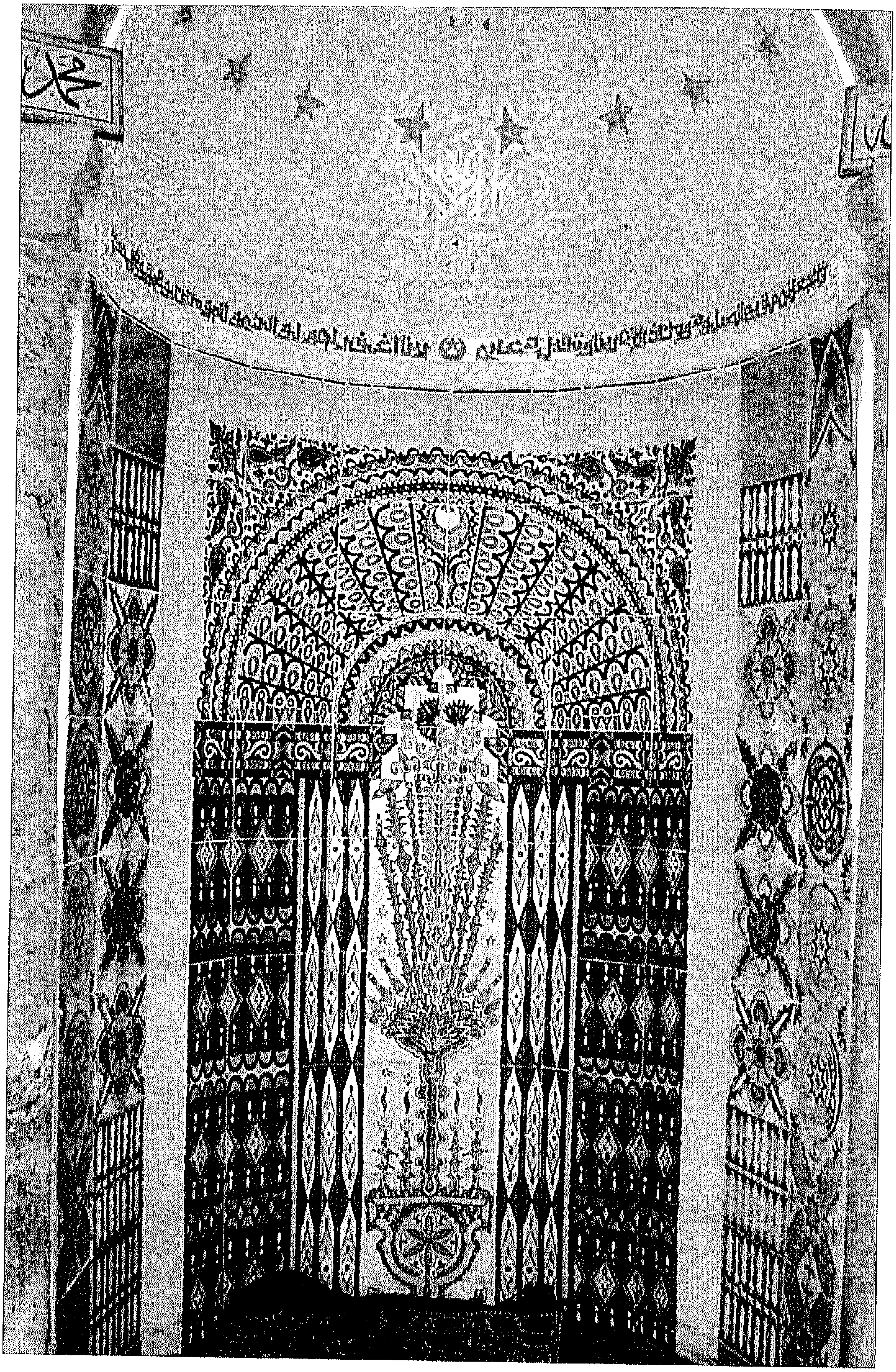

(شكل 37) جامع درغوت، زخارف منطقة المحراب، طرابلس.

(شكل 38) جامع شائب العين، زخارف منطقة المحراب، طرابلس.

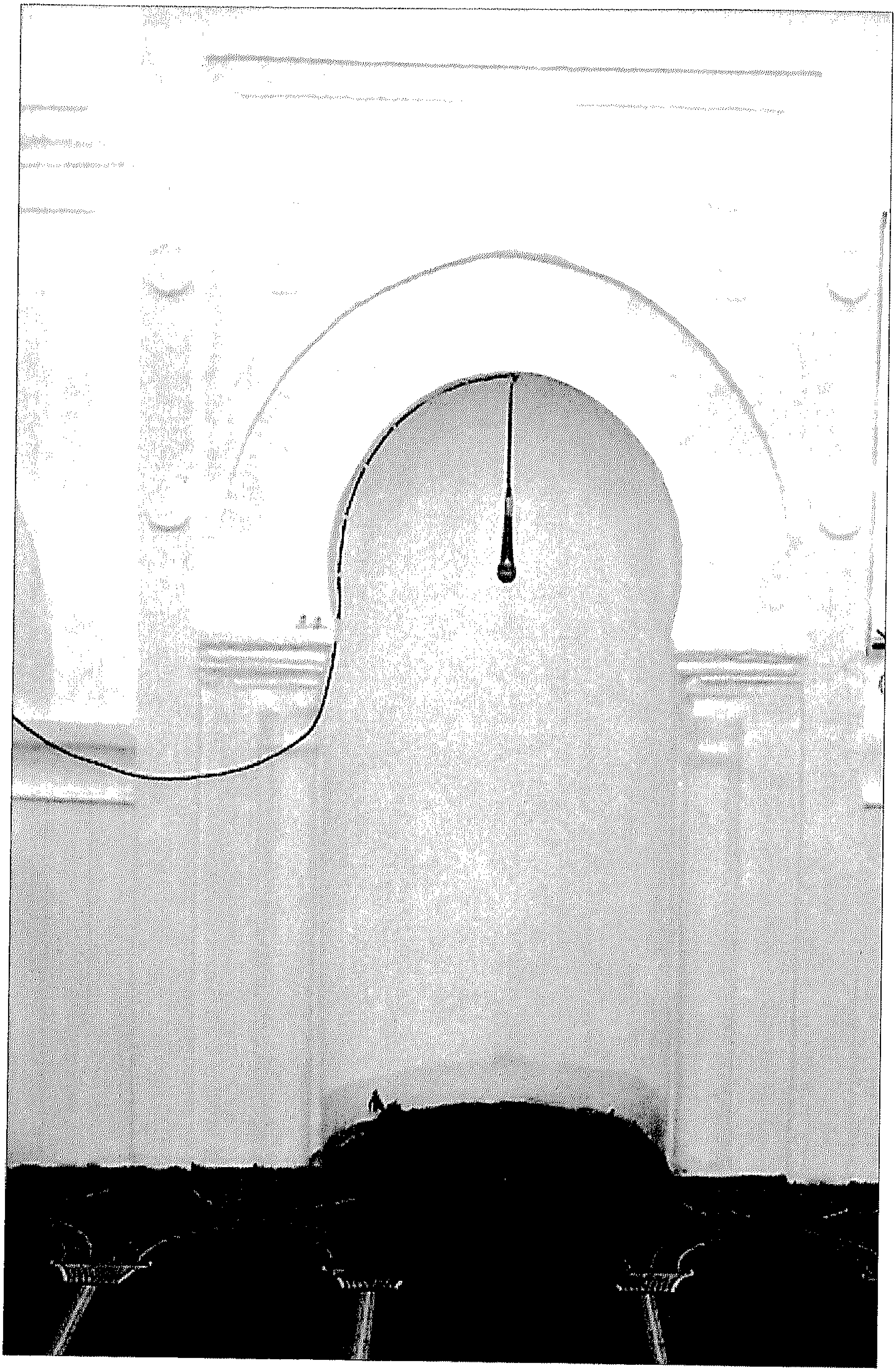

(شكل 39) جامع عمورة محمد فلمنك، منطقة المحراب، طرابلس.

(شكل 40) جامع الدراوي، المحراب والمنبر، بنغازي.

(شكل 41) جامع مصطفى قرجي، زخارف منطقة المحراب.

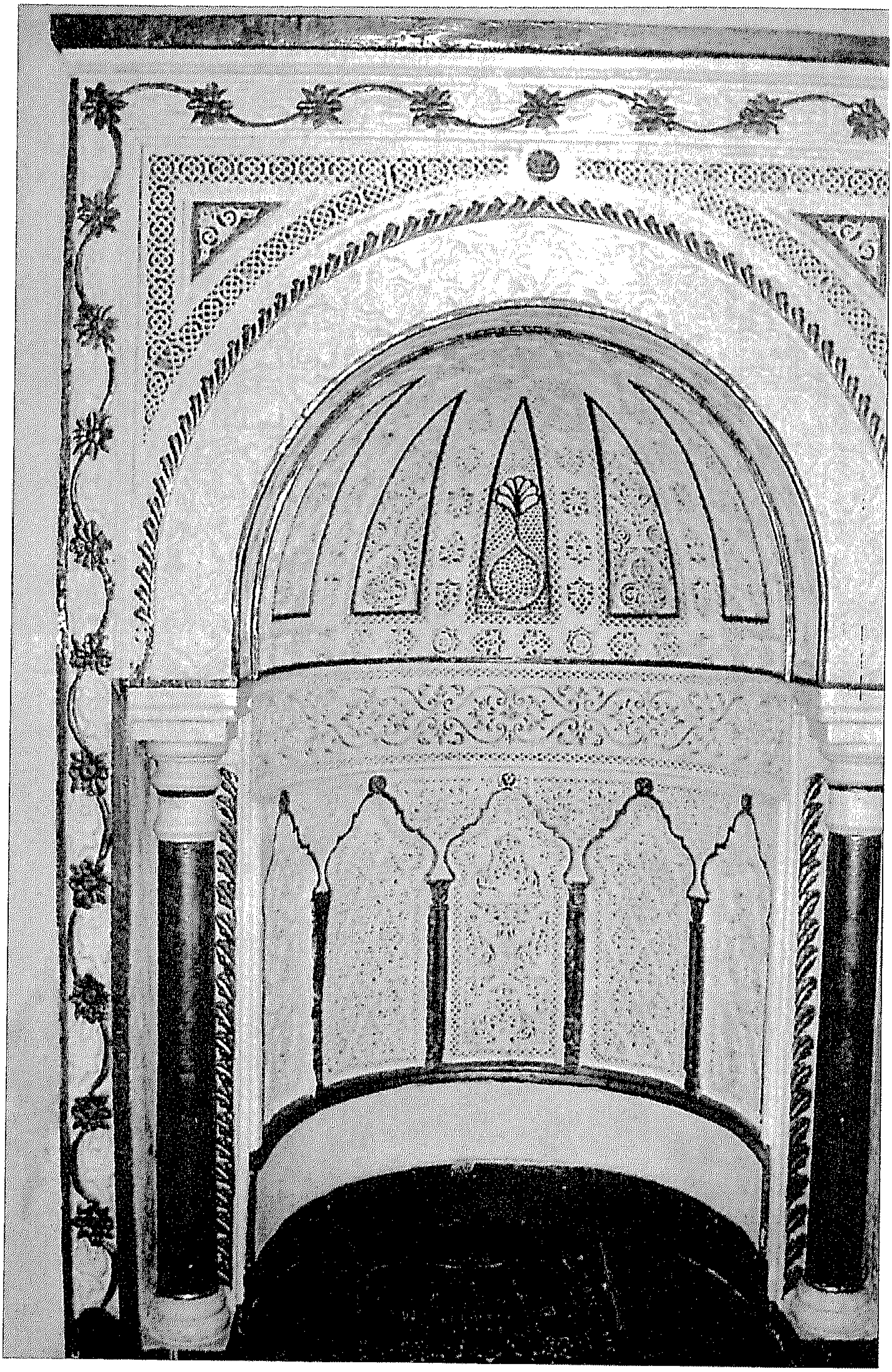

(شكل 42) جامع الخروبة، الزخارف الجصيّة في منطقة المحراب.

(شكل 43) جامع سيدي الكتاني، المحراب القديم، ومحراب الاتجاه الصحيح، طرابلس.

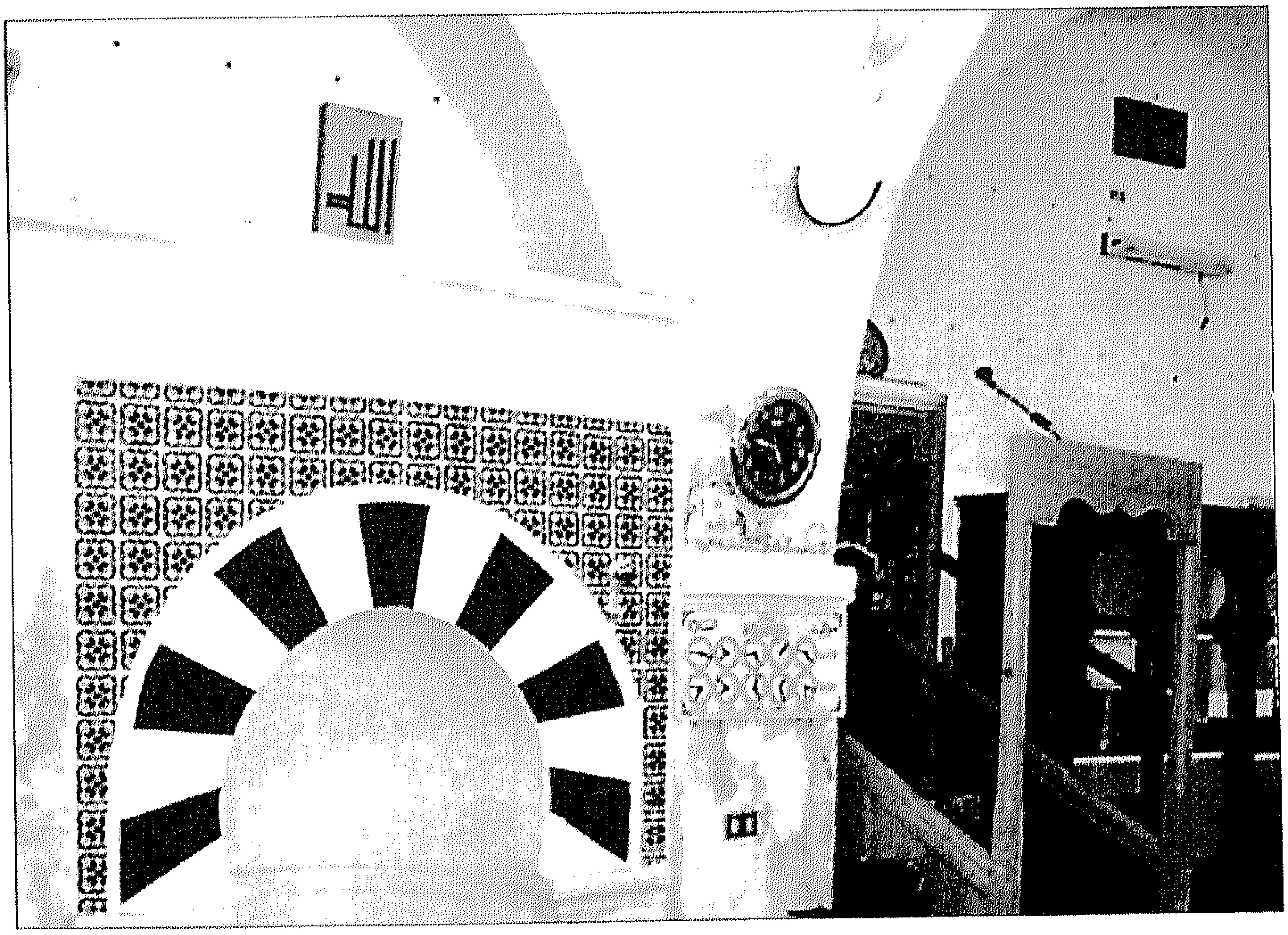

(شكل 44) جامع حسين القبطان، المحراب والمنبر، طرابلس.

(شكل 45) جامع محمد شائب العين، زخارف المنبر، طرابلس.

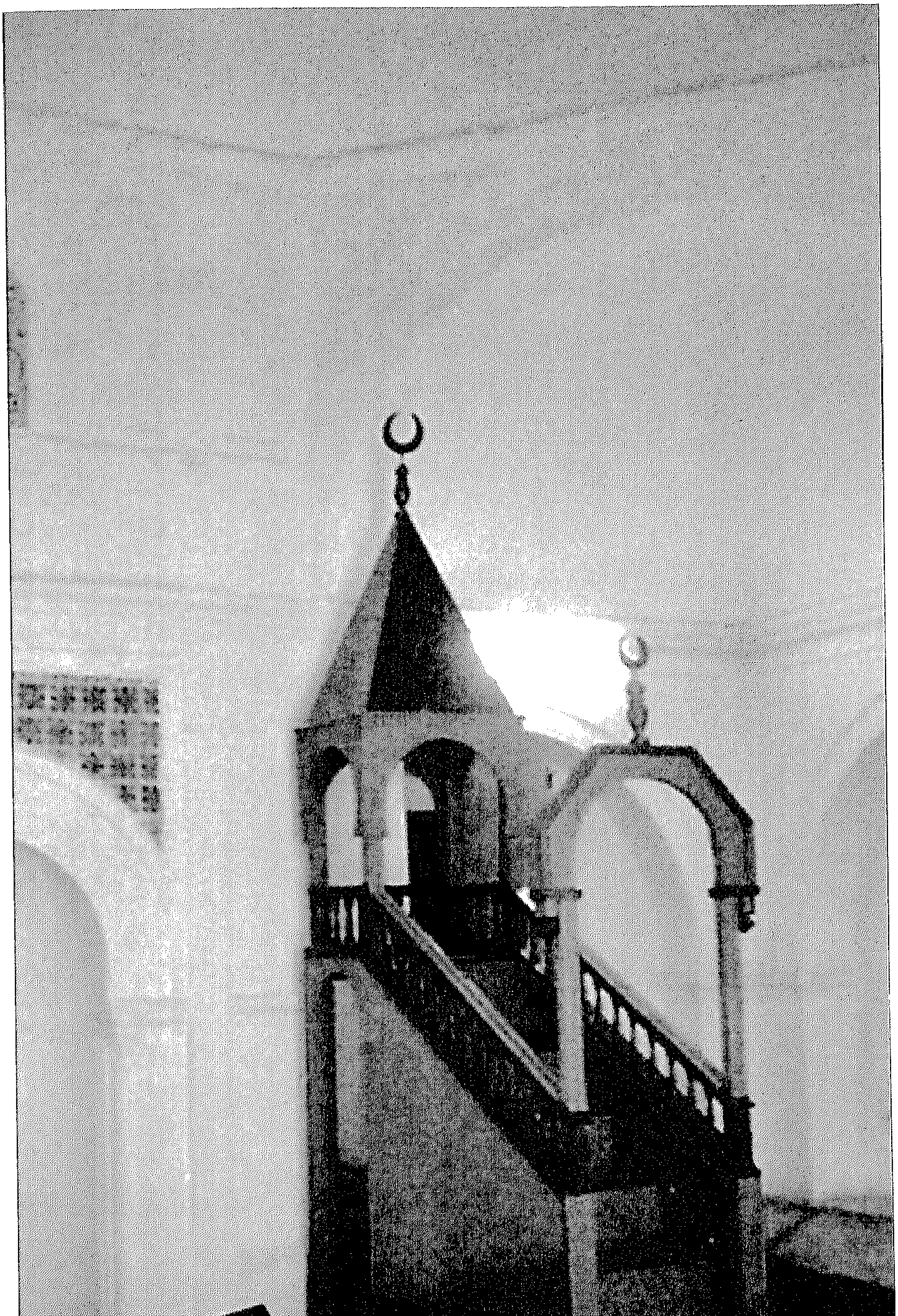

(شكل 46) زاوية عمورة، بيت الصلاة في المسجد الملحق بالزاوية، جنزور.

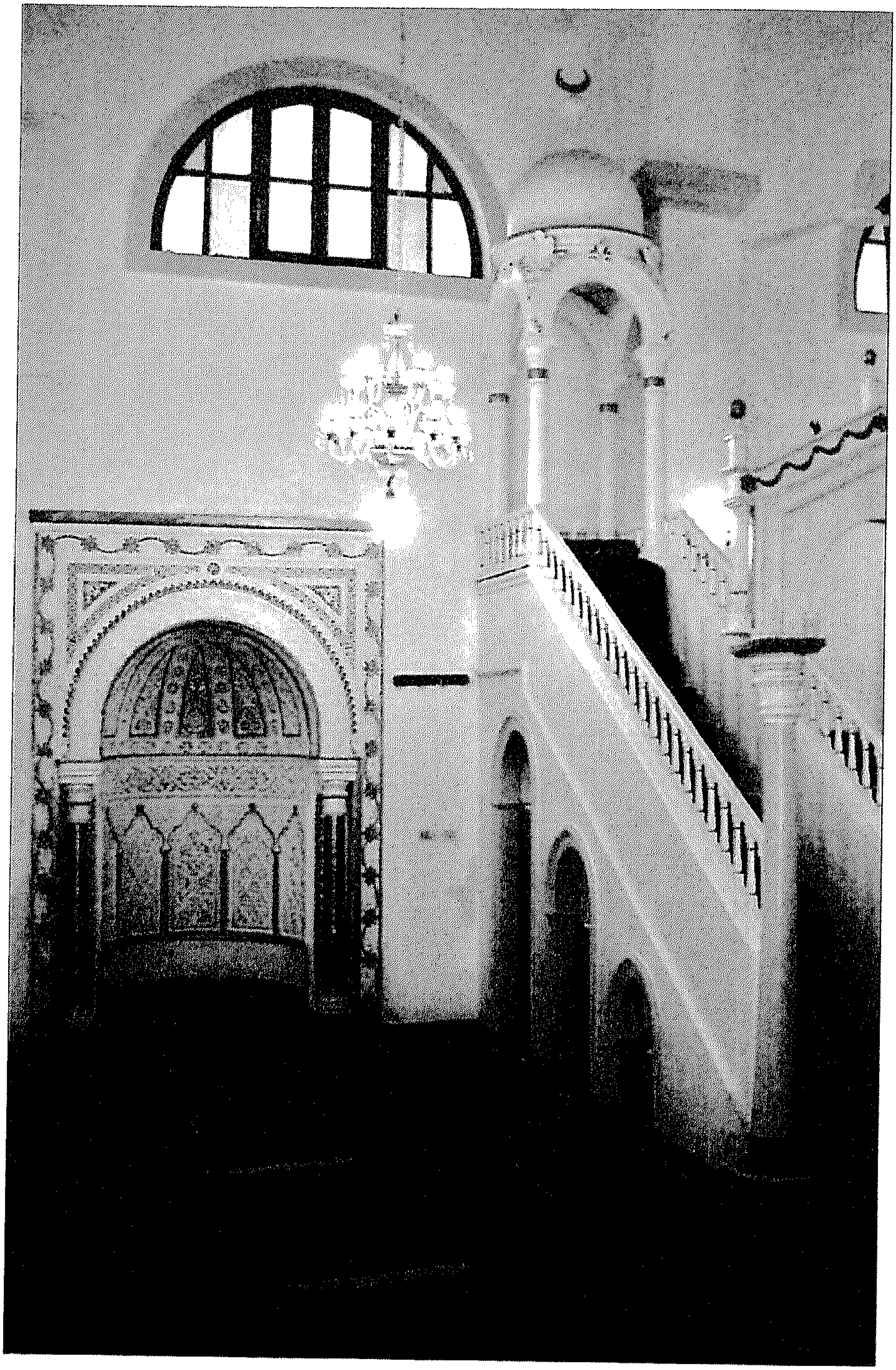

(شكل 47) جامع الخروبة، المنبر، طرابلس.

(شكل 48) جامع الدروج (إسماعيل بن يربوع) برج المئذنة، طرابلس.

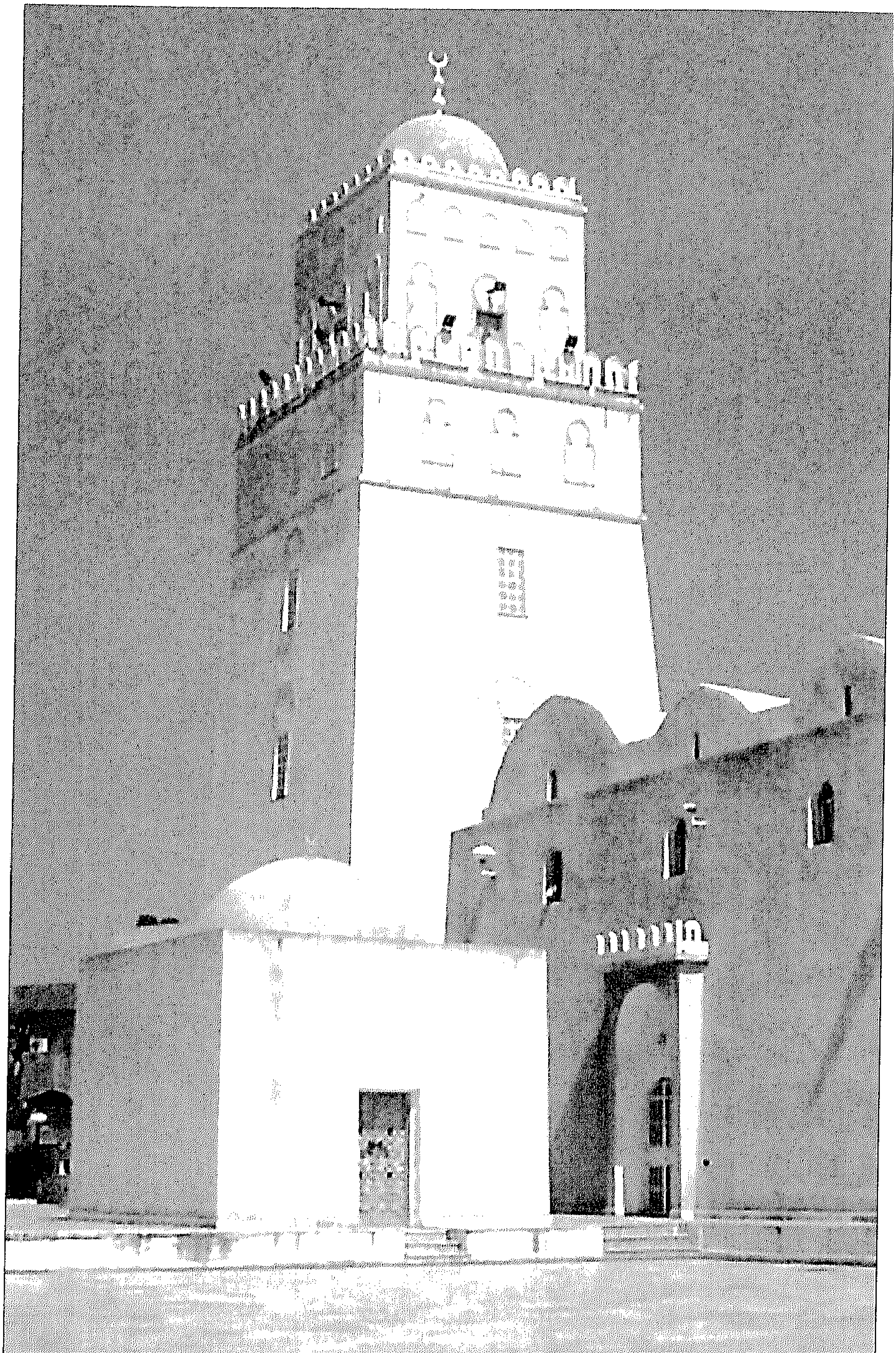

(شكل 49) جامع مراد اغا، المئذنة والضريح الملحق، تاجوراء.

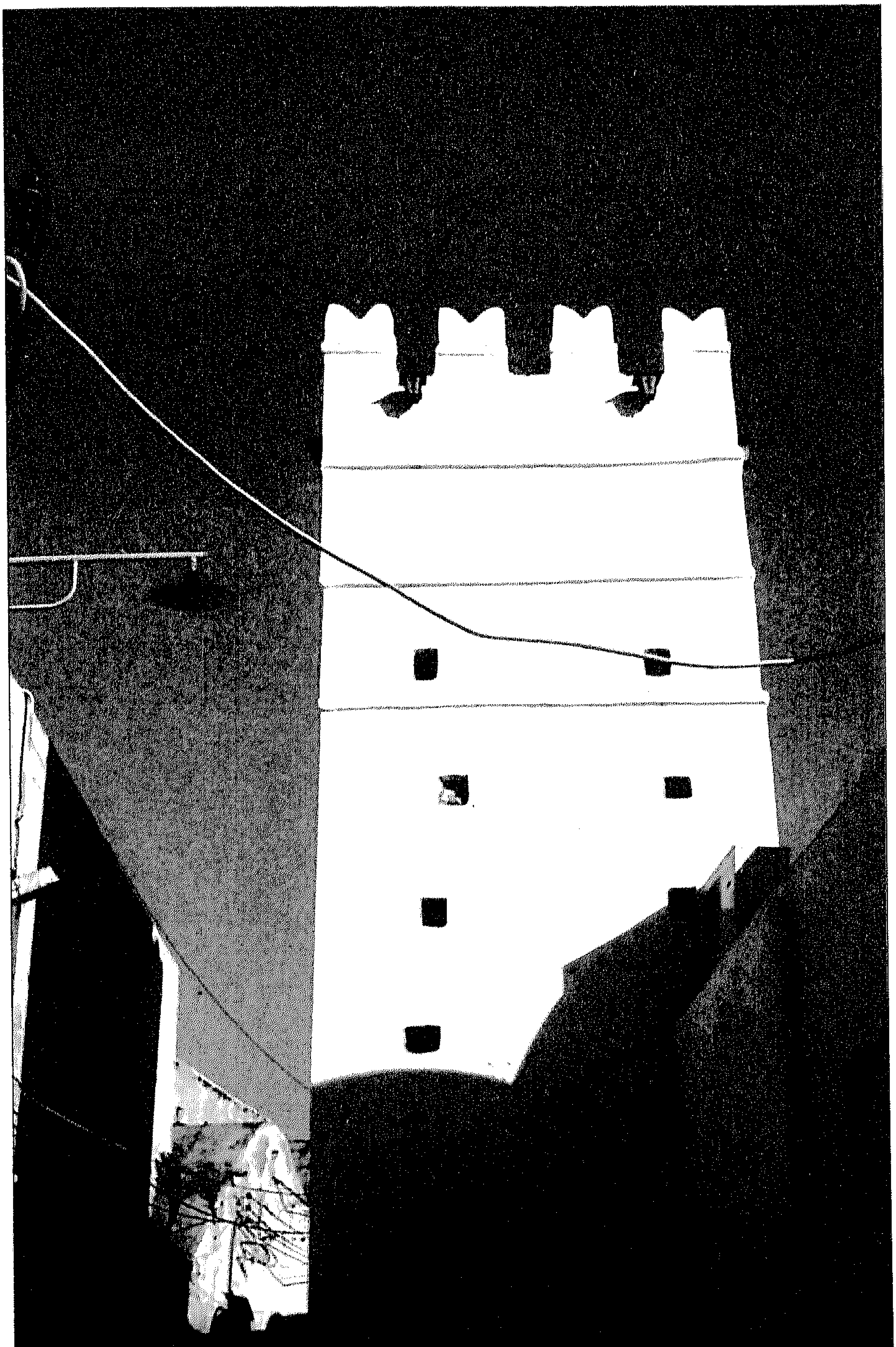

(شكل 50 أ) جامع الناقة، المئذنة.

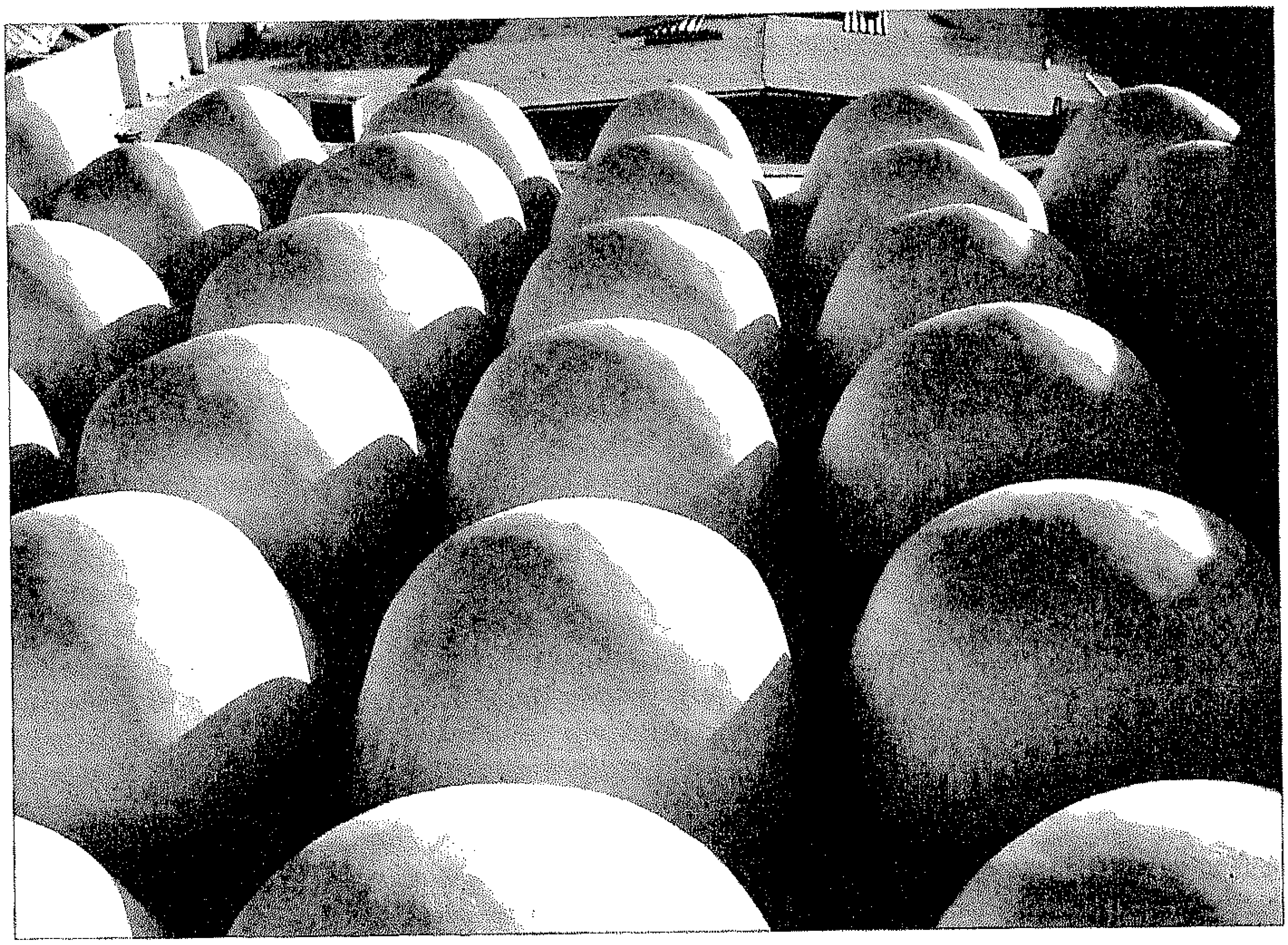

(شكل 50 ب) جامع الناقة، قباب بيت الصلاة من الخارج طرابلس.

(شكل 51) جامع سيدي عبد السلام الأسمر، منظر عام للقباب والمئذنة، زليطن (المسجد القديم الذي هُدِّم).

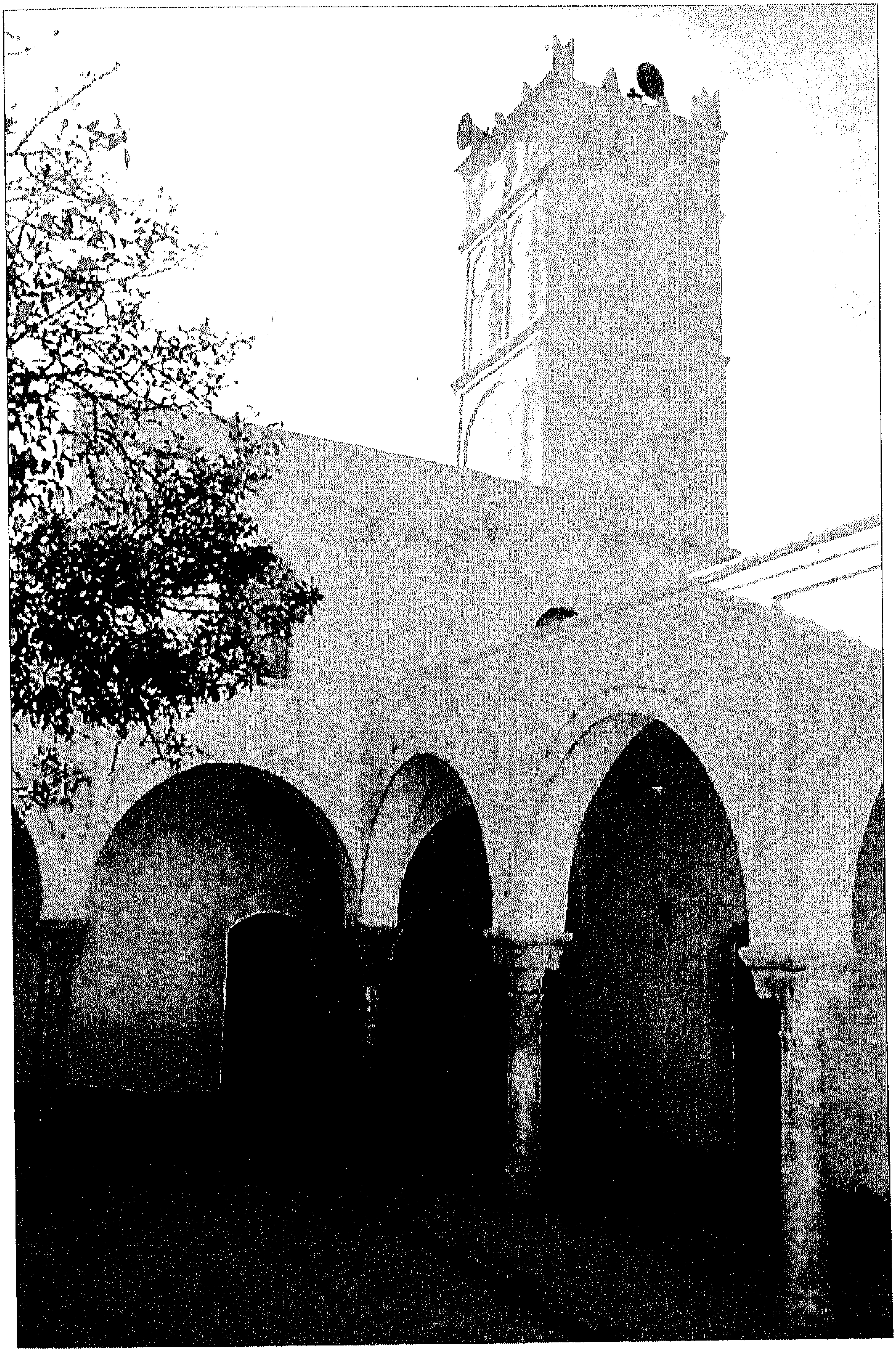

(شكل 52) زاوية عمورة، المئذنة ورواق بالصحن، جنزور.

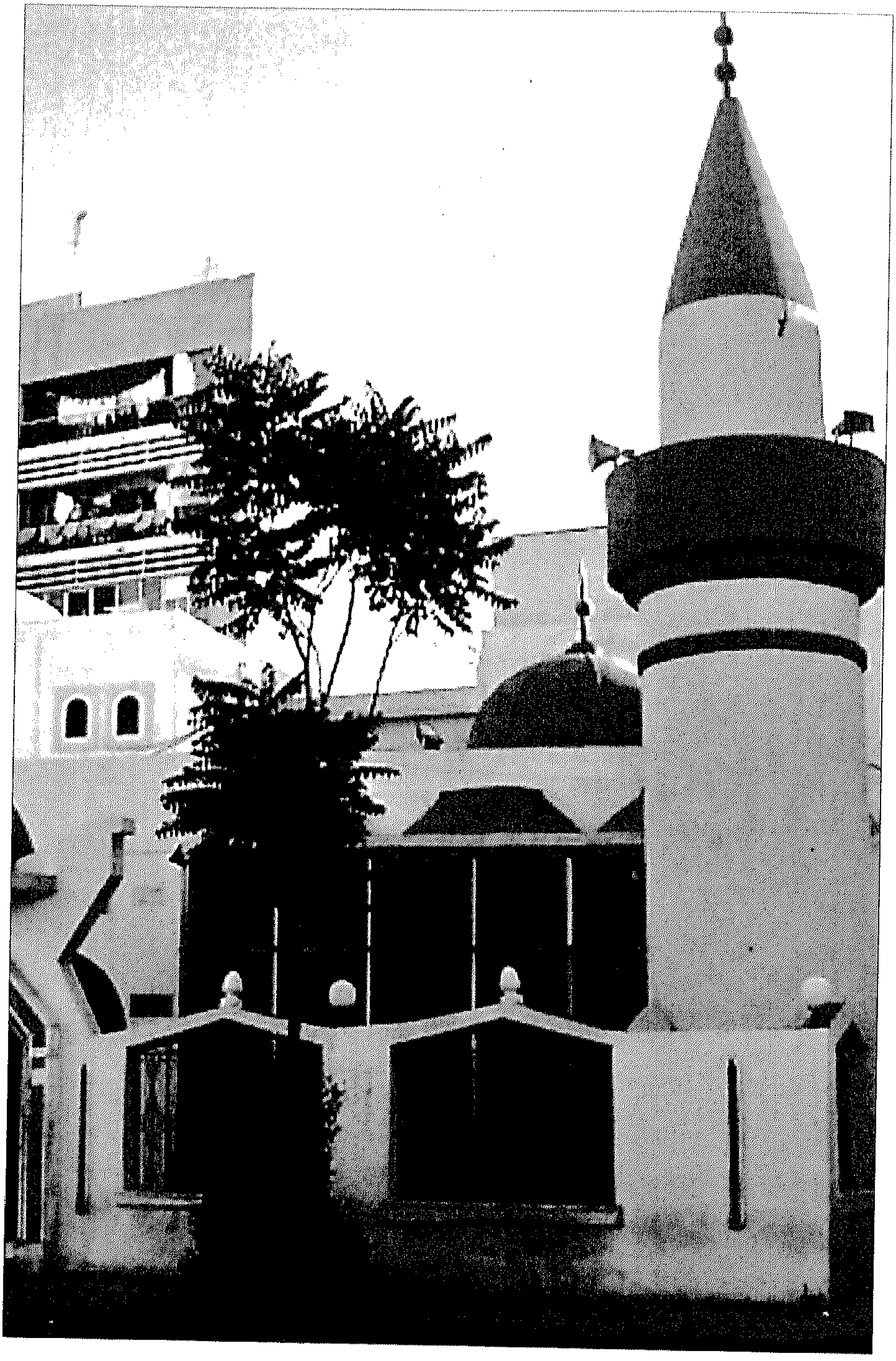

(شكل 53) جامع المجيديّة، الواجهة والمئذنة، طرابلس.

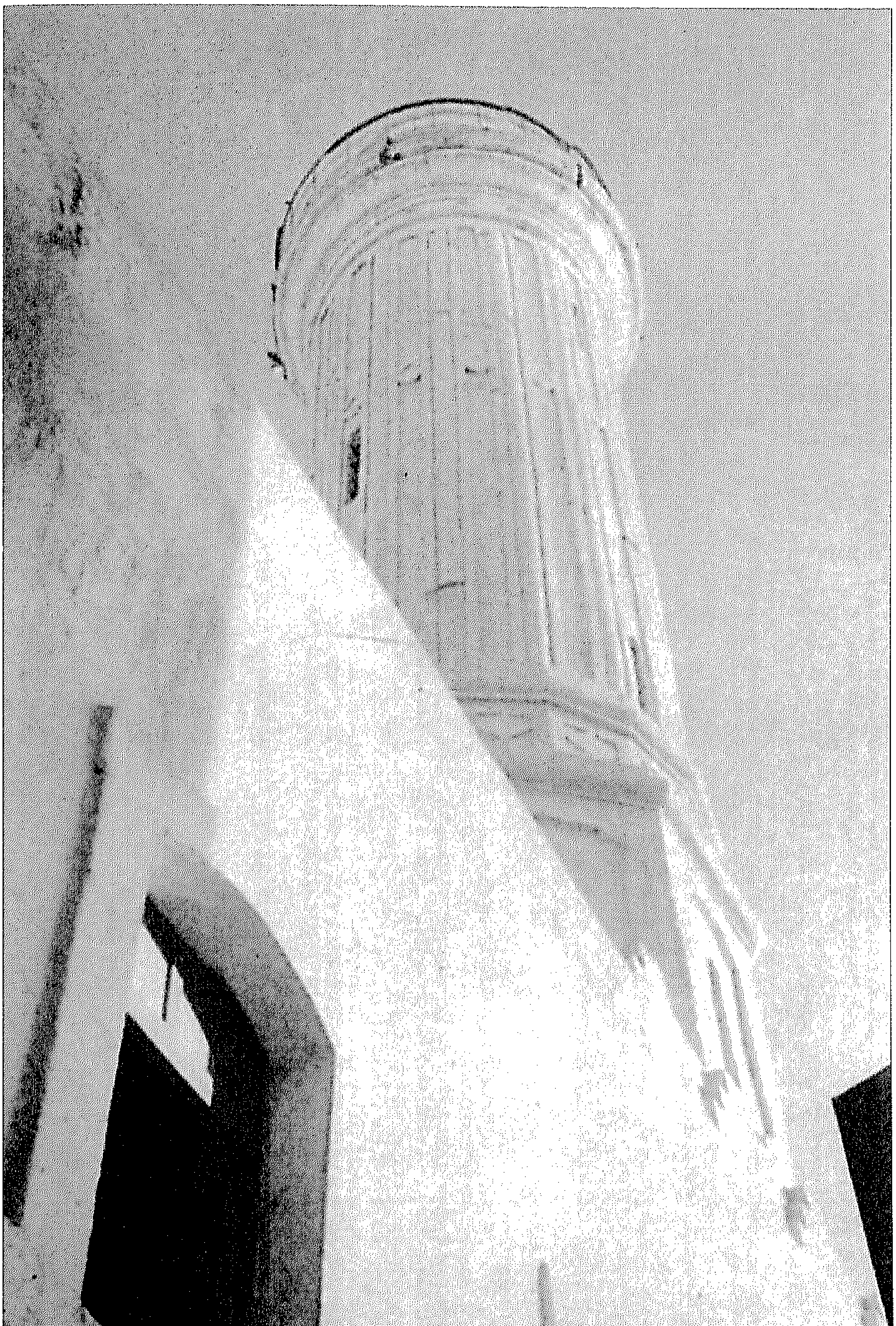

(شكل 54) جامع عثمان بوقلاز، الواجهة والمئذنة، بنغازي.

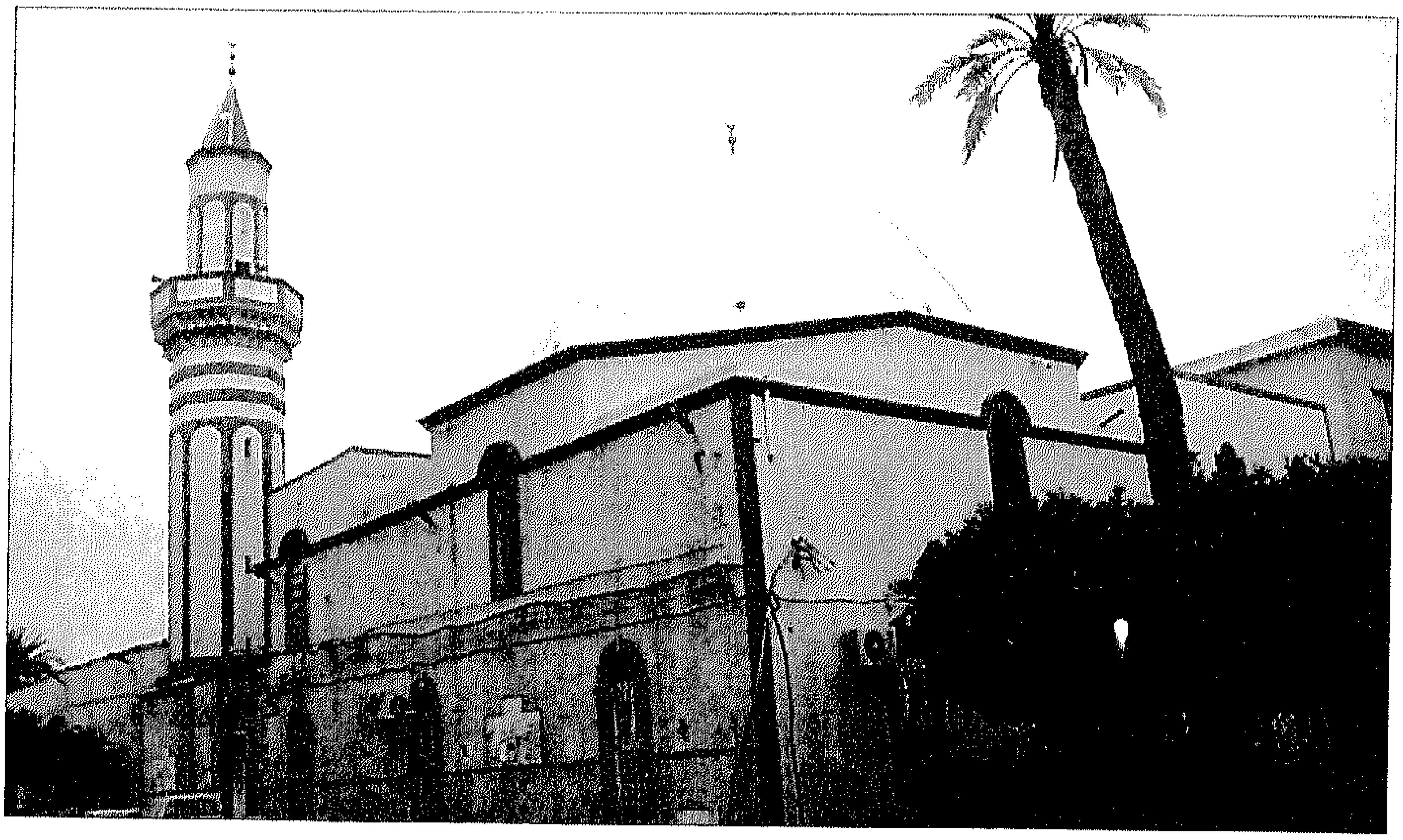

(شكل 55) جامع الباشا، منظر عام للجامع والمئذنة، الخمس.

(شكل 56) جامع درغوت، المدخل المؤدي إلى الحجرة الواقعة
في الجهة الشمالية الشرقية من بيت الصلاة، طرابلس.

(شكل 57) جامع شائب العين، زخارف المدخل المواجه للمحراب، طرابلس.

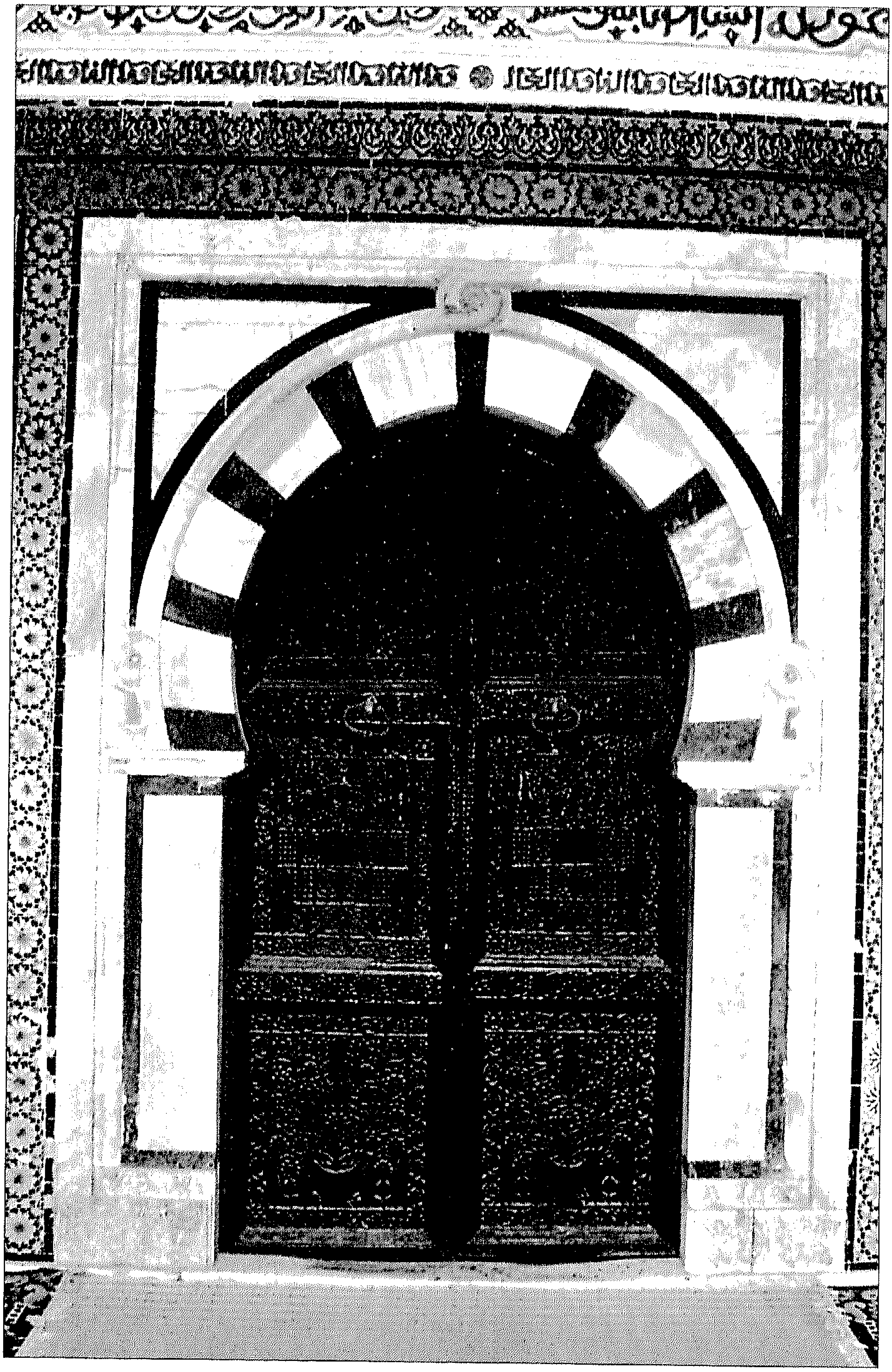

(شكل 58) جامع أحمد القرمانلي، زخارف المدخل المواجه للمحراب، طرابلس.

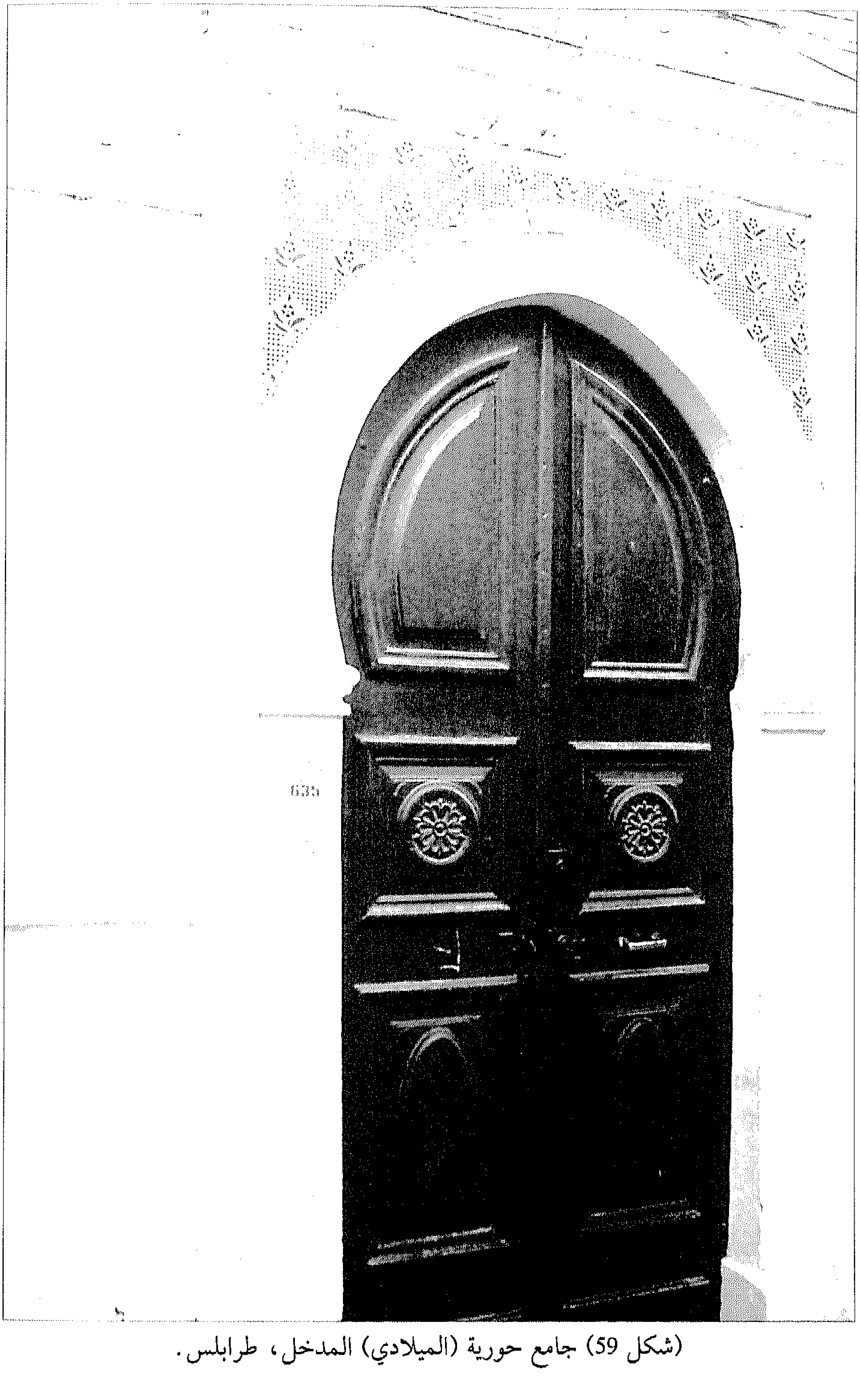

(شكل 59) جامع حورية (الميلادي) المدخل، طرابلس.

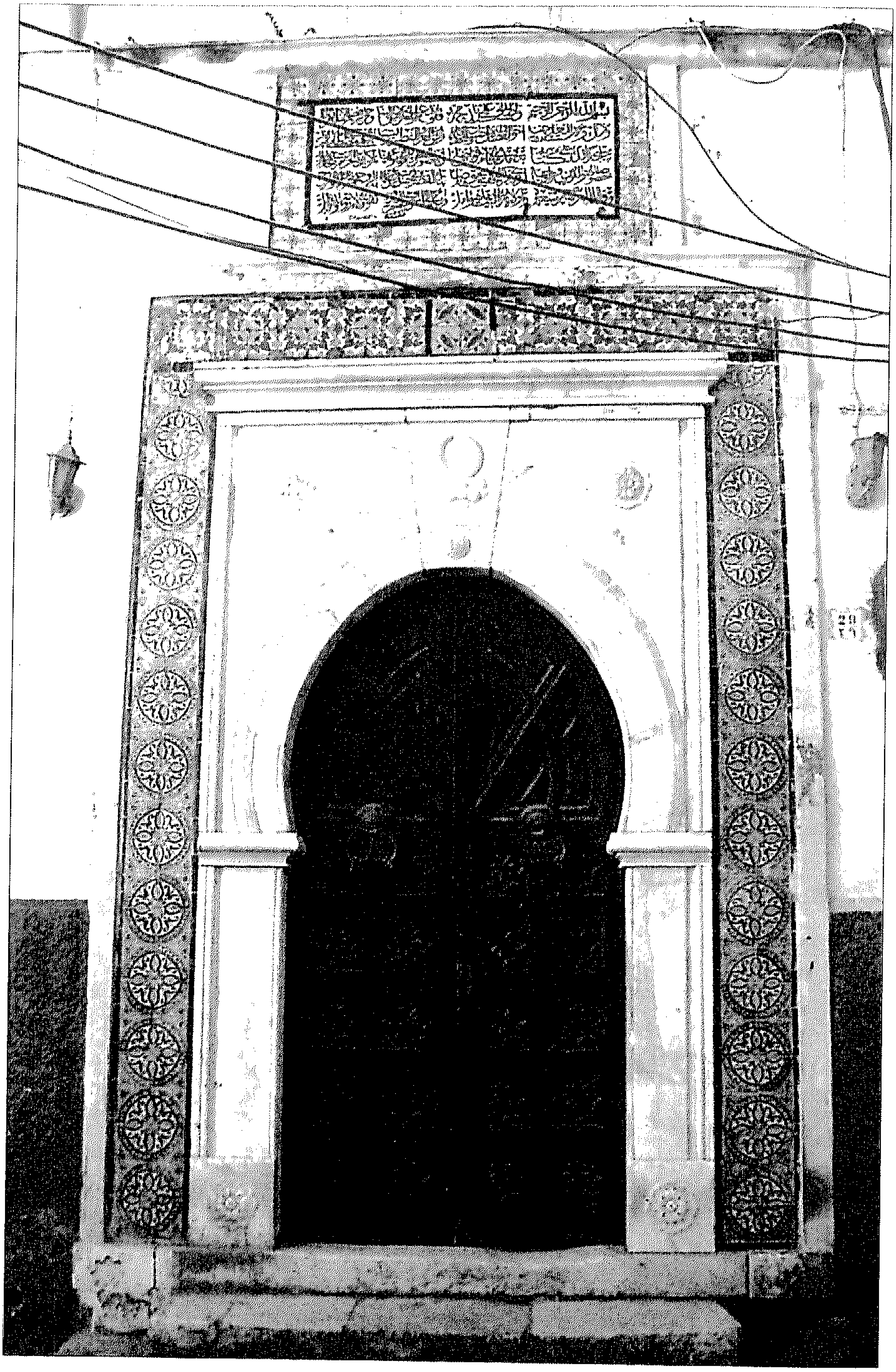

(شكل 60) جامع قرجي، زخارف المدخل الرئيسي، طرابلس.

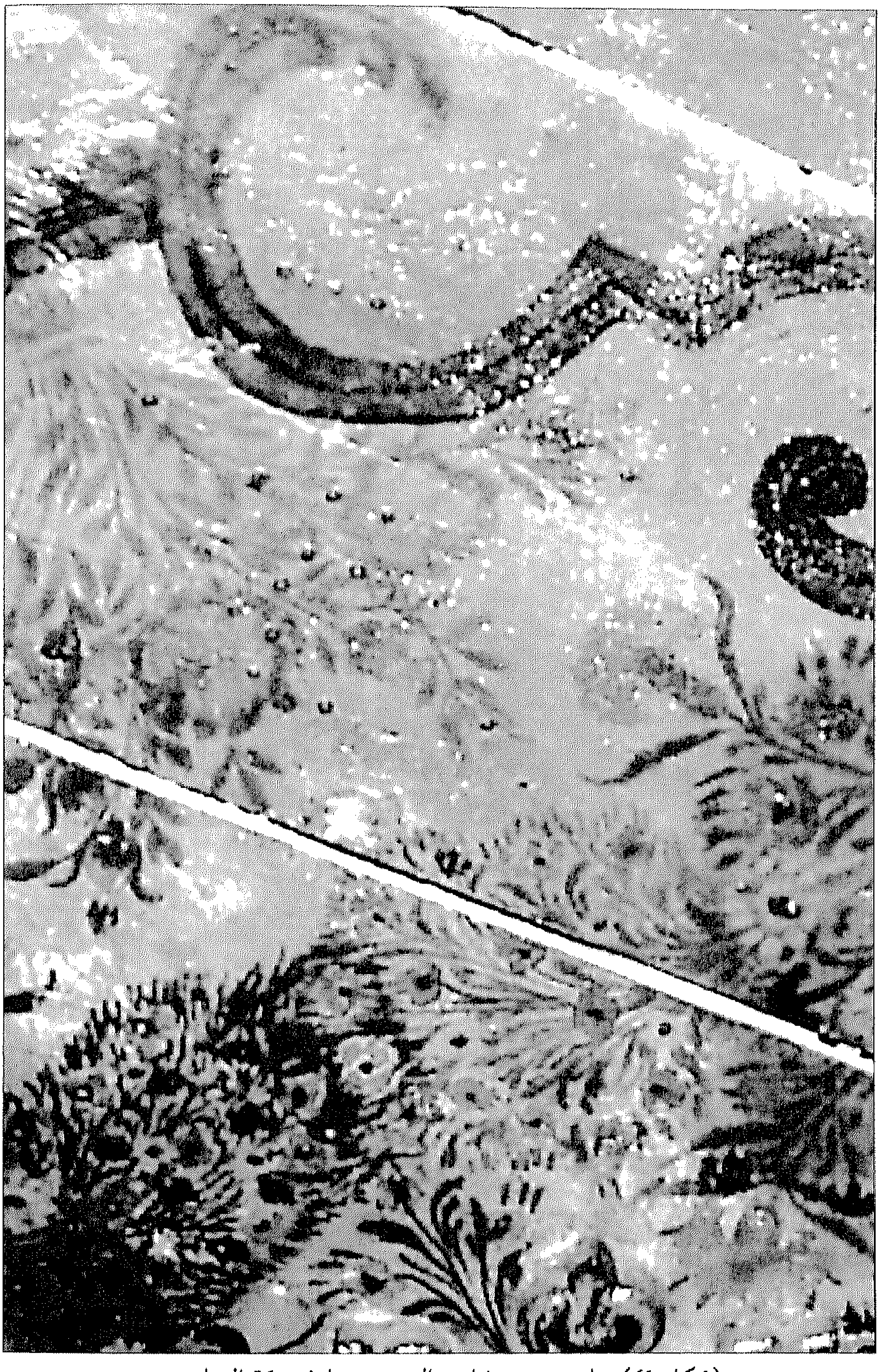

(شكل 61) جامع محمد شائب العين، زخارف دكة المبلغ.

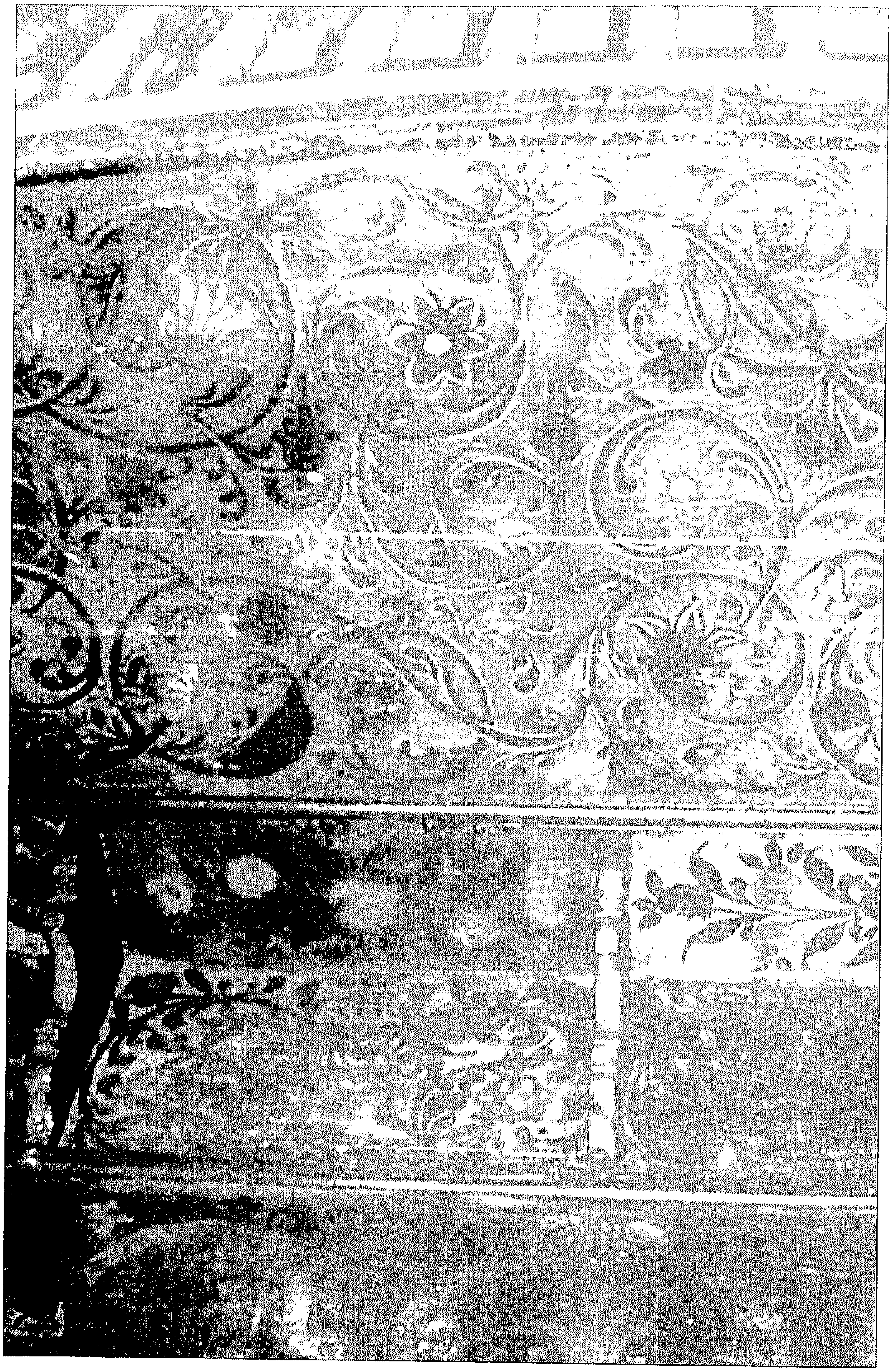

(شكل 62) جامع إسماعيل بن يربوع (الدروج)، زخارف دكة المبلغ، طرابلس.

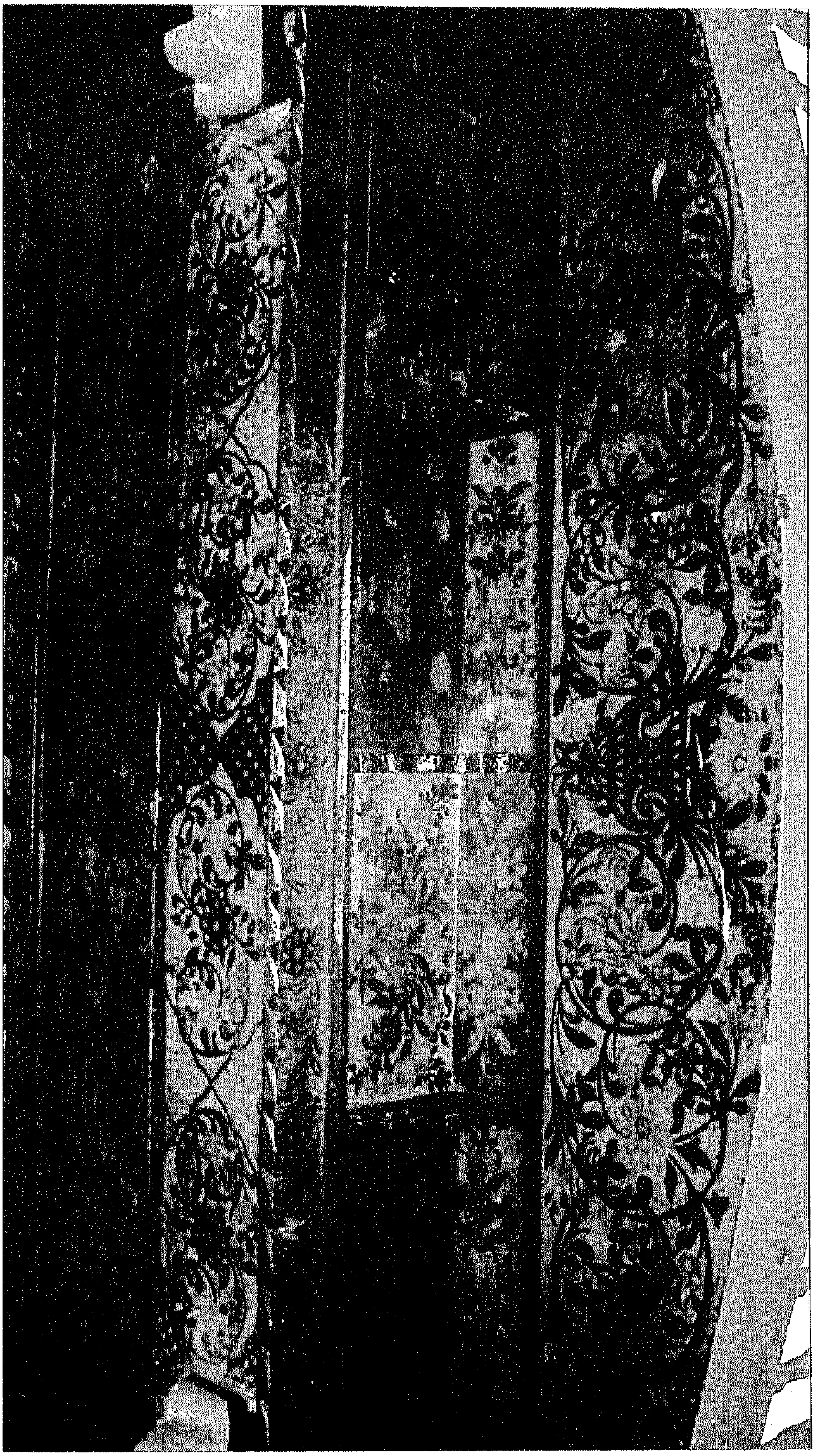

(شكل 63) جامع الخروبة، زخارف دكة المبلغ، طرابلس.

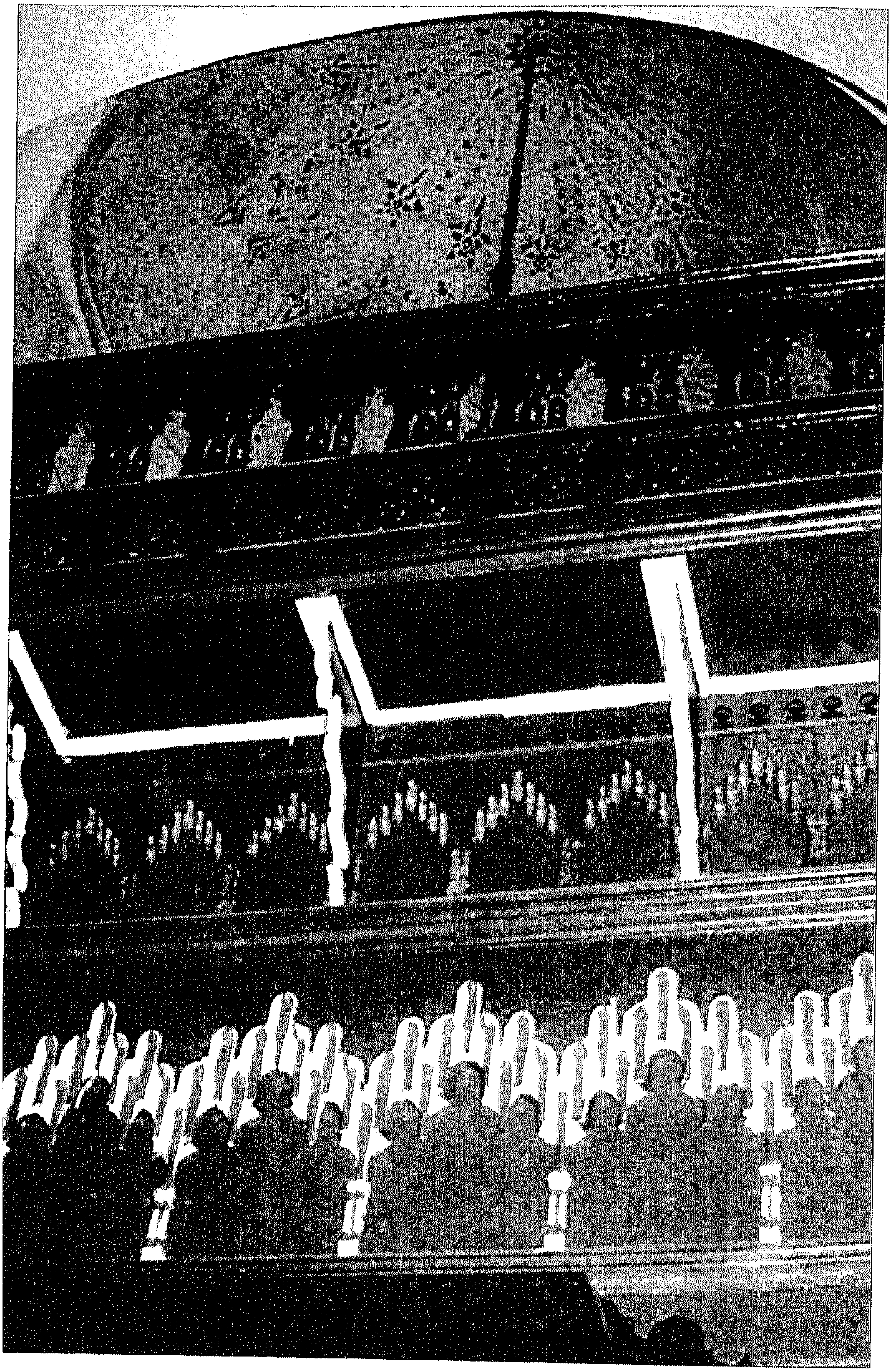

(شكل 64) جامع أحمد القرمانلي، زخارف دكة المبلغ، طرابلس.

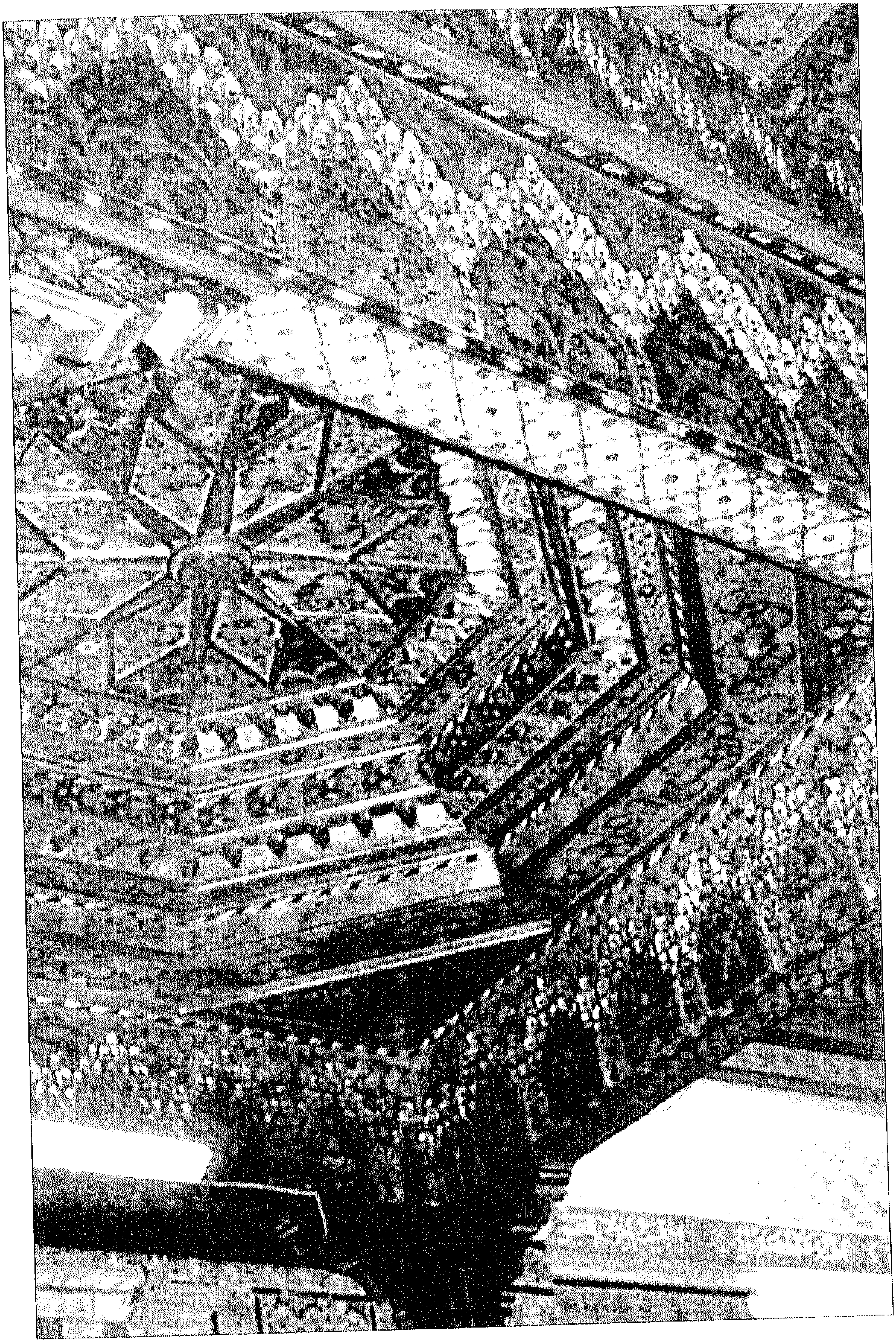

(شكل 65) جامع مصطفى قرجي، زخارف دكة المبلغ، طرابلس.

(شكل 66) جامع أحمد القرمانلي، زخارف الواجهة الغربية لبيت الصلاة، طرابلس.

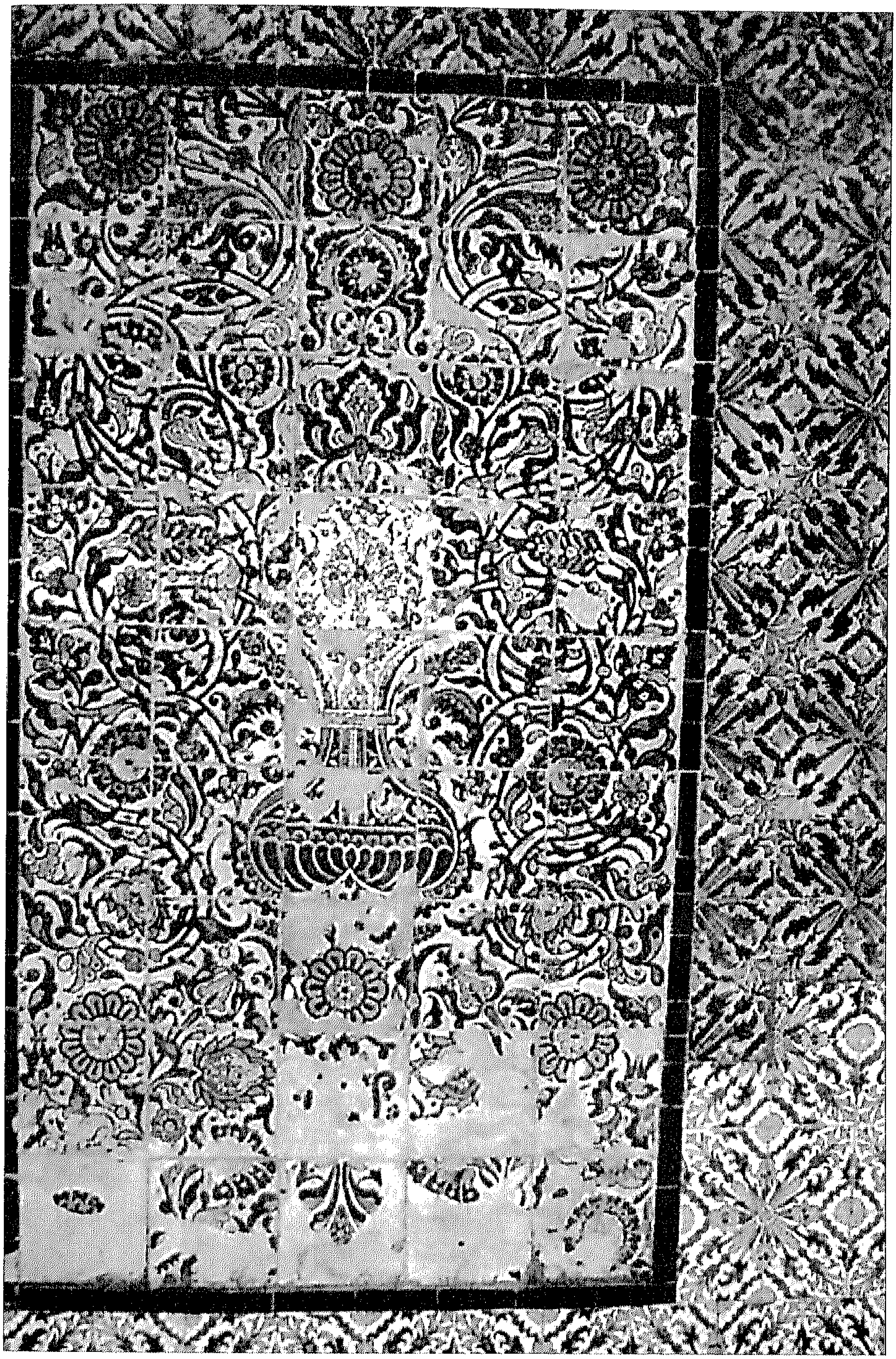

(شكل 67) جامع أحمد القرمانلي، لوحة خزفية في الواجهة الغربية لبيت الصلاة، طرابلس.

(شكل 68) جامع مصطفى قرجي، زخارف الواجهة الشرقية من بيت الصلاة، طرابلس.

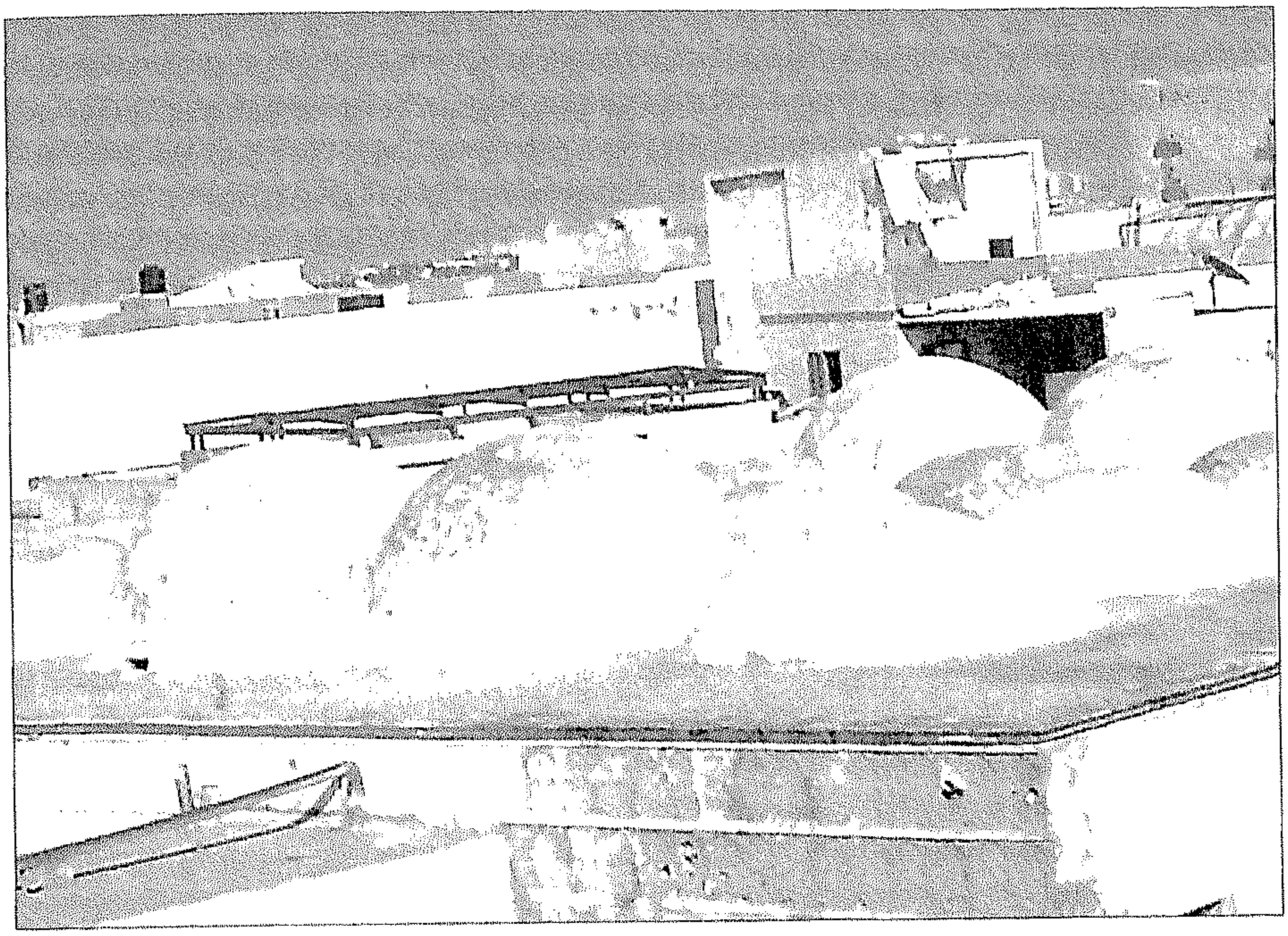

(شكل 69) جامع مصطفى قرجي، قباب بيت الصلاة من الخارج ـ طرابلس.

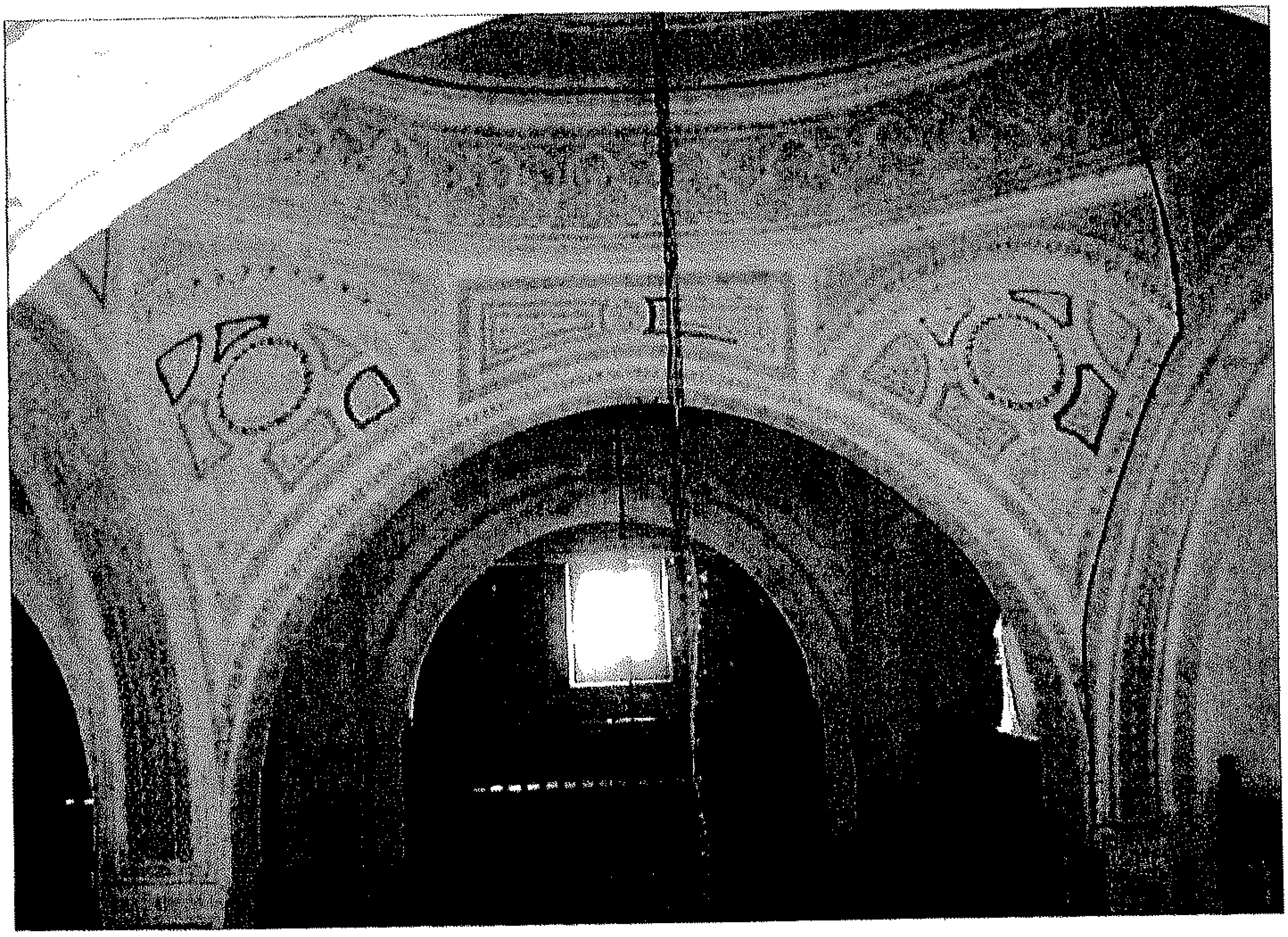

(شكل 70) جامع مصطفى قرجي، القبّة التي تعلو منطقة دكة المبلغ، طرابلس.

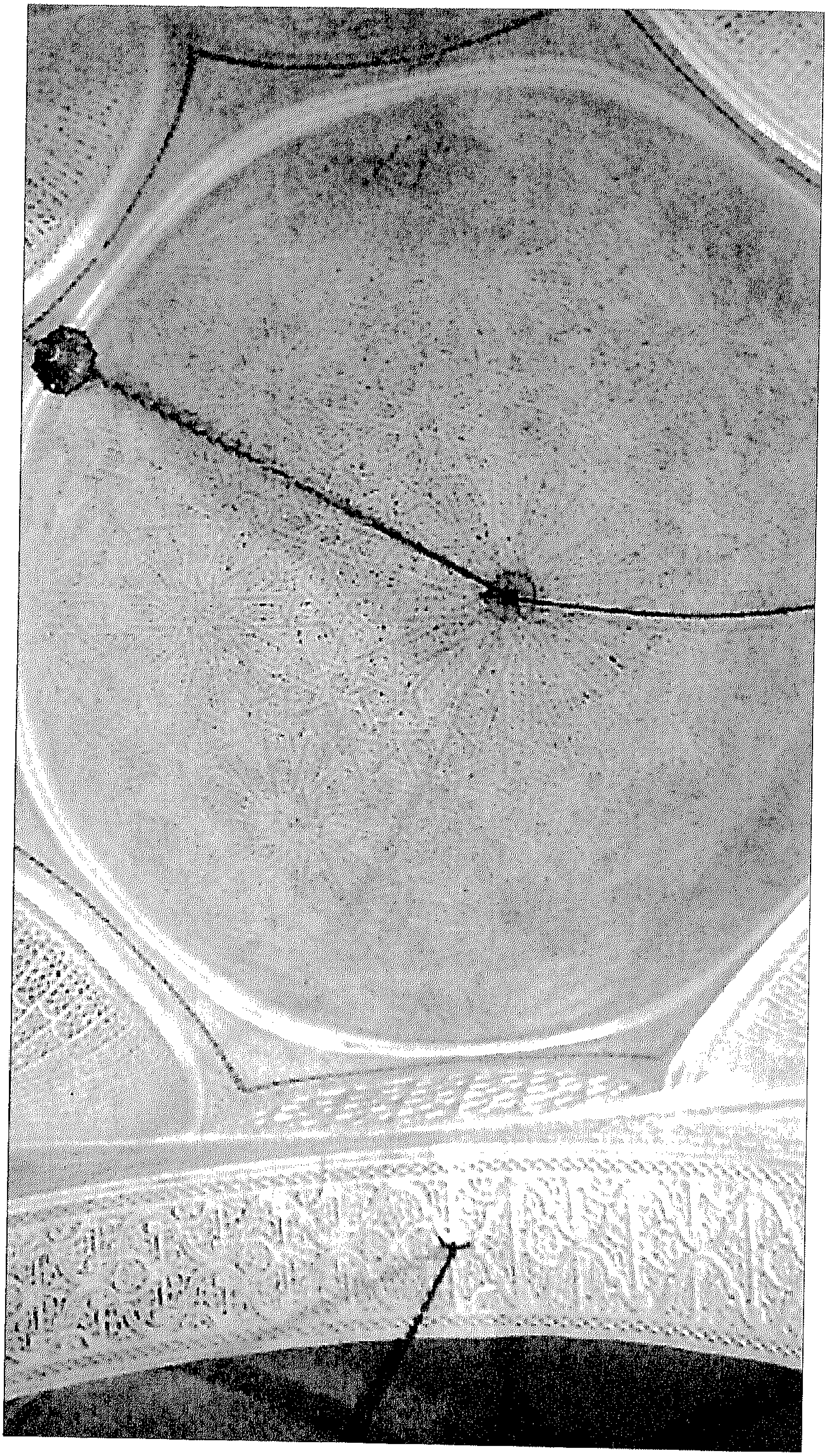

(شكل ٧١) جامع مصطفى قرجي، القبة التي تعلو منطقة المنبر، طرابلس.

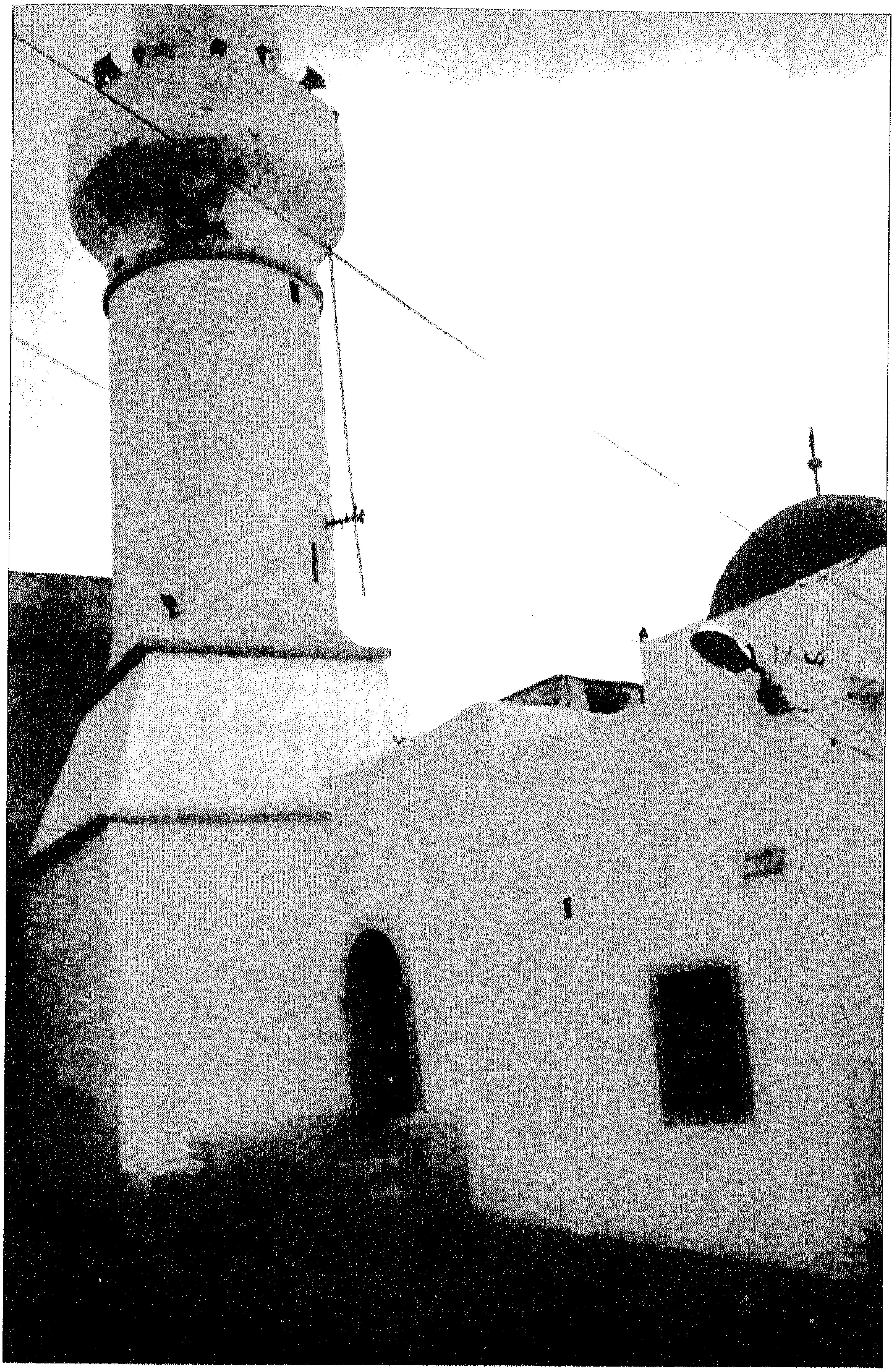

(شكل 72) جامع سيدي سالم المشاط، الواجهة والمئذنة، طرابلس.

Abstract

A History of Libyan Mosque architecture during the Ottoman and Karamanli period: 1551 - 1911

Evolution, Development and Typology

by

DR. cAli masc- ud El-Ballushi

This study is a comprehensive, systematic survey of Libyan mosque architecture during the Ottoman and Karamanli period, 1551 -1911. Its purpose is essentially three-folder: to present in easily retrievable form hitherto scattered or unrecorded factual information, to establish typological classifications of the mosque, and, on the basis of this data and by way of comparative analysis, to put forward a new theory regarding the origin of the Libyan mosque as it developed from the mid-sixteenth century onward.

Much of the factual information - sizes, plans roofing systems, decorative features - was gathered through on-site inspection, measurement, and photography of virtually all of the mosque in question. The dates of the buildings have been determined or hypothesized through epigraphical evidence, through the identification of patronage (literary or popular tradition has preserved the names of some of the patrons, many of whom were members of the ottoman or Karamanli administrations and thus can be identified in various historical or biographical Works), and, lacking this, through stylistic analysis (e.g., structural features, sizes of domes). The presentation of this material in the text is supplemented by detailed charts and ground plans.

The mosques are classified according to their ground plans and roofing systems. Each group is the subject of a separate chapter, in which the division of interior space, the structural peculiarities, the exterior appearance, and the history of the particular basic type are examined. The

last chapter is devoted to a consideration of the use of stone, marble, wood, and tile in architectural decoration. Special emphasis is placed on the rich decoration in the mosques of sha'ib al-^{c}ayn, al-Karmanli and gurgi. Certain aspects of this decoration have been connected with European, above all Italian, taste. The source and significance of tile panels are also explored.

Proposals as to the origin of the Libyan mosques of the period under consideration - the third major concern of this dissertation - have been formulatd upon a comparison of them to pre-ottoman mosque architecture in Libya (insofar as this can be reconstructed, primarily through literary sources) and to mosques in other Islamic countries (Turkey, Tunisia and, to a lesser extent, Algeria and Egypt).

Finally, it is hoped that the present study of an important aspect of Libya's cultural heritage will contribute both to scholarship on Islamic art and to the actual physical preservation of the monuments, many of which even today are in danger of transformation or demolition.

جداول المساقط الأفقية

- جدول (أ) المساقط من (1) إلى (41)
- جدول (ب) المساقط من (42) إلى (55)
- جدول (ج) المساقط من (56) إلى (73)
- جدول (د) (الملحق) المساقط من (1) إلى (25)

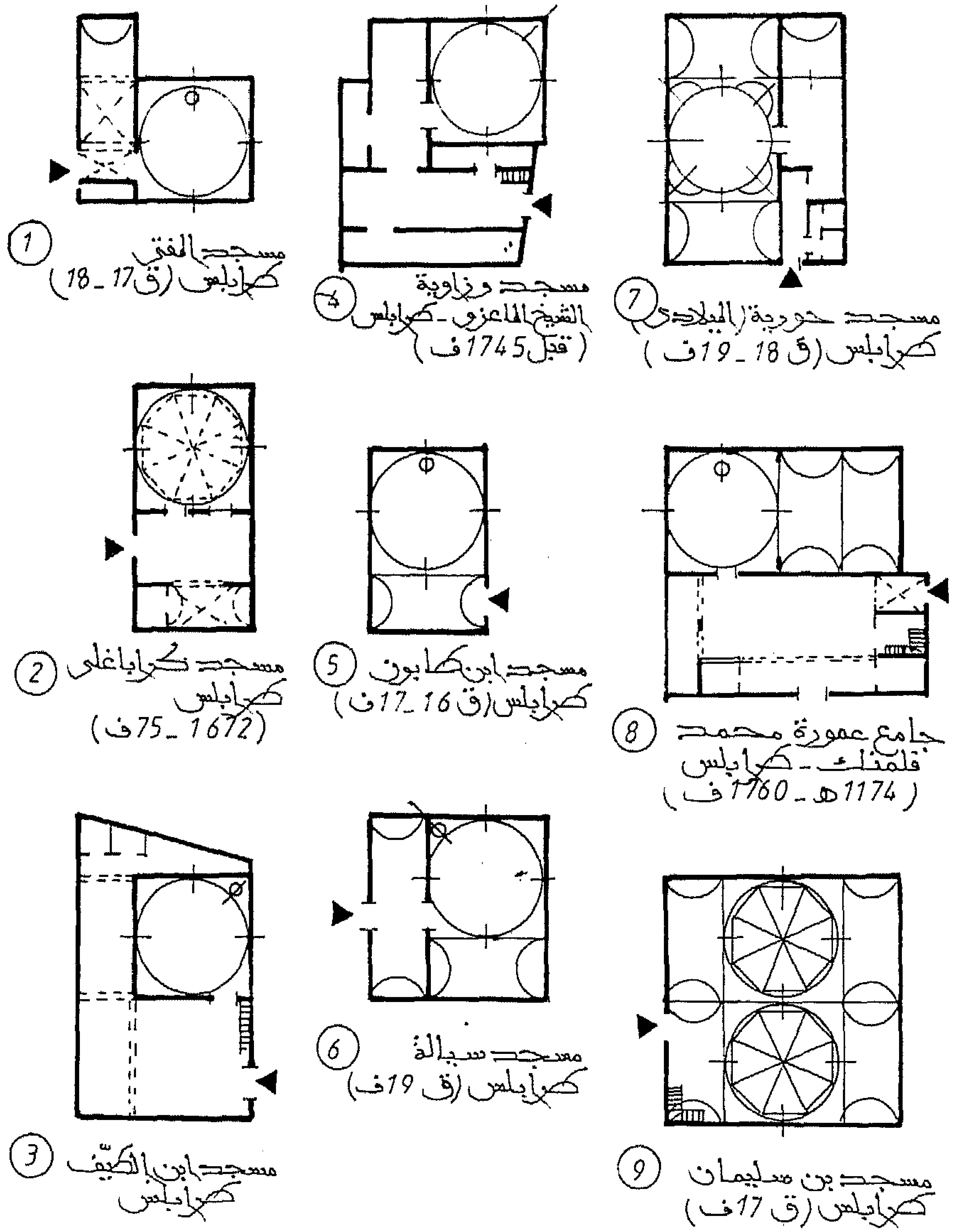

جدول المساقط «أ» مسجد من 1 إلى 41

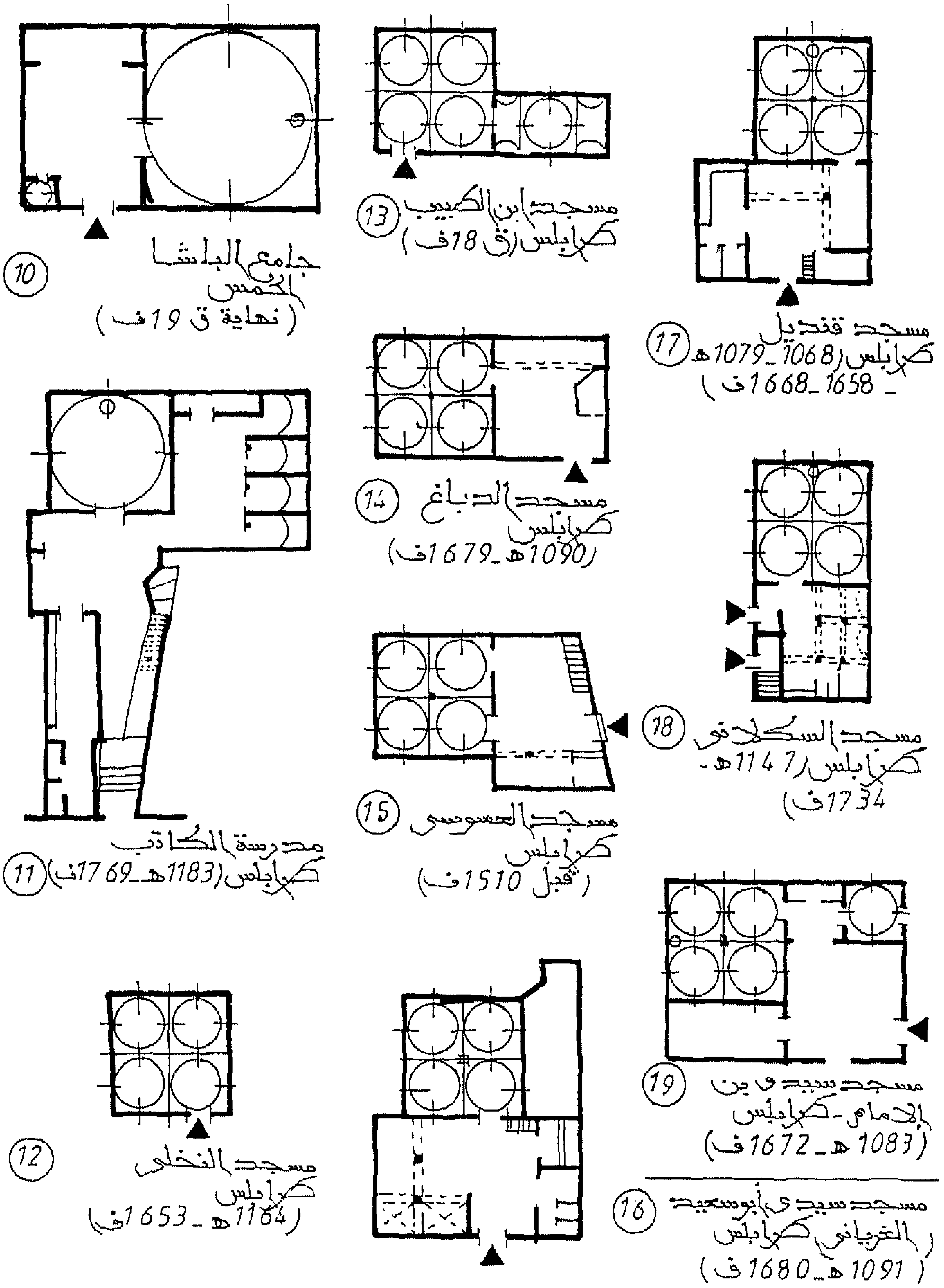
(10)
جامع الباشا
الخمس
(نهاية ق 19 ف)
(13)
مسجد ابن الكبيب
نابلس (ق 18 ف)
(17)
مسجد قنديل
نابلس (1068_1079 هـ
_ 1658_1668 ف)
(11)
مدرسة الكاتب
نابلس (1183 هـ_1769 ف)
(14)
مسجد الدباغ
نابلس
(1090 هـ_1679 ف)
(18)
مسجد السكلاني
نابلس (1147 هـ -
1734 ف)
(15)
مسجد العسوسي
نابلس
(قبل 1510 ف)
(19)
مسجد سيدي بن
الإمام - نابلس
(1083 هـ _ 1672 ف)
(12)
مسجد النخلي
نابلس
(1164 هـ _ 1653 ف)
(16)
مسجد سيدي أبو سعيد
الغرياني نابلس
(1091 هـ_1680 ف)

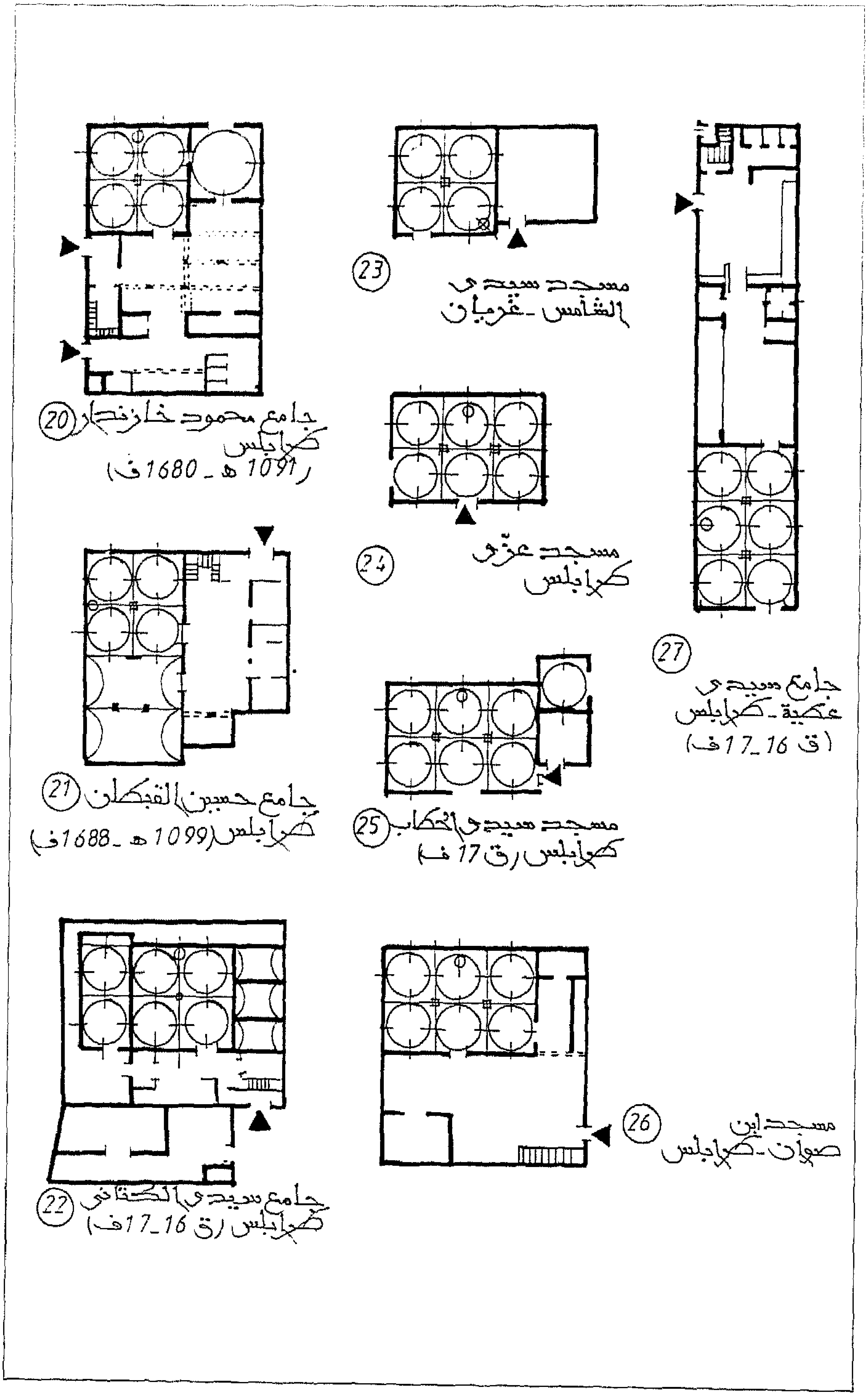
20
جامع محمود خازندار
طرابلس
(1091 هـ - 1680 ف)
23
مسجد سيدي
الشامس - غريان
24
مسجد عزّو
طرابلس
27
جامع سيدي
عطية - طرابلس
(ق 16-17 ف)
21
جامع حسين القبطان
طرابلس (1099 هـ - 1688 ف)
25
مسجد سيدي الحطاب
طرابلس ق 17 ف
22
جامع سيدي الكتاني
طرابلس (ق 16-17 ف)
26
مسجد ابن
صوان - طرابلس

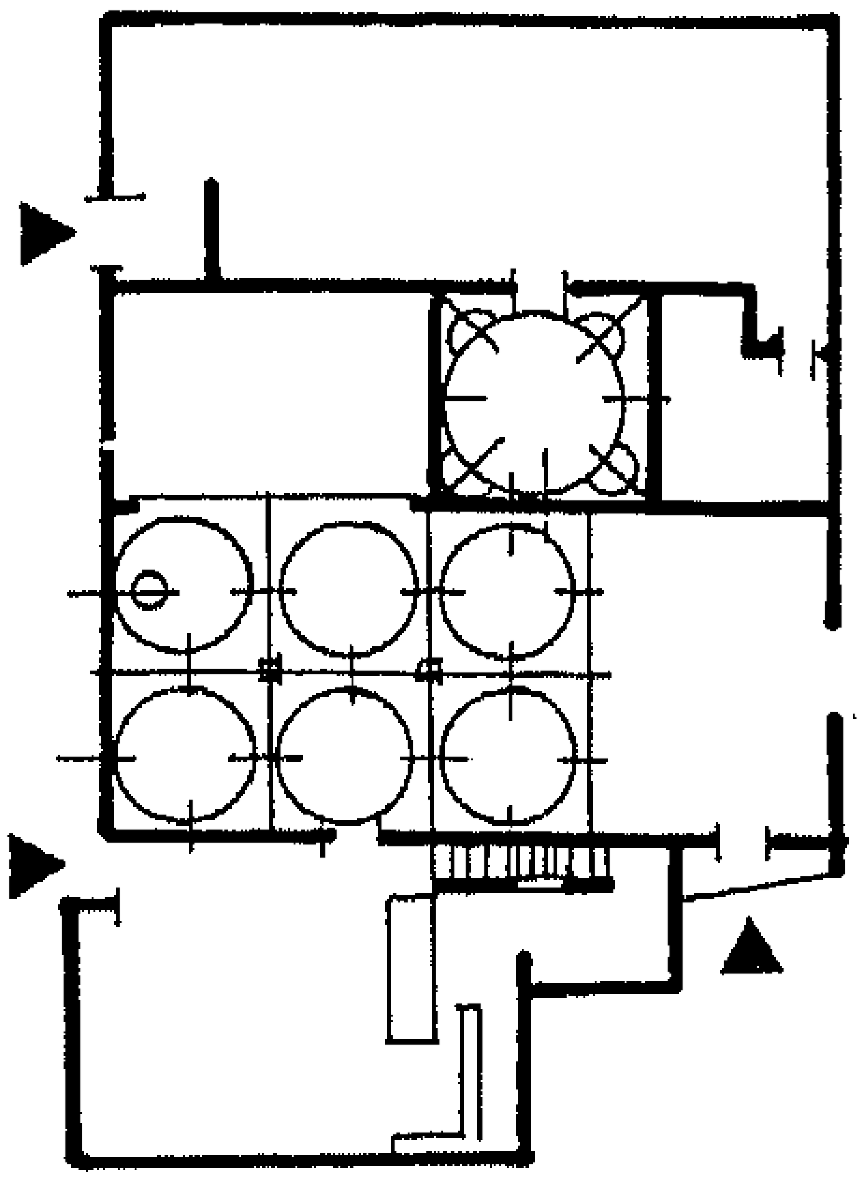

28 جامع سيدي جابر طرابلس

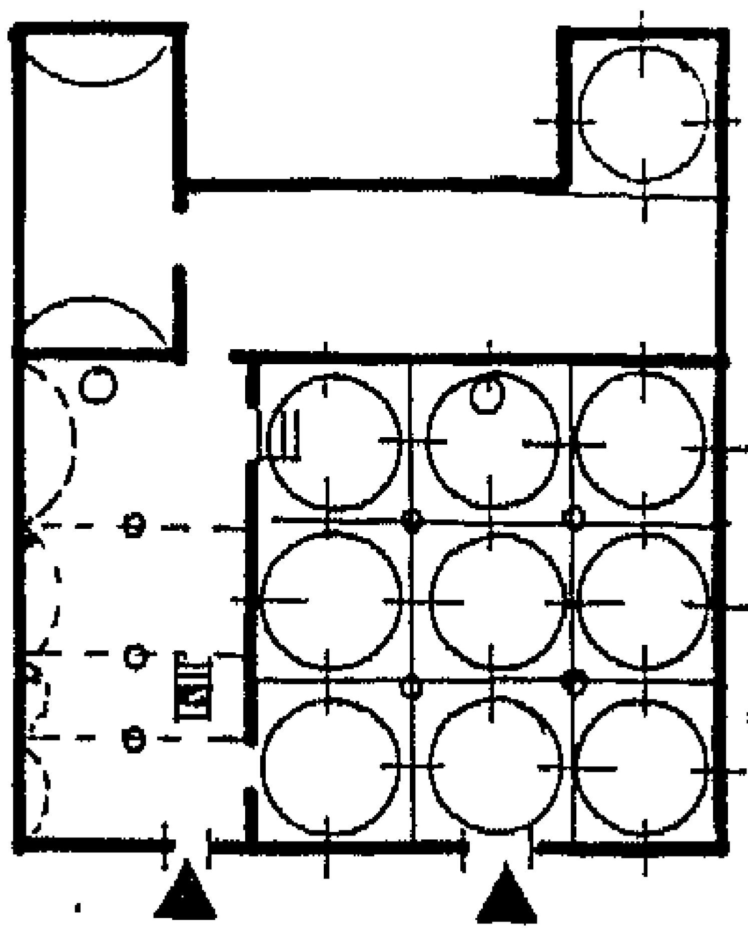

30 جامع الشيخ مساهل "بالدروج" طرابلس (1106 هـ _ 1694 ف) (1367 هـ _ 1947 ف)

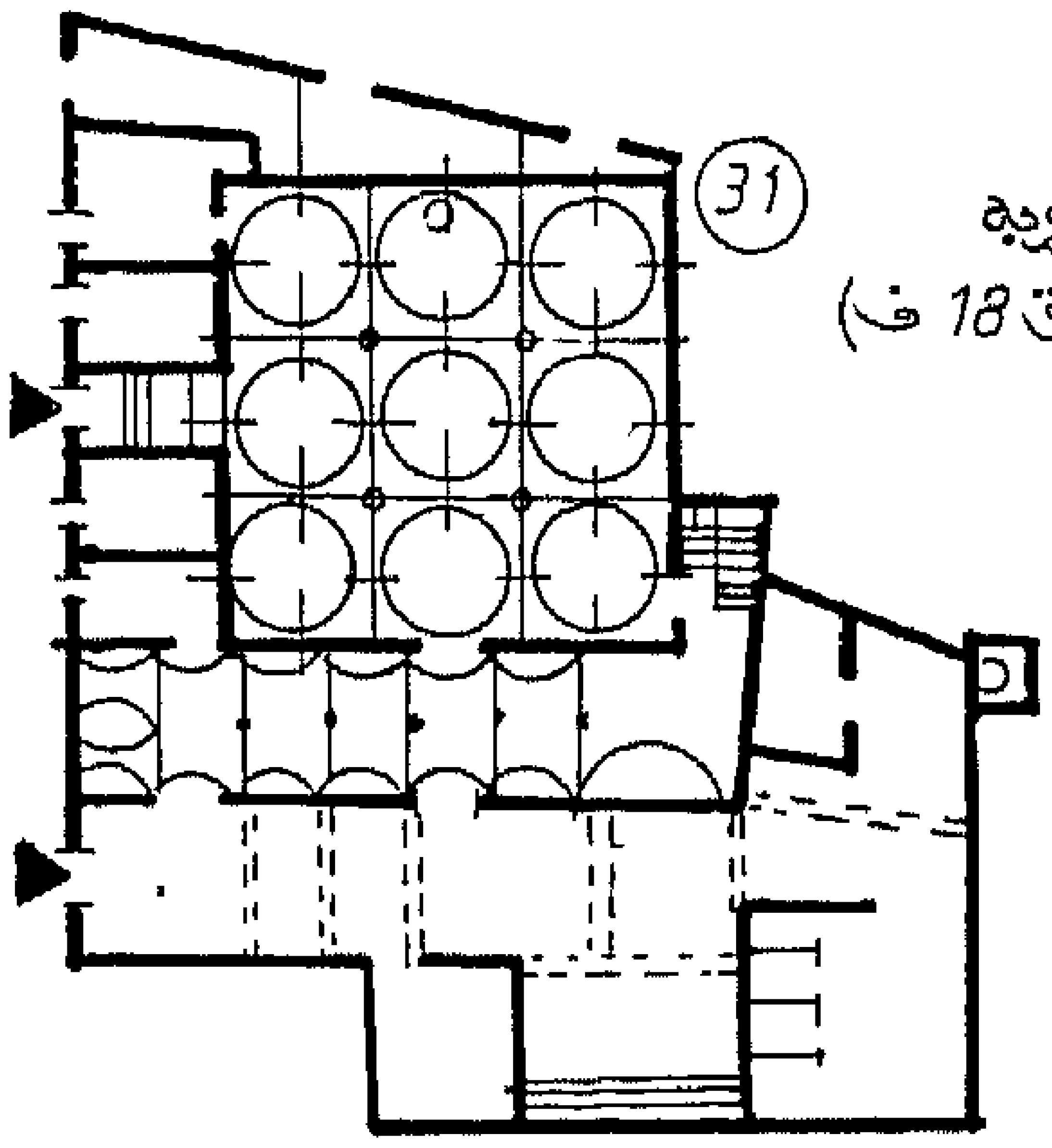

31 جامع الخروبة طرابلس (ق 18 ف)

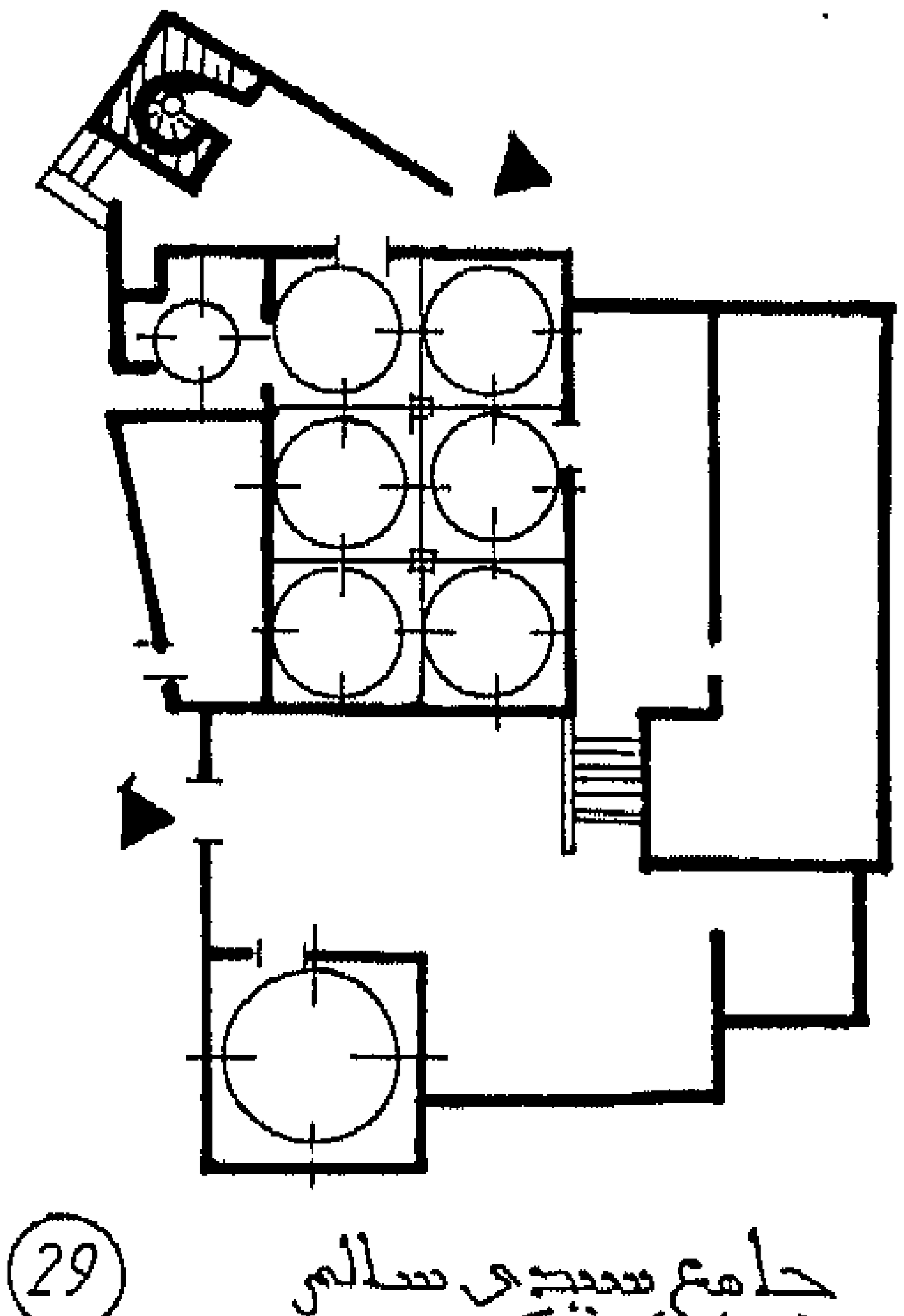

29 جامع سيدي سالم المشاط _ طرابلس (1081 هـ _ 1670 ف)

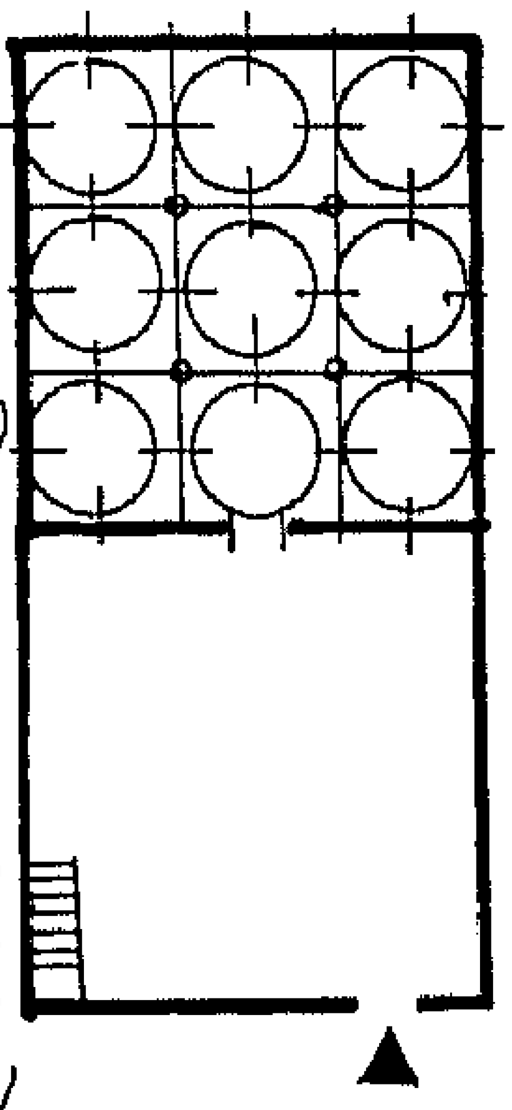

32 جامع الزغاغنة أوجلة (13هـ _ 19 ف)

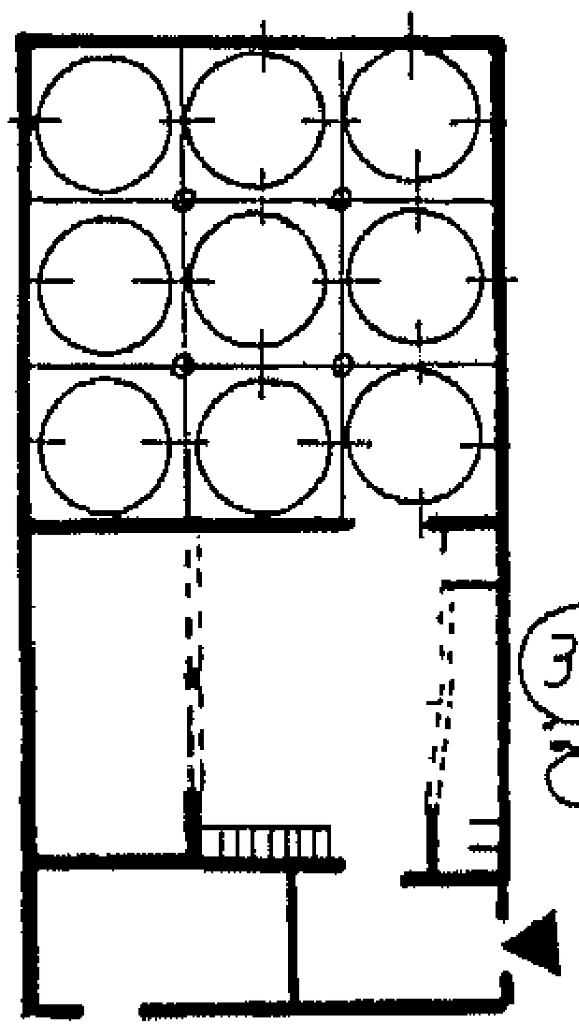

33 مسجد الشيخ أبو الحسن السيقاطي جنزور (قبل 1029 ف) تجديد ق 18 ف

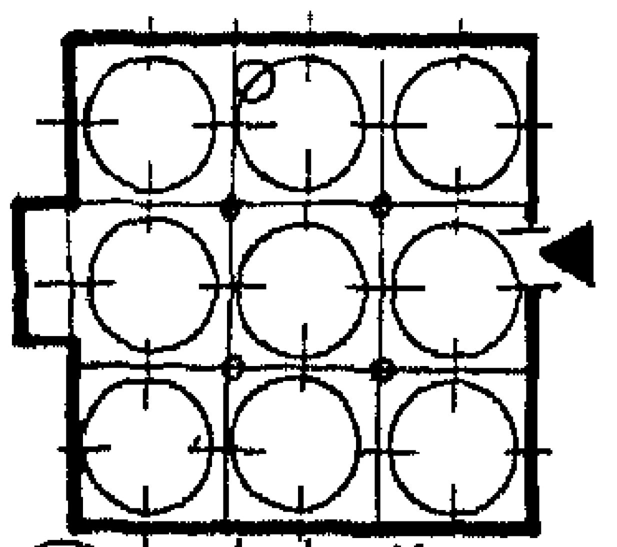

(34) مسجد السرايا الحمراء - طرابلس (ق 18ف)

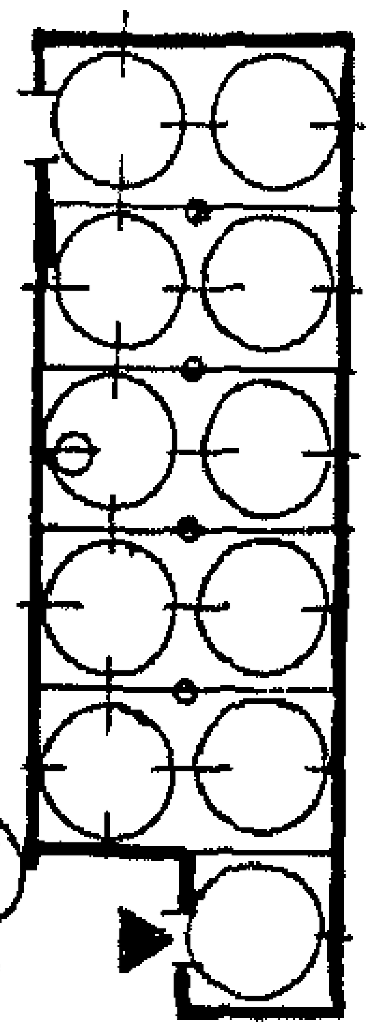

(35) مسجد سيدي عبدالله بن أبي سرح أوجلة.

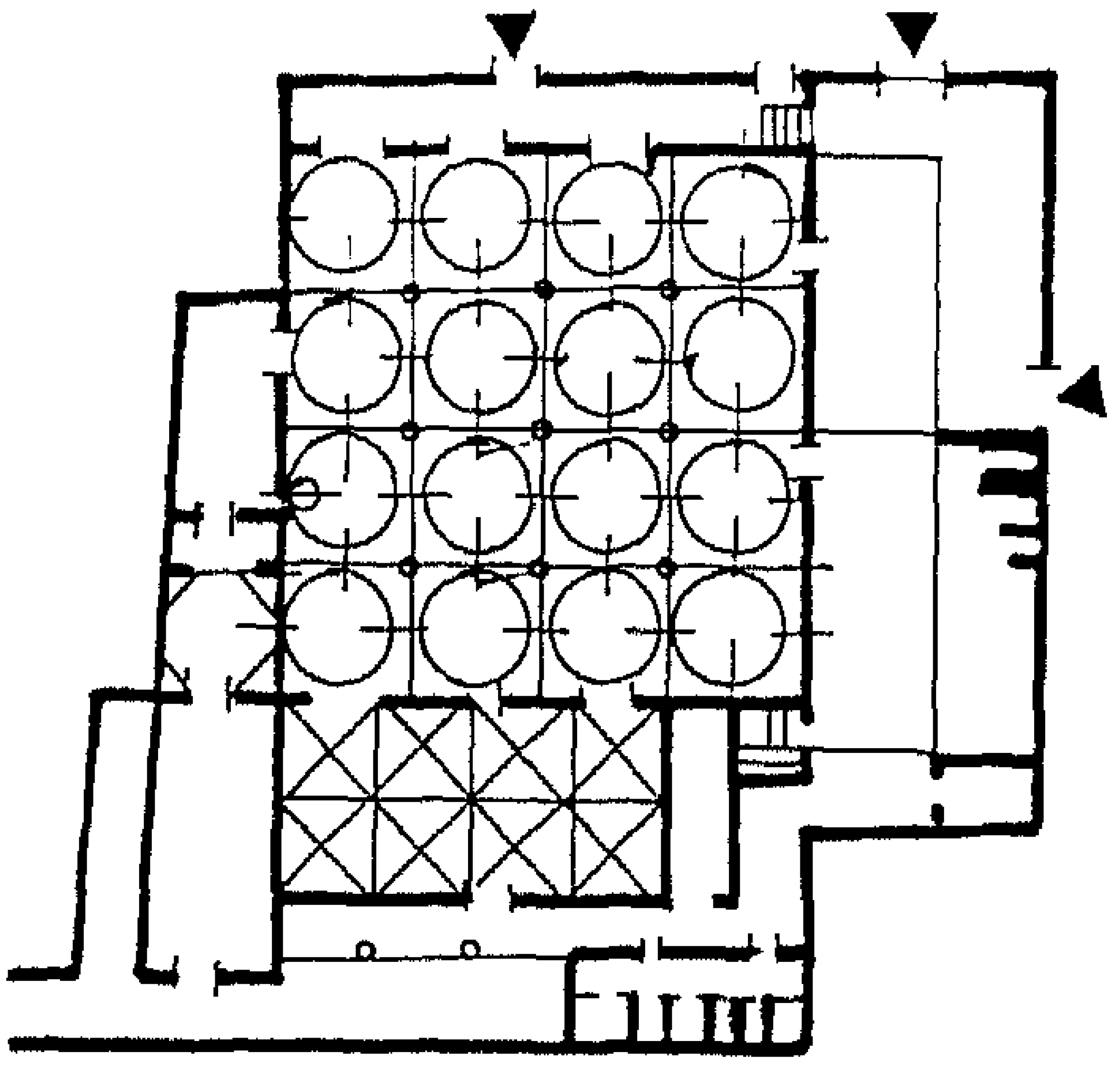

(38) جامع محمد باشا شائب العين طرابلس (1110هـ - 1699ف)

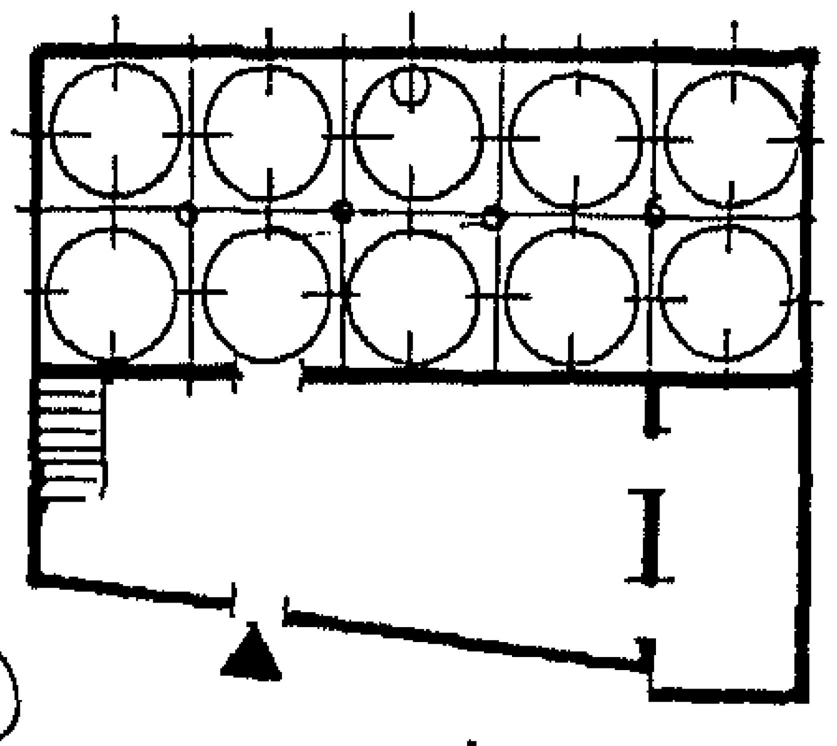

(36) جامع العبجة - أوجلة (ق 13هـ - 19ف)

(37) جامع خليل باشا الارناؤوطي طرابلس (1120هـ - 1707ف)

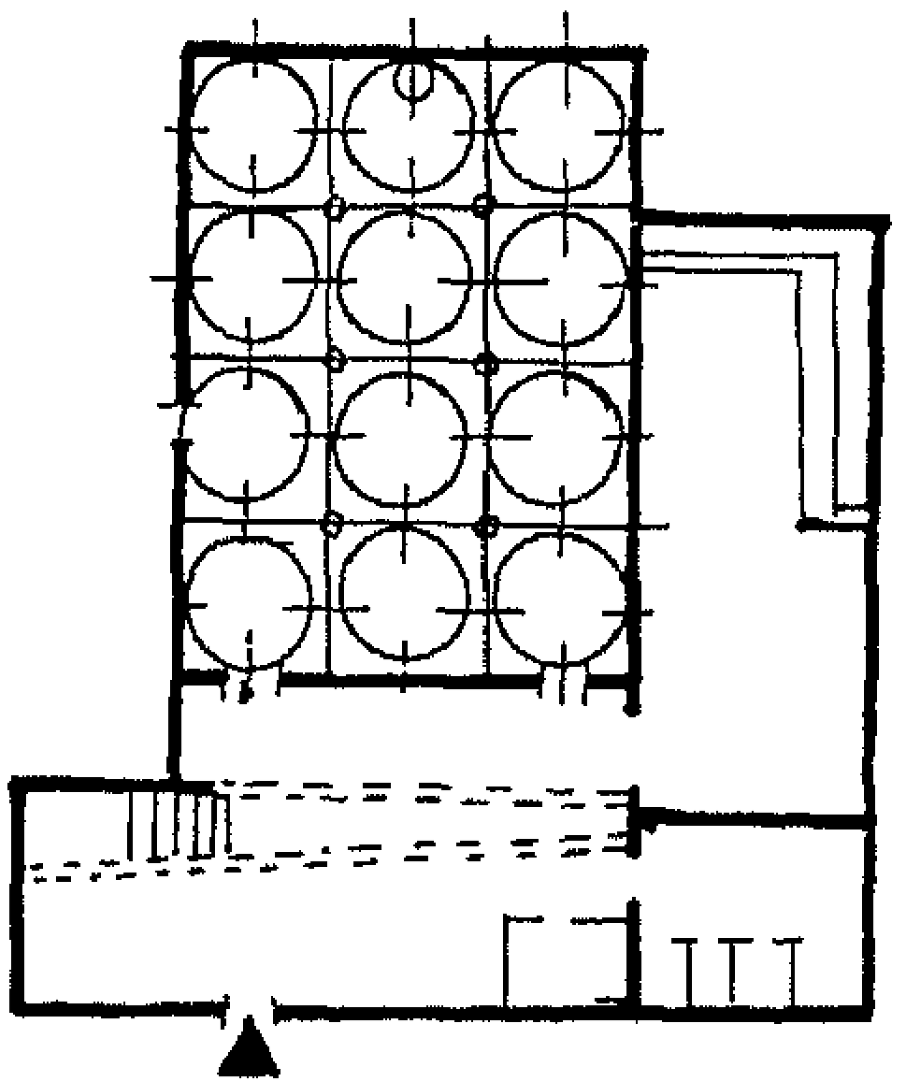

(39) جامع مصطفى قورجي - طرابلس (1249 - 1834ف)

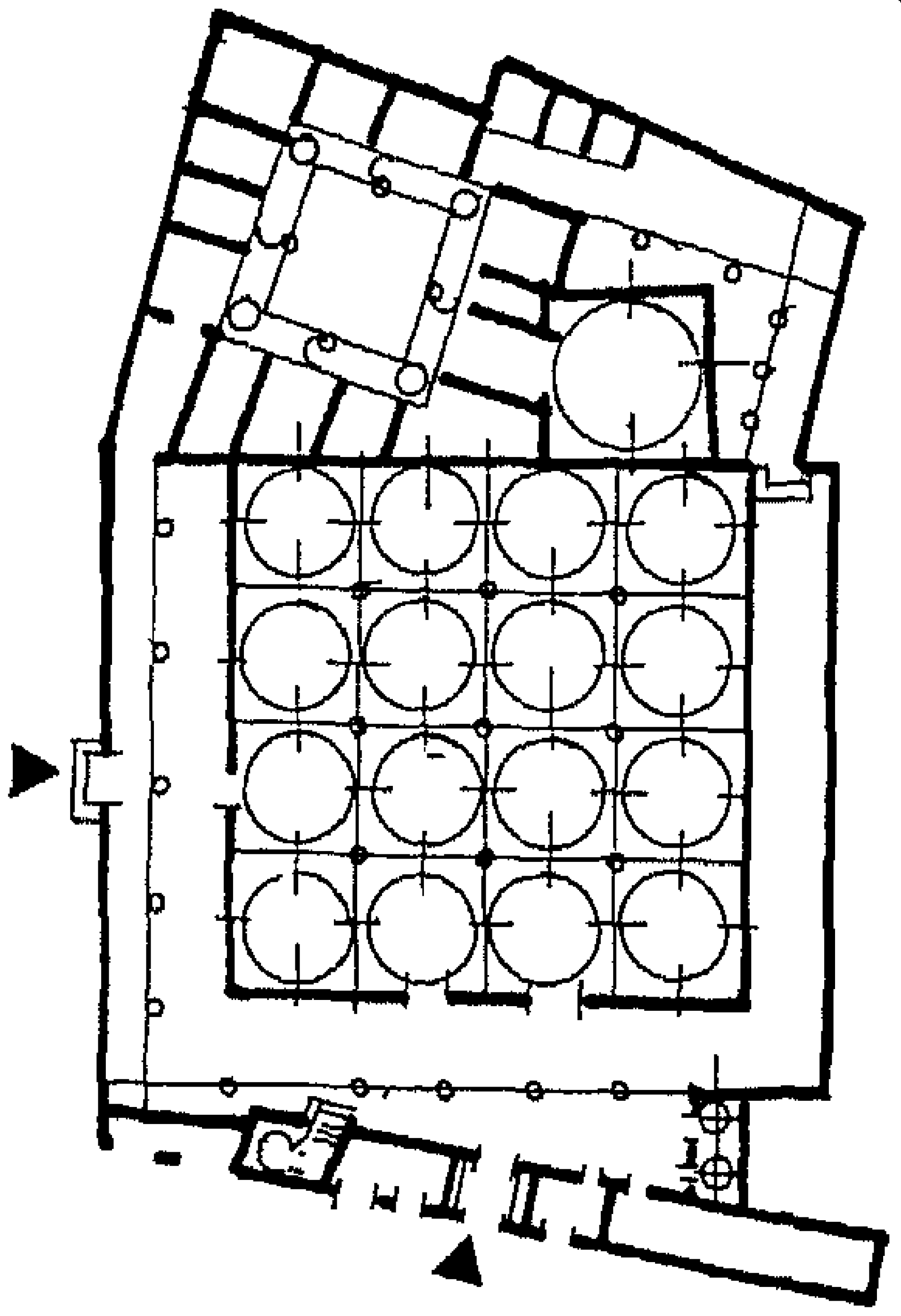

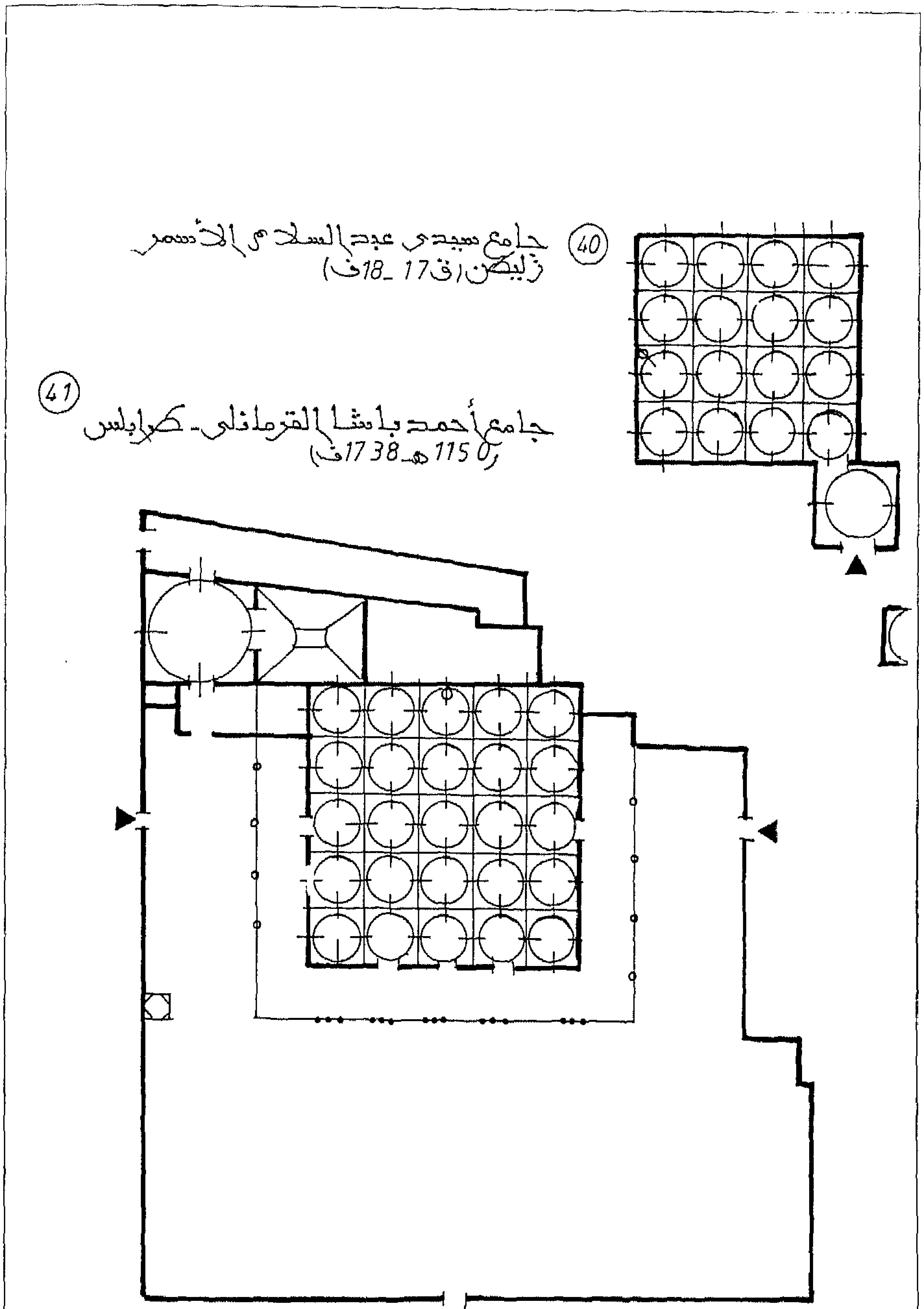
40
جامع سيدي عبد السلام الأسمر
زليطن (ق 17 _ 18 ف)
41
جامع أحمد باشا القرمانلي - طرابلس
(1150 هـ _ 1738 ف)

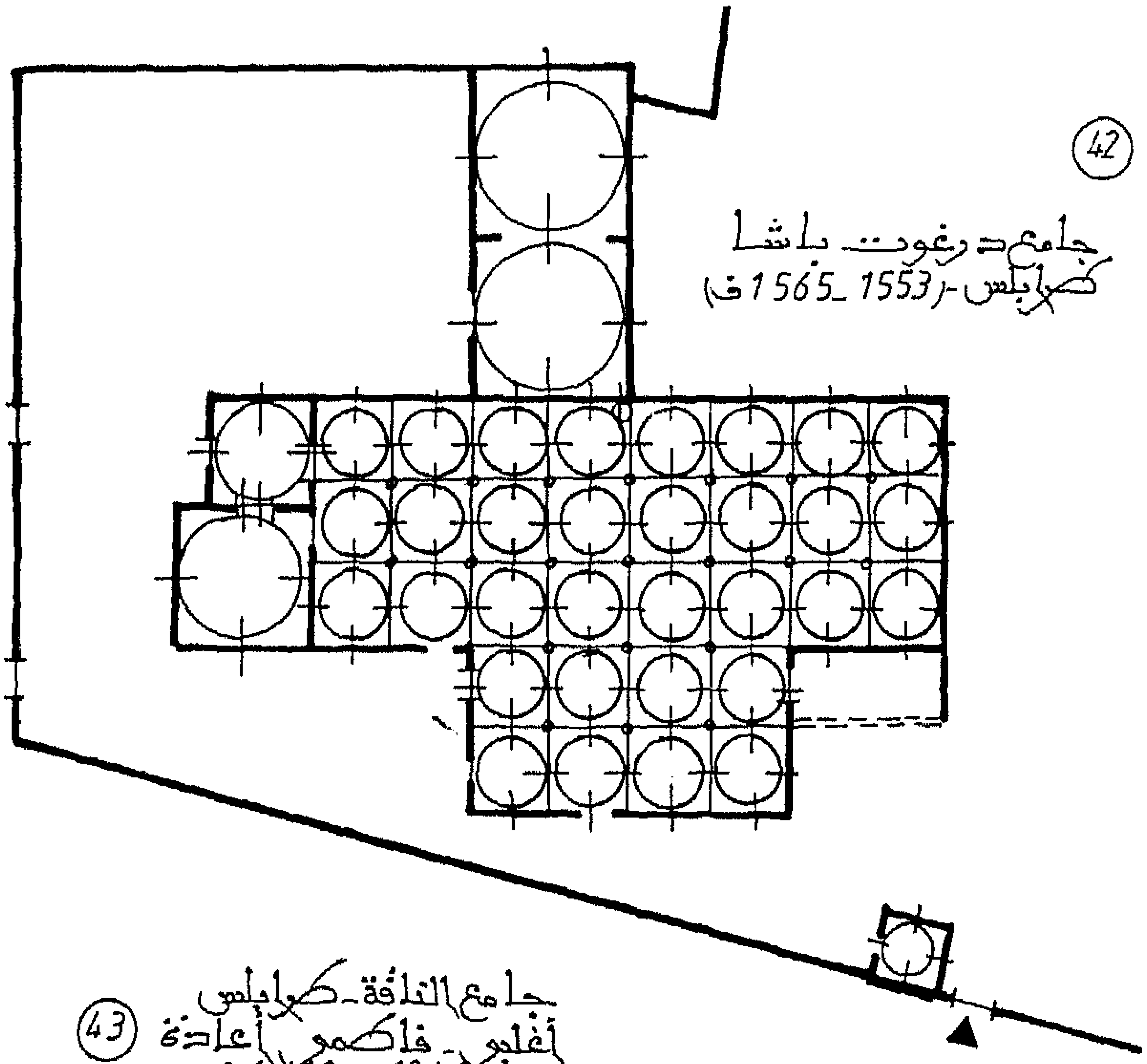

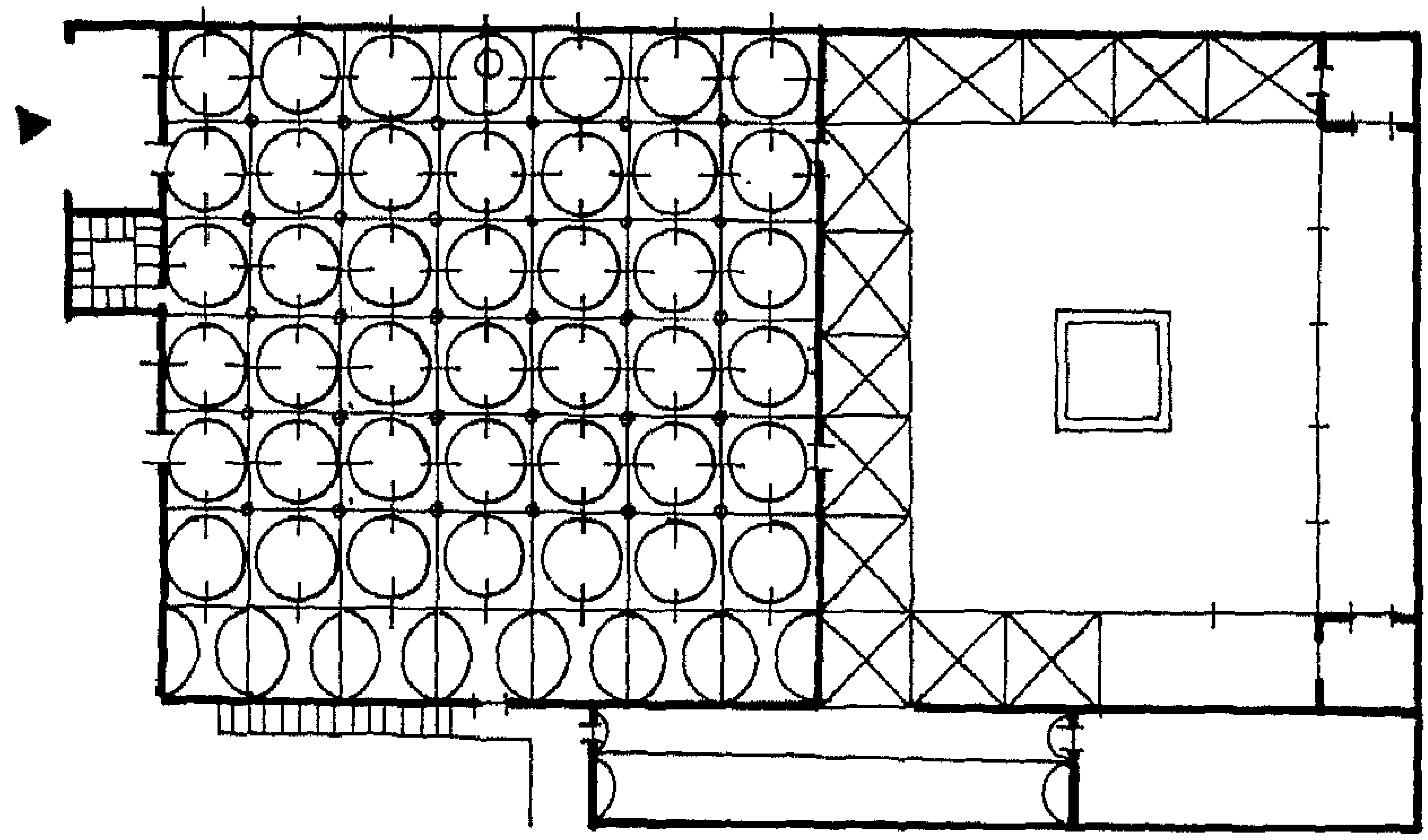

جدول المساقط «ب» مسجد من 42 إلى 55

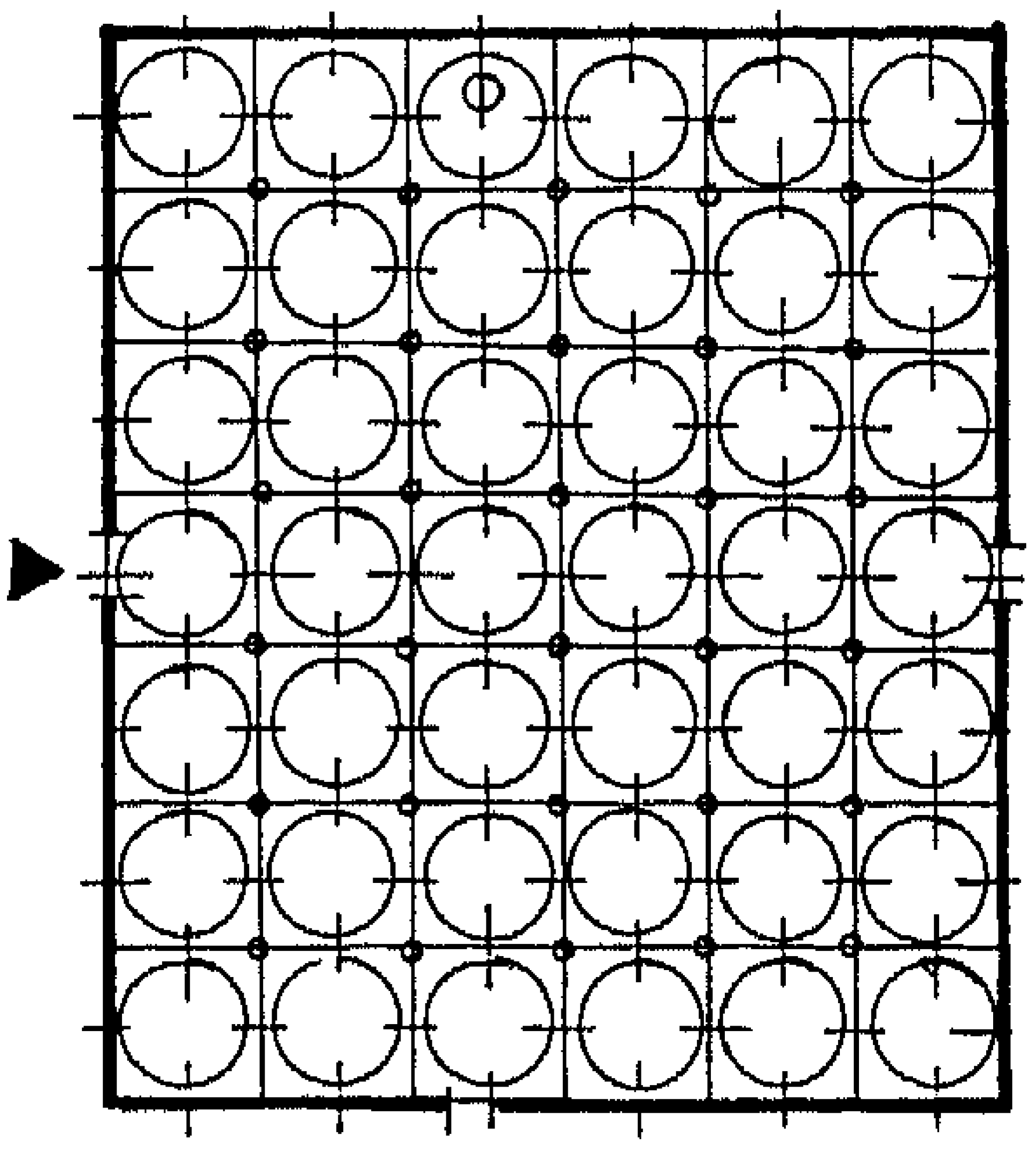

44 الجامع الكبير بدرنة
(1101هـ-1689ف)

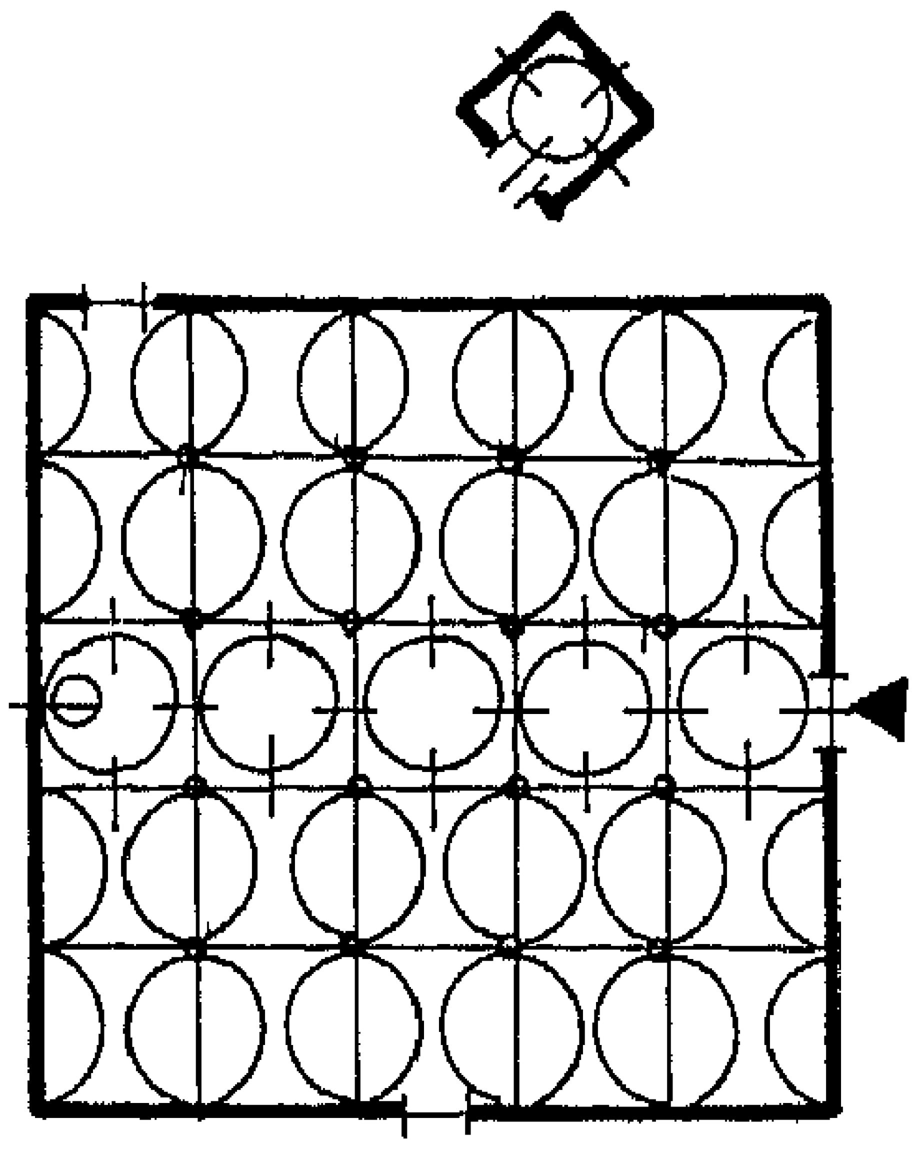

45 جامع سيدي محفوظ
غريان (1093هـ-1683ف)

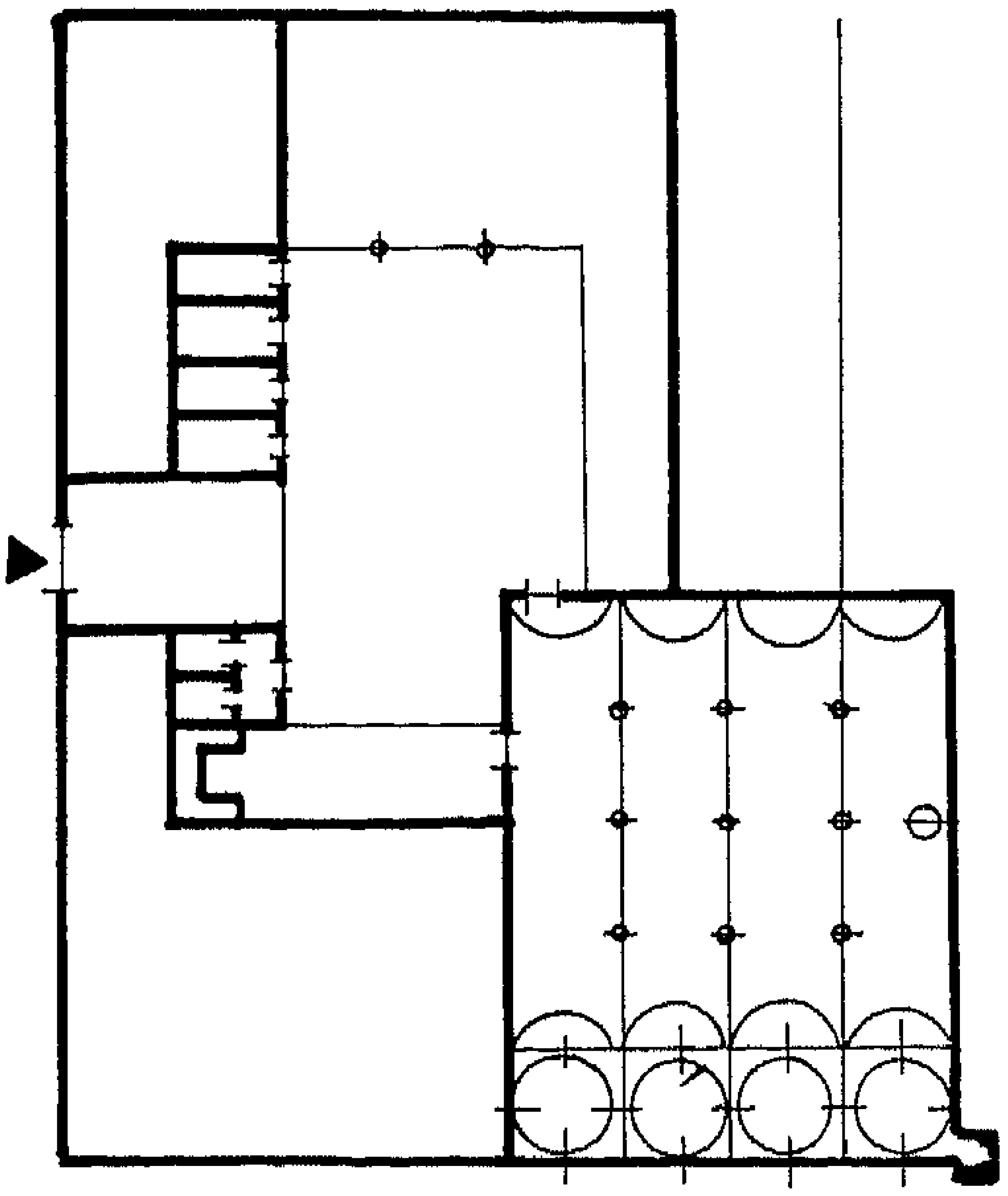

46 جامع السنوسية
عمر المختار-طرابلس
(1307هـ-1889ف)

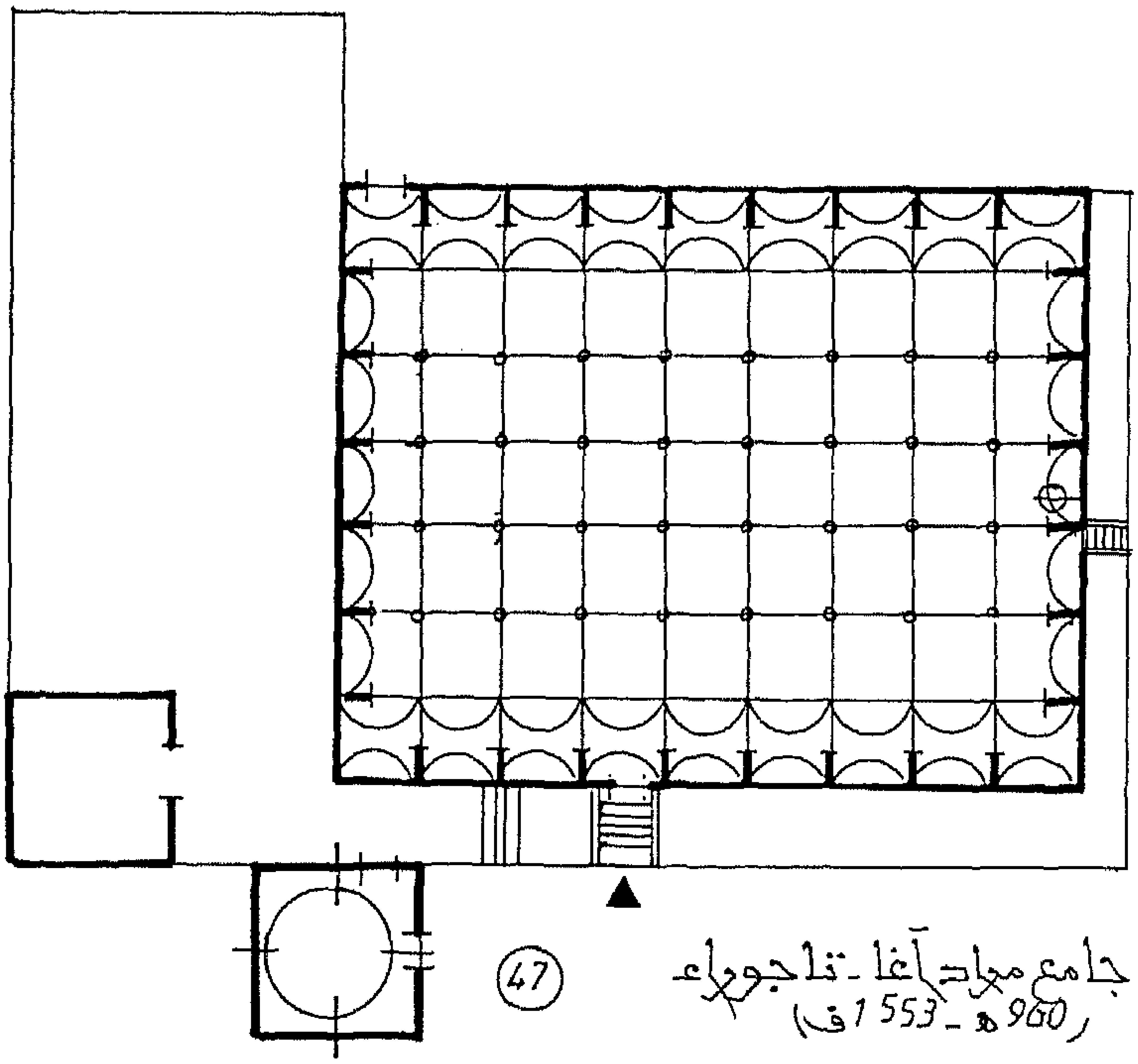

(47) جامع مراد آغا - تاجوراء
(960هـ - 1553ف)

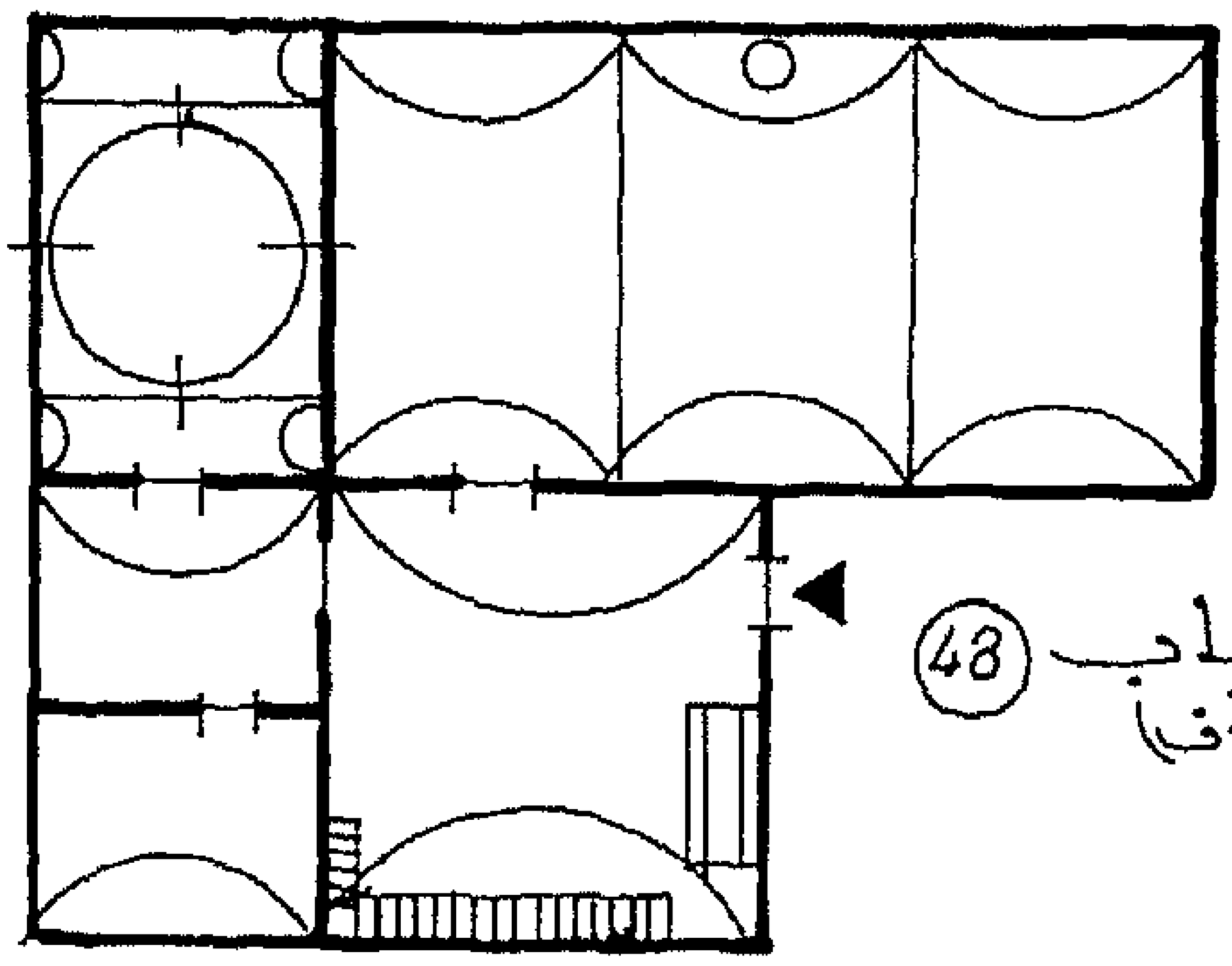

(48) مسجد سيدي عبد الوهاب
القيبي - طرابلس (ق 14-15ف)

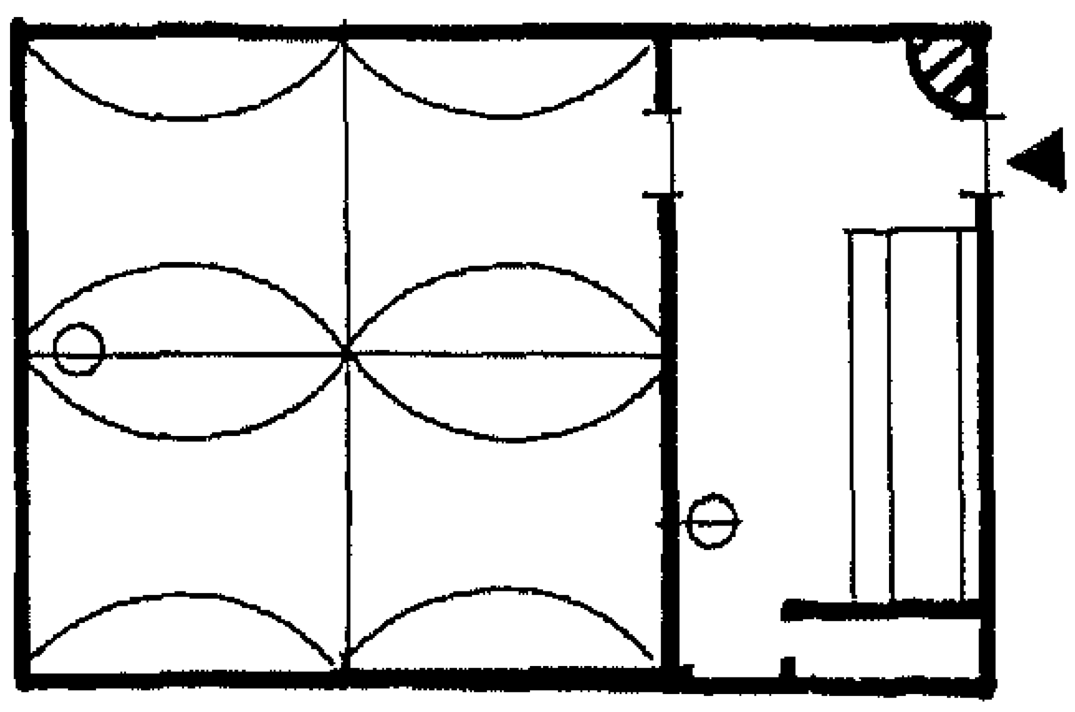

مسجد الكراوي القروش (49)
طرابلس (ق 15-16 ف)

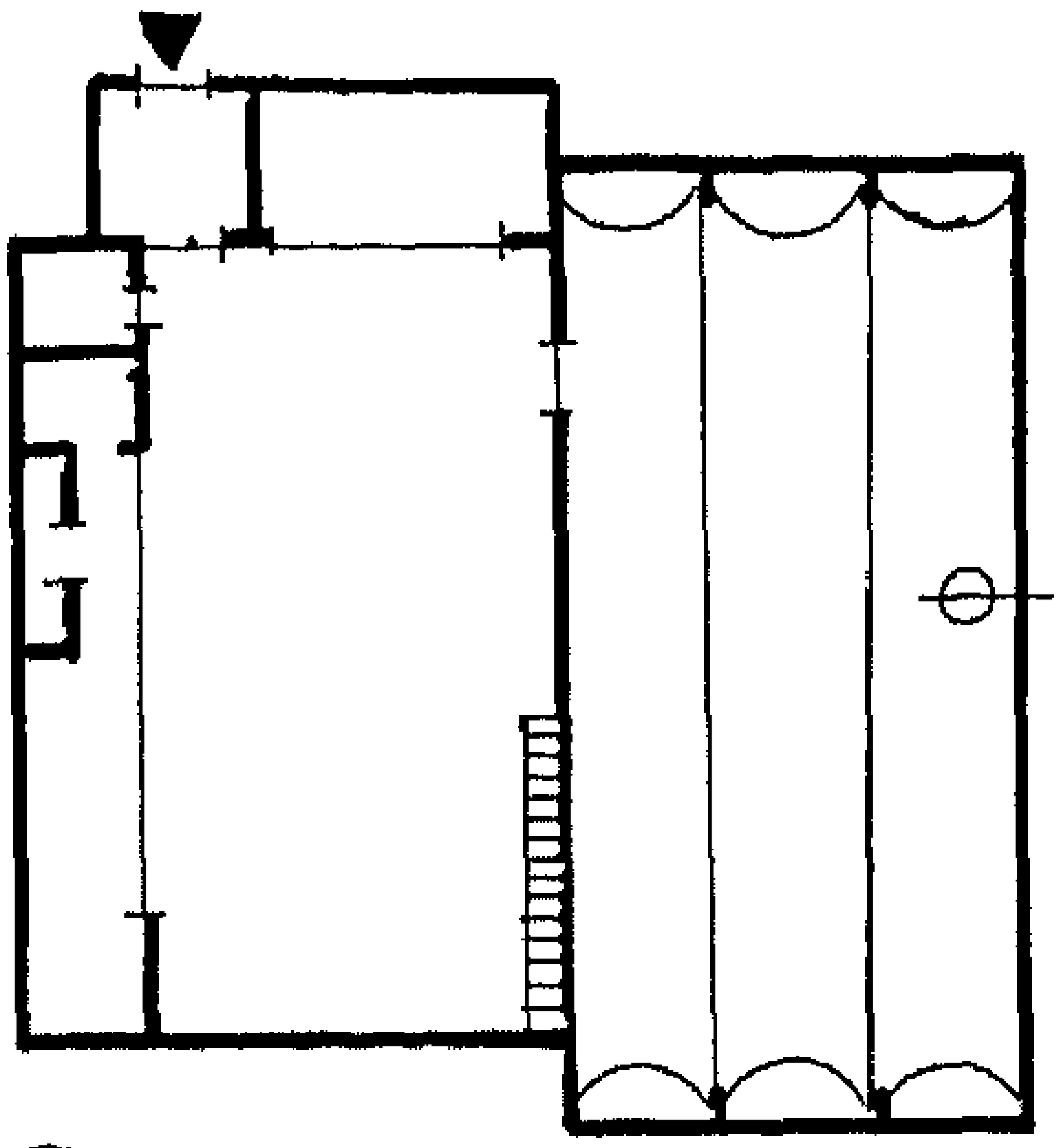

مسجد السيّاح جنزور (50)

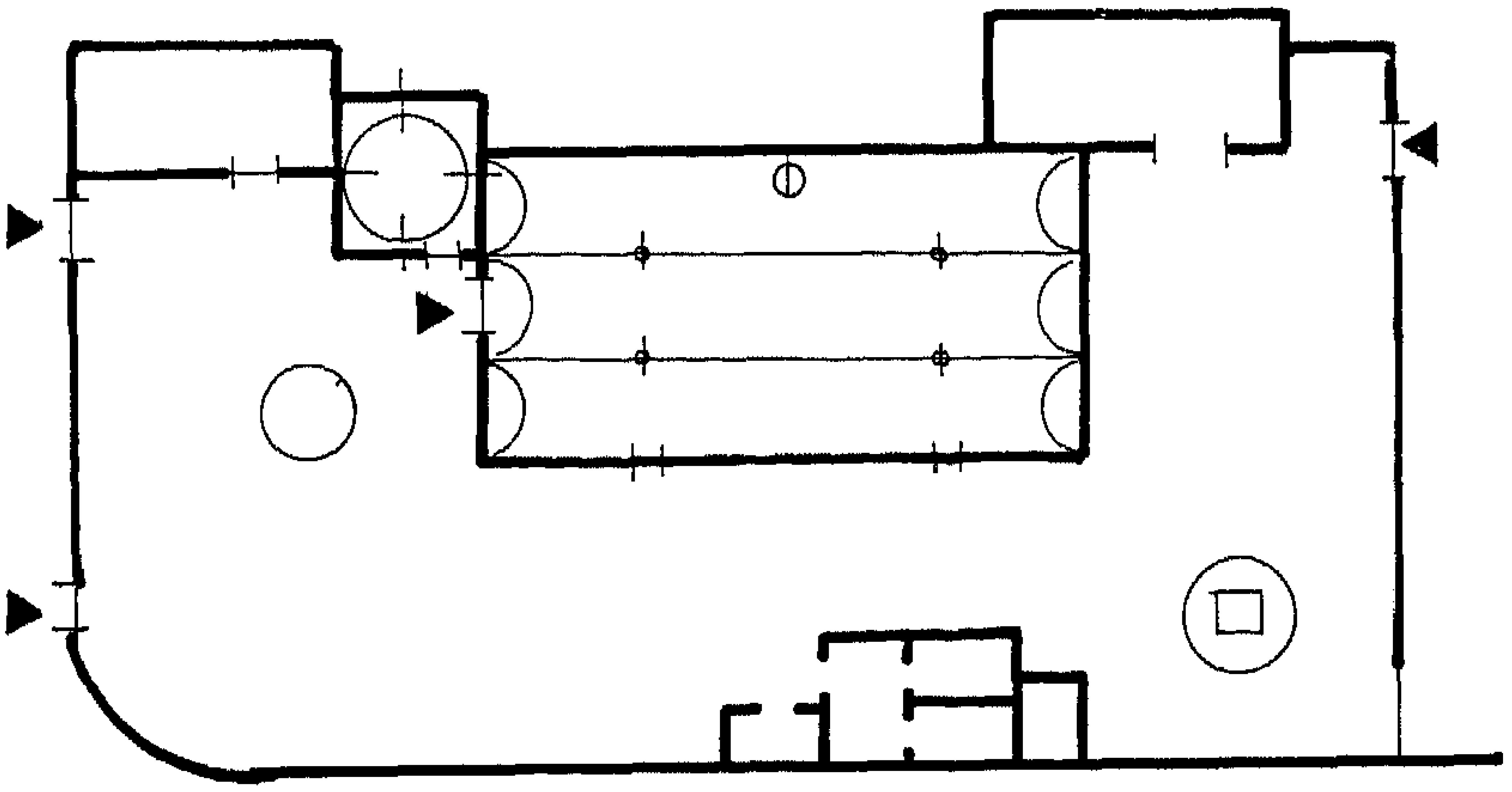

مسجد قبيلة أولاد شهوب - غريان (51)

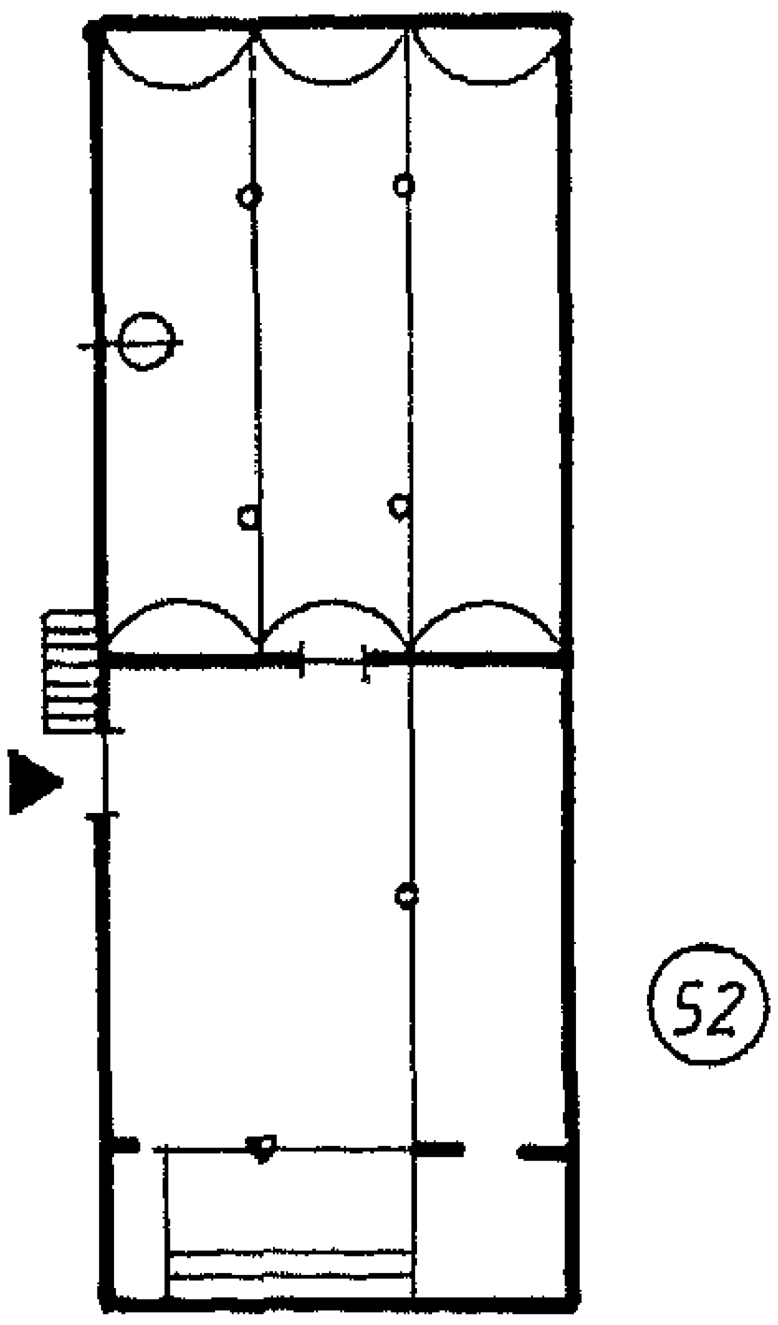

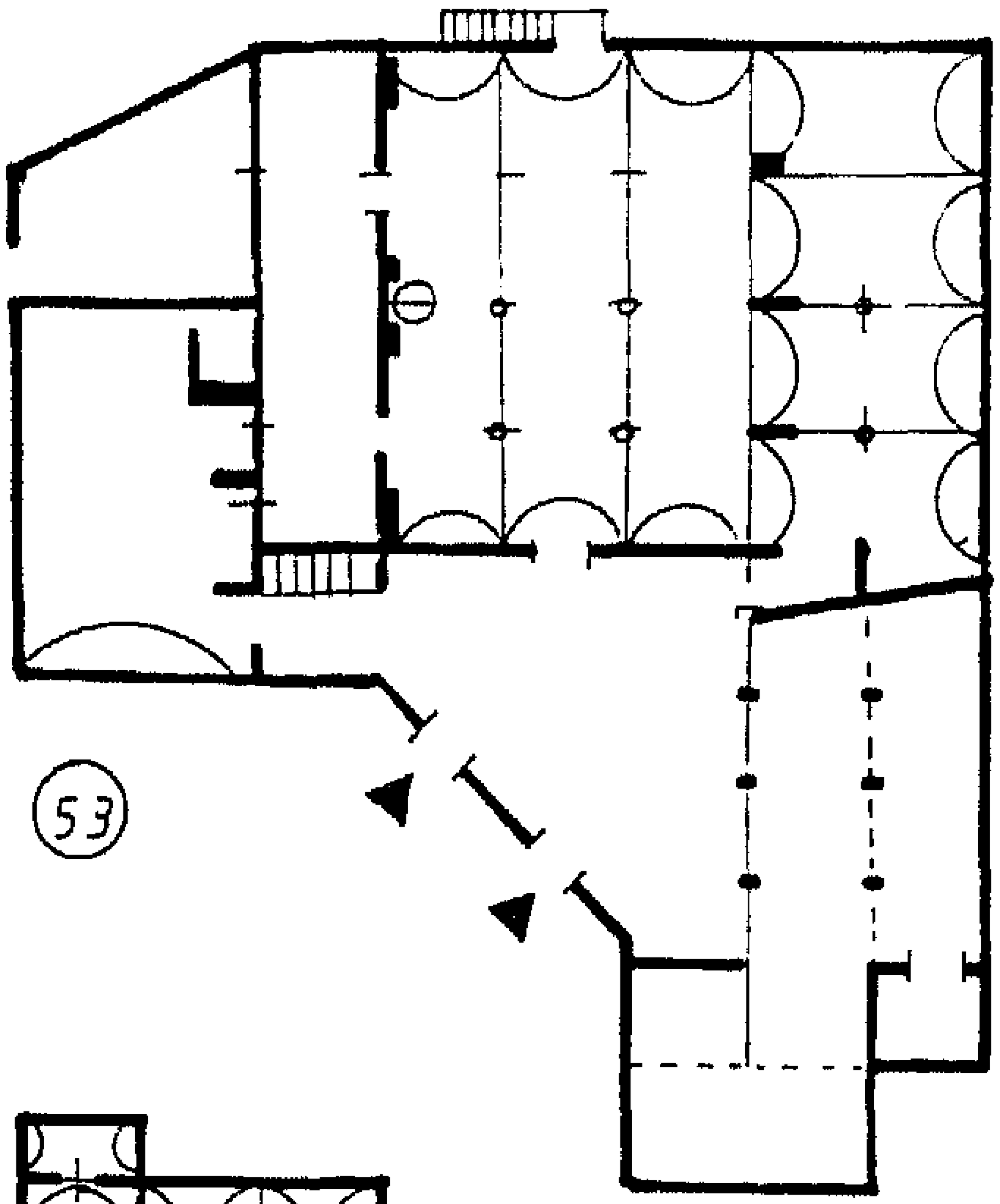

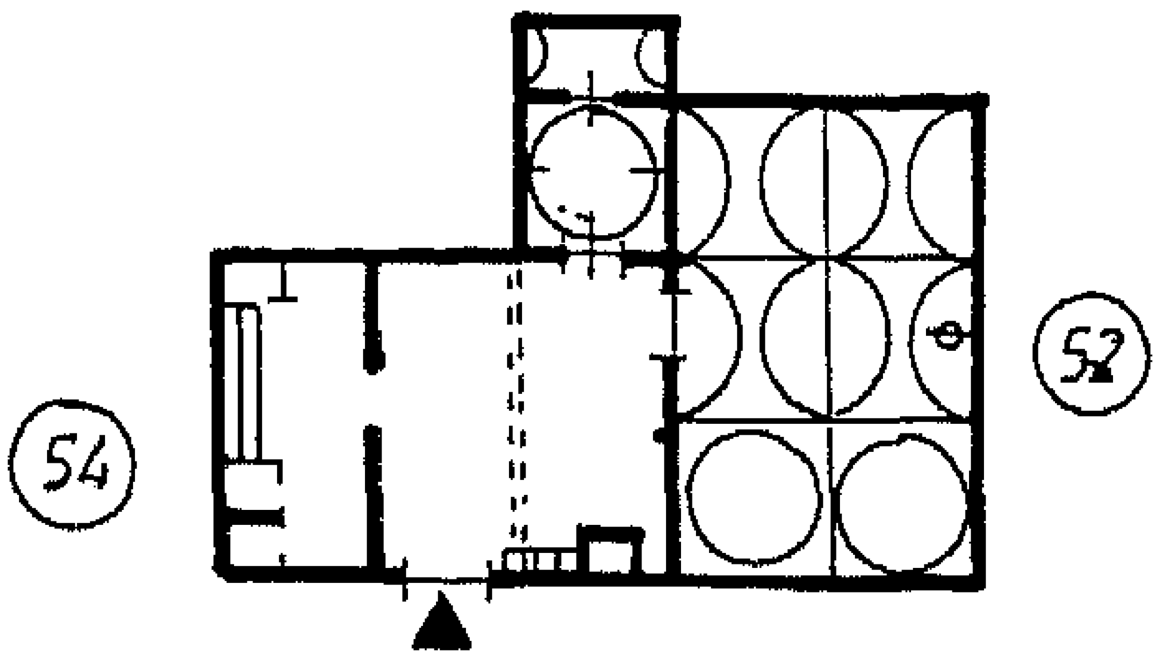

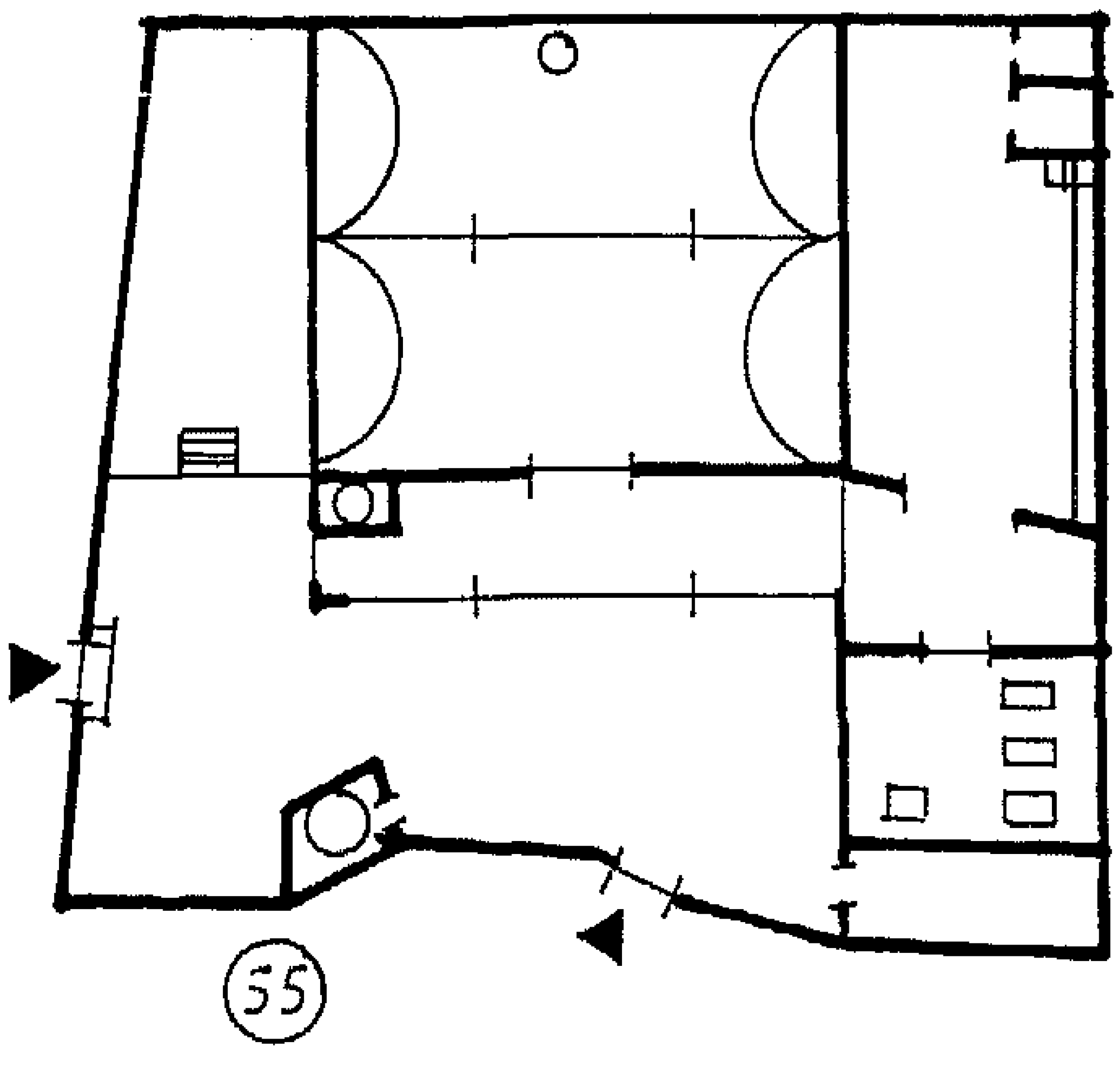

(52) الجامع القديم
جنزور

(53) الجامع القديم
بالعمروص - سوق الجمعة

(54) مسجد ابن مقيل
بن موسى طرابلس
(ق 16 _ 17 ف)

(55) جامع المجيدية
طرابلس (1275 هـ _ 1858 ف)

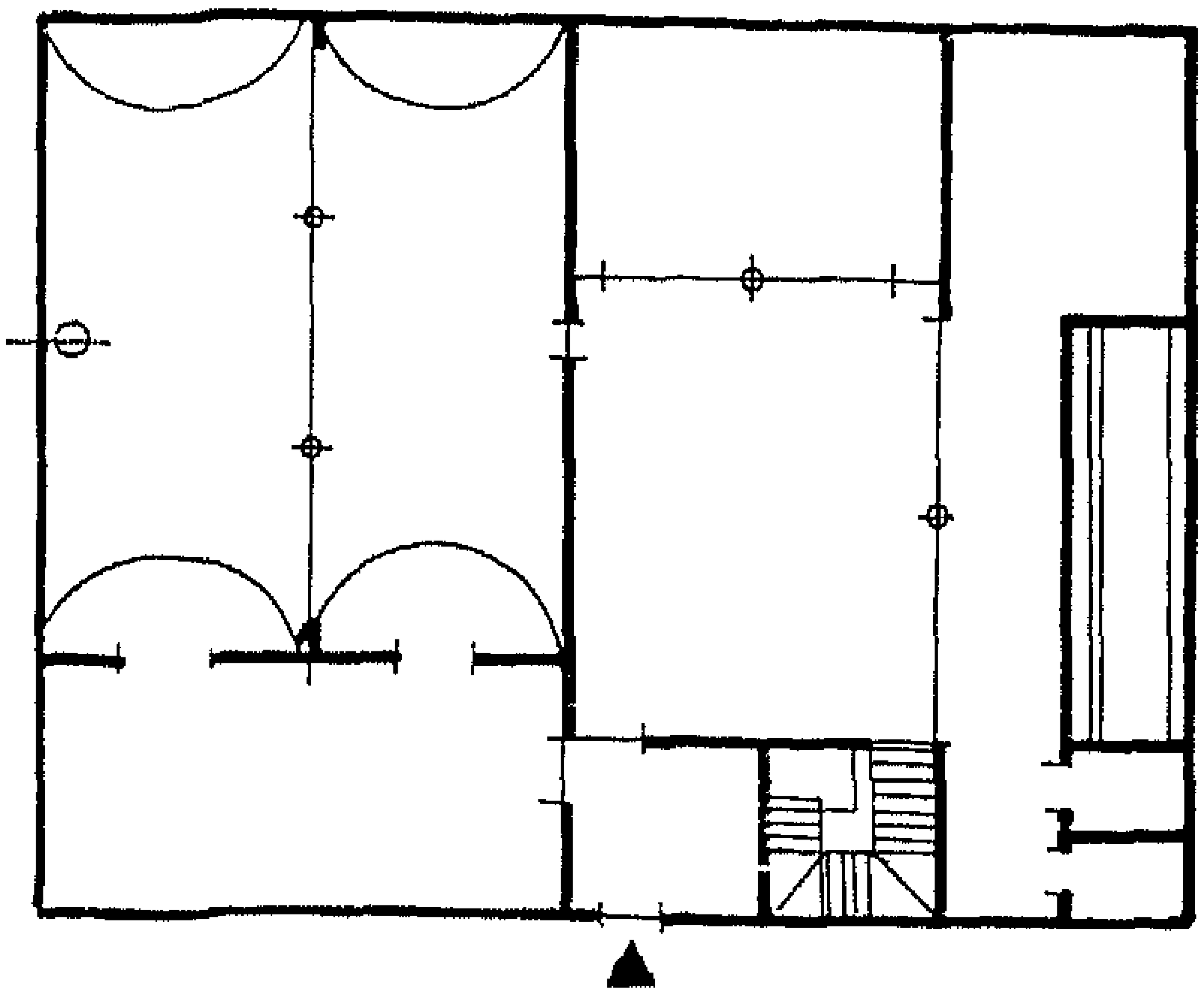

56

جامع زميت - قرقارش
طرابلس (1305هـ-1887ف)

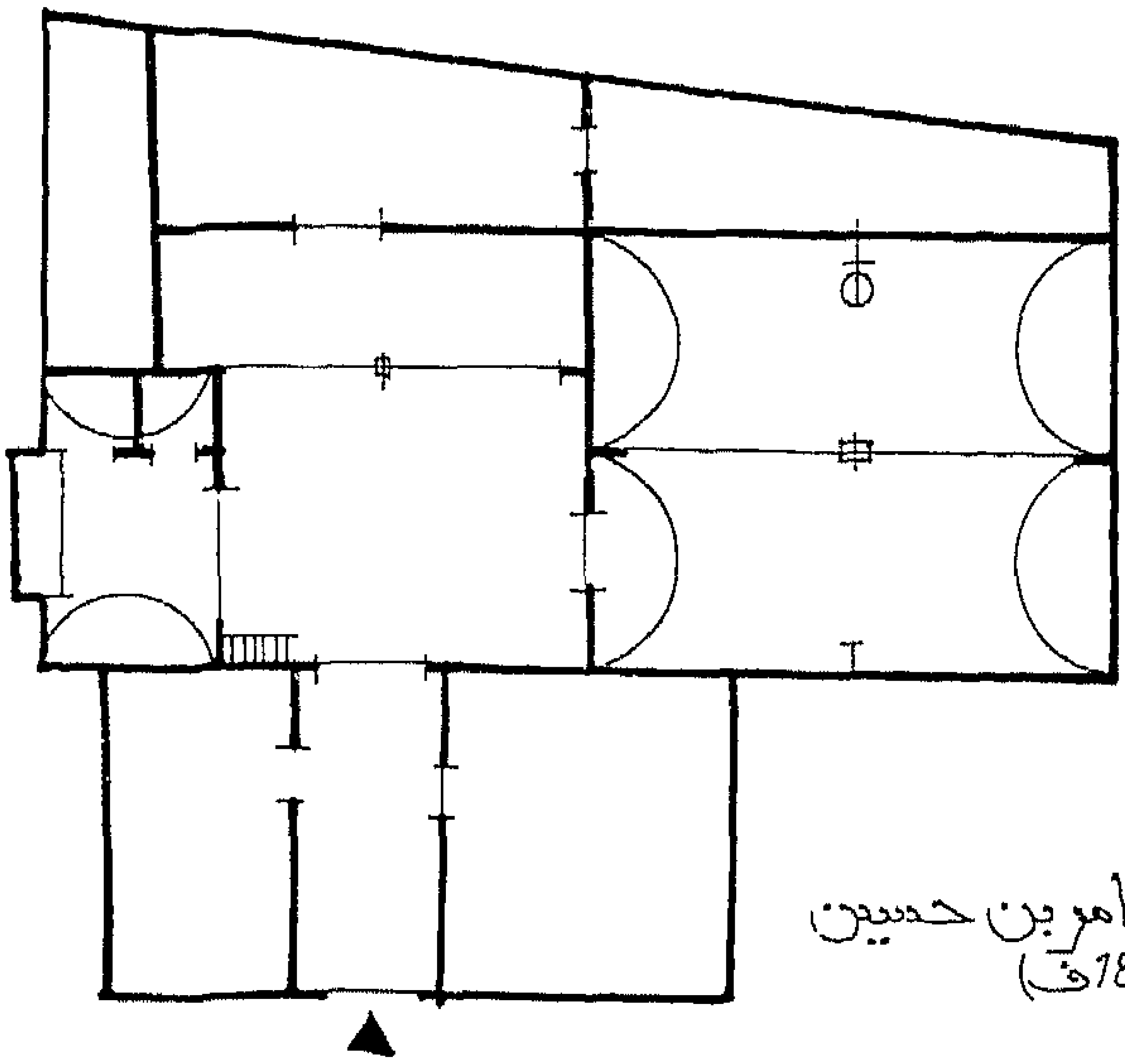

57

مسجد وزاوية الحامي بن حسين
طرابلس (1307هـ-1889ف)

جدول المساقط «ج» مسجد من 56 إلى 73

(58) مسجد العقيب - بنغازي
(1133_1298هـ_1720_1880ف)

(59) مسجد القاضي - بنغازي

(60) الجامع الكبير - مرزق
(ق 18ف)

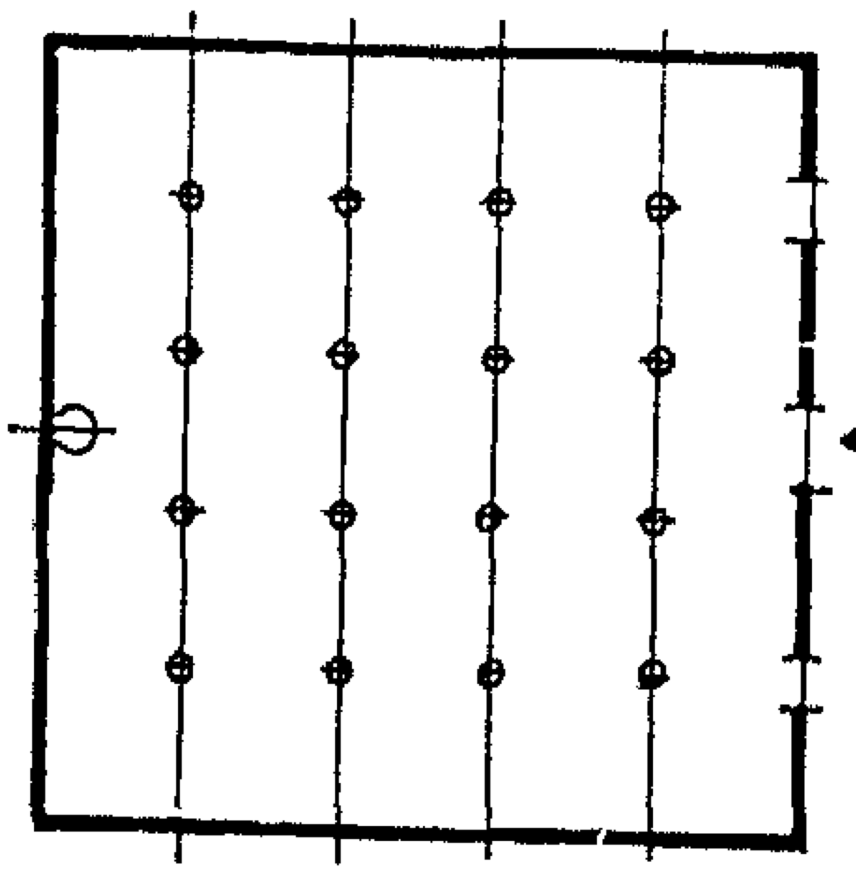

58

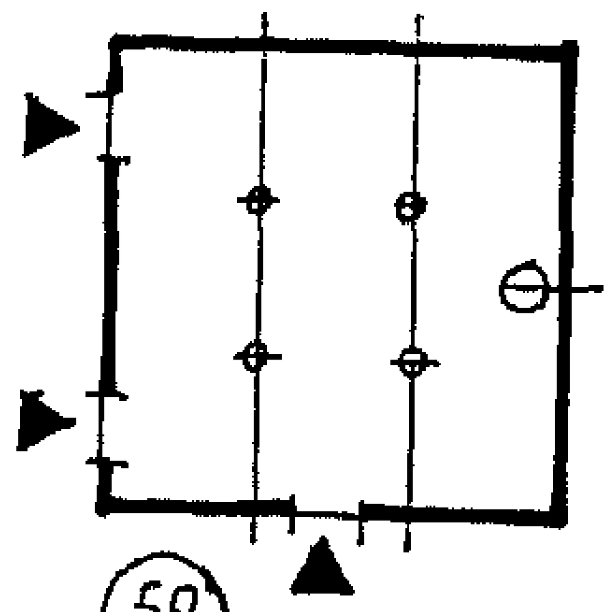

59

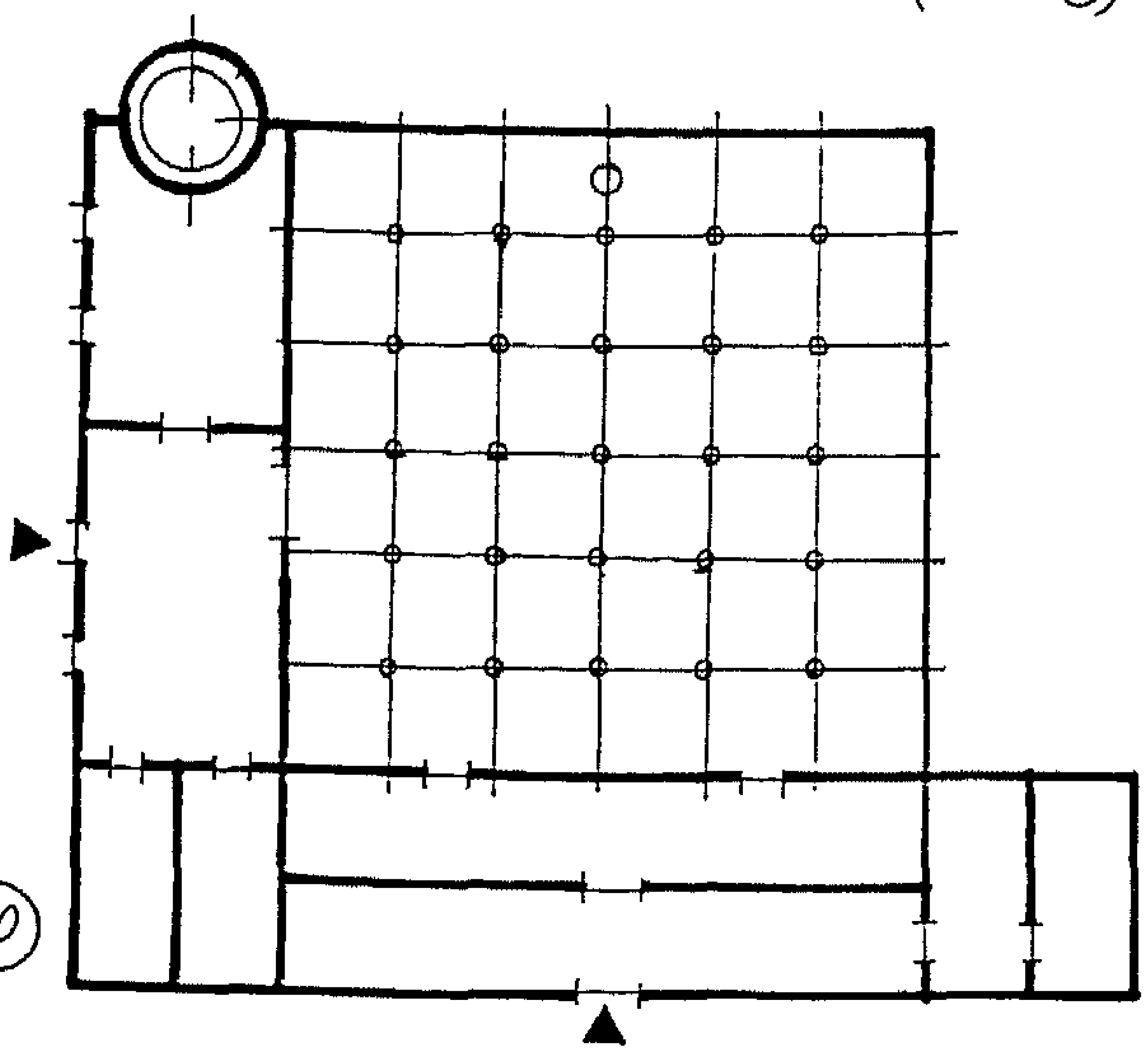

60

(61) جامع براك القصر
براك "فترة عثمانية"

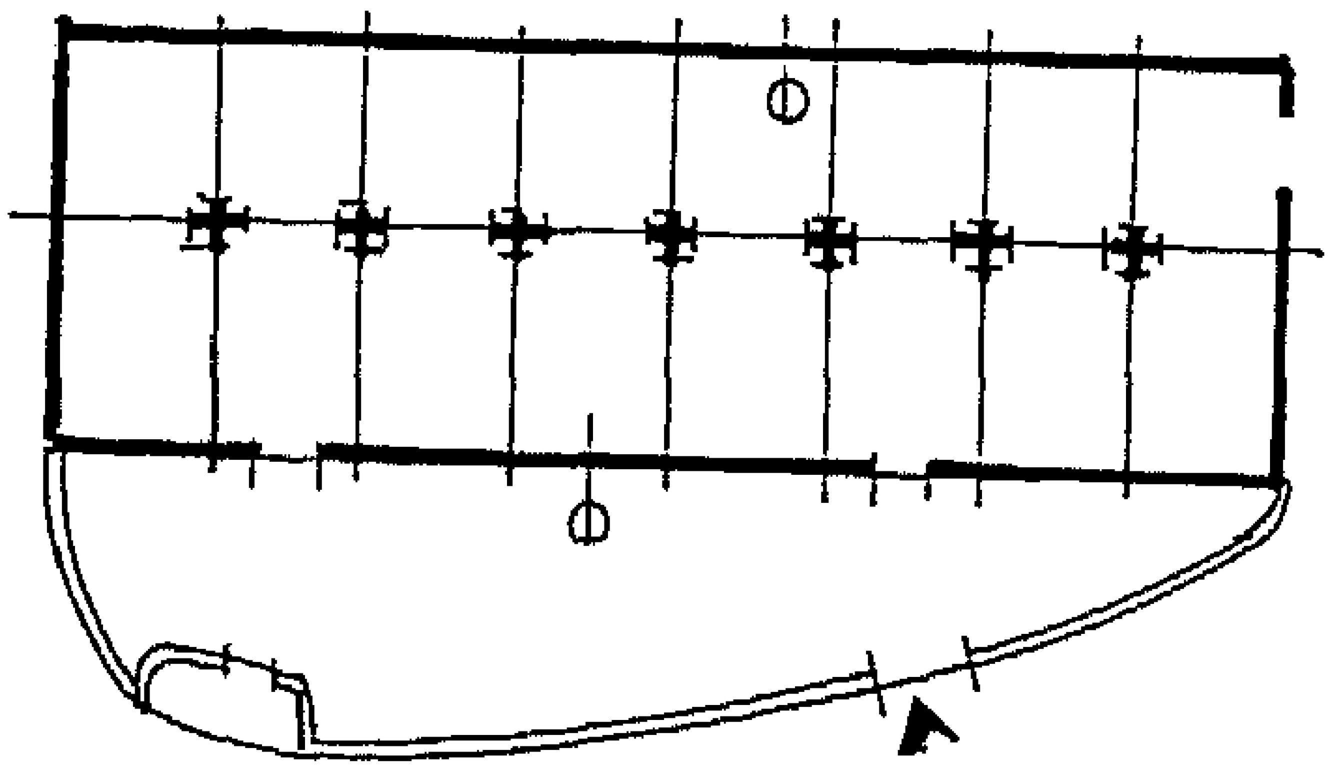

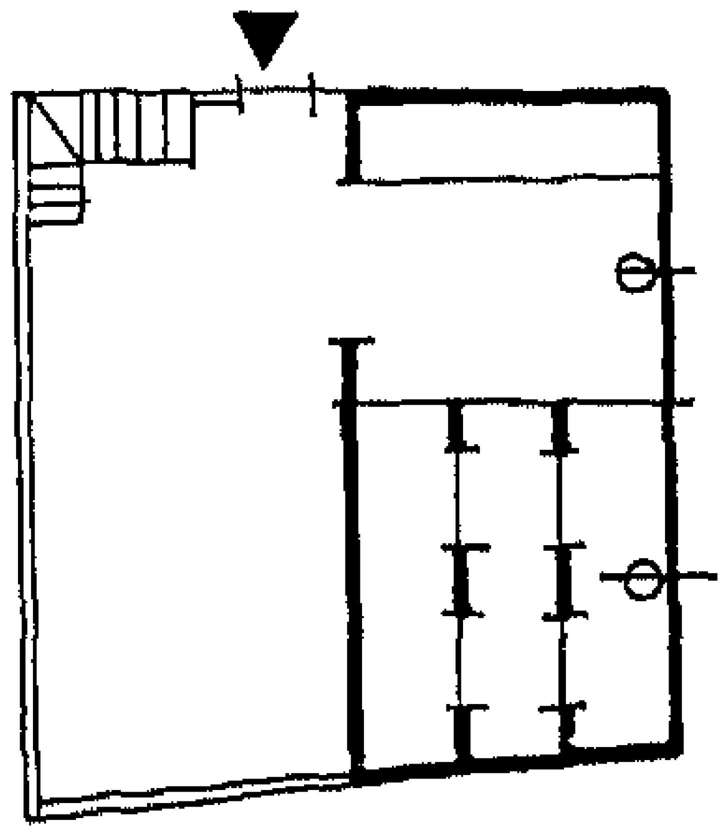

(62) الجامع القديم - منطقة الجديد - سبها - (فترة عثمانية)

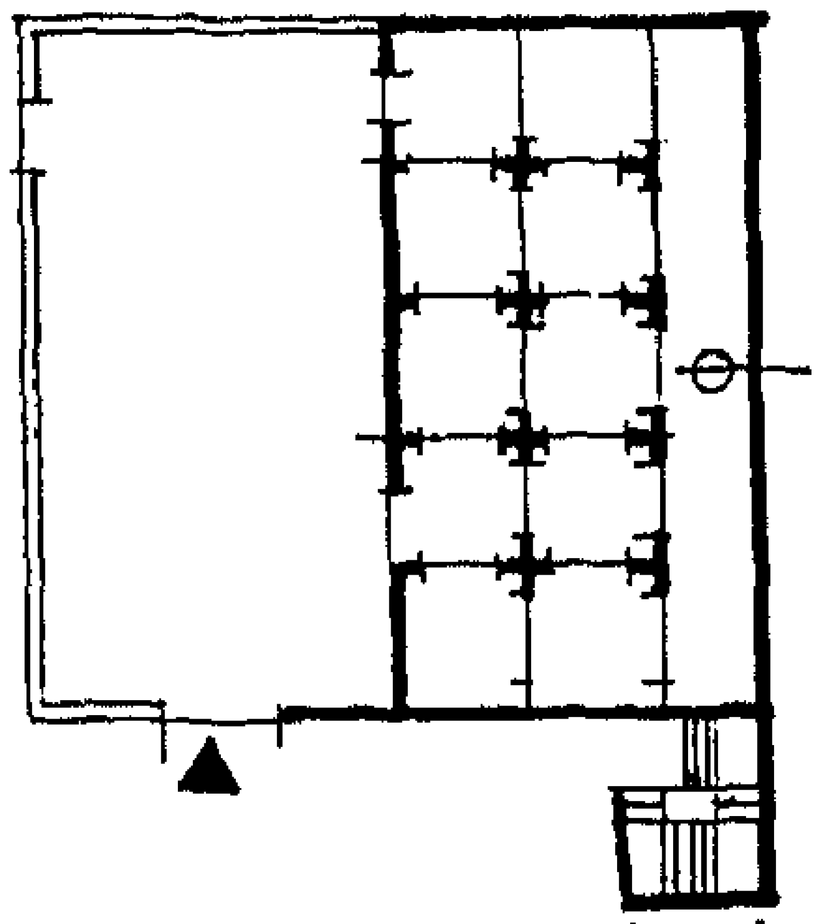

(63) مسجد الحناشي - مرزق

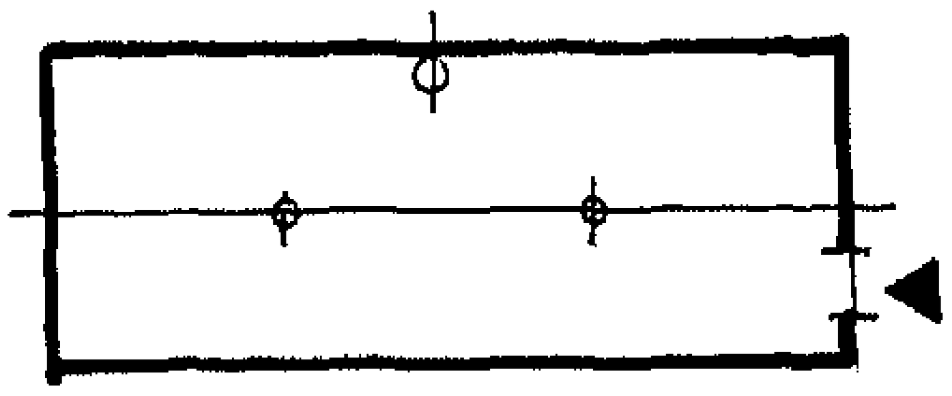

(64) مسجد الدواوي - بنغازي
(بداية ق 19 ف)

(65) مدرسة عثمان باشا الساقزلو
طرابلس (1064 هـ - 1653 ف)

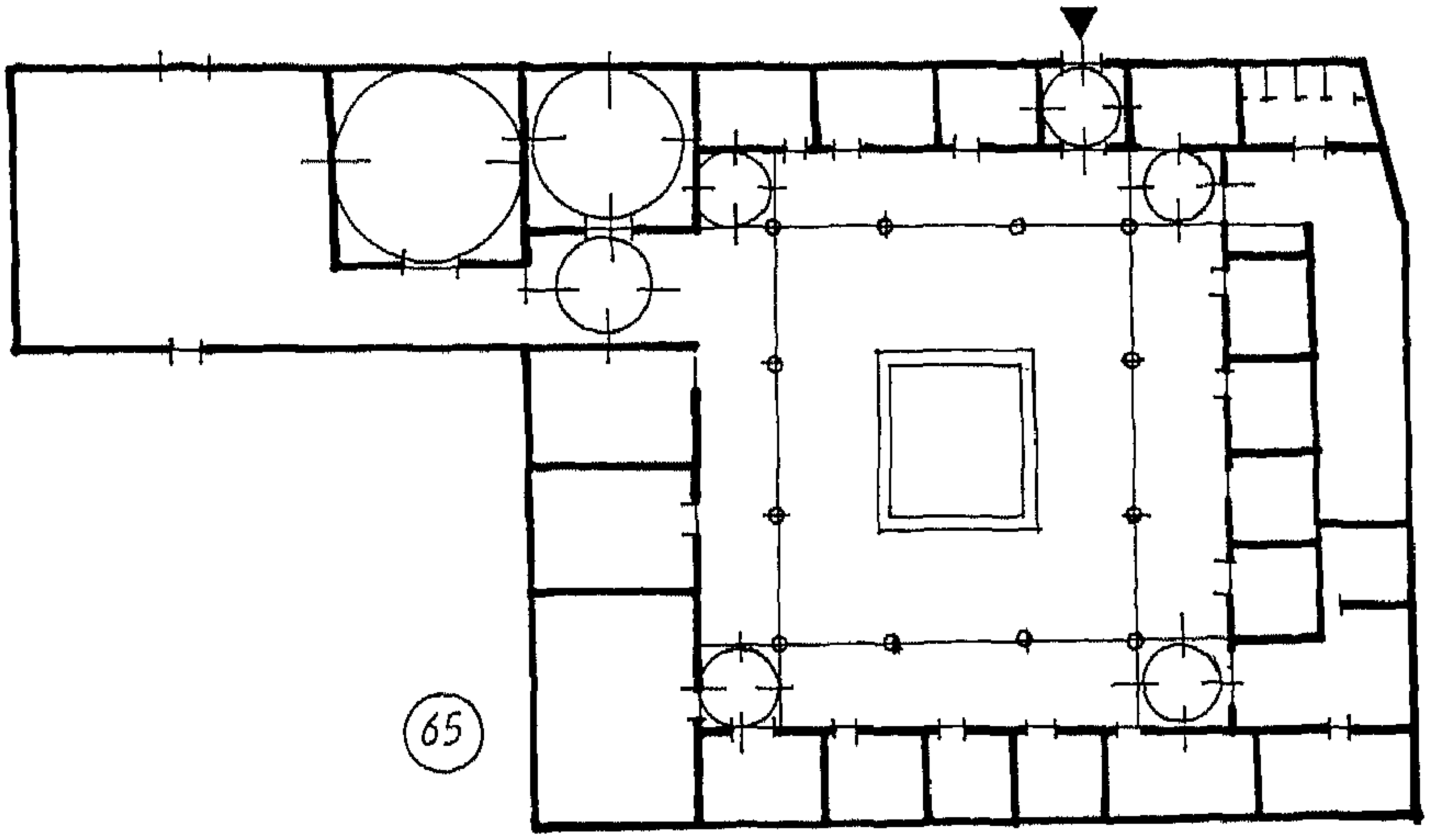

(65)

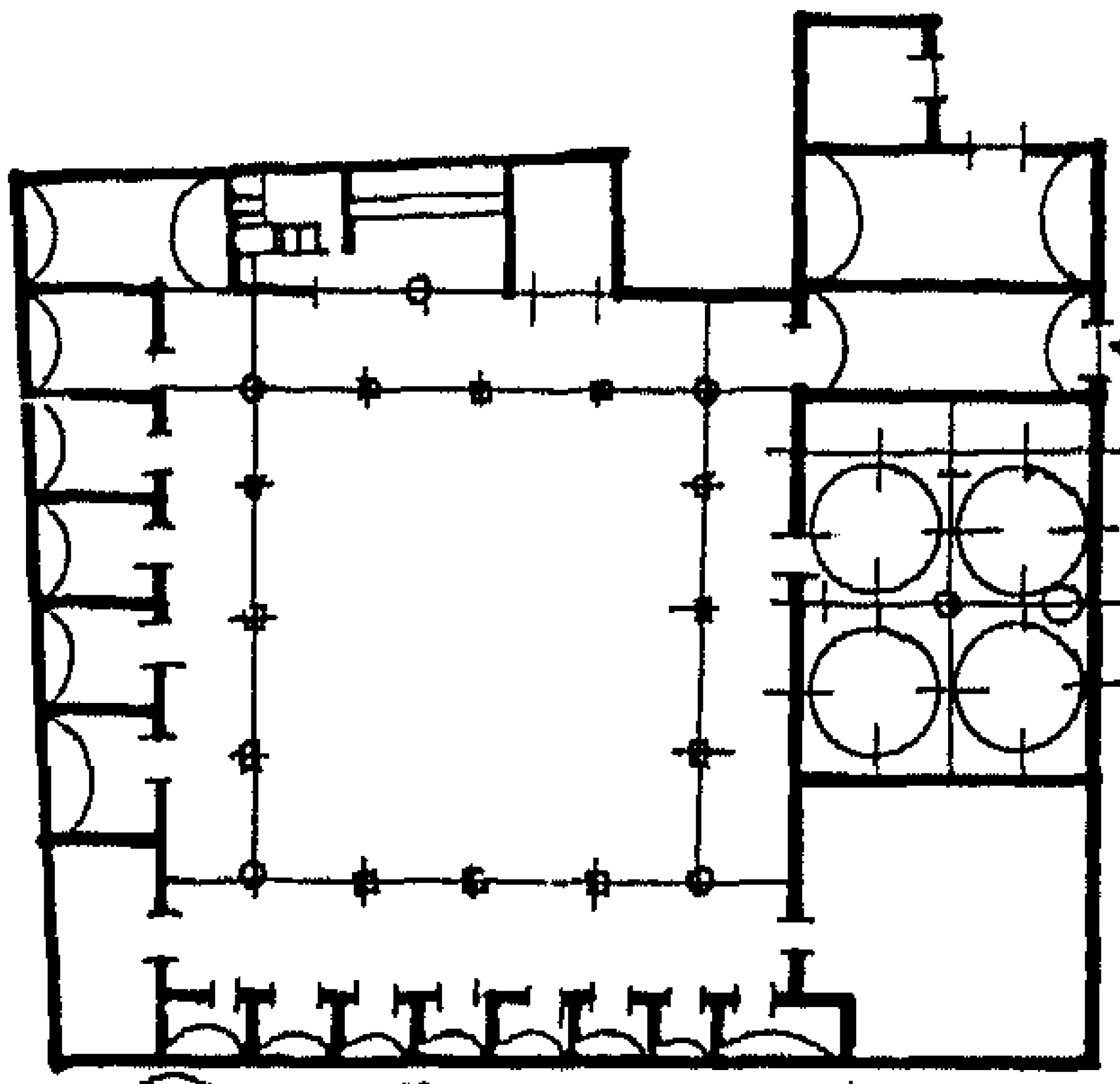

66

زاوية سيدي سالم المشاط - جنزور (ق 16_17ف ؟)

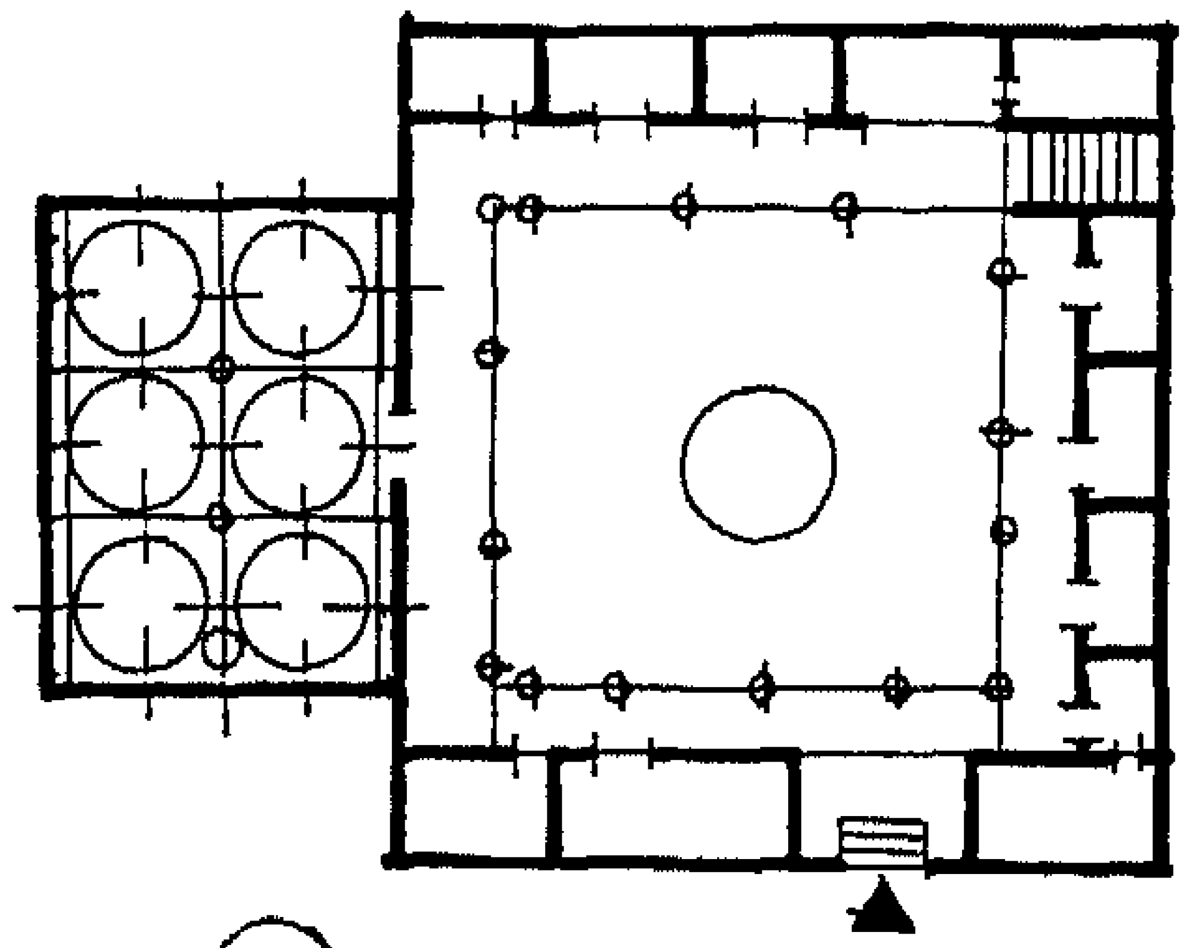

67

زاوية بن حسين والعريفي جنزور (ق 16_17ف ؟)

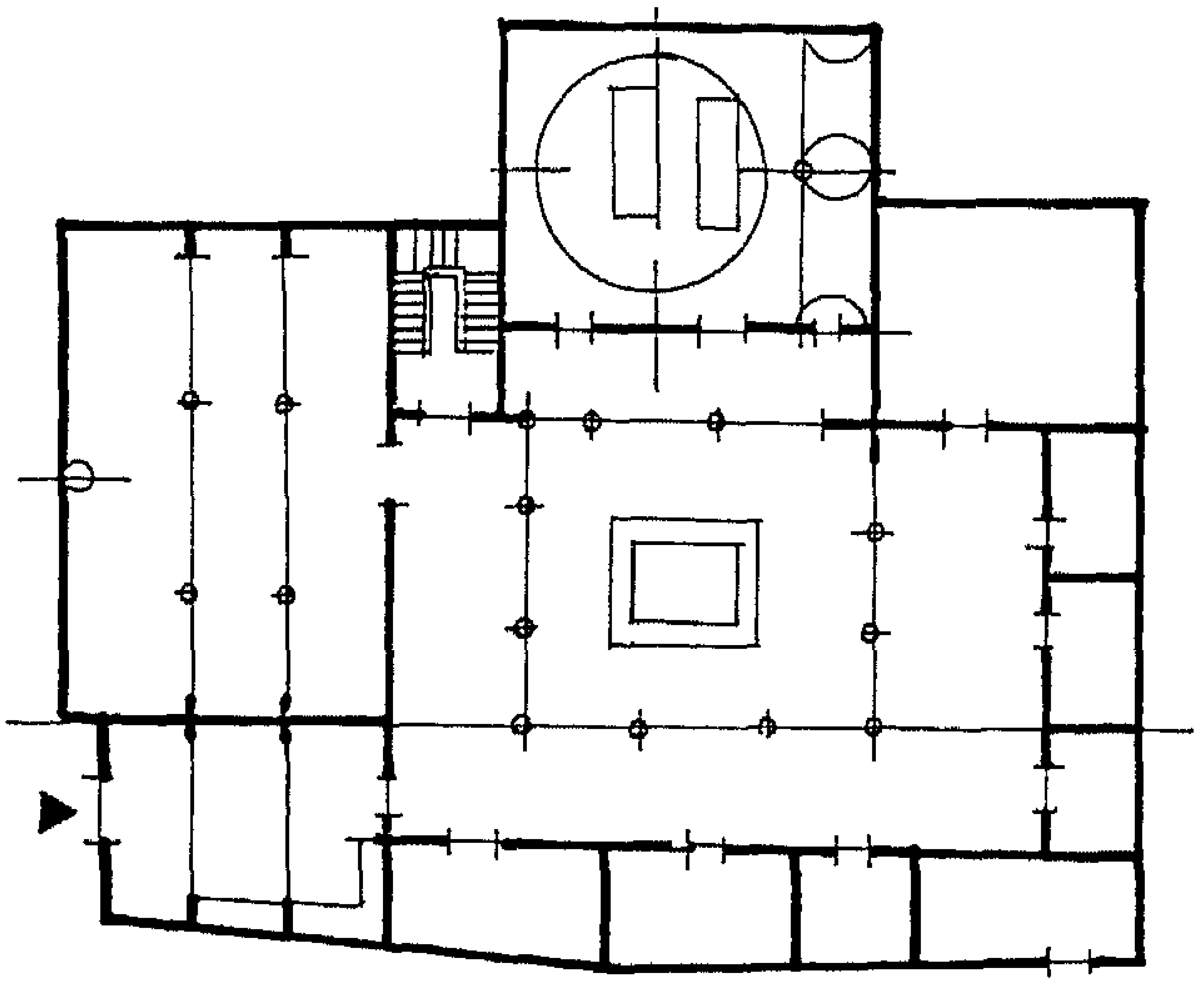

68

زاوية ومسجد سيدي علي الفرجاني - ساحل الأحامد (1115هـ _1703ف)

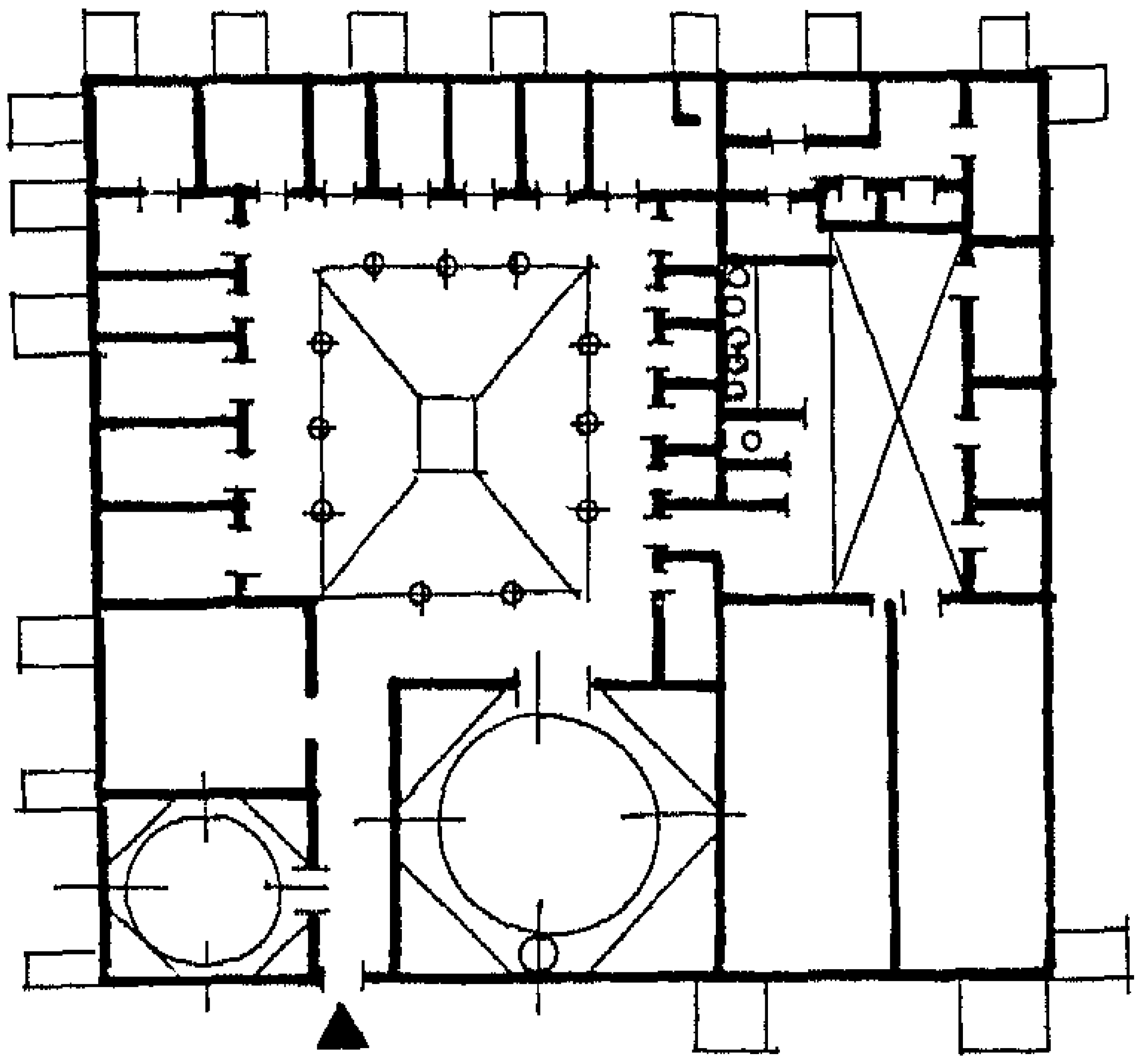

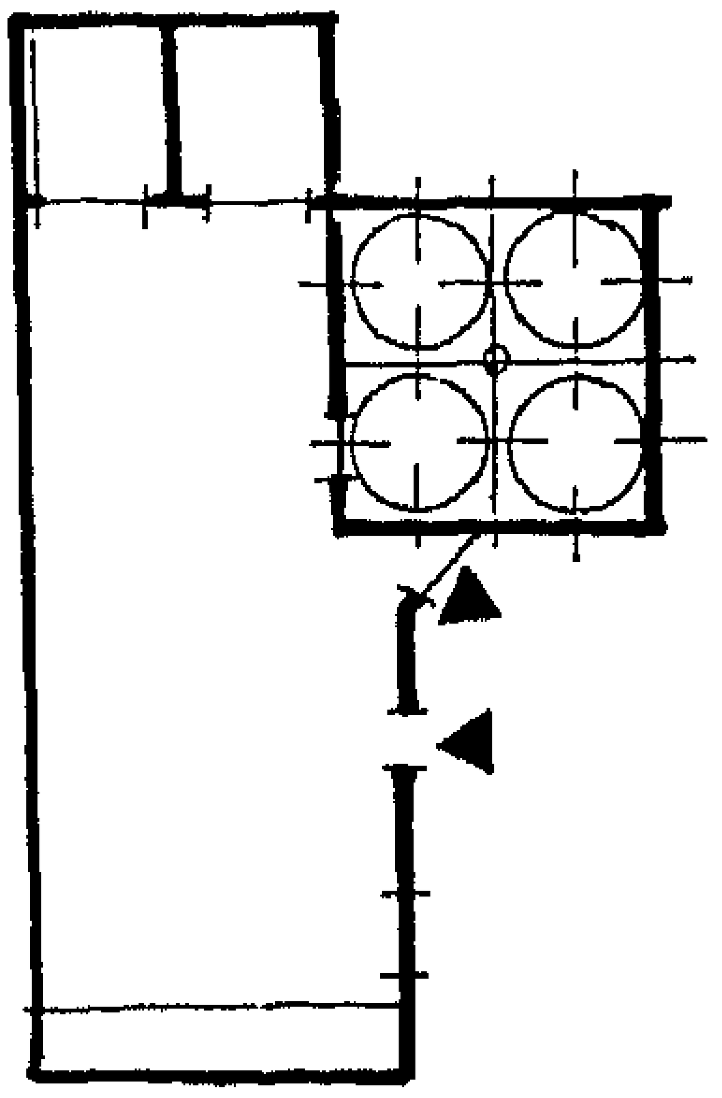

(70) الزاوية القادرية
طرابلس

(69) زاوية القائد عمورة
جنزور (1134 هـ - 1721 ف)؟

(71) زاوية العالم - الباقول
الزليتنة (1214 ق - 1799 ف)؟

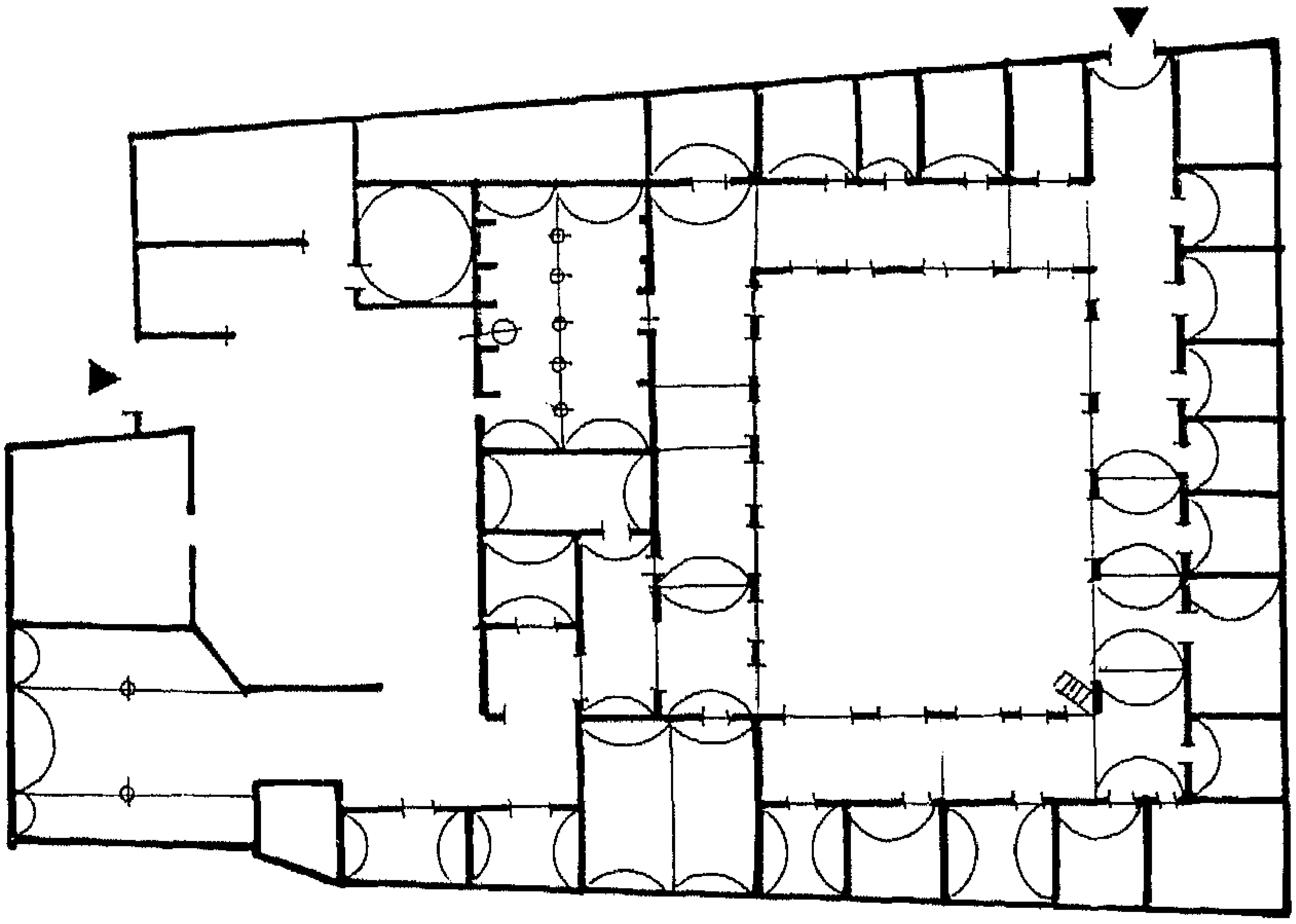

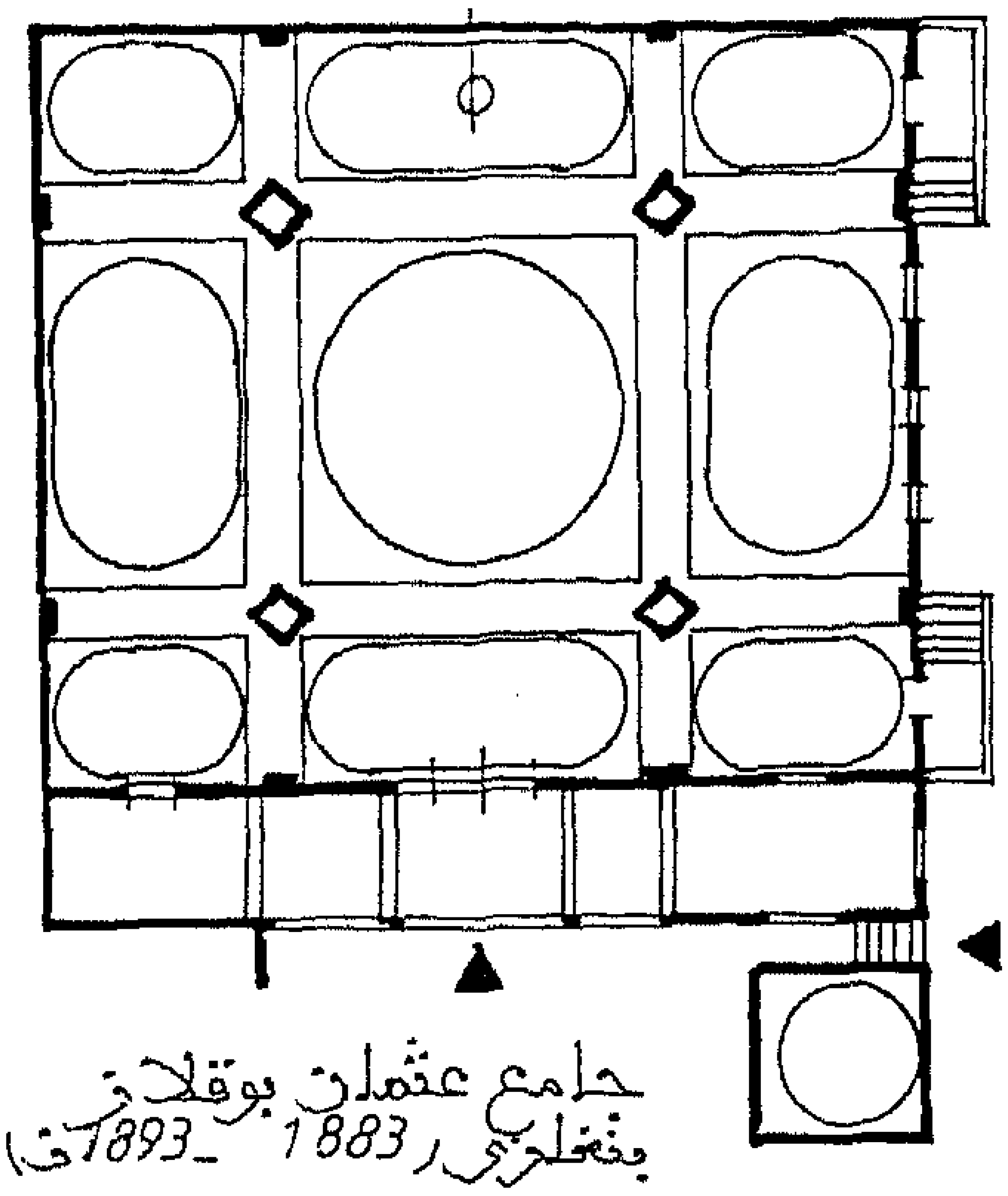

(72) جامع عثمان بوقلاز
بنغازي (1883 _ 1893ف)

(73) جامع العتيق - بنغازي
(1893 _ 1904ف)

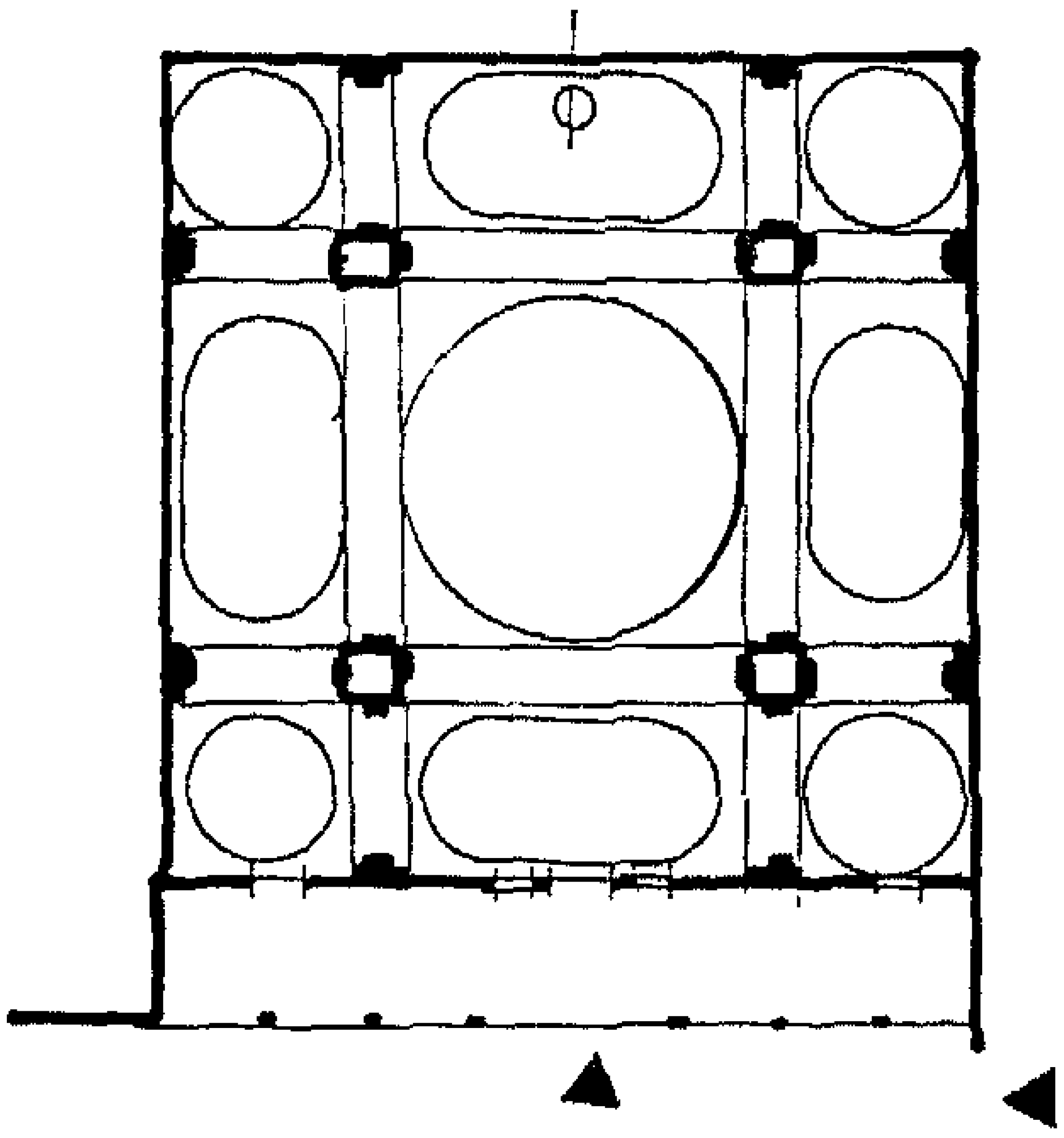

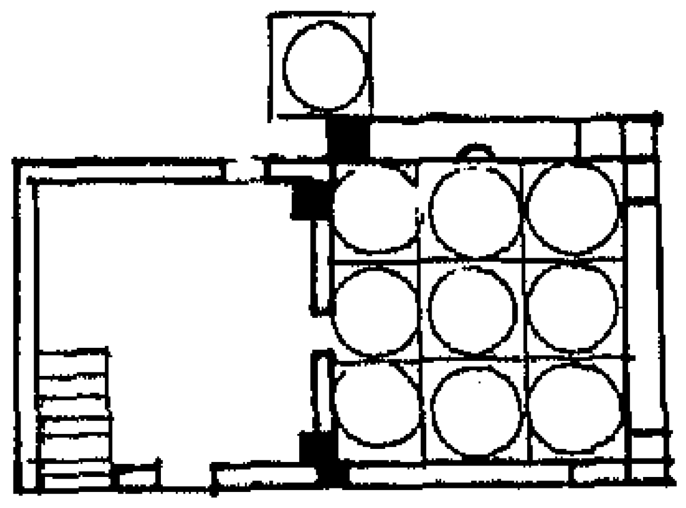

1

مسجد ابن غلبون
مصراتة رق 18)

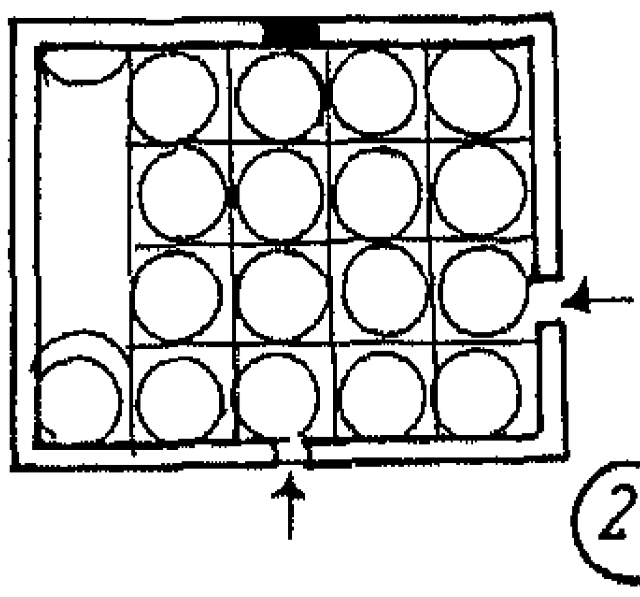

2

جامع الجمعة مصراتة

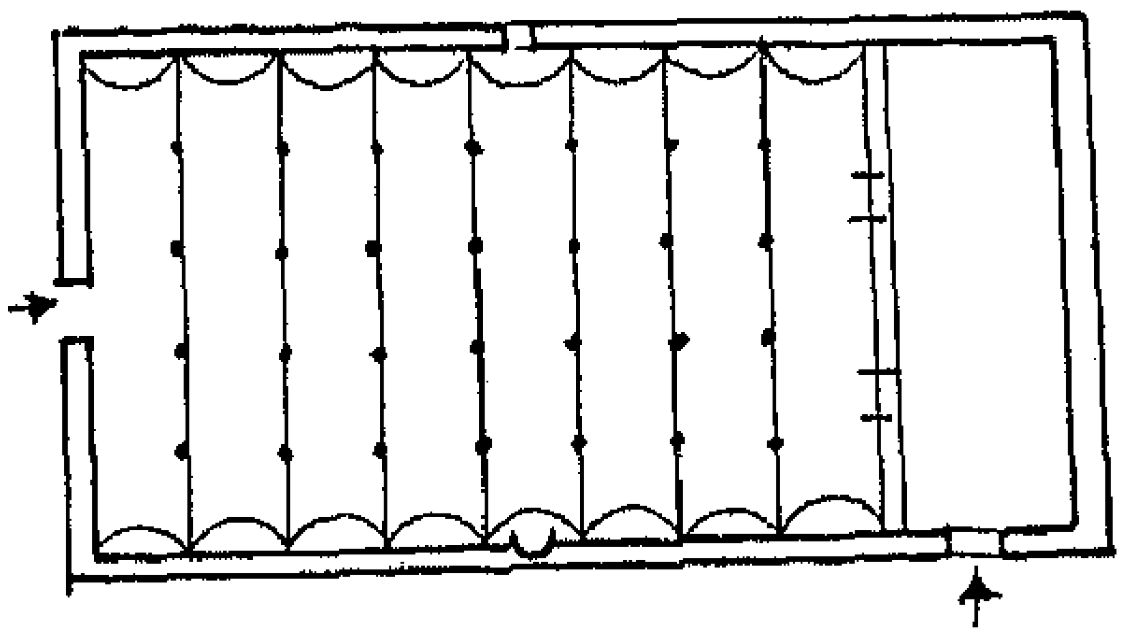

3

جامع الشيخ محمد بن عبد
العزيز - مصراتة

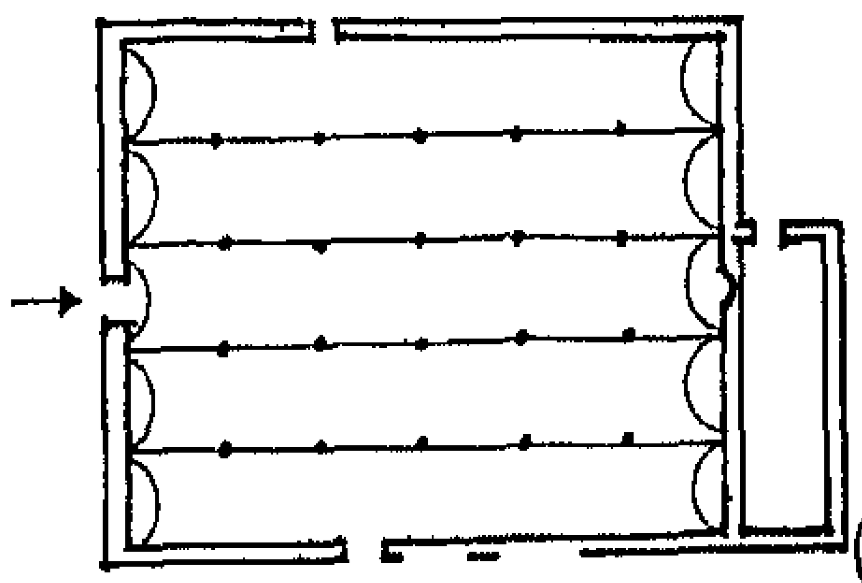

4

مسجد الشيخ ابراهيم
المحجوب - مصراتة

جدول المساقط «د» (الملحق) مسجد من 1 إلى 25

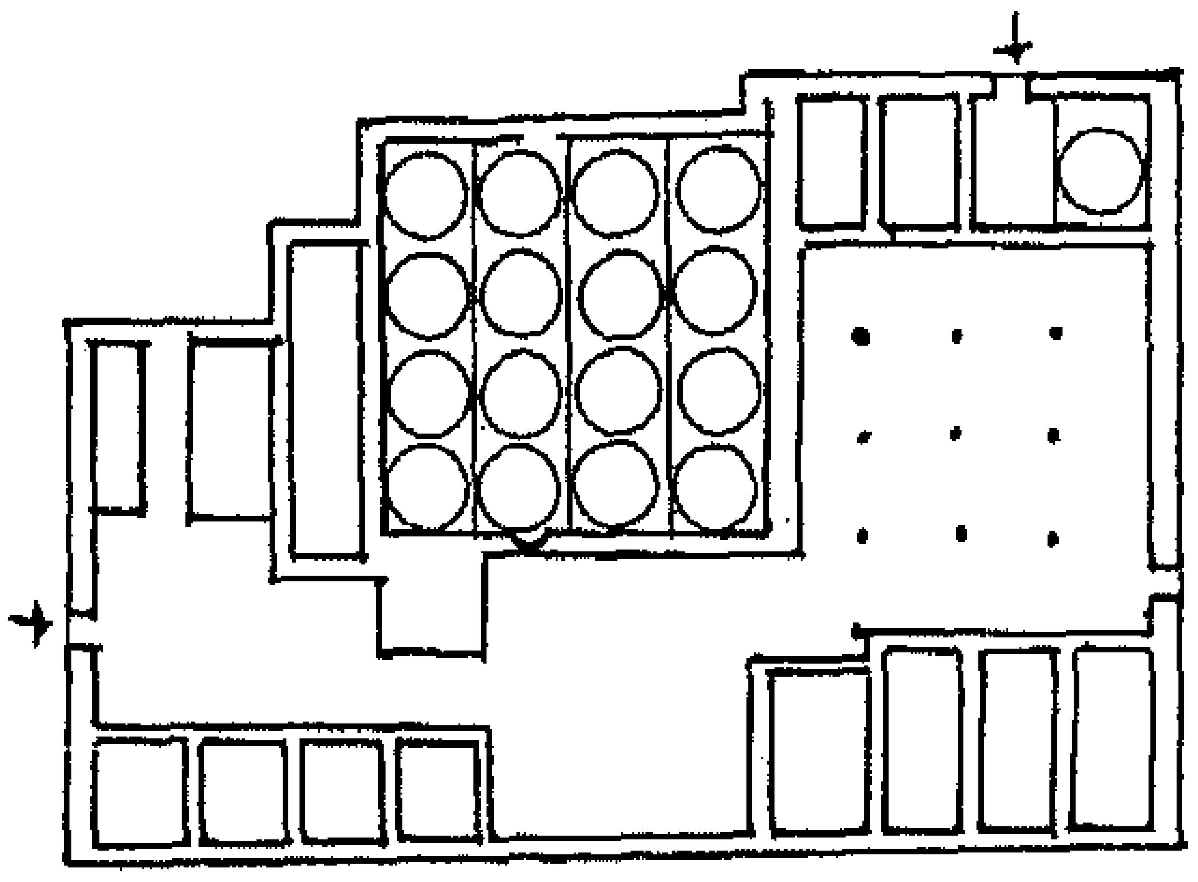

5

مسجد الشيخ عبد الواحد الدوكالي
مسلاتة

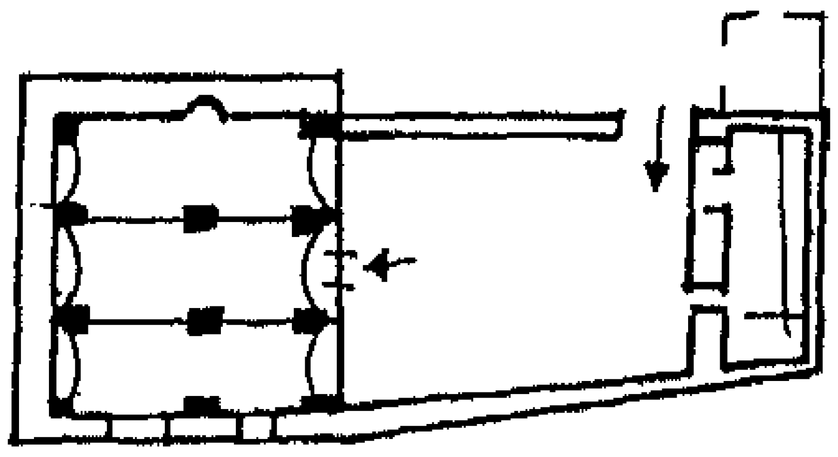

6

مسجد الجمعة - زليتن

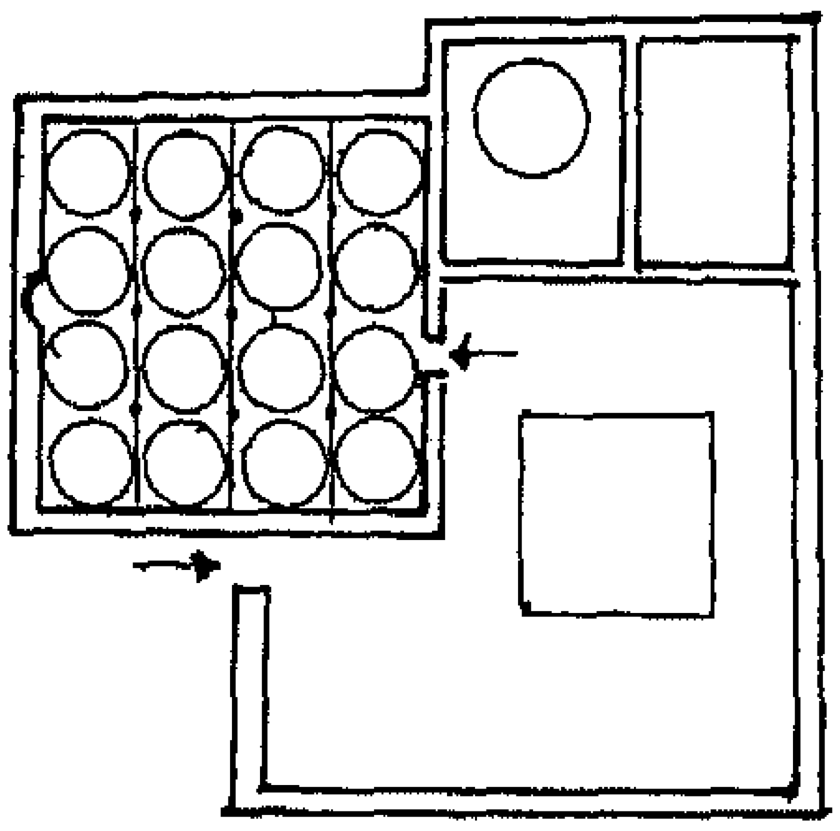

7

مسجد الشيخ عبد السلام
الاسمر وملحقاته - زليتن

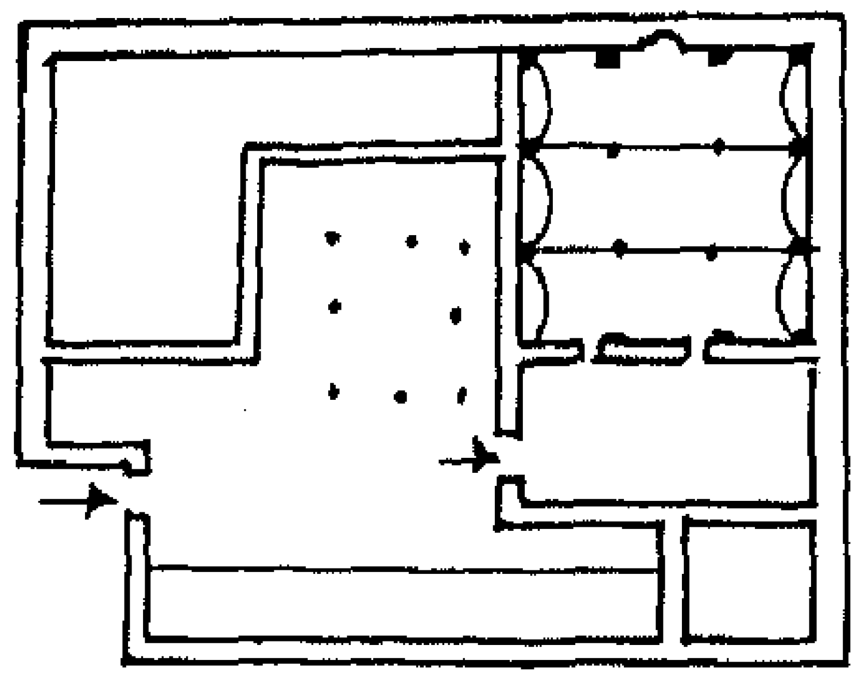

8

مسجد وزاوية المنتصر - مصراتة

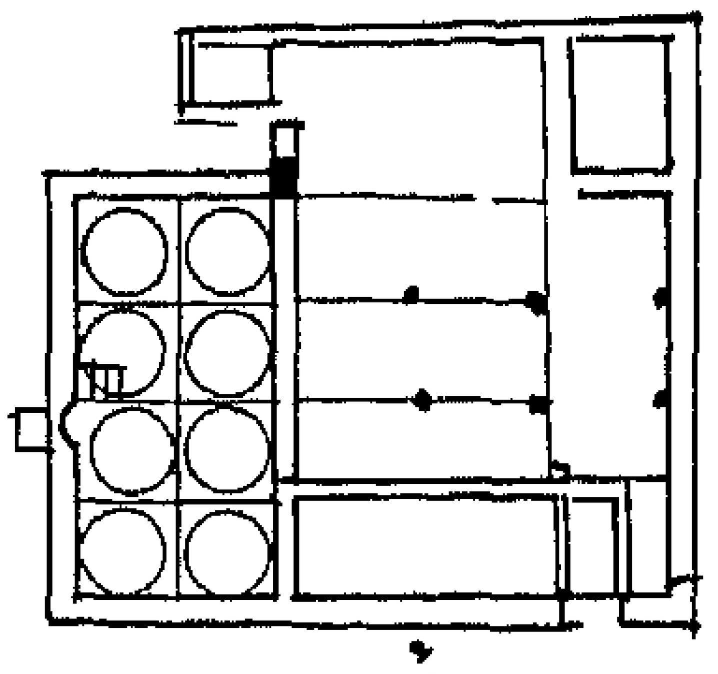

9
جامع الشيخ أحمد بن محمد بن جحا - الخمس

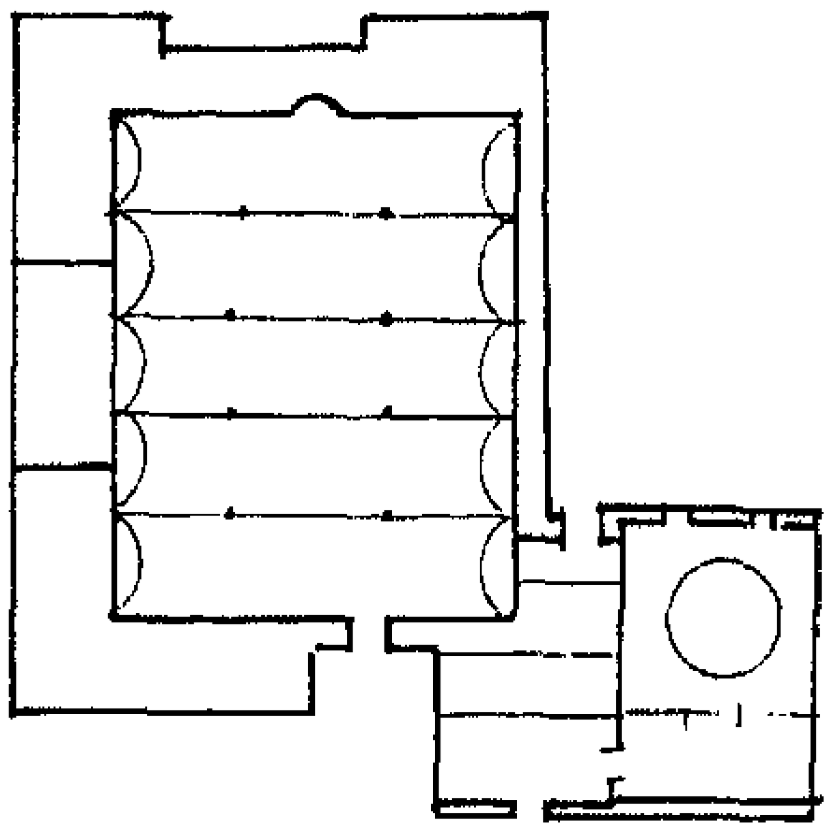

10
جامع الشيخ فتح الله مصراتة

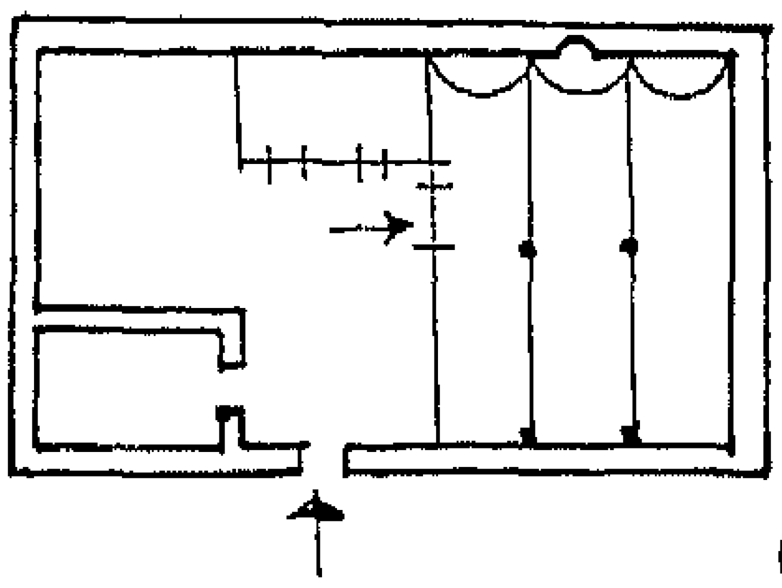

11
مسجد المسكاوي درنة

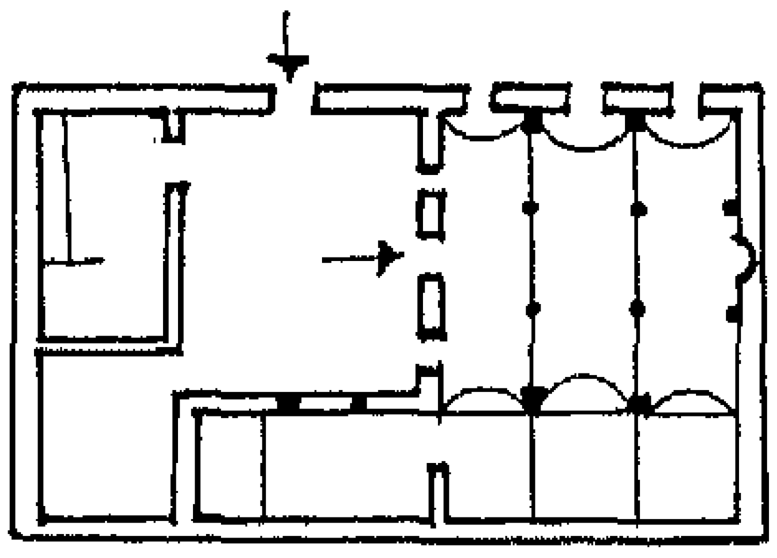

12
مسجد الساعدية مصراتة

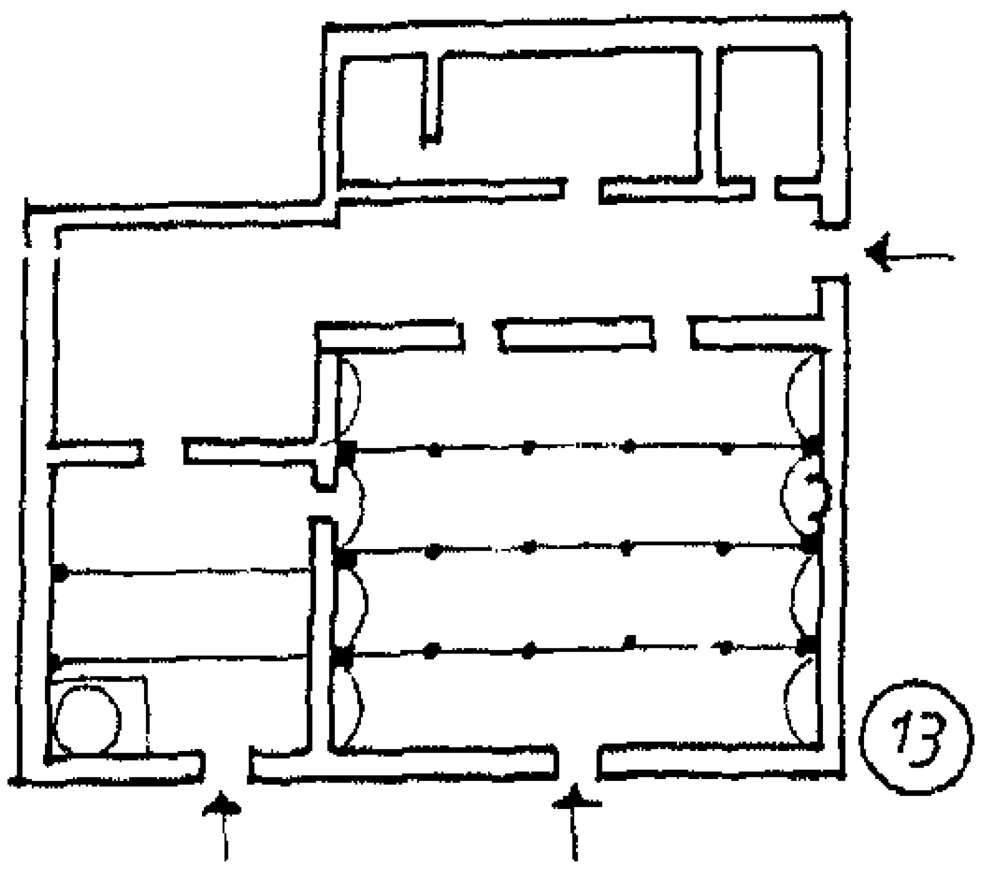

مسجد السور - مصراتة

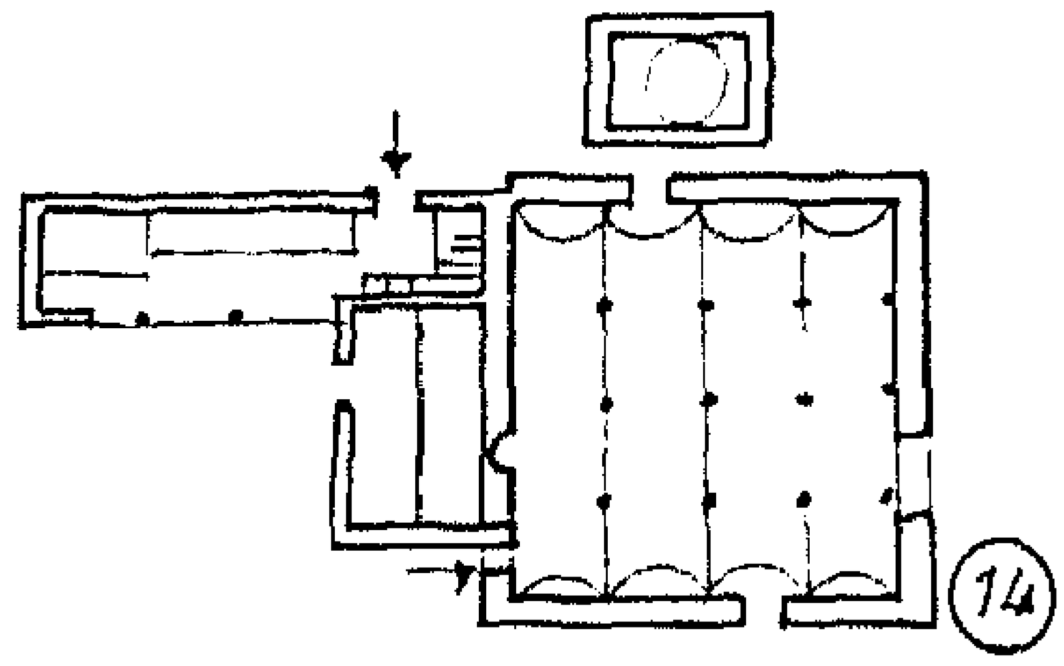

مسجد الشيخ صالح
بن حمودة - مصراتة

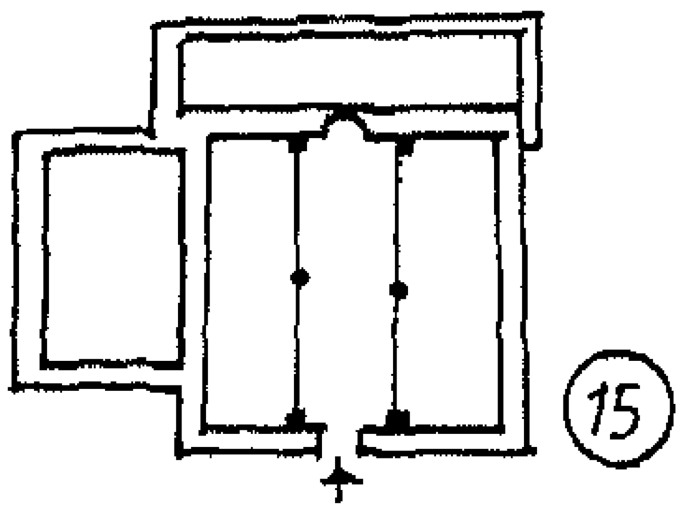

مسجد الشيخ يوسف
ترهونة

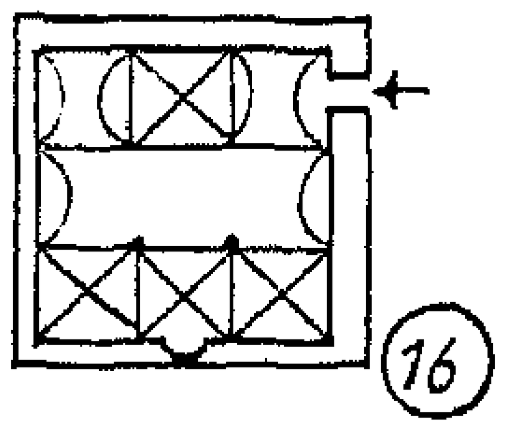

مسجد الشيخ فتح الله
بوبراس - بن وليد

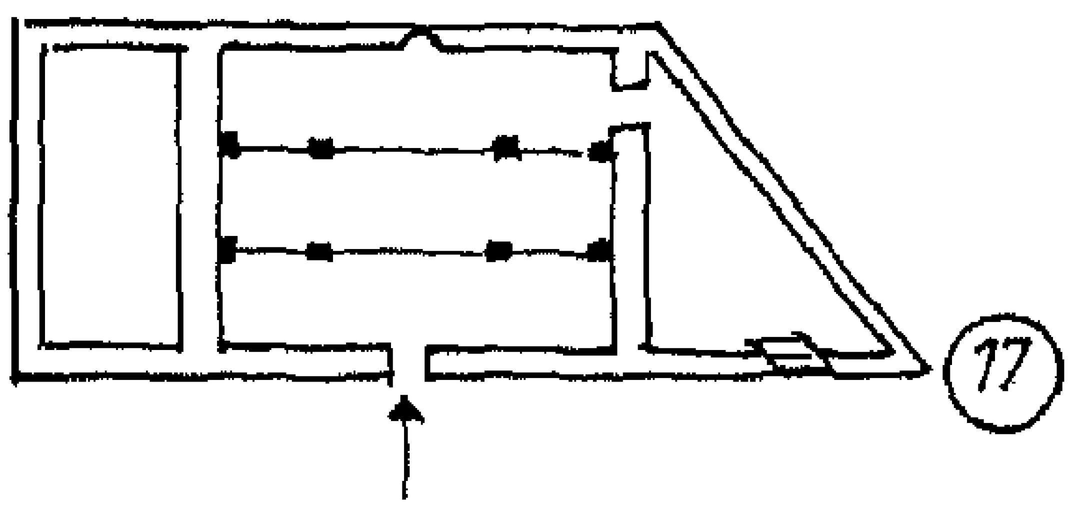

مسجد هدية - بنغازي

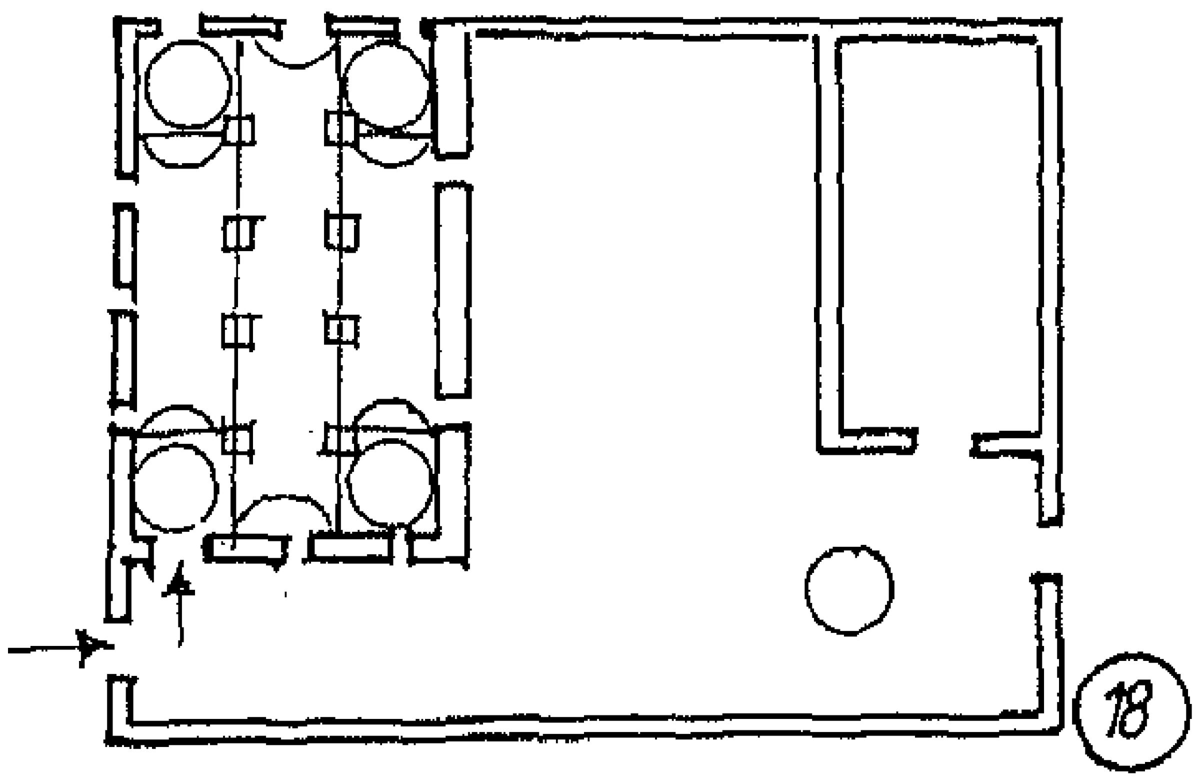

مسجد قبلة أولاد أبو حسين
الرياينة

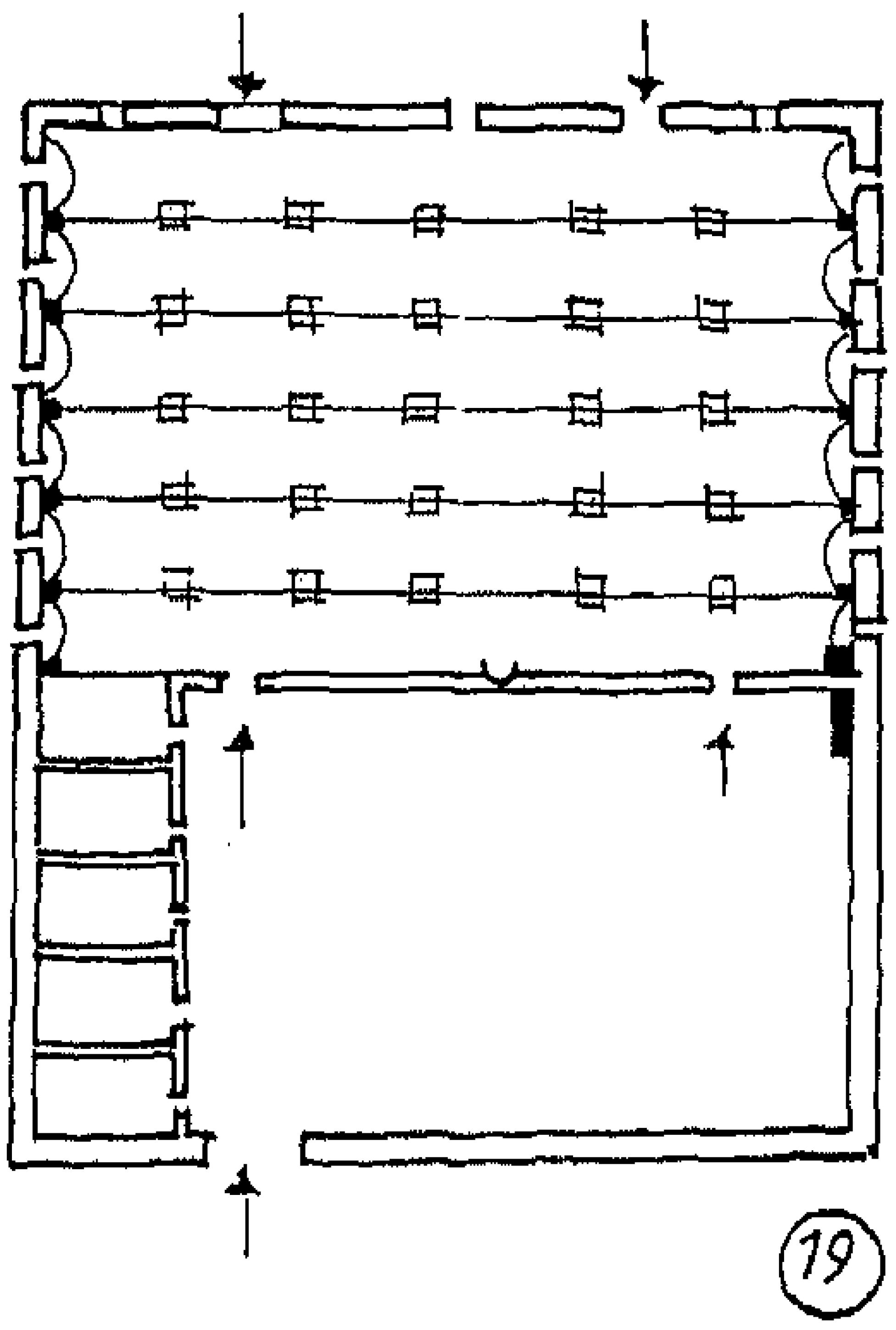

مسجد العين القديم - الرياينة

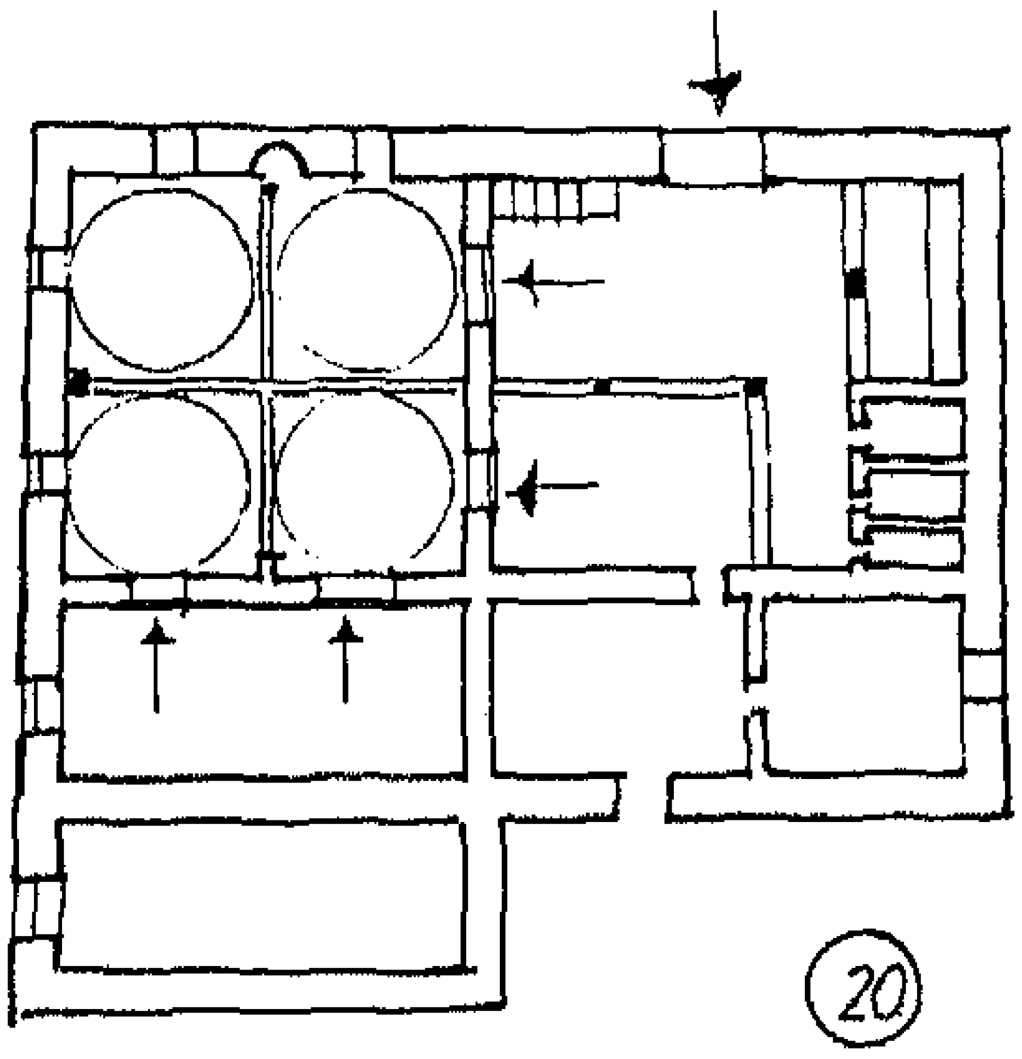

جامع بيت المال
شط الهنشير - طرابلس
(1786 - 1800ف)

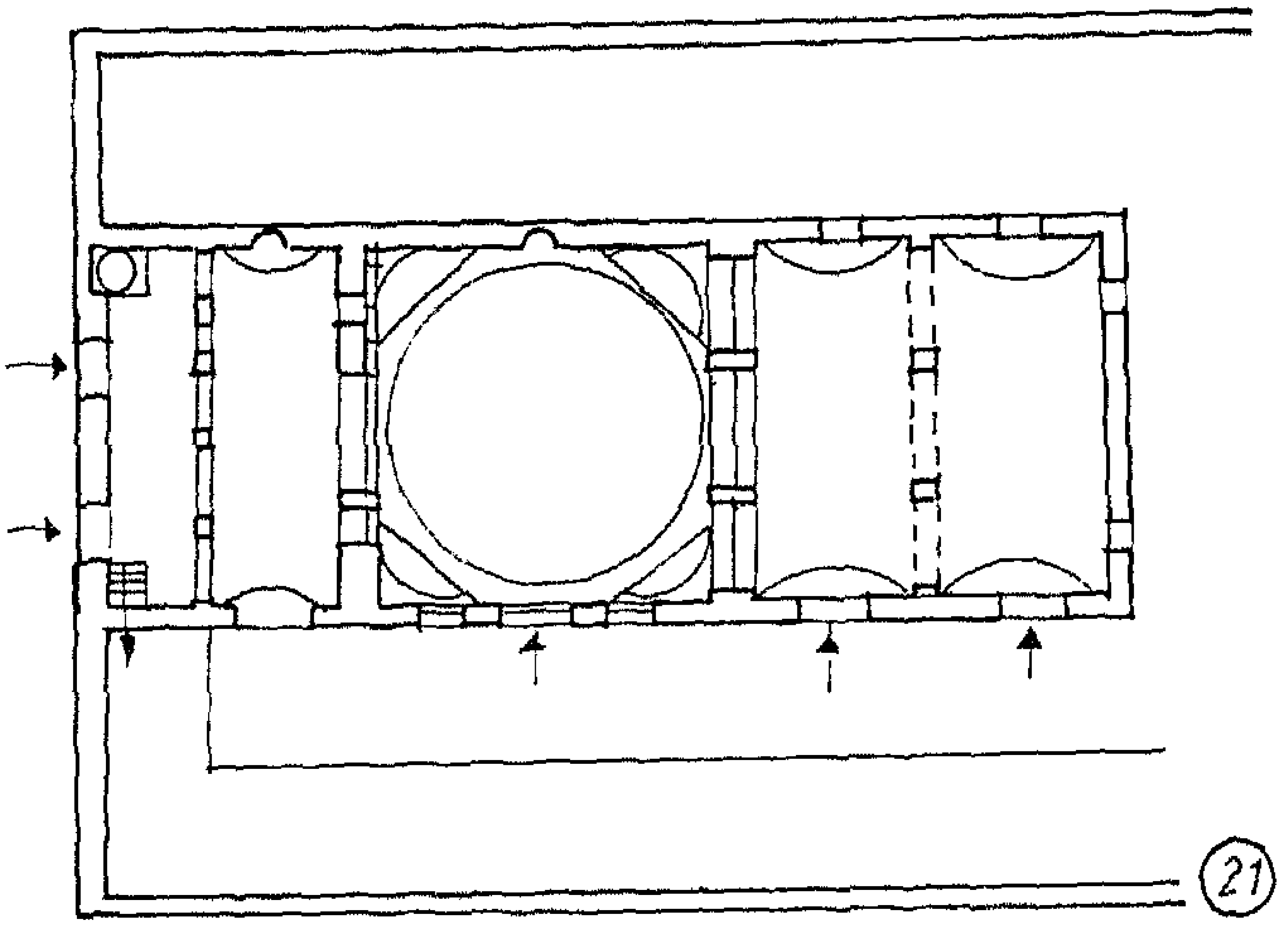

جامع ميزران
طرابلس (1295هـ - 1880م)

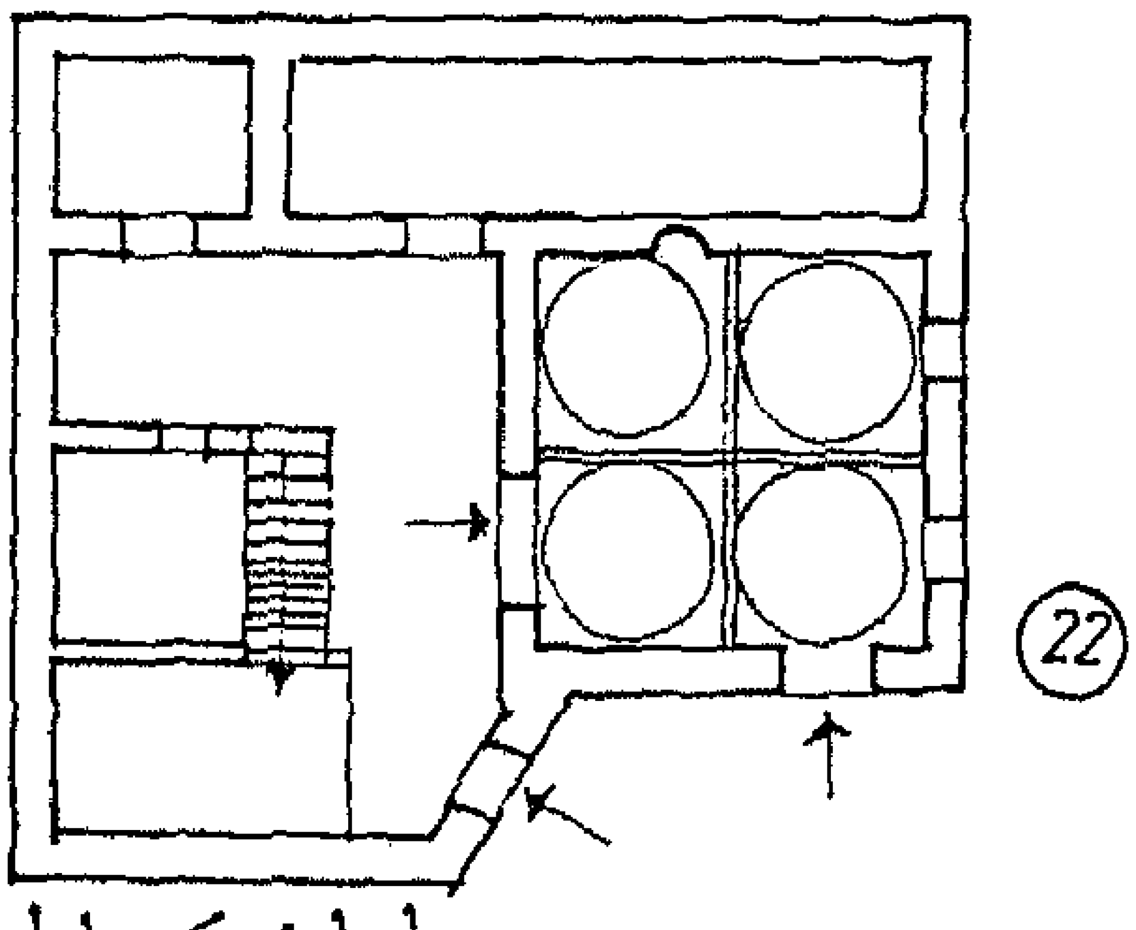

مسجد سيدي بن سليمان - طرابلس
(ق 17م)

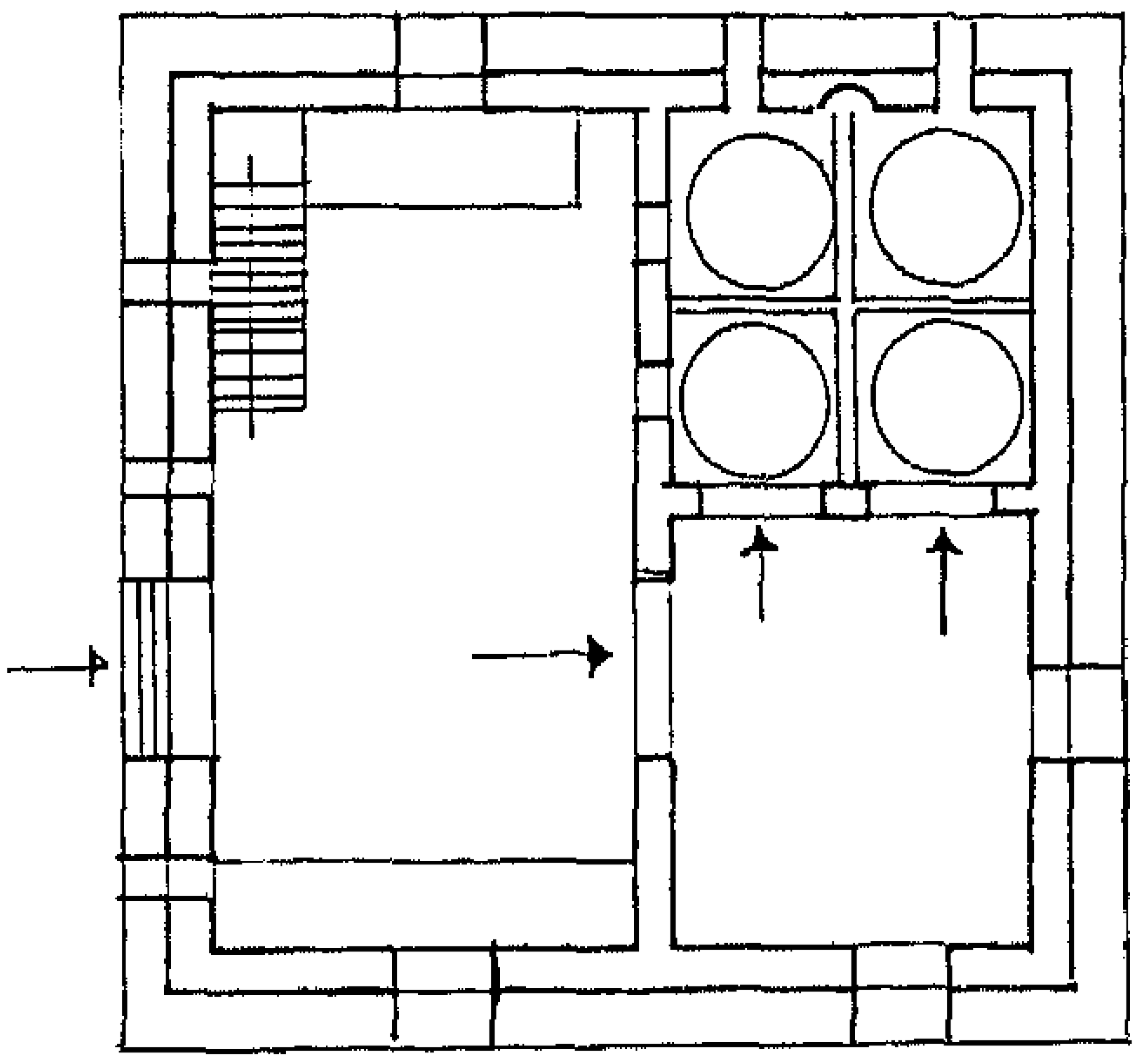

(23)

مسجد الحاج محمد الجداع - الظهرة - طرابلس (ق 19) (23)

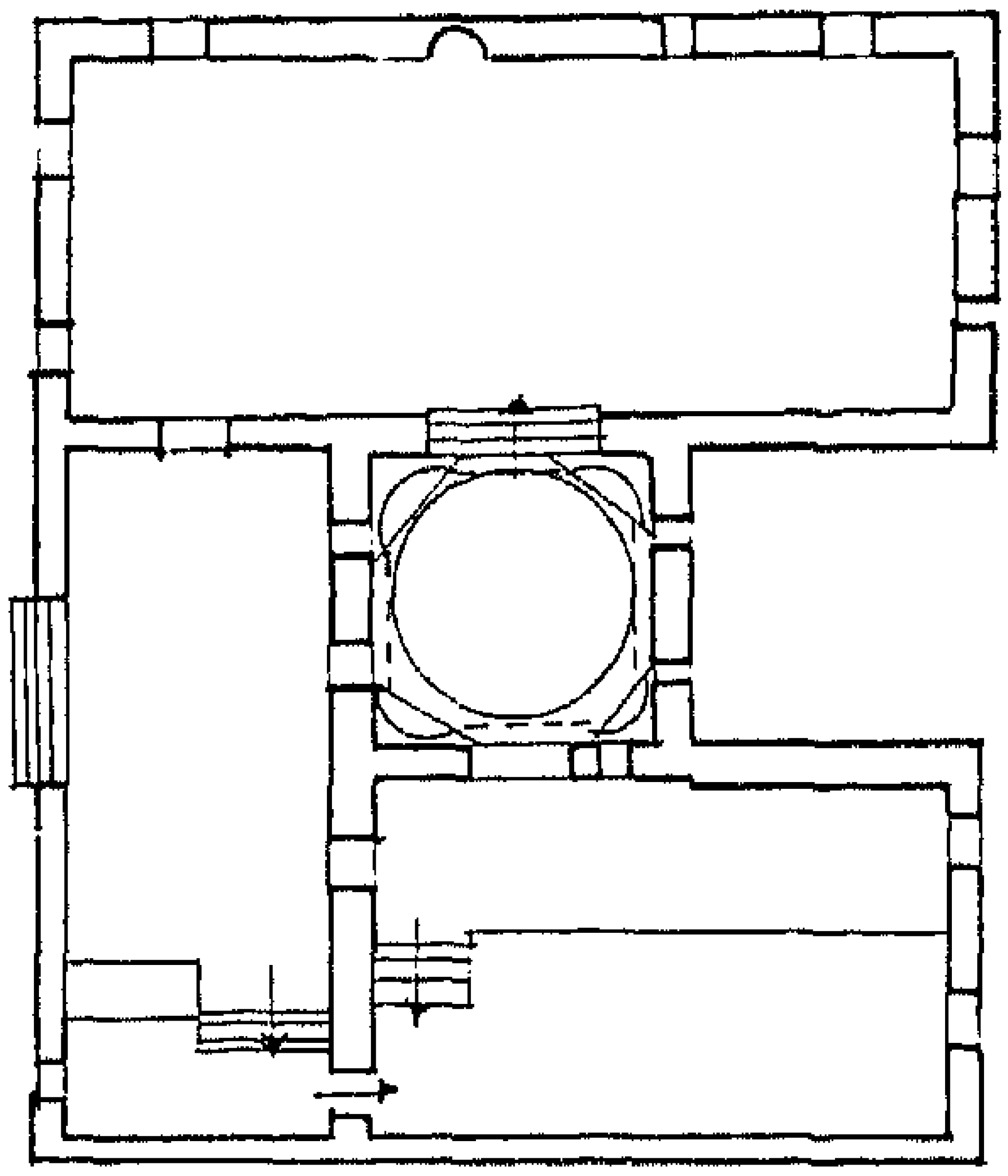

(24)

مسجد المكني طرابلس - الجزء القديم
(1123هـ - 1711م)

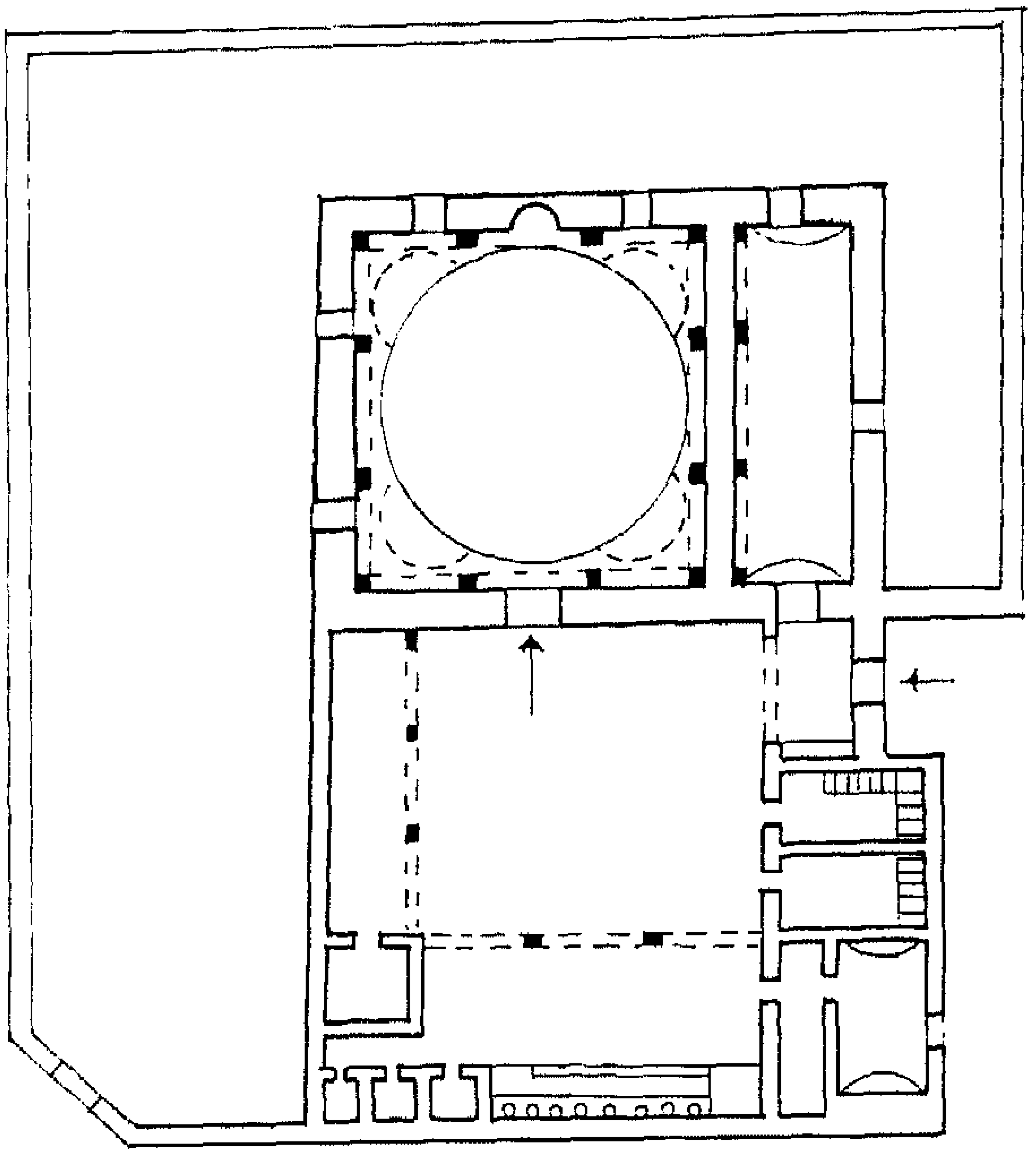

(25) جامع سيدي المرغني - الحشان - طرابلس .
(1236 هـ - 1820 م)

قائمة اختصارات المراجع

1 - GRESWELL. **E.M.A.**
CRESWELL, K.A.C., **EARLY MUSLIM ARCHITECTURE, I, II,** (OXFORD AT THE CLARENDON PRESS. 1932, 1940, 1969).

2 - CRESWELL, **E.M.A.**
CRESWELL, K.A.C., **THE MUSLIM ARCHITECTURE OF EGYPT, I, II,** (OXFORD AT THE CLARENDON PRESS. 1959).

3 - E.I. (SCHORTER) **ENCYCLOPEADIA OF ISLAM.**

4 - FERAUD, **ANNALES.**
FERAUD, CHARLES, **ANNALES TRIPOLITANES,** TRANS. MUHAMMED A.AL- WAFI (PARIS; 1937, TRIPOLI, AL-FERGANI, 1973).

5 - ابن غلبون: **التذكار**
محمد بن خليل بن غلبون، **التذكار في من ملك طرابلس ومن كان بها من الأخيار**، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، ط2 (طرابلس مكتبة النور 1967).

6 - **LEO AFRICANUS.**
AFRICANUS, LEO, **HISTORY AND DESCRIPTION OF AFRICA,** I, II, III, TRANS. JOHN PORY, ED. ROBERT BROWN, (NEW YORK: BURT FRANKLIN PUBLISHERS, 1963).

7 ـ **ميسانا.**

غاسبري ميسانا: **المعمار الإسلامي في ليبيا**، ترجمة علي الصادق حسنين (طرابلس الناشر الدكتور مصطفى العجيلي 1973).

8 ـ النائب: **المنهل.**

أحمد النائب الأنصاري: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، جزءان (مكتبة الفرجاني، ج1 1961، ج2 بدون تاريخ).

9 ـ النائب: **نفحات:**

أحمد النائب الأنصاري: **نفحات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من الأعيان**، تحقيق علي مصطفى المصراتي (بيروت منشورات المكتب التجاري 1963).

10 ـ التجاني: **رحلة.**

أبو عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني: **رحلة التجاني**، مقدمة حسن عبد الوهاب (تونس المطبعة الرسمية 1958).

11 ـ الزاوي: **أعلام.**

الطاهر أحمد الزاوي: **أعلام ليبيا**، (طرابلس ـ مكتبة الفرجاني 1961).

12 ـ الزاوي: **معجم.**

الطاهر أحمد الزاوي: **معجم البلدان الليبية**، (طرابلس ـ مكتبة النور 1968).

13 ـ الزاوي: **تاريخ.**

الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، (القاهرة ـ دار المعارف 1954).

14 ـ الزاوي: **ولاة.**

الطاهر أحمد الزاوي: **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**، (ليبيا ـ محمد الرماح بشينه ـ بيروت ـ دار الفتح للطباعة والنشر 1970).

قائمة الجداول

1 ـ المساجد ذات القبة الواحدة. 154 ـ 155 ـ 156 ـ 157 ـ 158.

2 ـ بعض الأضرحة المسقوفة بقباب كبيرة، وقباب حمام درغوت. ص159 ـ 160.

3 ـ المساجد ذات الأربع قبيبات. ص186 ـ 187 ـ 188 ـ 189.

4 ـ المساجد ذات الست قبيبات. ص214 ـ 215 ـ 216.

5 ـ جداول المقارنة بين أحجام القباب. ص235 ـ 236 ـ 237 ـ 238 ـ 239.

6 ـ المساجد ذات التسع قبيبات المتماثلة والمتباينة الحجم. ص274 ـ 275.

7 ـ المساجد المسقوفة بأكثر من تسع قبيبات. ص276 ـ 277.

8 ـ المساجد الليبية التي لها أكثر من صحن، وشرفات على مستوى الدور الأول، ومحمولة على بواكي تحيط ببيت الصلاة من الخارج من ثلاث جهات، وتلك المساجد التي تشاركها هذه العناصر المعمارية في كل من تركيا والجزائر وتونس ومصر. ص278 ـ 279 ـ 280 ـ 281 ـ 282.

9 ـ المساجد الليبية المسقوفة بأقبية برميلية، وتلك التي أسقفها خليط من أقبية برميلية وقبيبات. ص313 ـ 314 ـ 315 ـ 316 ـ 317 ـ 318.

10 ـ المساجد الليبية ذات الأسقف المسطحة، والتي لها بواكي وأروقة متوازية مع جدار القبلة. ص319 ـ 320 ـ 321.

11 ـ المساجد الليبية ذات الأسقف المسطحة المحمولة على بواكي متقاطعة، وتلك المساجد التي لها بيوت صلاة صغيرة ذات أسقف مسطحة غير محمولة على أعمدة. ص239.

الفهرس

تصدير ... 5

شكر وتقدير ... 7

المقدمة ... 9

1. النظام السياسي والإداري في ليبيا في العهد العثماني ... 17

تركيب نظام الإدارة العثمانية في الجزائر وتونس وليبيا ... 23

تونس والجزائر ... 27

ليبيا (طرابلس الغرب ـ وبرقة ـ وفزان) ... 31

الفترة العثمانية الأولى 1551 ـ 1711 ... 32

ولاية مراد آغا درغوت باشا ... 32

الوضع السياسي والنظام الإداري منذ وفاة درغوت إلى العهد القرمانلي 1565 ـ 1711 ... 35

الفترة القرمانلية 1711 ـ 1835 ... 45

الفترة العثمانية الثانية (1835 ـ 1911) ... 51

2. الخلفية المعمارية لليبيا في الفترات السابقة للعهد العثماني ... 55

مدينة سلطان ... 57

مدينه أجدابيا ... 59

منطقة فزان 62
واحة أوجلة 66
مدينة طرابلس 69
رحلة التجاني والخلفية المعمارية لمنطقة طرابلس الغرب قبل الفترة العثمانية 71
مسجد أبو فتاتة ومسجد قصر الرباط 72
بعض المساجد الجامعة في تونس 74
بعض المدارس والأضرحة التي بها مساجد صغيرة في تونس 75
مسجد الشعاب 79
جامع طرابلس 80
جامع الجدة 81
جامع طرابلس الأعظم 81
جامع الناقة 82
مجموعة أخرى من المساجد 82
مسجد سيدي عبد الوهاب القيسي 84
مساجد وزوايا جنزور 85
مسجد جنزور القديم 85
جامع الشيخ أبو الحسن السيقاطي 88
مساجد أخرى على ساحل جنزور 89
مسجد السيّاح 90
المعمار الإسلامي بعد زيارة التجاني 92
جامع سيدي سالم المشاط 95
مسجد إسماعيل بن يربوع (الدروج) 96
مسجد العسوسي 98

مسجد العمروص (العريفي) بسوق الجمعة 99
المصادر التاريخية التي أشارت إلى تدمير الأعداء لمدينة طرابلس في فترات مختلفة. 105
3. **المساجد ذات الوحدة الفراغية المسقوفة بقبة واحدة** 111
تحليل جذور المئذنة ـ السلم 127
أمثلة وأنواع هذه المساجد 139
4. **المساجد ذات الأربع وحدات فراغية والمسقوفة بأربع قباب** 161
مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأربع قباب 167
أمثلة وأنواع هذه المساجد 176
المساجد المؤرخة 176
المساجد غير المؤرخة وتشمل 179
أهمية جامع محمود خازندار في تطور معمار المسجد الليبي 182
5. **مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بست قباب** 191
أمثلة وأنواع هذه المساجد 198
المساجد المؤرخة والقابلة للتأريخ 198
المساجد غير المؤرخة 199
شجرة عائلة الحطّاب 201
6. **مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بتسع قباب متماثلة وأخرى متباينة** 217
أمثلة وأنواع هذه المساجد 227
7. **مساجد ذات وحدات فراغية مسقوفة بأكثر من تسع قباب** 247
أمثلة وأنواع هذه المساجد 258
الخلاصة 270
8. **المساجد ذات الوحدات الفراغية المسقوفة بأقبية برميلية أو أسقف مسطحة** 283
أمثلة وأنواع هذه المساجد 294

9. الزخرفة في معمار المسجد الليبي 323
الزخارف الحجرية والرخامية 326
جامع الدروج 329
جامع أحمد القرمانلي 329
جامع قرجي 333
الزخارف الخشبية 336
استخدام البلاطات واللوحات الخزفية في الزخرفة 341
الخلاصة 357
الملاحق 367
مسرد المصطلحات وشرحها 373
المصادر والمراجع 377
قائمة الصور التوضيحية 395
Abstract 457
جداول المساقط الأفقية 459
جدول المساقط «أ» مسجد من 1 إلى 41 461
جدول المساقط «ب» مسجد من 42 إلى 55 467
جدول المساقط «ج» مسجد من 56 إلى 73 472
جدول المساقط «د» (الملحق) مسجد من 1 إلى 25 478
قائمة اختصارات المراجع 487
قائمة الجداول 489
الفهرس 491

تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي

1551 - 1911

نشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية

ISBN 9959-28-049-7

9 789959 280497 >

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY

Association Mondiale de L'Appel Islamique